

# قصة العرب

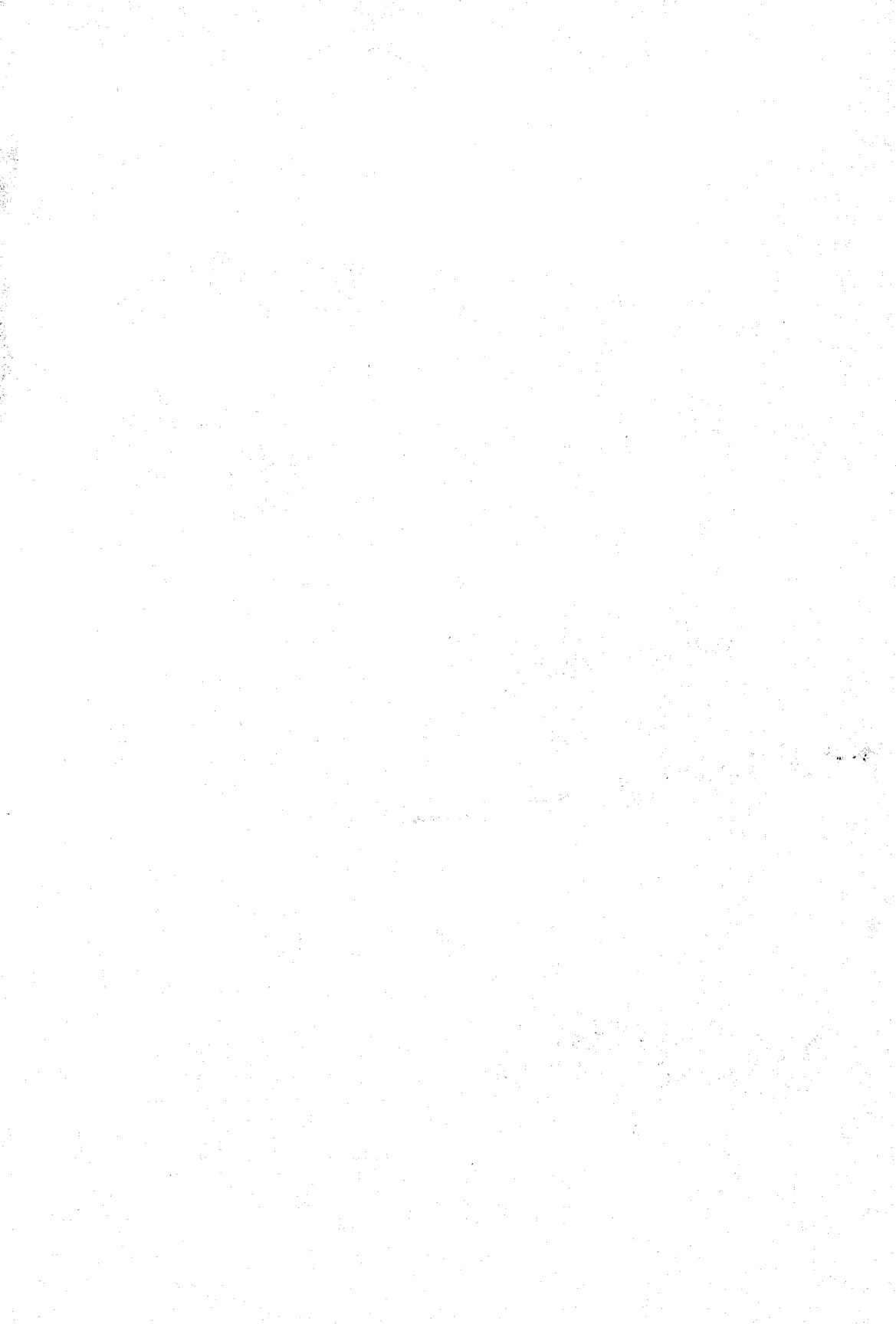
تأليف

محمد أحمد جاد المولى  
على محمد البجاوي  
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

الطبعة الرابعة  
[ فيها زيادة ضبط وشرح وتحقيق ]  
١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م

دار الخيانة الكعبة العربية  
عيسى البابي الجبلي وشركاه



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

تُعدّ القصةُ أقدَر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق ، وتصوير العادات ، ورسم خَلَجَات النفوس ؛ كما أنها - إذا شَرُفَ غرضُها ، ونُبِلَ مقصدُها ، وكرمت غايتها - تُهدِّبُ الطباع ، وترقِّقُ القلوب ، وتدفعُ الناسَ إلى المثل العليا : من الإيمان والواجب ، والحق والتضحية والكرم والشرف والإيتار .

وقد كانت القصةُ - ولا تزال - ذاتَ الشأن الأسمى في آداب الأمم قديمها وحديثها ؛ فقد وردت في التوراة ، وجاءت في الإنجيل ، وزخرت بها آيُّ الذكر الحكيم . ثم هي في شعر الإغريق ، ومخلفاتِ الرومان ، وآثار المصريين القدماء .

والعرب من الأمم التي أخذت بنصيب من هذا الفن الجميل ، وأثر عنها فيض من ذلك الأدب الرفيع ؛ بيدَ أن بعضاً من الباحثين المحدثين قد جحدوا نصيبهم من هذا الفن ، وهضموم حَقِّهم في ذلك الباب ، ووصموم بالخيال العقيم ، وعابوا عليهم الفكر القريب ؛ ولكن المنصفين منهم قد هالَهُمُ هذا الجحود ، ولم يرقَهُمُ ذلك النكران ، فاعترفوا للعرب بالقصص التي ترجموها عن الفرس والهنود ، وتزيّدوا عليها في القاهرة وبغداد ، وتحدّثوا للناس عن قصص عنقرة وذات الهمة ، وجلّوا عليهم ألف ليلة وأخبار ابن ذي يزن .

وهذه القصص ، وإن كانت قد نجحت نجاحاً تاماً في تصوير العصور التي وضعت

فيها ، وَرَسَمَتْنَا لَنَا البَيْتَةَ التي نبتت منها ، كثير منها تافه الغرض ، مُبْتَهَم القصد ، ردى اللغة والأسلوب . وفي قَصْرِ قصص العرب عليها جحد للآداب العربية فضلها ، وإنكار عليها مفاخرها . . . وإلا فإن هناك قصصاً زخرت بها مجالس الخلفاء وسواهم الأسماء ، وملاّت الكتب التي انحدرت إلينا عن المؤلفين القدماء ؛ وما مَنَعَ الناس أن يَرِدُوا شربعتها ، أو يحنوا أطايبها إلا ما مُنِيتَ به هذه الكتب من اضطراب الترتيب ، وردى الطبع ، وتحريف الناسخين

وكتابتنا هذا جَمَعْنَا فيه هذه القصص : ما اتبذ منها وما شرد ، وألّفنا ما تنافر وافترق ، وجعلناه أقساماً ، وقسمناه أبواباً ؛ جمعنا كل قصة إلى مثلها ، وضممنا كل طُرْفَة إلى شبيهها ؛ ليجتمع إلى غرض القصة - من تهذيب الطباع وترقيق النفوس - عرض شامل لحياة العرب : مدينتهم وحضارتهم ، وعلومهم ومعارفهم ، وأديانهم وعقائدهم ، وذكرٌ لعوائدهم وشمائلهم ، وما طُبِعوا عليه من كريم الفرائض ، وحادّة الذكاء ، ثم ما كان للمرأة عندهم من سامى المسكنة وعظيم المنزلة ، وما أثيرَ عنهم من أخبار صوروا بها حبّهم العفيف وغزَلهم الرقيق وعشقهم الشريف ، ولم يخلُ كتابنا مما كان لهم من محاورات ومساجلات ومطائبات ومناقلات ، وما نقله الرواة من أحوال العامة والملوك وطُرْف القضاة والوُلاة ، وأخبار الأيام والحروب ، وغير هذا مما سيعرض مفصلاً في أبواب الكتاب .

ولم نقف في اختيار القصة على تعريف خاص ، أو حدّ مرسوم ، ففيما اخترناه ما ذكرناه من طريف الأخبار وشائق الأحداث ، وما وضعوه مصوِّرين به المجالس والأشخاص ، وما صنعوه على أسنة الطير والحيوان ، وما تخيلوه من أخبار الشياطين والجان ؛ إذ كان الغرض تثقيف الأذهان بذكر الطرائف ، وإنشراح الصدور بعرض

اللطائف مع كشف نواحي التاريخ ، وإظهار مفاخر العرب .  
ولعلّ القارئ يروقه ماتدسّس فيها من شريف الخصال فيحتذئها ، أو تمجبه  
كرأم العادات فيطبع نفسه عليها ، إلى ما في هذا من بعث فصيح الألفاظ ، وإحياء  
رائع الأساليب . ولعله يكون فيها مبادئ صالحة وأسس قويمة لمن يريد أن ينشئ  
قصصاً طويلة على أساس ، أو يقيم روايات على بناء .  
وكان من همتنا أن نحصر على اختيار القصص كما وضعوها ، إلا ما كان من  
زيادة اقتضاها اختلاف الروايات ، أو تغيير لكلمات لا تألفها الآداب ، أو حذف  
عبارات لا غناء فيها .

ولقد بذلنا من الجهد في ضبط الألفاظ ، وكشف النقاب عن المعاني ، وتراجم  
الأشخاص ، وذكر المراجع ما نرجو أن يكون به جنى الكتاب قريباً ومنهله عذباً ،  
وورده سائغاً ، وطريقه سهلاً معبداً .

ونسأل الله أن ينفع به على ما صدقنا في النية ورجونا ما

المؤلفون

ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ هـ  
مايو سنة ١٩٣٩ م

## مقدمة الطبعة الرابعة

هذا كتابنا « قصص العرب » تقدمه إلى أدباء العربية في طبعته الرابعة ، بعد أن نفذت طبعته الثالثة ، وازداد الأدباء إقبالا على اقتنائه وتقديره له .

وكنا قد تلقينا رسائل من بعض أفاضل الأدباء يرغبون إلينا فيها أن نذلل الطريق إلى قراءة الكتاب؛ فنكثر من ضبط الكلمات ، ونزيد من شرح المفردات ، فعملنا على تحقيق رغبتهم ، وبدلنا غاية الجهد في تحريره وتحقيقه . وزدنا في شرح كلماته وضبط أعلامه .

ونرجو أن يكون ذلك كفاء لما تلقينا من رسائل الأدباء ، ولما تفضلت به صحف الشرق العربي من إشادة .

ونسأل الله أن يزيد به النفع بقدر ما بذلنا من جهد ، ورجونا من خير .

المؤلفون

ربيع الأول سنة ١٣٨٢

سبتمبر سنة ١٩٦٢

## البَابُ الْأَوَّلُ

---

في القصص التي تعرب عما كان يقع بين العامة  
والملوك، والقواد والرؤساء والقضاة ومن إليهم، من كل  
ذی صلة بالحكم والحكام، مما يتناول حيلهم في  
المنازعات والخصومات، ويوضح طرائقهم في رفع  
الظلمات، ورجع الحقوق، وما يجري هذا المجرى.

١ — متى تعبدتم الناس؟\*

قال أنس: بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب<sup>(١)</sup> قاعد إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين؛ هذا مقام العائذ بك. فقال عمر: لقد عذت بمجيب؛ فاشأنك؟ قال: سأبقتُ على فرسى ابناً لعمر بن العاص - وهو يومئذ أميراً على مصر - فجعل يُقنني<sup>(٢)</sup> بسوطه ويقول: أنا ابن الأكرميين! فبلغ ذلك عمر أباه، فحشى أن آتيك، فحبسني في السجن، فانفلت منه، وأتيتك.

فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان، وقال للمصري: أقم حتى يأتيك. فقدم عمرو، فشهد الحاج. فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه إلى جانبه، قام المصري، فرمى إليه عمر بالدرة<sup>(٣)</sup>.

قال أنس: ولقد ضربه ونحن نشتهي أن يضر به، فلم ينزع<sup>(٤)</sup> حتى أحييناً أن ينزع من كثرة ما ضربه، وعمر يقول: أضرب ابن الأكرميين! ثم قال المصري: قد استوفيت واشتفيت. قال عمر: ضعها على صلعة<sup>(٥)</sup> عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين؛ قد ضربت الذي ضربني. فقال عمر: أما والله لو فعلت لما منعتك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع. ثم قال: يا عمرو؛ متى تعبدتم الناس وقد ولد لهم أمهاتهم أحراراً!

\* المقعد الفريد للملك السعيد : ٥٩

(١) ثاني الخلفاء الراشدين، المضروب ببدله الثلث، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وبيع بالخلافة سنة إحدى عشرة، قتله أبو لؤلؤة المجوسي سنة ٢٣ هـ (٢) قنعه بالسوط: غشاه به (٣) الدرة: السوط. (٤) يكف ويثمي (٥) يريد موضع الصلح من الرأس



## ٢ - أَحَبُّ الْوَلَاةِ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ\*

قال الربيع بن زياد الحارثي : كنتُ عاملاً لأبي موسى الأشعري على البحْرَيْنِ ، فكتب إليهِ عمر بن الخطاب - رضِيَ اللهُ عنه - يأمرهُ بالتقدم عليه هو وعمَّالُه ، وأن يَسْتَخْلِفُوا<sup>(١)</sup> جميعاً .

فلما قَدِمْنَا أَيْتُ يَرَفَا<sup>(٢)</sup> ؛ قلتُ : يَا يَرَفَا ؛ مسترشداً وابنُ سبيل ؛ أيَ الهيئاتِ أَحَبُّ إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عمَّالَه ؟ فأوماً إلى بالخسونة . فاتخذتُ خُفَيْنِ مُطَارَقَيْنِ<sup>(٣)</sup> ، وليستُ جَبَّةَ صوف ، ولثتُ<sup>(٤)</sup> عمامتي على رأسي . فدخلنا على عمر فصَفَّنا بين يديه ، فصعدَ فينا وصوَّبَ ، فلم تأخذ عينه أحداً غيري ؛ فدعاني فقال : مَنْ أنت ؟ قلتُ : الربيع بن زياد الحارثي ، فقال : ماتتولي ؟ قلتُ : البحرين . قال : كم تر تزق ؟ قلتُ : ألفاً . قال : كثير ! فما تصنعُ به ؟ قلتُ : أتقوتُ منه شيئاً ، وأعودُ به على أقاربِ لي ؟ فما فَضَّلَ عنهم فعلى فقراء المسلمين . قال : فلا بأس ! ارجع إلى موضعك .

فرجمتُ إلى موضعي من الصف ؛ فصعدَ فينا وصوَّبَ ، فلم تقع عينه إلا على ؛ فدعاني وقال : كم سِنَّكَ ؟ قلتُ : خمسٌ وأربعون سنة . قال : الآن حين استَحَكَمْتَ ! ثم دعا بالطعام وأصحابي حديثُ عهدُهم بلبَّين العيش ، وقد تجوَّعتْ له ، فَأَتَيْتُ بِجُبْزٍ وَأَكْسَارٍ<sup>(٥)</sup> بعمير ، فجعل أصحابي يماقون ذلك ، وجعات آكل

\* الكامل للمبرد : ١ - ٨٩

(١) يجعلوا بدلهم خلفاء عنهم . (٢) مولى عمر بن الخطاب . (٣) طارق نظير : أطبق نملًا على نمل غرزهما . (٤) لثتها على رأسي : أدت بعضها على بعض على غير استواء . (٥) أكسار بغير : الكسر : العظم ينفصل بما عليه من اللحم .

فأجيد ، ثم جعلتُ أنظر إليه يلحظني من بينهم ، ثم سبقتُ مني كلمةٌ تمنيتُ أني  
سُخِّتُ في الأرض ؛ إذ قلتُ : يا أمير المؤمنين ؛ إن الناسَ يحتاجون إلى صلاحك ،  
فلو عمدتَ إلى طعامِ ألينٍ من هذا ! فزجرني .

ثم قال : كيف قلتُ ؟ قلتُ : أقول يا أمير المؤمنين : تنظر إلى قوتك من الطحين  
فيخبز لك قبل إرادتك إياه بيومٍ ، ويطبخ لك اللحم كذلك ، فتؤتني بالخبز ليناً  
واللحم غريصاً<sup>(١)</sup> ، فسكن من غربه<sup>(٢)</sup> ، وقال : أهنا غرت<sup>(٣)</sup> ! قلتُ : نعم !  
فقال : ياربيع ؛ إننا لو نشاء ملاًنا هذه الرحاب من صلاح<sup>(٤)</sup> وسبائك<sup>(٥)</sup>  
وصناب<sup>(٦)</sup> ، ولكني رأيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم ، فقال : ﴿ أَذْهَبْتُمْ  
طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ .

ثم أمر أبا موسى الأشعري بإقرارى وأن يُستبدل بأصحابي .

---

(١) الغريص : الطرى . (٢) سكن من غربه : أى هدأ من غضبه . (٣) أهنا غرت :  
أى ذهبت . (٤) صلاح : ما عمل بالنار طبخاً وشياً . (٥) سبائك : يريد ما يسبك من  
الديق فيؤخذ خالصه ، وكانت العرب تسمى الرقاق السبائك . (٦) الصناب : الحردل المعمول  
بالزبيب ويؤتم به .

٣ - عمر يتفقد رعيته\*

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ليلة ، يطوف ويتفقد أحوال المسلمين ، فرأى بيتاً من الشعر مَضروباً ، لم يكن قد رآه بالأمس . فدنا منه ؛ فسمع فيه أنين امرأة ، ورأى رجلاً قاعداً ، فدنا منه وقال له : من الرجل ؟ فقال : رجل من البادية ، قدمتُ إلى أمير المؤمنين ، لأُصِيبَ من فضله ، قال : فما هذا الأنين ؟ قال : امرأة مَحَضَّتْ<sup>(١)</sup> ! قال : فهل عندها أحد ؟ قال : لا .

فانطلق عمر فجاء إلى منزله ، فقال لامرأته - أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب : هل لك في أجر قد ساقه الله إليك ؟ قالت : وما هو ! قال : امرأة مَحَضَّتْ ليس عندها أحد ! قالت : إن شئت ! قال : فَخُذِي معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدُّهن ، وأثني بقدر وشحم وجبُوب . فجاءته به ، فحمل القدر ، ومشت خلفه ، حتى أتى البيت ، فقال لها : ادخلي إلى المرأة .

ثم قال للرجل : أو قد لي ناراً ، ففعل ، فوضع القدر بما فيها ، وجعل عمرُ ينفخُ النارَ ويضرمُها ، والدخانُ يخرج من خلال لحيته ، حتى أنضجها ، وولدت المرأة ، فقالت أم كلثوم : بشرْ صاحبك يا أمير المؤمنين بسلام . فلما سمعها الرجلُ تقول : يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل ، وقال : يا خجَلتاه منك يا أمير المؤمنين ! أهكذا

\* المستطرف : ٢ - ٩٣

(١) محضت : أتاما الخناس ، وهو ما تشمر به المرأة قبيل الوضع .

تفعلُ بنفسك ! قال : يا أخا العرب ، من وُلِّي شيئاً من أمور المسلمين ينبغي له أن يطلع على صغير أمورهم وكبيرها ، فإنه عنها مسئول ، ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة .

ثم قام عمر ، وأخذ القدر ، وحملها إلى باب البيت ، وأخذتها أم كلثوم ، وأطعمت المرأة ، فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم ، فقال عمر رضى الله عنه للرجل : قم إلى بيتك وكن ما بقي في البرمة<sup>(١)</sup> ، وفي غدٍ أنت إلينا . فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به .

---

(١) البرمة : القدر .

٤ — عُمر بن الخطاب يحاسب نفسه \*

قال الأحنف بن قيس : قدمنا على مَعمر بن الخطاب بفتح عظيم نبشّره به ،  
فقال : أين نزلتم ؟ قلنا : في مكان كذا !

فقام معنا حتى اتهبنا إلى مُناخ<sup>(١)</sup> رِكابنا ، وقد أضعفها الكلال ، وجهدها<sup>(٢)</sup>  
السير ؛ فقال : هلا اتّقيتم الله في رِكابكم هذه ! أما علمتم أنّ لها عليكم حقاً ؟  
هَلَّا أرْحَمُوهَا فأَكلت من نبات الأرض !

فقلنا : يا أمير المؤمنين ؛ إنا قدّمنا بفتح عظيم ، فأحببنا التسرع إليك وإلى  
المسلمين بما يسرهم . فانصرف راجعاً ، ونحن معه .

فأتى رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إن فلاناً ظلمني فأعدني عليه<sup>(٣)</sup> . فرفع في  
السماء درّته<sup>(٤)</sup> ، وضرب بها رأسه ، وقال : تدعون عمر ، حتى إذا شغل في أمور  
المسلمين أتيتموه وقلتم : أعدني أعدني ! فانصرف الرجل يتذمّر ، فقال عمر : على  
بالرجل ا فجيء به فأتى إليه الخففة<sup>(٥)</sup> ، فقال : اقتص . قال : بل أدعه لله ولك .  
قال : ليس كذلك ، بل تدعه إما لله وإرادة ما عنده ، وإما تدعه لي ! قال : أدعه  
لله . قال : انصرف .

ثم جاء حتى دخل منزله ، ونحن معه ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم جلس ،  
فقال لنفسه : يا ابن الخطاب ، كنت وضيعاً فرمك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله ،  
وكنت ذليلاً فأعزّك الله ، ثم حملك على رقاب الناس ، فجاء رجل يستعديك

\* ابن أبي الحديد : ٣ - ٩٧

(١) للمناخ هنا : مبرك الإبل ، والركاب : الإبل . (٢) جهد دابته : أجهدها . (٣) أعدى  
فلاناً عليه : نصره وأعانته وقواه . (٤) الدرّة : السوط . (٥) الخففة : الدرّة أو سوط من خشب .

على مَنْ ظَلَمَهُ فضرِبته ؛ ماذا تقول لربك غدأ ؟ فجعل يماثِبُ نفسه معاتبَةً ، فظننت أنه من خير أهلِ الأرضِ !

٥ — جِئْتُكَ من عند أزهْد الناسِ \*

استعمل عمرُ رضی اللهُ عنه علىِ خمسِ رجالٍ يقال له عُمرُ بنُ سعد<sup>(١)</sup> ؛ فلما مضتِ السَّنَةُ كُتبَ إليه : أنِ اقدمَ علينا ؛ فلم يشعرَ عمرٌ إلا وقد قدِمَ عُمرُ ماشياً حافياً ، عكَّازَتُهُ<sup>(٢)</sup> بيده ، وإداوَتُهُ<sup>(٣)</sup> ومِرزودُهُ وقصَعَتُهُ على ظهره . فلما نظر إليه عمرُ قال له : يا عميرُ ؛ أَجَبْتَنَا أم البلادُ بلادُ سوء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أما نهاك اللهُ أن تجهر بالسوء وتَنأى عن سوء الظن ؛ وقد جِئْتُ إليك بالدنيا أجرها بقرابها ! فقال له : وما معك من الدنيا ؟

قال : عكَّازَةٌ أتوكأُ عليها ، وأدفعُ بها عدوًّا إن لقيته ؛ ومِرزودٌ أحملُ فيه طعامي ، وإداوةٌ أحملُ فيها ماءً لشربي وطهوري ، وقصعةٌ أتوضأُ فيها ، وأغسلُ فيها رأسي ، وآكلُ فيها طعامي ؛ فوالله يا أمير المؤمنين ؛ ما الدنيا بعدُ إلا تبعٌ لما معي .

فقام عمر رضی اللهُ عنه إلى قبر رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم وأبى بكر رضی اللهُ عنه ؛ فبكى بكاءً شديداً ، ثم قال : اللهم ألحِقني بصاحبي ؛ غيرَ مُفْتَضَحٍ ولا مُبَدَّلٍ .

\* المستطرف : ١ - ١١٠

(١) شهد فتوح الشام ، واستعمله عمر على خمس ، وكان عمر يقول فيه : وودت لو أن لي رجالاً مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين . (٢) العكازة : عصاً في أسفلها زج يتوكأ عليها الرجل . والإداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء .

ثم عاد إلى مجلسه ، فقال : ما صنعتَ في عملي يا عمير ؟ فقال : أخذتُ الإبل من أهل الإبل ، والجزيةَ من أهل الذمة عن يدٍ<sup>(١)</sup> وهم صاغرون ، ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ؛ فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي عندي منها شيء لأنتيتك به .

فقال عمر : عدُّ إلى عملي يا عمير ، فقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تردني إلى أهلي . فأذن له فأتى أهله .

فبعث عمر رجلاً ، يقال له حبيب ، بمائة دينار ، وقال : اختبر لي عميراً ، وانزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله : هل هو في سعة أو ضيق ؟ فإن كان في ضيق فادفعْ إليه الدنانير .

فأتاه حبيب ، فنزل به ثلاثاً ، فلم يرَ له عيشاً إلا الشعير والزيت ؛ فلما مضت ثلاثة أيام ، قال عمير : يا حبيب ؛ إن رأيتَ أن تتحوَّل إلى جيراننا فلعلهم يكونون أوسعَ عيشاً منا ؛ فإننا والله لو كان عندنا غيرُ هذا لآثرناك به .

فدفعَ إليه الدنانير ، وقال : قد بعث بها أميرُ المؤمنين إليك ، فدعا بفروٍ خلَّق لاسمأته ؛ فجعل يصرُّ منها الخمسة الدنانير والستة والسبعة ، ويبعثُ بها إلى إخوانه من الفقراء إلى أن أنفدها .

فقدم حبيب على عمر وقال : جئتُك يا أمير المؤمنين من عند أزهدي الناس ، وما عنده من الدنيا قليل ولا كثير . فأمر له عمر بوسقين<sup>(٢)</sup> من طعام وثوبين . فقال : يا أمير المؤمنين ، أما الثوبان فأقبلهما ، وأما الوسقان فلا حاجة لي بهما ؛ عند أهلي صاعٌ من بُرٍّ هو كافيهم حتى أرجع إليهم .

(١) عن يد : عن قهر ودل ، وعن اعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم . (٢) الوسق : ستون صاعاً ، أو حل البعير .

## ٦ - تأديبُ عمر بن الخطاب لعماله \*

كان عمرُ بن الخطاب جالسا في المسجد فمرَّ به رجل فقال : ويل لك يا عمر من النار ! فقال : قَرَّبوه إلي . فدنا منه ، فقال : لِمَ قَلتَ ما قلت ؟ قال : تستعملُ عُمَّالَكَ وتشرط عليهم ، ثم لا تنظر : هل وفَّوا لك بِشَرطِ أم لا ؟ قال : وما ذاك ؛ قال : عاملك على مصر اشترطت عليه فترك ما أمرته به ، وارتكب ما نهيتته عنه ؛ ثم شرح له كثيرا من أمره .

فأرسل عمر رجلين من الأنصار ، فقال لهما : اتبيا إليه فأسألا عنه ، فإن كان كذَّاب عليه فأعلماني ، وإن رأيتما ما يسوءكما فلا تمكَّكاه من أمره شيئا ، حتى تأتيآ به .

فذهبا فأسألا عنه ، فوجداه قد صدق ؛ فجاآ إلى بابه ، فاستأذنا عليه ، فقال صاحبه : إنه ليس عليه اليوم إذن . قالا : ليخرجنَّ إلينا أو لنحرقنَّ عليه بابه ، وجاء أحدهما بشُعْلَةٍ من نار .

فدخل الآذنُ فأخبره ؛ فخرج إليهما ، فقالا : إنا رسولا عمر إليك لتأتيه ، قال : إن لي حاجة ، تمهلانني إلى أن أتزود . قالا : إنه عزَم علينا ألا نمهلك .

فاحتملاه وأتيا به عمر ، فلما آناه سلم عليه فلم يعرفه ، وقال له : من أنت ؟ وكان رجلا أسمر ، فلما أصاب من ريف<sup>(١)</sup> مصر أبيض وسمن - فقال : أنا عاملك على

\* ابن أبي الحديد : ٣ - ٩٨

(١) الريف هنا : أرض فيها زرع وخصب .



مصر ، أنا فلان . قال : وَنَحْكَ ا رَكِبْتَ مَا نَهَيْتَ عَنْهُ ، وَتَرَكْتَ مَا أَمَرْتَ بِهِ ،  
وَاللَّهِ لَأَعَابِنَكَ عَقُوبَةً أَبْلِغَ إِلَيْكَ فِيهَا .

آتُونِي بِكِسَاءٍ مِنْ صُوفٍ وَعَصَا وَثَلَاثَةَ شَاةٍ مِنْ غَنَمِ الصَّدَقَةِ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : الْبَسْ  
هَذِهِ الدِّرَاعَةَ<sup>(١)</sup> ؛ فَقَدْ رَأَيْتُ أَبَاكَ ، وَهَذِهِ خَيْرٌ مِنْ دُرَّاعَتِهِ ، وَخُذْ هَذِهِ الْعَصَا فَمِى  
خَيْرٌ مِنْ عَصَا أَبِيكَ ، وَانْهَبْ بِهَذِهِ الشِّيَاءَ فَارْزَعْهَا فِي مَكَانٍ كَذَا - وَذَلِكَ فِي يَوْمِ  
صَائِفٍ<sup>(٢)</sup> - وَلَا تَمْنَعْ السَّابِلَةَ<sup>(٣)</sup> مِنْ أَلْبَانِهَا شَيْئًا إِلَّا آلَ عَمْرٍ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا  
مِنْ آلِ عَمْرٍ أَصَابَ مِنْ أَلْبَانِ غَنَمِ الصَّدَقَةِ وَلَحُمِهَا شَيْئًا .

فَلَمَّا ذَهَبَ رَدَّهُ ، وَقَالَ : أَفَهَيْتَ مَا قُلْتُ ؟ فَضَرَبَ بِنَفْسِهِ الْأَرْضَ ، وَقَالَ :  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لَا اسْتَطِيعُ هَذَا ، فَإِنِ شِئْتَ فَاصْرُبْ عُنُقِي . قَالَ : فَإِنِ رَدَدْتُكَ فَأَيُّ  
رَجُلٍ تَكُونُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَبْلُغُنِي بَعْدَهَا إِلَّا مَا تَحِبُّ . فَرَدَّهُ فَكَانَ نَعَمَ الرَّجُلِ !

(١) الدراعة : جبة مشقوقة من المقدم . (٢) يوم صائف : شديد الحر . (٣) السابطة :  
أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم .

(٢ قصص العرب - ٣)

## ٧ - أَخْطَاتُ فِي ثَلَاثَ \*

خرج عمر بن الخطاب في ليلة مظلمة، يَمْسُ<sup>(١)</sup> بنفسه؛ فرأى في بعض البيوت ضوء سراج، وسمع حديثاً؛ فوقف على الباب يتجسس؛ فرأى عبداً أسود قد آماه إناء فيه مِرْز<sup>(٢)</sup> وهو يشرب، ومعه جماعة؛ فهمم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت؛ ففسور السطح، ونزل إليهم، ومعه الدرّة<sup>(٣)</sup>.

فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب، واهزموا؛ فأمسك بالأسود؛ فقال له: يا أمير المؤمنين، قد أخطأت وإني تائب؛ فأقبلتوبتي. فقال: أريد أن أضربك على خطيئتك! فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن كنت قد أخطأت في واحدة، فأنت أخطأت في ثلاث، فإن الله تعالى يقول: «ولا تجسسوا»، وأنت تجسست، ويقوا: «وأنثوا البيوت من أبوابها»، وأنت أتيت من السطح، ويقول: «لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا»<sup>(٤)</sup> وتسلموا على أهلها، وأنت دخلت وما سلمت؛ فهذه هذه لتلك؛ وأنا تائب إلى الله تعالى، على ألا أعود؛ فاستتابه<sup>(٥)</sup> واستحسن كلامه.

\* المستطرف: ٢ - ٩٤

(١) يمس: يطوف بالليل . (٢) المِرْز: ضرب من الأشربة . (٣) البيوت التي يضرب به . (٤) تستأذنون . (٥) استتابه: سأله أن يتوب .

## ٨ - تَنْصَرَتِ الْأَشْرَافُ مِنْ عَارِ لَطْمَةِ\*

رُوي أن جَبَلَةَ<sup>(١)</sup> بن الأيهم بن أبي شمير الغَسَّانِي لما أراد أن يُسلم ، كتب إلى عمر بن الخطاب من الشام يُعلِّمه بذلك ويستأذنه في القدوم عليه ، فسُرَّ بذلك عمر والمسلمون ، فكتب إليه : أن اقدم ولك مالنا وعليك ما علينا ..

فخرج جَبَلَةُ في خمسمائة فارسٍ من عَكِّ وَجَفْنَةَ ؛ فلما دنا من المدينة البسهم ثياب الوشي المنسوج بالذهب والفضة ، ولبس يومئذ جَبَلَةُ تاجه وفيه قرطاً مارية - وهي جدته - ودخل المدينة فلم يبق بها أحدٌ إلا خرج ينظرُ إليه حتى النساء والصبيان ؛ فلما انتهى إلى عمر رحَّب به وأدنى مجلسه ! ثم أراد الحج ، فخرج معه جَبَلَةُ .

فبينما هو يطوف بالبيت إذ وَطِئُ على إزاره رجلٌ من بني فزارة فحله ، فالتفت إليه جَبَلَةُ مُغَضِباً ، فلطمه فبهشم أنفه ، فاستعدى عليه الفزاري عمر بن الخطاب ؛ فبعث إليه فقال : مادعاك يا جَبَلَةُ إلى أن لَطَمْتَ أحاك هذا الفزاري فهشمت أنفه ! فقال : إنه وَطِئُ إزارى فحله ؛ ولولا حرمة البيت لضربت الذي فيه عيناه<sup>(٢)</sup> . فقال له عمر : أما أنت فقد أقررت ؛ فإما أن ترضيه ، وإلا أقدته منك . قال . أتقيده مني وأنا ملك وهو سُوقَةٌ ! !

\* الخزانة : ٤ - ٢٩٨ ، الأغاني : ١٤ - ٤ ، المقد : ٢ - ٥٦ ، طبعة لجنة التأليف .  
(١) جبلة بن الأيهم آخر ملوك الضمسانة في بادية الشام ، عاش زمناً في العصر الجاهلي ، ولما ظهر الإسلام أسلم في أيام عمر ، ثم ارتد وعاد إلى الشام ومنها إلى القسطنطينية حيث أقام عند هرقل إلى أن توفي سنة ٢٠ هـ . (٢) يريد رأسه .

قال عمر : يا جبلة ؛ إنه قد جمعك وإياه الإسلام ، فما تفضله بشيء إلا بالتقوى  
والعافية ، قال جبلة : والله لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية .  
قال عمر : دَعُ عنك هذا ، فإنك إن لم تُرضِ الرجل أقدته منك ، قال جبلة : إذن  
أتنصر . قال : إن تنصرت ضربت عنقك . واجتمع قومُ جبلة وبنو فزارة فكادت  
تكون فتنة . فقال جبلة : أخرني إلى غدٍ يا أمير المؤمنين . قال : ذلك لك .

ولما كان جُنح الليل خرج جبلةٌ وأصحابه من مكة ، وسار حتى دخل القسطنطينية  
على هرقل فتنصر ، وأقام عنده ؛ وأعظمَ هرقلُ قدومَ جبلة ، وسرَّ بذلك ، وأقطعه  
الأموال والأرضين والرباع<sup>(١)</sup> ، وجعله من محدثيه وسُمّاره .

فلما بعث عمر بن الخطاب رسولا<sup>(٢)</sup> إلى هرقل يدعو إلى الإسلام ، وأجابه إلى  
المصالحة على غير الإسلام ، أراد أن يكتبَ جوابَ عمر ، وقال للرسول : أقيمت  
ابن عمك هذا الذي يبئدنا - يعني جبلة - الذي أتانا راغباً في ديننا ؟ قال : مالميته ،  
قال : ألقه ، ثم اتننى أعطك جواب كتابك .

وذهب الرسول إلى باب جبلة، فإذا عليه من القهامة والحجاب والبهجة وكثرة  
الجمع مثل ما على باب هرقل . قال الرسول : فلم أزل أتلف في الإذن حتى أذن  
لي ، فدخلت عليه ، فرأيت رجلاً أصهب<sup>(٣)</sup> اللحية ذا سبكال<sup>(٤)</sup> ، وكان عهدى به  
أسمر أسود اللحية والرأس ، فنظرت إليه فأنكرته ، فإذا هو قد أتى بسُحالة<sup>(٥)</sup>  
الذهب ، فذرها في لحيته حتى عاد أصهب ، وهو قاعد على سرير من قوارير<sup>(٦)</sup> ،  
قوائمه أربعة أسود من ذهب .

(١) الرباع جمع ربع : الدار . (٢) هو جثامة بن مساحق الكنان . (٣) الصبية : حمرة  
يلوها سواد . (٤) السبكال : جمع سبلة وهي ما على الشارب من الشعر . (٥) السحالة :  
ما سقط من الذهب والفضة ونحوها إذا بردا . (٦) القوارير : شجر تعمل منه الرجال والموائد  
والقوارير من الزجاج أيضاً .

فلما عرفني رفعتني معه في السرير ، ورحب بي ، ولأمني على تركي النزول عنده ، ثم جعل يسألني عن المسلمين ، فذكرتُ خيراً وقلت : قد أضعفوا<sup>(١)</sup> أضعافاً على ما تعرف ؛ فقال : كيف تركتَ عمر بن الخطاب ؟ قلت : بخير ، فرأيتُ النعم قد تبين فيه ، لما ذكرتُ له من سلامة عمر . ثم انحدرتُ عن السرير ، فقال : لم تأبى الكرامة التي أكرمناك بها ؟ قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا . قال : نعم ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن نق قلبك من الدنس ولا تبالِ علام قدمت . فلما سمعته يقول : صلى الله عليه وسلم طمعتُ فيه ، فقلت له : ويحك ! يا جبلة ، ألا تسلم وقد عرفتَ الإسلام وفضله . قال : أبعد ما كان مني ؟ قلت : نعم : قد فعل رجلٌ من فزارة أكثر مما فعلت : ارتدَّ عن الإسلام ، وضرب وجوه المسلمين بالسيف ، ثم رجع إلى الإسلام ، وقيل ذلك منه ، وخلفته بالمدينة مسلماً . قال : ذرني من هذا ، إن كنتَ تضمن لي أن يزوجني عمر ابنته ، ويوليني الإمرة بعده رجعتُ إلى الإسلام . قال : ضمنن لك التزويج ، ولم أضمن لك الإمرة . قال : لا .

فأومأ إلى خادم بين يديه ، فذهب مسرعاً ، فإذا خدَم قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام ، فوضعتُ ونصبتُ موائد الذهب وصحاف الفضة ، وقال لي : كُلْ فقبضتُ يدي ، وقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الأكل في آنية الذهب والفضة ، فقال : نعم ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن نق قلبك وكُلْ فيما أحبت . وأكل في الذهب والفضة ، وأكلت في الخليج<sup>(٢)</sup> .

(١) أضعف الشيء : زيد على أصله فيجعل مثلين أو أكثر . (٢) الخليج : الحفنة .

فلما رُفِعَ الطعامُ جِيءَ بِطِيسَاسٍ<sup>(١)</sup> الفضة وأباريق الذهب ، وأومأ إلى خادم بين يديه ، فمرَّ مسرعاً ، فسمعت حِسّاً ، فالتفتُ ، فإذا خَدَمٌ معهن الكراسي مرصعة بالجواهر ، فوَضِعَتِ عشرةَ عن يمينه ، وعشرةٌ عن يساره ، ثم سمعت حِسّاً ، فإذا عشر جوار قد أقبلن مَطْمُوماتٍ<sup>(٢)</sup> الشعر متكسراتٍ في الخَلْيِ ، عليهن ثياب الدِّيَباج ، فلم أرَ وجوهاً قط أحسنَ منهن ، فأقعدهن على الكراسي عن يمينه ، ثم سمعت حِسّاً فإذا عشر جوارٍ أخرى فأجلسهن على الكراسي عن يساره ، ثم سمعت حِسّاً ، فإذا جاريةٌ كأنها الشمس حسناً وعلى رأسها تاجٌ ، وعلى ذلك التاج طائر لم أرَ أحسنَ منه ، وفي يدها اليمنى جامةٌ<sup>(٣)</sup> فيها مسك وعنبر ، وفي يدها اليسرى جامةٌ فيها ماء ورد ، فأومأتُ إلى الطائر ، فوقع في جامةِ ماء الورد فاضطرب فيه ، ثم أومأتُ إليه فطار حتى نزل على صليب في تاج جبلة ، فلم يزل يُرَفرف حتى نفض ما في ريشة عليه؛ وضحك جبلةً من شدة السرور ، حتى بدت أنيابها ، ثم التفت إلى الجوارى التي عن يمينه ، فقال : بالله أطرَبُنِي . فاندفعن يتفهنين يحققن بعيدهن ويقنن<sup>(٤)</sup> :

للهِ دُرٌّ عِصَابَةٌ نَادَمْتُهُمْ	يوماً بجلقٍ <sup>(٥)</sup> في الزمانِ الأوَّلِ
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصُ عَلَيْهِمْ	بِرَدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ <sup>(٦)</sup>
أَوْلَادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ	قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
يُغَشُّونَ حَتَّى مَاتَهُمْ كَلَابَهُمْ <sup>(٧)</sup>	لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

(١) الطيساس : جمع الطس ، وهو الطست . (٢) طمت شعرها : عقصته وهو مطموم ، والعص : أن تأخذ المرأة كل خصلة من شعرها فتلويها ثم تعقدها حتى يبق فيها التواء ثم ترسلها . (٣) إناء من فضة . (٤) الشعر لحسان بن ثابت . (٥) جلق : دمشق . (٦) البريص : نهر بدمشق . ويردى : نهر بدمشق أيضاً . وتصفيق الشراب : مزجه ، الرحيق : الخمر . سلسل : لين (٧) نهر كلابهم : هرير الكلب : صوته دون النباح .

بيضُ الوجوه كريمةُ أحسابهمُ شمْ الأنوفِ مِنَ الطَّرَازِ الأوَّلِ  
فضحك حتى بدت نواجذهمُ ، ثم قال : أتدرى مَنْ قائل هذا ؟ قلت : لا ،  
قال : قائله حسانُ بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم التفت إلى  
الجوارى اللاتى عن يساره ، فقال : بالله أبكيننا . فاندفعن يتغنين ، وهن يخفقن  
بعيدانهن .

فبكى حتى جعلت الدموعُ تسيل على خديهِ ، ثم قال : أتدرى مَنْ قائل هذا  
الذى تغنين به ؟ قلت : لا أدرى ، قال : حسان بن ثابت ، ثم أنشأ يقول :

تنصرتِ الأشرافُ من عارٍ لطمَةٍ      وما كان : فيها - لو صبرتُ لها صرَرَ  
تكنفنى منها لجأجٌ ونحوَةٌ      وبعثُ لها العينَ الصحيحةَ بالعورِ  
فيا ليت أمى لم تلدنى وليتنى      رجعتُ إلى الأمرِ الذى قال لى عُمرُ  
ويا ليتنى أرغى الخاض<sup>(١)</sup> بقرّةٍ      وكنتُ أسيراً فى ربيعة أو مُصرَ  
ويا ليت لى بالشام أدنى مبيشةٍ      أجالسُ قومي ذاهبَ السمعِ والبصرِ

ثم سألتى عن حسان : أحمى هو ؟ قلت : نعم ، تركته حياً . فأمر لى بكسوة  
ومال ، ونوق موقرة بُرا ، ثم قال لى : إن وجدته حياً فادفع إليه الهدية ، وأقرئه  
سلامى ، وإن وجدته ميتاً فادفعها إلى أهله ، وانحر الجمالَ على قبره .

فلما قدمتُ على عمر وأخبرته خبر جيلة ، وما دعوته إليه من الإسلام ،  
والشرط الذى شرطه ، وأنى ضمنت له التزويج ، ولم أضمن له الإمرة قال :  
هلاً ضمنت له الإمرة ؟ فإذا أفاء الله به إلى الإسلام قضى عليه بحكمه عز وجل ا  
ثم ذكرتُ له الهدية التى أهداها لى حسان بن ثابت . فبعث إليه ، وقد كُفَّ

(١) الخاض ، نوق مخاض : حوامل .

بصره فَأَتَى به ، وقائده يقوده . فلما دخل قال : يا أمير المؤمنين ؛ إني لأجد رياح  
آل جَفَنَةَ عندك . قال : نعم ؛ هذا رجل أقبل من عند جبلة ، قال : هات يا ابن أخي ؛  
إنه كريم من كرام مدحتهم في الجاهلية ، خلف أن لا يلتقى أحدا يعرفني إلا أهدى  
إليّ معه شيئاً : فدفتُ إليه الهدية : المال ، والثياب ، وأخبرته بما كان أمر به في  
الإبل إن وُجد ميتاً . فقال : وددت أني كنتُ ميتاً فنجرتُ على قبري ؛ وانصرف  
يقول :

إن ابن جَفَنَةَ من بَقِيَّةِ مَعْشَرٍ      لم يَفْذَمِ آبَاؤُهُم بِاللُّومِ -  
لم يَنْسِنِي بِالشَّامِ إِذْ هَوْرِبُهَا      مَلِكًا وَلَا مُتَنَصِّرًا يَارْثُومِ -  
يُعْطِي الْجَزِيلَ وَلَا يَرَاهُ عِنْدَهُ      إِلَّا كِبْعُضَ عَطِيَّةِ الْمَذْمُومِ -  
فقال له رجل كان في مجاس عمر : أتذكرُ ملوكاً كفّرة أبادهم الله وأنفاهم ؟  
قال : ممن الرجل ؟ قال : مُرَئِي . قال . والله لولا سوابقُ قومك مع رسول الله صلى  
الله عليه وسلم لطوّقتُكَ طَوَاقَ الحَمَامَةِ .

قال : ثم جهزني عُمرَ إلى قيصر ، وأمرني أن أضمن لجبلة ما اشترط به ، فلما  
قَدِمَت القسطنطينية وجدتُ الناس منصرفين من جنازته ، فعلمت أن الشقاء غلب  
عليه في أم الكتاب .



٩ - بصيرة العباس \*

كان بين العباس (١) بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب مُباعدة ، فلقى ابنُ عباس علياً ، فقال : إن كان لك في النظر إلى عمك حاجةٌ فأته ، وما أراك تلقاه بعدها لها . فقال عليٌّ : تقدّمني واستأذن . فتقدم ابنُ عباس واستأذن لِعليّ ، فأذن له ودخل ، فاعتنق كلُّ واحد منهما صاحبه ، وأقبل عليٌّ على يد العباس وربّجه يقبلهما ، ويقول : يا عمّ ؛ ارضَ عني - رضى الله عنك - قال : قد رضيت عنك . ثم قال : يا بن أخي ؛ قد أشرتُ عليك بأشياء ثلاثة فلم تقبل ، ورأيت في عاقبتها ما كرهت ، وهأنذا أشيرُ عليك برأى رابع ، فإن قبلته وإلا نالك ما نالك مما كان قبله . قال : وما ذاك يا عمّ ؟ قال : أشرتُ عليك في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله . فإن كان الأمرُ فينا أعطانا ، وإن كان في غيرنا أوصى بنا ، فقلت : أخشى إن منَعناه لا يعطيناه أحد ، فضت تلك !

فلما قبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أتانا أبو سفيان بن حرب تلك الساعة فدعوناك إلى أن نبأيمك ، وقلتُ : ابسط يديك أبايمك وبيأيمك هذا الشيخ ، فإننا إن بايعناك لم يختلف عليك أحدٌ من بني عبد مناف ، وإذا بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قرشي ، وإذا بايعتكَ قريش لم يختلف عليك أحدٌ من العرب . فقلت : لنا بجهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلٌ ، وهذا الأمر

\* ابن أبي الحديد : ١ - ١٣١

(١) كان من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام ، كان سديد الرأي ، واسع العقل ، أسلم قبل الهجرة وكنم لإسلامه ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد موقعة حنين وفتح مكة ، توفي سنة ٣٢ هـ .

لا يُخشى عليه ، فلم نلبث أن سمعنا التكبير من سقيفة بني ساعدة<sup>(١)</sup> ، فقلت يا عم : ما هذا ؟ قلت : ما دَعَوْنَاكَ إِلَيْهِ أَفَأَبَيْتَ وَقَلْتَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَوْ يَكُونُ هَذَا ؟ قلت : نعم ، قلت : أَفَلَا يُرَدُّ ؟ قلتُ لك : وهل رُدَّ مثل هذا قط .

ثم أشرتُ عليك حين طعن عمر ، فقلت : لا تُدْخِلْ نَفْسَكَ فِي الشُّورَى ؛ فَإِنَّكَ إِنْ اعْتَزَلْتَهُمْ قَدَّمُوكَ ، وَإِنْ سَاوَيْتَهُمْ تَقَدَّمَوكَ ، فَدَخَلْتَ مَعَهُمْ ، فَكَانَ مَا رَأَيْتَ .

ثم أنا الآن أشيرُ عليك برأى رابع ، فإن قبلته وإلا نالك ما نالك مما كان قبله : إني أرى أن هذا الرجل - يعني عثمان - قد أخذ في أمورِ الله ؛ وكأني بالعرب قد سارت إليه حتى يُنحَرَ في بيته كما يُنحَرَ الجمل ، والله إن كان ذلك وأنت بالمدينة لزمك الناسُ به ، فإذا كان ذلك لم تنل من الأمر شيئاً إلا من بعد شرٍّ لا خير معه .

قال ابن عباس : فلما كان يوم الجمل عرضتُ لعليّ ، وقد قُتِلَ طَلْحَةُ ؛ وقد أكثر أهل الكوفة في سبِّه وغمضه<sup>(٢)</sup> . فقال عليّ : أما والله لئن قالوا ذلك لقد كان كما قال :

فَإِن كَانَ يَدُنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَعْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ  
ثم قال : لكَأَنَّ عَمِي يَنْظُرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ رَقِيقٍ ، وَاللَّهِ مَا نَلْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ شَيْئاً إِلَّا بَعْدَ شَرٍّ لَا خَيْرَ مَعَهُ !

(١) السقيفة : هي المكان المظلل ، واسمها الصفة ، وسقيفة بني ساعدة هي التي بويج فيها لأبي بكر بعد حوار طويل بين المهاجرين والأنصار . (٢) غمضه : احتقره ، وهاجه ، وتهاون بحقه .

١٠ - أَمْرُ الْمَعْرُوفِ \*

وفد أهل الكوفة على معاوية في دمشق حين خطب لابنه يزيد بالعهد بعده ، وفي أهل الكوفة هاني بن عروة المرادي<sup>(١)</sup> ، وكان سيداً في قومه ، فقال يوماً في مسجد دمشق ، والناس حوله : العجب لمعاوية يريد أن يقسّرنا<sup>(٢)</sup> على بيعة يزيد ، وحاله حاله ، وما ذاك والله بكائن .

وكان يجلس في القوم غلاماً من قريش ، فتحمل<sup>(٣)</sup> الكلمة إلى معاوية ، فقال معاوية : أنت سمعت هانثاً يقولها ؟ قال : نعم ! قال : فأخرج فأب حلقته ، فإذا خف الناس عنه ، فقل له : أيها الشيخ ، قد وصلت كلمتك إلى معاوية ، ولست في زمن أبي بكر وعمر ، ولا أحب أن تتكلم بهذا الكلام ، فإنهم بنو أمية ، وقد عرفت جزأتهم وإقدامهم ، ولم يدعني إلى هذا القول لك إلا النصيحة والإشفاق عليك . ثم انظر ما يقول ، فأتني به .

فأقبل الفتى إلى مجلس هاني ، فلما خف من عنده دنا منه ، فقص عليه الكلام ، وأخرجه مخرج النصيحة له ، فقال هاني : والله يا ابن أخي ما بلغت نصيحتك كل ما أسمع ، وإن الكلام لكلام معاوية أعرفه . فقال الفتى : وما أنا ومعاوية ؟ والله ما يعرفني . قال : فما عليك ! إذا لقيته فقل له : يقول لك هاني : والله ما إلى ذلك من سبيل ، انهض يا ابن أخي راشداً .

\* ابن أبي الحديد : ٤ - ٣٢٧

(١) هاني بن عروة المرادي : أحد سادات قريش وأشرفهم ، قتله عبد الله بن زياد سنة ٥٦٠ هـ

(٢) يكرهنا عليها (٣) تحمل : بمعنى حل

فقام الفتي فدخل على معاوية ، فأعلمه ، فقال : نستعين بالله عليه .

ثم قال معاوية بعد أيام للوفد : ارفعوا حوائجكم ، وهاني فيهم ، فعرض عليه كتابه فيه ذكر حوائجه . فقال : يا هاني ؛ ما أراك صنعت شيئاً ؛ زد . فقام هاني فلم يدع حاجة عرضت له إلا ذكرها . ثم عرض الكتاب عليه ، فقال : أراك قصرت فيما طلبت . زد ، فقام هاني ، فلم يدع حاجة لقومه ، ولا لأهل مصره إلا ذكرها ، ثم عرض عليه الكتاب ، فقال : ما صنعت شيئاً ، زد ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ حاجة بقيت ا قال : ما هي ؟ قال : أن أتولى أخذ البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين بالعراق ا قال : ا فعل ، فما زلت لمثل ذلك أهلاً .

فلما قدم هاني العراق قام بأمر البيعة ليزيد بمعونة من المغيرة بن شعبه وهو

والي العراق يومئذ .

١١ - في البيعة ليزيد بن معاوية \*

كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يفتدوا عليه ؛ فوفد من كل مضر قوم ،  
ثم جلس في أصحابه وأذن للوفود فدخلوا ، وقد تقدم إلى أصحابه أن يقولوا  
في يزيد (١)

فكان أول من تكلم الضحاک بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه لا بد  
للناس من والٍ بعدك ، والأنفس يُفدى عليها ويُراج ، وإن الله قال : « كل يوم  
هو في شأنٍ » ، ولا تدرى ما يختلف به العَصْران (٢) ، ويزيدُ ابن أمير المؤمنين ،  
في حُسْنِ مَعْدِنِهِ ، وقصد سيرته (٣) من أفضلنا حِلْمًا ، وأحْكَمنا عِلْمًا ، فوله عَهْدُكَ ،  
واجمله لنا علمًا بعدك ؛ فإننا قد بلّونا الجماعة والألفة فوجدناها أحقن للدماء ، وآمن  
للسبل ، وخيرًا في العاقبة والآجلة .

ثم تكلم عمرو بن سعيد فقال : أيها الناس ؛ إن يزيد أملٌ تأملونه ، وأجلٌ  
تأملونه (٤) ، طويلُ الباع ، رَحْبُ الدَّرَاع ، إذا صيرتم إلى عدله وسِعَم ، وإن  
طلبتم رفده أغناكم ، جَدَع (٥) قارح ؛ سُوْبِق فسبِق ، ومُوْجِدَ فمَجِد ، وقوْرِع

\* ذيل الأملی : ١٧٥ ، المقد الفريد ٤ : - ٣٦٩ طبعة لجنة التأليف .

(١) هو يزيد بن معاوية ، وكنيته أبو خالد ، كان أحور العينين ، بوجه آثار جدري ، حسن  
الهيئة خفيفها ، ولي الخلافة بعد موت أبيه سنة ٦٠ ، ومات سنة ٦٤ هـ (٢) المصران : الليل والنهار .  
(٣) استقامتها (٤) يشير إلى ما ينتظر من طول مدة ولايته ، فقد ولي حدثا (٥) قال في  
اللسان : قال ابن الأعرابي : إذا استم الفرس سنتين ودخل في الثالثة فهو جَدَع . وقرح الفرس  
يقرح إذا انتهت أسنانه ، والمراد أن يزيد فتى قوى .

فَقَرَعَ، خَلَفَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا خَلَفَ مِنْهُ . فَقَالَ : اجْلِسْ أَبَا أُمَيَّةَ ؛ فَلَقَدْ  
أَوْسَعَتْ وَأَحْسَنْتَ .

ثُمَّ قَامَ يَزِيدُ بْنُ الْقَفَّعِ فَقَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى مَعَاوِيَةَ - فَإِنْ  
هَلَكَ فِي هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى يَزِيدَ - هُنَّ أَيْ فِي هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى سَيْفِهِ - فَقَالَ مَعَاوِيَةَ :  
اجْلِسْ ، فَإِنَّكَ سَيِّدُ الْخَطْبَاءِ .

ثُمَّ تَكَلَّمَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ <sup>(١)</sup> ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَنْتَ أَعْلَمُ بِيَزِيدَ فِي  
لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ، وَسِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ ، وَمَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ لَللَّهِ رِضًا وَهَلْهَذِهِ  
الْأُمَّةُ فَلَا تُشَاوِرِ النَّاسَ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مِنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا تَزُوِّدْهُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ  
تَذْهَبُ إِلَى الْآخِرَةِ . ثُمَّ بَايَعَ النَّاسُ لِيَزِيدَ .

وَلَمَّا اسْتَقَامَ الْأَمْرُ لِمَعَاوِيَةَ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ بِنَيْبَةِ يَزِيدَ كَتَبَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ  
عَامِلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ : أَنْ اذْعُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ ؛ فَإِنَّ أَهْلَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ قَدْ  
بَايَعُوا . فَقَرَأَ كِتَابَهُ وَقَالَ : « إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ كَبَّرَتْ سِنُّهُ ، وَدَقَّ عَظْمُهُ ، وَقَدْ  
خَافَ أَنْ يَأْتِيَهُ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى ، فَيَدْعُ النَّاسَ كَالنَّعْمِ لَا رَاعِيَ لَهَا ، فَأَحَبُّ أَنْ يُعْلِمَ  
عَلَمًا ، وَيَقِيمَ إِمَامًا » . فَقَالُوا : وَفَقَّ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَدَّدَهُ ، لِيَفْعَلَ .

فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَنْ سَمِّ يَزِيدَ . فَقَرَأَ الْكِتَابَ  
عَلَيْهِمْ وَسَمَّى يَزِيدَ ، وَقَالَ : سُنَّةُ أَبِي بَكْرٍ الْهَادِيَةِ الْمُهَدِيَةِ ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ  
أَبِي بَكْرٍ : كَذَبْتَ ! إِنْ أَبَا بَكْرٍ تَرَكَ الْأَهْلَ وَالْمَشِيرَةَ ، وَبَايَعَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ  
رَضِيَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ ، وَاخْتَارَهُ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا مَرْوَانَ ،  
وَكَذَبَ مَعَاوِيَةَ مَعَكَ ! لَا يَكُونُ ذَلِكَ . لَا تُحَدِّثُوا عَلَيْنَا سُنَّةَ الرُّومِ ، كَلِمَاتٍ  
هِرَقَلُ قَامَ مَكَانَهُ هِرَقَلُ .

(١) لقيه الضحاك ، والأخنف اسمه .

قال مروان : أيها الناس ؛ إن هذا المتكلم هو الذي أنزل الله فيه : « والذي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمَا ! أَلْعَدَايَ أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي » .  
قال عبد الرحمن : يا ابن الزرقاء ؛ أفينا تتأول القرآن !

وتكلم الحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ، وأنكروا بيعة يزيد ، وتفرق الناس . فكتب مروان إلى معاوية بذلك .

ولما علم معاويةُ خرج إلى المدينة في ألف ، وحينما قَرَّبَ مِنْهَا تلقاه الناس ، فلما نظر إلى الحسين قال : مرحباً بسيد شباب المسلمين ، قَرَّبُوا دَابَّةَ لِأَبِي عبد الله . وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر : مرحباً بشيخ قريش وسيدها وابن الصديق . وقال لابن عمر : مرحباً بصاحب رسول الله وابن الفاروق ، وقال لابن الزبير : مرحباً بابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، ودعا لهم بدواب فحملهم عليها ، وخرج حتى أتى مكة ، قضى حجّه .

ولما أراد الشخصُوص أمر بأثقاله<sup>(١)</sup> فقدّمت ، وأمر بالمنبر فقرب من الكعبة ، وأرسل إلى الحسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير . فاجتمعوا ، وقالوا لابن الزبير : اكفنا كلامه ، فقال : على ألا تخالفوني ؟ قالوا : لك ذلك .

ثم أتوا معاوية ، فرحّب بهم وقال لهم : قد علمتم نظري لكم ، وتعطفني عليكم ، وصليتي أرحامكم ، ويزيدُ أخوكم وابن عمكم ، وإنما أردتُ أن أقدمه باسم الخلافة ، وتكونوا أتم تأمرُون وتنهون ؛ فسكتوا .

وتكلم ابن الزبير فقال : نخبرك بين إحدى ثلاث : أيها أخذت فهي لك

(١) الثقل : المتاع ، جمه أثقال .

رغبة ، وفيها خيار : إن شئت فاصنع فينا ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛  
قبضه الله ولم يستخلف ، فدع هذا الأمر حتى يختار الناس لأنفسهم . وإن شئت  
فما صنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن رهطه  
الأذنين من كان لها أهلا . وإن شئت فما صنع عمر ، صيرها إلى ستة نفر من  
قريش ، يختارون رجلاً منهم ، وترك ولده وأهل بيته وفيهم من لو وليها لكان  
لها أهلا .

قال معاوية : هل غير هذا ؟ قال : لا . ثم قال للآخرين : ما عندكم ؟ قالوا :  
نحن على ما قال ابن الزبير ! فقال معاوية : إني أتقدم إليكم وقد أعذر من أئذرا !  
إني قائل مقالة ، فأقسم بالله لئن ردّ عليّ رجلٌ منكم كلمةً في مقامى هذا لا ترجع  
إليه كلمته حتى يضرب رأسه ! وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان  
بسيفهما ، فإن تكلم بكلمة يرُدُّ بها عليه قوله قتلاه .

وخرج وأخرجهم معه حتى رقى المنبر ، وحفّ به أهل الشام ، واجتمع الناس ،  
فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إنا وجدنا أحداث الناس ذات عوارٍ<sup>(١)</sup> ، قالوا :  
إن حسيناً وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد ، وهؤلاء الرهط  
سادة المسلمين وخيارهم ، لا نؤتم أمرا دونهم ، ولا نقضى إلا على مشورتهم ، وإني  
دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين ، فبايعوا وسلموا وأطاعوا .

فقال أهل الشام : وما يعظم من أمر هؤلاء ؟ ائذن لنا فنضرب أعناقهم ،  
لا نرضى حتى يبايعوا علانية . فقال معاوية : سبحان الله ! ما أسرع الناس إلى  
قريش بالشر وأحلى دماءهم عندهم ! أنصتوا ، فلا أسمع هذه المقالة من أحد . ودعا  
الناس إلى البيعة فبايعوا . ثم قرّبت رواحله ، فركب .

(١) العوار هنا : المييب .



فقال الناس للحسين وأصحابه : قلتُم لا نبايع ، فلما دُعيتُم وأرضيتُم بايعتُم .  
قالوا : لم نفعل . قالوا : بلى ، فعلتم وبايعتم ، أفلا أنكرتم ! قالوا : خفنا القتل ،  
وكاد بنا وكاد بكم .

## ١٢ - ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً\*

لما نصب معاوية يزيد لولاية العهد أقعدَه في قبة حراء ، فجعل الناسُ يسلمون  
على معاوية ، ثم يميلون إلى يزيد ، حتى جاء رجلٌ ففعل ذلك ، ثم رجع إلى معاوية  
فقال : يا أمير المؤمنين ، اعلم أنك لو لم تولِّ هذا أمور المسلمين لأضمتها !  
والأحنف<sup>(١)</sup> جالس .

فقال له معاوية : ما بالك لا تقول يا أبا بَجْر؟ فقال : أخاف الله إن كذبتُ ،  
وأخافكم إن صدقتُ ؛ فقال : جزاك الله عن الطاعة خيراً ! وأمر له بألوف !

فلما خرج الأحنف لقيه الرجلُ بالباب ، فقال : يا أبا بَجْر ؛ إني لأعلم أن شرَّ  
مَنْ خلق الله هذا وابنه ، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال ؛  
فلسنا نطمعُ في استخراجها إلا بما سمعت !

فقال له الأحنف : يا هذا ؛ أمسِك ، فإن ذا الوجهين خليقٌ ألا يكون عند  
الله وجيهاً .

\* الكامل للمبرد : ١ - ٣٠

(١) اسمه الصحاك بن قيس ، والأحنف لقبه ، سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان  
القاتحين ، يضرب به المثل في الحلم ، وله في هذا الباب نوادر مشهورة ، توفي سنة ٦٧ هـ .  
( ٣ - قصص - ٣ )

### ١٣ - الحجاج وأهل العراق \*

لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق ، جمع أهل بيته وأولى النجدة من جنده ، وقال : أيها الناس ، إن العراق كدر ماؤها ، وكثر غوغاؤها ، وأملوآح عذبها ، وعظم خطبها ، وظهر ضرامها<sup>(١)</sup> وعسر إخماد نيرانها ؛ فهل من مُمهد لهم بسيف قاطع ، وذهن جامع ، وقلب ذكي ، وأنف حسي ، فيخمد نيرانها ، ويردع غيلانها ، وينصف مظلومها ، ويداوي الجرح حتى يندمل ، فتصفو البلاد ، ويأمن العباد ؟

فسكت القوم ، ولم يتكلم أحد . فقام الحجاج<sup>(٢)</sup> ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أنا للعراق . قال : ومن أنت ؟ لله أبوك ! قال : أنا الحجاج بن يوسف . قال : ومن أين ؟ قال : من ثقيف . قال : اجلس ، لا أم لك ! فلست هناك !

ثم قال : مالي أرى الرهوس مطرقة ، والألسن معتقلة ! فلم يجبه أحد . فقام إليه الحجاج ، وقال : أنا مُجدل<sup>(٣)</sup> الفساق ، مطفي نار النفاق ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا قاضم<sup>(٤)</sup> الظلمة ، الحجاج بن يوسف ، معدن العفو والعقوبة ، وآفة الكفر والريبة . قال : إليك عني وذاك ! فاست هناك !

ثم قال : من للعراق ؟ فسكت القوم ، وقام الحجاج ، وقال : أنا للعراق . فقال : إذن أظنك صاحبها والظافر بفنائمها ؛ وإن لكل شيء - يا بن يوسف - آية وعلامة .

\* المستطرف : ١ - ٥١ ، الكامل : ١ - ٢٢٣ ، رغبة الأمل : ٤ - ٧٥

(١) ضمرت النار : اشتعلت (٢) الحجاج بن يوسف الثقفى ، نشأ بالطائف واتصل بعبد الملك ابن مروان ولم يزل يرقى إلى أن ولي العراق والمشرق ، وطار ذكره وعظم سلطانه ، وهلك بواسطة سنة ٩٥ هـ (٣) جدله : صرعه (٤) القضم : الأكل بأطراف الأسنان .

فما آيتك؟ وما علامتك؟ قال: العقوبة والعفو والافتقار والبسط والازورار<sup>(١)</sup>، والإيداء والإبعاد، والجفاء والبر، والتأهب والحزم، وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب، فمن جاد لني قطعته، ومن ناز عنى قصمته، ومن خالفني نزعته، ومن دنامني أكرمته، ومن طلب الأمان أعطيته، ومن سارع إلى الطاعة بجلته، فهذه آيتي وعلامتي؛ وما عليك يا أمير المؤمنين أن تبألوني، فإن كنت للأعناق قطعاً، وللأموال جماعاً، وللأرواح نزاعاً، ولك في الأشياء نقاعاً، وإلا فليستبدل بي أمير المؤمنين، فإن الناس كثير، ولكن من يقوم بهذا الأمر قليل.

فقال عبد الملك: أنت لها، فما الذي تحتاج إليه؟ قال: قليل من الجند والمال.

فدعا عبد الملك صاحب جنده، وقال له: هيء له من الجند شهوته، وألزمهم طاعته، وحذرهم مخالفته. ثم دعا الخازن، فأمره بمثل ذلك.

فخرج الحجاج قاصداً العراق، فبينما الناس في المسجد الجامع بالكوفة، إذ أتاهم آت، فقال: هذا الحجاج؛ قدم أميراً على العراق، فتطاولت الأعناق نحوه، وهو يمشي، وعليه عمامة قد غطى بها أكثر وجهه، متقلداً أسنفة، متنكباً<sup>(٢)</sup> قوساً، حتى صعد المنبر، فلم يتكلم كلمة واحدة، ولا نطق بحرف، حتى غص<sup>(٣)</sup> المسجد بأهله، وأهل الكوفة يومئذ ذو حال حسنة، وهيئة جميلة؛ فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه المشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه وأتباعه، عليهم الخبز والديباج.

(١) ازور عن الشيء: عدل منه وانحرف.

(٢) تنكب القوس: ألقاه على منكبه.

(٣) غص بأهله: ضاق.

قال الناسُ بعضهم لبعض : قَبِحَ اللهُ بنى أُمّية حيثُ تستعمل مثل هذا على العراقِ ! حتى قال عميرُ بنُ ضابئِ البزْجى . أَلَا أَحْصِيهِ<sup>(١)</sup> لَكُمْ ؟ فقالوا : أَمِهْلْ حتى نَنْظُرَ ، فلما رأى عيونَ الناسِ شاحِصَةً إليه ، حَسَرَ اللَّثَامَ عن فِيهِ ، ونَهَضَ فقال :

أنا ابنُ جَلَا<sup>(٢)</sup> وطلّاعُ الثَّنَايا<sup>(٣)</sup> متى أضعَ العِمَامَةَ<sup>(٤)</sup> تعرّفوني ثم قال : يا أهلَ الكوفة ؛ إني لأرى رُؤوساً قد أينعت<sup>(٥)</sup> ، وِحَانَ قِطَافِهَا ، وإني لصاحبها ، وكأني أنظرُ إلى الدماءِ بين العائمِ واللعى ؛ ثم قال :

هذا أوانُ الحربِ فاشتدّى زيم<sup>(٦)</sup> قد لَقَّها الليلُ بسواقِ حُطْمِ<sup>(٧)</sup> لستُ براعى إبِلٍ ولا غنمٍ ولا بجـزارٍ على ظَهْرِ وَضَمِ<sup>(٨)</sup>

إني والله يا أهلَ العراقِ ، ما يُقَمِّعُ لي بالشنانِ<sup>(٩)</sup> ، ولا يُفَمِّزُ جانبي كَتَمَازِ التَّينِ ، ولقد فررتُ عن ذِكَاءِ<sup>(١٠)</sup> ، وفُتِّشْتُ عن تجرّية ، وإن أميرَ المؤمنين - أطال اللهُ بقاءه - نثر كِنَافَتَهُ بين يديه ، فعجم<sup>(١١)</sup> عيْدَآنها ، فوجدني أسرها عودا ، وأصلبها مَكْسِراً ، فرماكم بي ؛ لأنكم طالما أَوْضَعْتُمْ<sup>(١٢)</sup> في الفِتَنِ ، واضطجعتم في سراقدِ

(١) حصبه : رماه بالحصى . (٢) أى أنا الظاهر الذى لا يخفى وكل أحد يعرفنى ، وجلا اسم رجل سمى بالفعل الماضى ، وكان ابن جلا هذا صاحب فُتْكِ يطلم فى الغارات من ثنية الجبل . (٣) الثنايا : جمع ثنية ، والثنية : الطريق فى الجبل ، وقد أراد أنه جلد . (٤) العمامة تلبس فى الحرب وتوضع فى السلم . (٥) أينعت : أدركت ونضجت . (٦) زيم : اسم ناقة أو فرس وهو يخاطبها بأمرها بالعدو ، وحرف النداء محذوف . (٧) هو العنيف برعاية الإبل فى السوق والإيراد والإصدار ويلقى بعضها على بعض ، ضربه مثلا لوالى السوء . (٨) الرضم : كل ما قطع عليه اللحم . (٩) الشنان : واحدها شن . وهو الجلد اليابس ، فإذا قمقع به فترت الإبل منه ، فضرب ذلك مثلا لنفسه . (١٠) ذكاء : تمام السن ، والذكاء على ضربين : أحدهما تمام السن ، والآخر حدة القلب (١١) اختبرها لينظر أيها أصلب . (١٢) الإيضاع : ضرب من السير .

الضلال، والله لأحز منكم حزم السلة<sup>(١)</sup>، ولأضر بكم ضرب غرائب<sup>(٢)</sup> الإبل؛ فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

وإني والله ما أقول إلا وفيت ، ولا أهدم إلا أمضيت ، ولا أخلق<sup>(٣)</sup> إلا فريت<sup>(٤)</sup>، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم ، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة ، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه إلا ضربت عنقه .

يا غلام؛ اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين . سلام عليكم . فلم يقل أحد منهم شيئاً ، فقال الحجاج : اكفف يا غلام ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أسلمت عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً ! هذا أدب ابن نهية<sup>(٥)</sup> ! أما والله لا أودبناكم غير هذا الأدب ، أولست تسمين !

اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين . فلما بلغ إلى قوله : سلام عليكم ، لم يبق في المسجد أحد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام .

ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم ، فجعلوا يأخذون ، حتى أتاه شيخ يرعش كبراً ؛ فقال : أيها الأمير ، إني من الضعيف على ماترى ، ولي ابن هو أقوى على الأسفار ، فتقبله بدلاً مني ؟ فقال له الحجاج : ففعل أيها الشيخ .

(١) السلة : شجرة شاذة ، يمسر خرط ورقها ، فيشد بعضها إلى بعض ، ثم يضرها الحابط فينثر ورقها . (٢) ضرب غرائب الإبل : هو مثل ضربه يهدد به رعيته ، وذلك أن الإبل إذا دخلت بينا غريبة وهي ترد الماء ضربها راعيها ضرباً مؤلماً حتى تخرج . (٣) أخلق : أقدر . (٤) فراه : شقه ضالماً أو فاسداً . (٥) ابن نهية : رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج .

فلما ولى قال له قائل<sup>(١)</sup> : أتدرى من هذا أمير؟ قال : لا ، قال : هذا  
عمير بن ضابى البرجمى الذى يقول أبوه :  
هَمَمْتُ ولم أفعلْ وكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَ كْتُ على عثمان تبكى حَلَاثُهُ  
ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا فَوَطِءَ بطنه ، فَكَسَرَ ضِلَعَيْنِ مِنْ  
أضلاعِهِ ! فقال : ردّوه . فلما رُدَّ قال له الحجاج : أيها الشيخُ هَلَّا بعثتَ إلى أمير !  
المؤمنين عثمان بدلاً يومَ الدَّارِ<sup>(٢)</sup> ؟ إنَّ فى قَتْلِكَ أيها الشيخُ لَصَلاحاً للمسلمين  
ياحْرَسَى<sup>(٣)</sup> اضربْ عنقه .

(١) هو عنيصة بن العاص الأموى (٢) هو اليوم الذى قتل فيه عثمان .

(٣) الحرسى : واحد من حرس السلطان .

١٤ — نصيحة\*

رَحَلَ الحجاج إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانِ ومعه إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ طلحة ،  
فلما قدم على عبدِ الملكِ سلّم عليه بالخلافة ، وقال : قدمتُ عليك يا أميرَ المؤمنين  
برَجُلٍ الحجازيِّ في الشرفِ والأبوّةِ ، وكالِ المروءةِ والأدبِ ، وحسنِ المذهبِ والطاعةِ ،  
والنصيحةِ مع القرابةِ ، وهو إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ طلحة ، فافعلْ به يا أميرَ المؤمنين  
ما يستحقُّه مثله في أبوّتهِ وشرفه .

فقال عبد الملك : يا أبا محمد ؛ قد أذكرُتنا حقاً واجِباً ، ائذنوا لإبراهيمِ !  
فلما دخل وسلّم بالخلافة أمره بالجلوسِ في صدرِ المجلسِ ، وقال له : إن أبا محمد  
ذَكَرنا ما لم نَزَلْ نعرفُه منك من الأبوّةِ والشرفِ ، فلا تدعُ حاجةً في خاصّةِ أمركِ  
وعامتّه إلا سألتها .

فقال إبراهيم : أما الحوائجُ التي نبتغي بها الزُلفي ، ونرجو بها الثواب ، فما كان  
خالصاً لله ولنبيّه .

ولكن : لك يا أميرَ المؤمنين عندي نصيحةٌ ، لا أجدُ بُدّاً من ذكرِها إياها !  
قال : أمي دون أبي محمد ؟ قال : نعم ، قال : قم يا حجاج .  
فنهض الحجاجُ خجلاً لا يُبصرُ أين يضعُ رِجله .

ثم قال له عبد الملك : قل يا بنَ طلحة . قال : تالله يا أميرَ المؤمنين ، إنك  
عمدت إلى الحجاج ، في ظلمه وتعدّيه على الحق ، وإصغائه إلى الباطل ، فولّيته

الْحَرَمِينَ، وفيهما مَنْ فِيهما من أصحابِ رسولِ الله ، وأبناء المهاجرين والأنصار،  
يَسُومُهُمْ<sup>(١)</sup> الخُسْفَ ، وَيَطْوُهُمْ بِطَغَامٍ<sup>(٢)</sup> أهل الشام ، ومن لا رَأْيَ له في إقامةِ  
الحق ، ولا إزاحةِ الباطل .

فأطرقَ عبدُ الملكِ ساعةً ، ثم رفعَ رأسه ، وقال : كذبتَ يا طلحة ، ظنَ فيكَ  
الحجاجُ غيرَ ما هو فيكَ ! ثم فر بما ظنَّ الخَيْرُ بغيرِ أهله !  
قال ابنُ طلحة : فقامتُ وأنا ما أبصرُ طريقاً ، وأتبعني حَرَسِيًّا<sup>(٣)</sup> ، وقال له :  
اشدُّ يدك به . فما زلتُ جالساً حتى دعا الحجاج .

فما زالوا يتناجيان طويلاً ، حتى ساءَ ظنِّي ، ولا أشكُّ أنه في أمرِي ، ثم  
دعا بي ، فلقيني الحجاجُ في الصَّحْنِ<sup>(٤)</sup> خارجاً ، فقبلَ بينَ عيني ، وقال : أحسنَ اللهُ  
جزاءك ! فقلتُ في نفسي : إنه يَهْزَأُ بي . ودخلتُ على عبد الملك ، فأجلسني مجلسي  
الأول ، ثم قال : يا ابنَ طلحة ، هل اطلعَ على نصيحتِكَ أحدٌ ؟ فقلتُ : لا والله  
يا أمير المؤمنين ، ولا أَرَدْتُ إلا اللهُ ورسولَه والمسلمين ، وأميرُ المؤمنين يَعْلَمُ ذلك .  
فقال عبد الملك : قد عزلتُ الحجاجَ عن الحرمين ، لما كرهتَه فيه ، وأعلمتُه  
أنَّكَ استقلتَ ذلكَ عليه ، وسألتني له ولايةً كبيرةً ، وقد وليتُه العراقيين ، وقررتُ  
له أن ذلكَ بسؤالِكَ ، ليلزمه من حَقِّك ما لا بدَّ له من القيامِ به ، فأخرجُ معه غيرَ  
ذامٍ لصُحْبَتِهِ .

(١) يسومهم : يوليهم إياه ويريدهم عليه (٢) الطغام : أوغاد الناس (٣) الحرسي : واحد  
حرس السلطان (٤) صحن الدار : وسطها .



١٥ - من حيل الحجاج \*

دخل عمر بن عبد العزيز قبل أن يستخلف على الوليد بن عبد الملك ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ؛ إن عندي نصيحة ، فإذا خلا لك عقلك ، واجتمع فهْمك فسئني  
عنها ؛ قال : ما يمنعك منها الآن ؟ قال : أنت أعلم أنه إذا اجتمع لك ما أقول فإنك  
أحق أن تفهم .

فكث أياماً ثم قال : يا غلام ؛ من بالباب ؟ فقال له : ناسٌ وفيهم عمر بن  
عبد العزيز ، فقال : أدخِلهُ ، فدخل عليه فقال : نصيحتك يا أبا حفص ، فقال  
عمر : إنه ليس بعد الشرك إثمٌ أعظمُ عند الله من الدم وإن عمَّالك يقتلون ،  
ويكتبون : إن ذنب المقتول كذا وكذا ، وأنت المسئول عنه والمأخوذُ به ،  
فاكتب إليهم : ألا يقتل أحدٌ منهم أحداً حتى يكتب إليك بدّنيه ، ثم يُشهد  
عليه ، ثم تأمر بأمرِك على أمرٍ قد وضح لك . قال : بارك الله فيك يا أبا حفص .  
فكتب إلى الأمصار فلم يخرج<sup>(١)</sup> من ذلك إلا الحجاج ، فإنه أمضه<sup>(٢)</sup> ،  
وشقَّ عليه وأقلقه ، وظن أنه لم يكتب به إلى أحدٍ غيره ، فبحث عن ذلك فقال :  
من أين دُهينا ؟ ومن أشار على أمير المؤمنين بهذا ؟ فأخبر أن عمر بن عبد العزيز  
هو الذي فعل ذلك ، فقال : هيهات ! إن كان عمر فلا نقضَ لأمره .

ثم إن الحجاج أرسل إلى أعرابي حروري<sup>(٣)</sup> جافٍ من بكر بن وائل ، ثم قال  
له : ماتقول في معاوية ؟ فقال منه . قال له : ماتقول في يزيد ؟ فسبه . قال :

\* شيرة عمر بن عبد العزيز : ١٣٩

(١) حرج : ضاق (٢) أمضه : آله وأوجهه (٣) الحرورية : فرقة من الحوارج ؛  
ينسبون إلى حروراء ، موضع بظاهر الكوفة ، كان به أول اجتماعهم .

فما تقول في عبد الملك؟ فظلمه<sup>(١)</sup>. قال: فما تقول في الوليد؟ فقال: أجورهم حين  
ولأك، وهو يعلم عداك<sup>(٢)</sup> وظلمك. فسكت عنه الحجاج، وافترضها<sup>(٣)</sup> منه.  
ثم بعث إلى الوليد وكتب إليه: أنا أحوط لديني وأرعى لما استزعمتني،  
وأحفظ له من أن أقبل أحداً لم يستوجب ذلك، وقد بعثت إليك ببعض من كنت  
أقبل على هذا الرأي، فشأنك وإياه.

فدخل الحروري على الوليد، وعنده أشراف أهل الشام ومعر فيهم، فقال له  
الوليد: ماتقول في؟ قال: ظالم جائر جبار! قال: ماتقول في عبد الملك؟ قال:  
جبار عات، قال: فما تقول في معاوية؟ قال: ظالم.

قال الوليد لابن الريان: اضرب عنقه، فضرب عنقه، ثم قام فدخل منزله،  
وخرج الناس من عنده، فقال: يا غلام: اردد علي عمر، فردّه عليه فقال:  
يا أبا حفص: ماتقول في هذا؟ أصبنا فيه أم أخطأنا؟ فقال عمر: ما أصبت بقتله،  
ولغير ذلك كان أرشد وأصوب، كنت تسجنه حتى يراجع الله عز وجل، أوتدركه  
ميتته. فقال: شتمني وشم عبد الملك، وهو حروري؛ أفستحل ذلك؟ قال:  
لعمرى ما أستحلّه؛ لو كنت سجنته - إن بدا لك - أو عفوت عنه كان أرشد أقام  
الوليد مغضباً، فقال ابن الريان لعمر: يفرّ الله لك يا أبا حفص، لقد راددت  
أمير المؤمنين حتى طننت أنه سيأمرني بضرب عنقك! فقال عمر: ولو أمرت كنت  
تفعل؟ قال: إي لعمرى!

(١) ظلمه: نسب إليه الظلم (٢) العدا: تجاوز الحد في الظلم (٣) افترضها: اتهمها.

١٦ — لَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ \*

أتى الحجاجُ بقومٍ ممن خرجوا عليه ، فأمر بهم ففُضرت أعناقهم ، وأقيمت صلاةُ المغرب وقد بقي من القوم واحد ، فقال لِقُتَيْبَةَ بنِ مسلم : انصرف به معك حتى تَفدُو به عليَّ .

قال قُتَيْبَةُ : فخرجتُ والرجلُ معي ، فلما كنَّا ببعض الطريق قال لي : هل لك في خير ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : إني والله ماخرجتُ على المسلمين ، ولا استحللت قتالهم ؛ ولكن ابتليتُ بما ترى ، وعندى ودائع وأموال ، فهل لك أن تُخلى سبيلي ، وتأذن لي حتى آتي أهلي ، وأرُدَّ علي كل ذي حقٍ حقَّه ، وأوصي ؛ ولك عليَّ أن أرجعَ حتى أضعَ يدي في يدك ؟ فمعبتُ له ، وتضاحكتُ لقوله ، ومضينا هنيئةً ، ثم أعادَ عليَّ القول ، وقال : إني أعاهدك الله ، لك عليَّ أن أعودَ إليك . فما ملكتُ نفسي حتى قلت له : اذهب !

فلما توارى شخصه أسقط في يدي ، فقلت : ماذا صنعتُ بنفسي ؟ وأتيتُ أهلي مهموماً مغموماً ؛ فسألوني عن شأني فأخبرتهم ، فقالوا : لقد اجترأتَ على الحجاج .

فبتنا بأطول ليلة ، فلما كان عند أذان الفجر إذا الباب يُطرق ، فخرجتُ فإذا أنا بالرجل ، فقلت : أرجعتَ ؟ قال : سبحان الله ! جعلتُ لك عهداً الله عليَّ ،

أفأخونك ولا أرجع ! فقلت : أما والله إن استطعتُ لأنفعنك . وانطلقتُ به حتى  
أجلستُهُ على باب الحجاج ، ودخلتُ !

فلما رأني قال : يا قتيبة ؛ أين أسيرك ؟ قلت : أصلح الله الأمير - بالباب ،  
وقد اتفق لي معه قصةٌ محجية ، قال : ماهي ؟ فحدثته الحديث ، فأذن له فدخل ،  
ثم قال : يا قتيبة ، أتحبُّ أن أهبه لك ؟ قلت : نعم ! قال : هোক ! فانصرف به  
معك .

فلما خرجتُ به قلت له : خذ أيَّ طريقٍ شئتَ ، فرفع طرفه إلى السماء وقال :  
لك الحمدُ يارب ، وما كلمني بكلمة ، ولا قال لي أحسنتَ ولا أسأتَ ! فقلت في  
نفسى : مجنون والله ! فلما كان بعد ثلاثة أيام جاءني ، وقال لي : جزاك الله خيراً ،  
أما والله ما ذهبَ عني ما صنعت ، ولكن كرهتُ أن أشركَ مع حمد الله حمدَ أحدا !

## ١٧ - لا أسألكم عليه أجرًا\*

قال عثمان بن عطاء الخراساني : انطلقت مع أبي نريد هشام بن عبد الملك ، فلما قرُبنا إذا بشيخ على حمارٍ أسود عليه قيص دَنَسٍ ، وجَبَّةٌ دَنَسَةٌ ، وقلنسوةٌ لاطِئَةٌ<sup>(١)</sup> دَنَسَةٌ ، وركاباه من خشب ؛ فضحكت منه ، وقلت لأبي : من هذا الأعرابي ! قال : اسكت ! فهذا سيدُ فقهاء الحجاز عطاء بن أبي رباح<sup>(٢)</sup> .

فلما قرب منا نزل أبي عن بَعْلته ، ونزل هو عن حماره ، فاعتنقا وتساءلا ، ثم عادا فركبا وانطلقا حتى وقفا على باب هشام ؛ فاستقرَّ بهما الجلوس حتى أذن لهما .

فلما خرج أبي قلتُ له : حدثني ما كان منكما . قال : لما قيل لهشام : إن عطاء بن أبي رباح بالباب أذن له ؛ فوالله ما دخلتُ إلا بسببه .

فلما رآه هشام قال : مرحباً مرحباً ! ههنا ، ههنا ، ولا زال يقولُ له : ههنا ههنا ، حتى أجلسه معه على سريره ، ومسَّ بركبته ركبته . وعنده أشرافُ الناس يتحدثون فسكتوا . فقال له : ما حاجتك يا أبا محمد ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ؛ أهل الحرمين أهلُ الله وجيرانُ رسوله تُقسَّم عليهم أرزاقهم وأعطيتهم . قال : يا غلام : اكتب لأهل مكة والمدينة بمطاياهم وأرزاقهم لِسنة .

\* غرر الخصاص : ١١٧

(١) لاطئة : لازقة . (٢) تايبي من أجلاء الفقهاء ، ولد باليمن ونشأ بمكة ، فكان مفتي أهلها ، ومحدثهم ، وتوفى فيها سنة ١١٥ هـ .

ثم قال : هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ! قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، أهل الحجاز وأهل نجد هم أصل العرب ، وقادة الإسلام ، تردّ فيهم فضول صدقاتهم . قال : نعم ! يا غلام اكتب بأن تردّ فيهم فضول صدقاتهم . هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ؛ أهل الثغور يرّدون من ورائكم ، ويقاتلون عدوكم ، تجرّي لهم أرزاقاً تدّرّها عليهم ؛ فإنهم إن هلكوا ضاعت الثغور . قال : نعم ، يا غلام ؛ اكتب بحمل أرزاقهم إليهم . هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ؛ أهل ذمتكم لا يكفّون مالا يطيقون ؛ فإن ما تجبونه منهم معونة لكم على عدوكم . قال : نعم ، يا غلام ؛ اكتب لأهل الذمة ألا يكفّوا مالا يطيقون ! هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم ، اتق الله في نفسك ؛ فإنك خلقت وحدك ، وتموت وحدك ، وتُحشّر وحدك ، وتحاسب وحدك ، ولا والله ما معك ممن ترى أحدًا !

فأكبّ هشام ينكت<sup>(١)</sup> في الأرض ، وهو يبكي ؛ فقام عطاء .

فلما كنا عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس لا أدري ما فيه ؛ فقال : إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا . فقال : لا أسألكم عليه . أجرأ إن أجرى إلا على ربّ العالمين ، فوالله ما شرب عنده قطرة ماء .

(١) النكت : قرعك الأرض بعود أو ياصع ، وهو فعل المفكر المهموم .

١٨ — خليفة بين يدي قاض \*

قال العُتبي : إني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيم بن محمد بن طلحة ، وصاحب حرس هشام<sup>(١)</sup> ، حتى قعدا بين يديه ؛ فقال الحرسي<sup>(٢)</sup> :

إن أمير المؤمنين جرّاني في خصومة بينه وبين إبراهيم !

فقال القاضي : شاهديك على الجرّاية<sup>(٣)</sup> !

قال : أتُراني قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل ! وليس بيني وبينه إلا هذه السترة<sup>(٤)</sup> !

قال : لا ، ولكنه لا يثبت الحق لك ، ولا عليك ، إلا بينة .

فقام الحرسي فدخل إلى هشام فأخبره ؛ فلم نلبث أن قفعت الأبواب ، وخرج الحرسي ، فقال : هذا أمير المؤمنين !

فقام القاضي فأشار إليه هشام فقام ، وبسط له مُصلى ، فقام عليه هو وإبراهيم ، وكنا حيث نسمع بعض كلامهما ، ويخفي علينا بعضه !

فتكلمنا ، وأحضرنا البينة ، فقضى القاضي على هشام ؛ فتكلم إبراهيم بكلمة فيها بعض الخرق<sup>(٥)</sup> ؛ فقال : الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك !

\* العقد : ٤ - ٤٤٧ ، ( طبعة لجنة التأليف ) .

(١) هشام بن عبد الملك من ملوك الدولة الأموية ، ولد في دمشق وبويع له فيها وتوفى سنة ١٢٥ .

(٢) الحرسي : واحد حرس السلطان . (٣) الجرّاية : الوكالة . (٤) السترة : ما يستر به .

(٥) الخرق : الحق .

فقال هشام : لقد همتُ أن أضرب عنقك ضربةً ينتثر منها لحمك عن عَظْمِكَ . قال : أما والله لئن فعلتَ لفعلته بشيخ كبير السن ، قريب القرابة ، واجب الحق !

فقال هشام : استرها على يا إبراهيم ! قال : لا ستر الله على ذنبي يوم القيامة إن سترتها !

قال : فإني مُعْظِيكَ عليها مائة ألف ! قال إبراهيم : فسترتها عليه طول حياته ثمناً لما أخذتُ منه ، وأدعتها بعد مماته ، تزييناً له !



١٩ — المهد لعمر بن عبدالعزيز\*

كان لسليمان بن عبد الملك ابن توفيق يقال له أيوب بن سليمان ، فقد له ولاية العهد من بعده ؛ ثم إن أيوب توفى قبل سليمان ، ولم يبق لسليمان إلا ولدٌ صغير .  
فلما حضرته الوفاة أراد أن يستخلف ، فحضره عمر بن عبد العزيز ورجاء ابن حيوة ، فقال لرجاء : اعرض على ولدي في القمص والأردية ، فعرضهم عليه ، فإذا هم صفار لا يحملون مالبسوا من القمص والأردية ، يسحبونها سحباً . فنظر إليهم وقال : يارجاء ؛

إِنْ بَنَى صَبِيَّةٌ صِغَارُ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ كِبَارُ

فقال له عمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ؛ يقول الله تبارك وتعالى : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَى <sup>(١)</sup> وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى » .

ثم قال : يارجاء ، اعرض على بنى فى السيوف ، فقلدوهم السيوف ، ثم عرضهم عليه ، فإذا هم صفار لا يحملونها ، يجرؤونها جراً ؛ فنظر إليهم وقال :

إِنْ بَنَى صَبِيَّةٌ صَيْفِيُونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رُبْعِيُونَ <sup>(٢)</sup>

فقال له عمر بن عبد العزيز : يقول الله تبارك وتعالى : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى » .

\* سيرة عمر بن عبد العزيز : ٢٩

(١) تزكى : تطهر من الشرك والمعاصى . (٢) يقال : أصاف الرجل ، إذا ولده له على كبر سنه وولده صيفيون . وأربع الرجل : إذا ولد له فى فتاه سنه ، وولده ربعيون .

(٤ - قصص العرب - ٣)

فلما لم يرَ في ولده ما يريدُ حدثَ نفسه بولايةِ عمر بن عبد العزيز<sup>(١)</sup>؛ لِمَا كان يعرف من حاله؛ فشاور رجاءَ فيمن يعقد له، فأشار عليه بعمر، وسدّ له رأيه فيه، فوافق ذلك سليمان، وقال: لأعقدنَّ عقداً لا يكون للشيطان فيه نصيب.

فلما اشتدَّ به وجعُه عهدَ عهداً لم يُطِيعْ عليه أحداً إلا رجاء بن حيوةَ الكندي، استخلف فيه عمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك من بعد عمر.

فدخل سعيد بن خالد مع عمر بن عبد العزيز وبعض أهل بيته يعودون سليمان؛ فرأوا به الموت، فمشى عمر وسعيد بن خالد ورجاء بن حيوة، ثم تخلف عمر كأنه يعالج نملِيه، حتى أدركه رجاء، فقال له: يارجاء، إني أرى أمير المؤمنين في الموت، ولا أحسبه إلا سيَّعهد، وأنا أناشدك الله إن ذكرني بشيء من ذلك إلا صدّدته عني، وإن لم يذكرني ألاّ تذكرني له في شيء من ذلك. فقال رجاء لعمر: لقد ذهب ظنُّك مذهباً ما كنتُ أحسبُك تذهب به، أنظنُّ بني عبد الملك يدخلونك في أمورهم! وقد كان سليمان فرغ من ذلك ولكنه أراد إخفاءه عن عمر!

فلما احتضر<sup>(٢)</sup> سليمان، واشتدَّ ما به أمر بالبيعة لمن كان في كتابه ممن عهد إليه، فبايع الناس ولا يعلمون من في كتابه.

ثم قضى الله على سليمان بالموت، فلما مات كتم موته رجاء بن حيوة، ثم خرج إلى الناس فقال: إن أمير المؤمنين يأمرُكم بتجديد البيعة لمن كان عهداً إليه، وقد أصبح بحمد الله صالحاً. فقالوا: أوصلنا إلى أمير المؤمنين لننظرَ إليه، وُننقذَ أمره؛ فدخل وأمر به فأسند بالوسائد وأقام عنده خادماً، وأمر بالناس فأدخلوا عليه،

---

(١) هو الخليفة الصالح العادل، ولد بالمدينة ونشأ بها، وبويع له بالخلافة سنة ٩٩ هـ وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة توفي سنة ١٠١ هـ (٢) احتضر: حضره الموت.

فيقفون عند الباب فيسلمون من بعيد ، وهم يرون شخصه ، فيرد الخادم عنه رد المريض وهم ينظرون إليه .

ثم قال : يا أمرؤ كم أمير المؤمنين أن تبايعوا لمن عهد إليه ، وتسمعوا له وتطيعوا ، فخرجوا إلى المسجد والناس مجتمعون : وجوه بني مروان وبني أمية ، وأشرف الناس ، فبايعوا ، حتى إذا رضى رجاء من ذلك نظر فإذا هو لا يرى عمر ؛ فخرج يلتمسه في المسجد حتى رآه قاصياً ، فوقف عليه ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! قم إلى المنبر ، فقال : أنشدك الله يارجاء ، فقال رجاء : أناشدك الله أن يضطرب بالناس حبل ، فقد لقي سليمان ربه ، وقضى الله عليه بالموت .

فقام عمر حتى جلس على المنبر ، فنعى للناس سليمان ، وفتح الكتاب ، فإذا فيه استخلاف عمر ويزيد بن عبد الملك من بعد عمر .

فلما قرأ ذكر عمر جثا هشام بن عبد الملك على ركبتيه وقال : هاه (١) ! فسأل رجل من أهل الشام سيفه ، وقال : تقول لأمرٍ قد قضاه أمير المؤمنين هاه ؟ فلما قرأ : « ثم يزيد بن عبد الملك من بعد عمر » قال هشام : سمعنا وأطعنا . فسمع الناس وأطاعوا ، وقاموا فبايعوا لعمر .

---

(١) هاه : وعيد .

٢٠ - عمر بن عبد العزيز يحمل الناس على الحق\*

لما دُفِنَ سليمان ، وقام عمر بن عبد العزيز قرَّبَتْ إليه المراكب ، فقال : ماهذه ؟ فقالوا : مراكب لم تُرْكَب قط يركبها الخليفة أول مايلي . فتركها وخرج يلتمسُ بَعْلته ، وقال : يا مُزاحم ؛ ضُمَّ هذه إلى بيت مال المسلمين .

ونُصِبَتْ له مُرادقات وحُجِرَ لم يجلس فيها أحد قط ، كانت تُضرب للخليفة أول مايلي ، فقال : ماهذه ؟ فقالوا : سُرادقات وحُجِرَ لم يجلس فيها أحد قط ، يجلس فيها الخليفة أول مايلي . قال : يا مُزاحم ، ضُمَّ هذه إلى أموال المسلمين . ثم ركب بَعْلته ، وانصرف إلى الفرش والوطاء<sup>(١)</sup> الذي لم يجلس عليه أحد قط والذي يفرش للخليفة أول ما يكون ، فجعل يَدْفَعُ ذلك برجله حتى يُفْضَى إلى الحصيد . ثم قال : يا مُزاحم ، ضُمَّ هذا لأموال المسلمين .

وبات عيالُ سليمان يُفْرِغُونَ الأدهان والطيب ، من هذه القارورة إلى تلك القارورة ، ويلبسون ما لم يُلبَس من الثياب حتى تتكسَّر - وكان الخليفة إذا مات فما لبس من الثياب ، أو مسَّ من الطيب كان لولده ، وما لم يُلبَس من الثياب وما لم يُمسَّ من الطيب فهو للخليفة بعده .

فلما أصبح عمر قال له أهلُ سليمان : هذا لك وهذا لنا . قال . وما هذا ؟ وما هذا ؟ قالوا : هذا مما لبس الخليفة من الثياب ومسَّ من الطيب وهو لولده ، وما لم يمس ولم يلبس فهو للخليفة بعده ، وهو لك .

(\*) سيرة عمر بن عبد العزيز : ٣٥ .

(١) الوطاء : ضد النطاء .

قال عمر : ما هذا لي ، ولا لسليان ، ولا لكم ، ولكن يمزاحم ؛ ضم هذا كله إلى بيت مال المسلمين .

فتأمر الوزراء فيما بينهم ، فقالوا : أما المراكبُ والسراقاتُ والحجرَ والشوار<sup>(١)</sup> والوطاء فليس فيه رجاء بعد أن كان منه فيه ما قد علمتم ، وبقيت خصلة وهي الجوارى ، نعرضهن فمسي أن يكون ما تريدون فيهن ؛ فإن كان وإلا فلا طمع لكم عنده . فأتى بالجوارى فمعرضن عليه كأمثال الدثمي ؛ فلما نظر إليهن جعل يسألهن واحدة واحدة : من أنت ؟ ولن كنت ؟ ومن بعث بك ؟ فتخبره الجارية بأصلها ، ولن كانت ، وكيف أخذت ، فيأمر بردهن إلى أهلن ويحملن إلى بلادهن ، حتى فرغ منهن . فلما رأوا ذلك أسوا منه ، وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق .

واحتجب عن الناس ثلاثا ، لا يدخل عليه أحد ، ووجهه بنى مروان وبنى أمية ، وأشرف الجنود والعرب ، والقواد ببابه ، ينظرون ما يخرج عليهم به . فجلس للناس بعد ثلاث ، وحلمهم على شريعة من الحق فعرفوها ؛ فرد المظالم ، وأحيا الكتاب والشنة ، وسار بالعدل ، ورفض الدنيا ، وزهد فيها ، وتجرد لإحياء أمر الله عز وجل ، فلم يزل على ذلك حتى قبض<sup>(٢)</sup> .

(١) الشوار : اللباس والزينة ومتاع البيت . (٢) مات .

٢١ - لا تلوّموا إلا أنفسكم \*

اجتمعت بنو أمية، فكلّموا رجلاً أن يكلم عمر بن عبد العزيز في صلة أرحامهم والعطف عليهم ، وكان قد أمر لهم بعشرة آلاف دينار فلم تقّع منهم .  
فدخل عليه الرجل ، فكلّمه وأعلمه بمقاتتهم ، فقـ : أجل ! الله لقد قسمتها فيهم ، وقد ندمت عليها ألا تكون منعتهم إياها ، وقسمتها فكانت تكفي أربعة آلاف بيت من المسلمين .

خرج إليهم الرجل وأعلمهم بمقاتته ، وقال : لا تلوّموا إلا أنفسكم يا معشر بني أمية ؛ عمدتم إلى صاحبكم فزوّجتموه بنت ابن عمر<sup>(١)</sup> ، فجاءتكم بعمر ملفوفاً في ثيابه ، فلا تلوّموا إلا أنفسكم .

\* سيرة عمر بن عبد العزيز : ٥٠ .  
(١) عمر بن الخطاب .

٢٢ - ذَكَرْتُني الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيًا \*

لما ولى عمرُ بن عبد العزيز الخلافة ردَّ المظالم والقطائع. وكان سليمانُ بن عبد الملك قد أمر لعنبة بن سعيد بن العاص بعشرين ألف دينار ، فدارت في الدواوين حتى انتهت إلى ديوان الختم ، فلم يبقَ إلا قبضُها ، فتوَّفى سليمان قبل أن يقبضها .

وكان عنبة صديقاً لعمر بن عبد العزيز ؛ ففدا يريدُ كلامَ عمر فيما أمر له به سليمان ؛ فوجد بنى امية حضوراً بباب عمر ، يريدون الإذن -إبه ليكلّموه في أمورهم ، فلما رأوا عنبة قالوا : ننظر ما يصنعُ به قبل أن نكلّمه ، وقالوا له : أعلمُ أمير المؤمنين مكاننا ، وأعلمنا ما يصنعُ بك في أمورك .

فدخل عنبة على عمر ، فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ إن أمير المؤمنين سليمان قد كان أمر لي بعشرين ألف دينار ، حتى انتهت إلى ديوان الختم ، ولم يبقَ إلا قبضها ، فتوَّفى على ذلك ، وأمير المؤمنين أولى باستتمام الصنعة عندي ، وما بيني وبينه أعظمُ مما كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان .

قال له عمر : كم ذلك ؟ قال : عشرون ألف دينار . قال عمر : عشرون ألف دينار تُغني أربعة آلاف بيتٍ من المسلمين وأدفعها إلى رجل واحد ! والله ما لي إلى ذلك من سبيل .

قال عنبة : فرميتُ بالكتاب الذي فيه الصك . فقال لي عمر : لا عليك أن يكونَ معك ، فلعله أن يأتيك مَنْ هو أجزأ على هذا المال مني فيأمرَ لك بها .

قال عنبة : فأخذته تبرُّكاً برأيه . وقلت له : يا أمير المؤمنين ؛ فما بال جَبَل

الورس؟ - وكان جبل الورس قطيعةً لعمر بن عبد العزيز - فقال عمر : ذكّرني الطّعنَ وكنت ناسياً ! يا غلام : هاتِ ذلكَ القفصَ ، فأُتِيَ بقفص من جريد فيه قطائعُ بني عبد العزيز ، فقال : يا غلام ؛ اقرأ عليّ ، فكلما قرأ قطيعة قال : شقها ، حتى لم يبقَ في القفص شيءٌ إلا شقّه .

قال عَنبَسَة : فخرجتُ إلى بني أمية ، وهم وقوفٌ بالبواب ، فأعلمتهم ما كان من ذلك ، فقالوا : ليس بعد هذا شيء ، ارجع إليه فاسأله أن يأذنَ لنا أن نلحق بالبلدان .

فرجعتُ إليه فقلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن قومك بالبواب يسألونك أن تُجرى عليهم ما كان من قبلك يُجرى عليهم ، فقال عمر : والله ما هذا المال لي ، وما لي ذلك من سبيل . قلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ فيسألونك أن تأذنَ لهم ي ضربون في البلدان .

قال : ماشاءوا ، ذلك لهم ، وقد أذنت لهم . قلت : وأنا أيضاً ؟ قال : وأنت أيضاً قد أذنتُ لك ، ولكني أرى لك أن تقيمَ فإنك رجلٌ كثيرُ النُقد ، وأنا أبيعُ تركةَ سليمان ، فعلك أن تشتريَ منها ما يكون لك في ربحه عوضٌ مما فاتك .

فأقتت تبرّكاً برأيه ، فابتعت من تركةِ سليمان بمائة ألف ، فخرجتُ بها إلى العراق فبعتها بمائتي ألف وحسبت الصكّ .

فلما توفّي عمر وولّى يزيد بن عبد الملك أئنته بكتاب سليمان فأنفذ لي ما كان فيه .



٢٣ — الوالدُ سرُّ أبيه \*

كان بيدِ عمر بن عبد العزيز قبل خلافة ضيَعته المعروفة بالسَّهلة ، وكانت باليامة . وكانت لها غَلَّةٌ عظيمة كثيرة ، عَيْشُهُ وعيشُ أهله منها .

فلما ولى الخلافة قال لمزاحم مولاه : إني عزمتُ أن أردَّ السَّهلة إلى بيتِ مال المسلمين . فقال مزاحم : أتدرى كم وَلَدُك ؛ إنهم كذا وكذا .

فذرقتُ عيناه ، فجعل يمسح الدَّمْعَةَ بإصبعه الوسطى ، ويقول : أكلهم إلى الله ، أكلهم إلى الله .

فرضى مزاحم ، فدخل على عبد الملك ابنه ، فقال له : ألا تعلم ما قد عزم عليه أبوك ، إنه يريدُ أن يردَّ السَّهلة . قال : فما قلتَ له ؟ قال : ذكرتُ له ولده . فجعل يستدمع ويمسح الدَّمْعَةَ بإصبعه الوسطى ، ويقول : أكلهم إلى الله .

فقال عبد الملك : بنسَ وزيرُ الدين أنت اثم وثبَ وانطلق إلى أبيه ، فقال للآذن : استأذن لي عليه . فقال : إنه قد وضع رأسه الساعة للقائلة<sup>(١)</sup> . فقال : استأذن لي عليه . فقال : أما ترحوونه ؟ ليس له من الليل والنهار إلا هذه الساعة . قال : استأذن لي عليه ، لآم لك !

فسمع عمر كلامهما ، فقال : انذن لعبد الملك ، فدخل فقال : علامَ عزمتَ ؟

\* ابن أبي الحديد : ٤ - ١٤٧

(١) القائلة : نصف النهار ، والنوم في الظهرية .

قال: أَرَدَ السَّهْلَةَ ا قال: فلا تُوَخَّرْ ذلك . قم الآن ، فجعل عمر يرفعُ يديه ، ويقول : الحمد لله الذي جعلَ من ذرِّيَتِي من يُعِينِنِي على أمرِ دينِي . نعم ، يا بني ؛ أَصَلَّى الظهر ، ثم أصدد المنبر ، فأرَّ ا علانية على رهوس الناس .

قال : وَمَنْ لك أن تعيشَ إلى الظهر ، ثم من ، أن تَسَلَّمَ نِيَّتُكَ إلى الظهر

إن عشتَ ا

فقام عمر ، فصعد المنبر وخطب الناس ، وردَّ السَّهْلَةَ .

## ٢٤ - أوارث أنتَ بنى أمية\*

قال أحمد بن موسى : ما رأيت رجراً أثبتَ جناحاً من رجل رُفِعَ فيه عندَ المنصور<sup>(١)</sup> ، وقالوا : إنَّ عنده ودائعَ وأموالاً وسلاحاً لبنى أمية . فأمر المنصور حاجبه الربيع بإحضاره ، فأخضِرَ بين يديه .

فقال له المنصور : قد رُفِعَ إلينا أنَّ عندك ودائعَ وأموالاً وسلاحاً لبنى أمية ، فأخرجْ لنا ما عندك ، واحمل جميعَ ذلك إلى بيت المال . فقال الرجل : يا أميرَ المؤمنين ؛ أنت وارثُ بنى أمية ؟ قال : لا . قال : فوصيُّ أنت ؟ قال : لا . قال : فلمَ تسألُ عن ذلك ؛ فأطرقَ المنصور ساعة وقال : إنَّ بنى أمية ظلموا الناسَ وغضبوا أموالَ المسلمين ، وأنا آخذها فأردها إلى بيت المال للمسلمين . قال الرجل : يحتاج أميرُ المؤمنين إلى إقامةِ يئنةٍ يقبلها الحاكم على أن المال الذي لبنى أمية هو الذي في يدي ، وأنه هو الذي اغتصبوه من الناس ؛ وأميرُ المؤمنين يعلمُ أن بنى أمية كانت معهم أموالٌ لأنفسهم غيرُ الأموال التي اغتصبوها على ما يزعمُ أميرُ المؤمنين .

فسكت المنصورُ ساعة ثم قال : يا ربيع ؛ صدق الرجل ما يجب لنا عليه شيء ، ثم قال للرجل : ألك حاجة ؟ قال : نعم . قال : ما هي ؟ قال : أن تجمعَ بيني وبين

\* المختار من نوادر الأخبار .

(١) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد ، ثاني خلفاء بني العباس وأعظمهم شدة وبأساً وقظةً ونباتاً توفي سنة ١٥٨ هـ .

مَنْ سعى بى إليك ؛ فوالله يا أمير المؤمنين ما لبني أُمِيَّةَ عندى ودائع ولا مالٌ ولا سلاح ؛ ولما حضرتُ بين يدي أمير المؤمنين ، وعلمتُ ما هو عليه من العدل والإنصاف ، واتباع الحق ، واجتناب الباطل ، أيقنتُ أن هذا الكلام الذى صدر منى هو أنجحُ وأصلحُ لما سألتى عنه وأقربُ إلى الخلاص .

فقال المنصور للربيع : اجمعُ بينه وبين الرجل الذى اتهمه . ولما جىء بالرجل عرفه ، وقال : هذا غلامى أخذ لى خمسمائة دينار وهرب ، ولى عليه كتاب بها ، ثم استنطق المنصور الغلام ، فأقرَّ أنه غلامه وأنه أخذ المال الذى ذكره مولاه ، وأَبَقَ<sup>(١)</sup> به ، وسعى بمولاه ليجرىَ عليه أمرُ الله ، ويسلمَ هو من الوقوع فى يده . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قد وهبتها له لأجلك ؛ وأدفعُ له خمسمائة دينار أخرى لحضوره مجلس أمير المؤمنين .

فاستحسن المنصور فعله ، وكان فى كل وقت يقول : يا ربيع ؛ ما رأيتُ مَنْ حاجبى مثله .

---

(١) أبى العبد : استغنى وذهب .

٢٥ — حذر عيسى بن موسى \*

لما خرج أبو جعفر المنصور يريد الحج بالناس ، قال لعيسى بن موسى <sup>(١)</sup> : أنت تعلم أن الخلافة صائرة إليك ، وأريد أن أسلم لك عمي وعمك عبد الله بن علي ؛ فخذها وأقتله : وإياك أن تبجن في أمره .

ثم مضى المنصور إلى الحج ، وكتب إليه من الطريق يستحثه على ذلك ، فكتب إليه : قد أنفذت أمر أمير المؤمنين ! فلم يشك أبو جعفر أنه قتله .

ودعا عيسى بن موسى كاتبه يونس ؛ فقال له : إن المنصور دفع إلى عمه ، وأمرني بقتله . فقال له : إنه يريد أن يقتلك به ؛ فقد أمرك بذلك سرّاً ، ويدعي عليك به علانية . والرأي أن تستر في منزلك ، ولا تطلع عليه أحداً ؛ فإن طلبه منك علانية ، دفعته إليه ، ولا تدفعه إليه سرّاً أبداً ! ففعل ذلك .

وقدم المنصور ؛ فدس على عمومته من يحركهم أن يسألوه أن يهب لهم أخاهم عبد الله ؛ ففعلوا ذلك ، واستشفعوا له . فقال : نعم ، على بعيسى بن موسى ، فأتاه .

فقال : يا عيسى ؛ كنت قد دفعت إليك عمي وعمك عبد الله قبل خروجي إلى الحج ، وأمرتك أن يكون في منزلك مكرماً ! قال : قد دفعت ذلك . قال : فد كلفني فيه عمومته ؛ فرأيت الصفح عنه ، فأنتي به .

(\*) المستطرف : ١ - ٦٥

(١) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ولد ونشأ بالحيمية من أرض الشام ، وكان من فحول أهله وشجعانهم وذوى النجدة والبأس فيهم .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ ألم تأمرني بقتله ؛ قال : لا ، بل أمرتك بحبسه عندك .  
ثم قال المنصور لمؤمته : إن هذا قد أقرّ لكم بقتل أخيكم ، وادعى أني أمرته  
بذلك ! وقد كذب ! قالوا : دعه لنا نقتله . قال : شأنكم .

فأخرجوه إلى صحن الدار ، واجتمع الناس ، واشتهر الأمر ؛ فقام أحدهم ،  
وشهر<sup>(١)</sup> سيفه ، وتقدم إلى عيسى ليضربه ؛ فقال عيسى : لاتعجلوا ؛ فإن عمي حتى ،  
ردوني إلى أمير المؤمنين ، فردوه إلي ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنما أردت بقتله  
قتلي ، هذا عمك حتى ، إن أمرتني بدفعه إليهم دفعتهم . قال : اتنا به ، فأني به ،  
فجعله في بيت ، فسقط عليه ، فمات .

وركب المنصور بعد موته ، وفي خدمته ابن لعمه ، وكان يحادثه ، فقال له :  
هل تعرف ثلاثة في أول أسمائهم عين قتلوا ؟ قال : لا أعرف إلا ما تقول العامة  
يا أمير المؤمنين : إن علياً قتل عثمان ، وكذبوا والله ، وعبد الملك بن مروان قتل  
عبد الله بن الزبير ، وسقط البيت على عم أمير المؤمنين .

فضحك المنصور ، وقال : إذا سقط البيت على عمي ، فما ذنبي ؟ قلت :

ما قلت لك ذنب يا أمير المؤمنين !

(١) شهر سيفه : اتضاه فرغه .

٢٦ - يَقِظَةُ الْمَنْصُورِ\*

قال عُقَيْبَةُ الْأَزْدِيُّ : دخلتُ مع الجند على المنصور ، فارتابني <sup>(١)</sup> ، فلما خرج الجندُ أذناني ، وقال لي : من أنت ؟ فقلت : رجلٌ من الأزد ، وأنا من جند أمير المؤمنين ، قدمت الآن مع عمرو بن حفص .

فقال : إني لأرى لك هيبَةً ، وفيك نجابةً ، وإني أريدك لأمر ، وأنا به معي ، فإن كَفَيْتَنِيهِ رَفَعْتُكَ . فقلت : إني لأرجو أن أصدقَ ظنَّ أمير المؤمنين في . فقال : أخفِ نفسك ، واحضري يوم كذا .

فبِيتُ عنه إلى ذلك اليوم وحضرتُ ، فلم يترك عنده أحداً ، ثم قال لي : اعلم أن بني عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيدَ ملكنا واغتيالَه ، ولهم شِيعَةٌ بخراسان بقرية كذا ، يكتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم وألطف <sup>(٢)</sup> بلادهم ، فخذ معك عِيناً <sup>(٣)</sup> من عندي ، وألطفاً وكتباً ، واذهب حتى تأتي عبد الله بن الحسن ، فاقدّم عليه متخشعاً ، واذكر له أن الكتبَ على ألسنة أهل تلك القرية ، والألطفَ من عندهم إليه . فإذا رآك فإنه سيردك ويقول : لا أعرفُ هؤلاء القوم ، فاصبر عليه وعاوِذَه ، واكشِفِ باطنَ أمرِه .

فأخذتُ كتبه والمين والألطف ، وتوجهتُ إلى جهة الحجاز ، حتى قدّمتُ على عبد الله بن الحسن ، فلقيته بالكتب ، فأنكرها ونهرني ، وقال : ما أعرفُ

\* المستطرف : ٢ - ٩٤

(١) ارتببت فلاناً : آهنته (٢) اللطفة : الهدية (٣) العين : المال ، وما ضرب

من الدنانير .

هؤلاء القوم . فلم أنصرف . وعاودته القول ، وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك القوم ، وأن معي أطاقاً وعيناً .

فأنس بي ، وأخذ السكُّب ، وما كان معي ، فتركته ذلك اليوم ، ثم سألتُه الجواب ، فقال : أما كتابٌ فلا أكتب إلى أحدٍ ، ولكن أنت كتابي إليهم ، فأقرهم السلام ، وأخبرهم أن ابني : محمداً وإبراهيمَ خارجان لهذا الأمر وقت كذا وكذا .

فخرجتُ من عنده ؛ وسرتُ حتى قدِمْتُ على المنصور ، فأخبرته بذلك ، فقال لي : إني أريدُ الحج ، فإذا صرتُ بمكان كذا وكذا ، وتلقاني بنو الحسن ، وفيهم عبد الله ، فإني أعظمه وأكرمه ، وأرفقه وأحضر الطعام ، فإذا فرغ من أكله ، ونظرتُ إليه ، فامثلُ بين يدي ، وقفْ قدَّامه ، فإنه سيصرف وجهه عنك ، فدُرْ حتى تقفَ من ورائه ، وانمِرْ ظهره بإبهامك حتى يملأَ عينيه منك ، ثم انصرفْ عنه ، وإياك أن يراك وهو يأكل .

ثم خرج المنصور يريدُ الحج ، حتى إذا قارب البلاد ، تلقاه بنو الحسن ، فأجلس عبد الله إلى جانبه ، فخادته ثم طاب الطعام للغداء ، فأكلوا منه ، فلما فرغوا أمر برفعه فرُفِع ، ثم أقبل على عبد الله بن الحسن ، وقال : يا أبا محمد ، قد علمتَ أن مما أعطيتني من اليهود والمواثيق أنك لا تريدني بسوء ، ولا تكيدُ لي سلطاناً .

قال : فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين .

ثم لحظني المنصور بعينه فقامتُ حتى وقفتُ بين يدي عبد الله بن الحسن ، فأعرضَ عني ، فدُرْتُ من خلفه ، وغمزتُ ظهره بإبهامي ، فرفع رأسه ، وملأَ عينيه مني ،



ثم وثب حتى جثا بين يدي المنصور ، وقال : أقالني بأمر المؤمنين أقالك الله !  
قال المنصور : لا أقالني الله إن لم أقتك ، وأمر مجبسه ، وجعل يتقلب ولديه محمداً  
وإبراهيم ، ويستعلم أخبارهما .

## ٢٧ - المنصور في ساحة القضاء\*

قال نعيم المذني : قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ، ومحمد بن عمران  
الطلحي يتولى القضاء بها وأنا كاتبه ، فحضر جماعة من الجمالة<sup>(١)</sup> ، واستعدوه على  
أمير المؤمنين المنصور في شيء ذكره ، فأمرني أن أكتب إلى المنصور بالحضور  
معهم أو إنصافهم . فقلت له : أعفني من ذلك فإنه يعرف خطي . فقال : اكتب .  
فكتبت وختمت . فقال : والله ما يمتضى به غيرك ، فضيت به إلى الربيع حاجبه ،  
وجعلت أعتذر إليه ، فقال : لا بأس عليك ! ودخل بالكتاب على المنصور .

ثم خرج الربيع ، فقال للناس - وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم :  
إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : إني دُعيتُ إلى مجلس الحكم ،  
فلا أحد منكم يقوم إذا خرجت ، ولا تبدونني بالسلام .

ثم خرج وبين يديه المسيب<sup>(٢)</sup> والربيع وأنا خلفه ، وهو في إزار ورداء ،  
فسلم على الناس ، فما قام إليه أحد ، ثم مضى حتى بدأ بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ،  
فسلم عليه ، ثم التفت ، فلما رآه ابن عمران القاضي أطلق رداءه عن عاتقه ، ثم

\* المقعد الفريد للملك السعيد : ١٧٠

(١) الجملة أصحاب الجمال (٢) هو المسيب بن زهير ، كان على شرط المنصور والهدى ببغداد  
وولاه الهدى خراسان ، ولم تطل فيها مدته ، وتولى ببغداد سنة ١٧٥ هـ .  
(٥ - قصص العرب - ٣)

احتبى به ، ودعا بالخصوم وهم الجمالة ، ثم دعا بالمنصور ، فادعى عليه القوم ، وقضى لهم عليه ، ثم انصرف .

فلما دخل المنصور الدار قال للربيع : اذهب ، فإذا قام القاضى من مجلسه فادعه . فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه ، فردّ عليه السلام . وقال له : جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك ، وعن خليفتك ، أحسن الجزاء ، قد أمرتُ لك بمسرة آلاف ، صلةً لك فاقبضها .

فكانت عامة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة .

## ٢٨ - نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي \*

كان المنصور معجباً بمحادثة محمد بن جعفر ، ولعظم قدره يفزع الناس إليه في الشفاعات ، فنقل ذلك على المنصور ، فحجبه مدة ، ثم لم يصبر عنه ، فأمر الربيع حاجبه أن يكلمه في ذلك ، فكلمه وقال : أعف أمير المؤمنين ، ولا تُثقل عليه في الشفاعات ، فقبل ذلك منه .

فلما توجه إلى الباب اعترضه قومٌ من قریش ، معهم رِقَاعٌ <sup>(١)</sup> ، فسأوه إيصالها إلى المنصور ، فقصَّ عليهم القصة ، فأبوا إلا أن يأخذها ، فقال : اقدفوها في كُمِّي .  
ثم دخل عليه ، وهو مشرفٌ على مدينة السلام ، وما حولها من البسانين ، فقال له : أما ترى إلى حسنها يا أبا عبد الله ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، بارك الله لك فيما آتاك ، وهنالك بإتمام نعمته عليك فيما أعطاك ! فما بنت العربُ في دولة الإسلام ، ولا العجمُ في سالفِ الأيامِ أحصنَ ولا أحسنَ من مدينتك ، ولكن كرهتها في عيني خصلةٌ ! قال : وما هي ؟ قال : ليس لي ضيعة ، فتبسّم ، وقال : قد حسنتها في عينك بثلاث ضياع قد أقطعتكها ! فقال : لله درك يا أمير المؤمنين ! إنك شريف الموارد ، كريم المصادر ؛ جعل الله تعالى باقي عمرك أكثر من ماضيه ، ثم أقام معه يومه ذلك .

فلما نهض ليقومَ بدتِ الرِقَاعُ من كُمِّه ، فجعل يردّها ويقول : ارجنْ خائبات

خاسرات .

\* الحجاني : ٣ - ١٩٥

(١) الرقاع : جمع رقعة : ما يكتب فيها .

فضحك المنصور ، وقال : بمحَقِّ عليك إلا أخبرتنى وأعلمتنى بنجر هذه الرِّقَاع ؛  
فأعطه ، فقال : ما أتيتَ يا بنُّ مُعَلِّمِ الخَيْرِ الا كَرِيمَا ، وتمنَّى بقول عبد الله بن  
معاوية :

لسنا وإن أحسابنا كُرُمَت      يوماً على الأحساب تتكل  
بنى كما كانت أوائلنا      تبني وتفعل مثل ما فعلوا  
ثم تصفح الرقاع ، وقضى حوائج أصحابها جميعاً .

٢٩ — هَمْدَانِي بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ \*

بينما كان المنصورُ جالساً في مجلسه المبنى على أعلى باب (١) خراسان ، من  
مدينته التي بناها ، وأضافها إلى اسمه ، مُشْرِفاً على دِجْلَةٍ جاءه سَهْمٌ عَائِرٌ (٢) سقط  
بين يديه ، فذُعِرَ منه ذُعُراً شديداً ، ثم أخذه فجعل يقلبه ؛ فإذا مكتوب عليه بين  
الرَّيْشَتَيْنِ :

أَتَطْمَعُ فِي الْحَيَاةِ إِلَى التَّنَادَى (٣)  
وَتَحْسَبُ أَنَّ مَالِكَ مِنْ نَفَادِ  
سُتُسُّأَلُ عَنْ ذُنُوبِكَ وَأَنْحَطَّأَيَا  
وَتُسْأَلُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ الْعِبَادِ  
ثم قرأ عند الرِّيشَةِ الأولى :

أَحْسَنْتَ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتَ  
وَسَأَلْتَنِي اللَّيَالِي فَاعْتَرَزْتَ بِهَا  
وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ  
وعند صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدْرُ  
ثم قرأ عند الرِّيشَةِ الأخرى :

هِيَ الْمَقَادِيرُ تَجْرِي فِي أَعْيُنِهَا  
يَوْمًا تُرِيكَ خَسِيسَ الْقَوْمِ تَرْفَعُهُ  
فَاصْبِرْ فَلَيْسَ لَهَا صَبْرٌ عَلَى حَالِ  
إِلَى السَّمَاءِ وَيَوْمًا تَخْفِضُ الْعَالِي

وإذا على جانب السهم مكتوب : « هَمْدَانٌ مِنْهَا رَجُلٌ مَظْلُومٌ فِي حَبْسِكَ » ا

\* المسعودي : ٢ - ٢٣٢

(١) كان قد بنى على كل باب من أبواب المدينة في الأعلى من طاقه المقنود مجلساً يشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه ، وكانت أربعة أبواب : فأولها باب خراسان أو باب الدولة لإقبال الدولة العباسية من خراسان ، ثم باب الشام ، وهو تلقاء الشام ، ثم باب الكوفة ، وهو تلقاء الكوفة ، ثم باب البصرة وهو تلقاء البصرة (٢) السهم العائر : الذي لا يدري من رماه (٣) يوم التنادي : يوم القيامة .

فبعث من فوره بعدة من خاصته ، ففتشوا الحبوس<sup>(١)</sup>؛ فوجدوا شيخاً في بنية من الحبس ، مؤثقالاً بالحديد ، متوجهاً نحو القبلة ، يرددُ قوله تعالى : « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » ؛ فسأله عن بلده ، فقال . هَمْدَان .

فَحَمِلَ ووضِعَ بين يدي المنصور فسأله عن حاله ، فأخبره أنه رجلٌ من أبناء مدينة هَمْدَان ، ومن أربابِ نَعَمِهَا ، ثم قال له : إن واليك علينا دخل بلدنا ، ولي ضيعةٌ تساوي ألف ألف ، فأراد أخذها مني ، فامتنتُ ، فكتبتي بالحديد ، وحملي وكتب إليك : إني عاصٍ ؛ فطُرِحْتُ في هذا المكان .

فقال : مُنْذُكُمْ ؟ قال : منذ أربعة أعوام . فأمر بك الحديد عنه ، والإحسان إليه ، وأنزله أحسن منزل .

ثم رُدَّ إليه ، وقال له : يا شيخ ؛ قد رَدَدْنَا عليك صَيِّعَتَكَ بخرابها ما عشت وعشنا ، وأما مدينتك هَمْدَان ، فقد وليناك عليها ، وأما الوالي فقد حكمناك فيه ، وجعلنا أمره إليك ؛ فجزاه خيراً ودعا له بالبقاء ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ أما الضيعةُ فقد قبيلتها ، وأما الولاية فلا أصلح لها ، وأما واليك فقد عفوتُ عنه .

فأمر له المنصورُ بمالٍ جزيل ، وبرٍّ واسع ، وحمله إلى بلده مكرماً ، بعد أن صرفَ الوالي وعاقبه على ما جنى من انحرافه عن سُنَّةِ العَدْلِ والحق ، وسألَ الشيخَ مكاتبته في أخبار بلده ، وإعلامه بما يكون من ولاته ، ثم أنشأ المنصور يقول :

من يصحب الدهرَ لا يأمنَ تَصَرُّفَهُ      يوماً ، وللهِ إخلاصٌ وإسرار  
لكل شيء ، وإن دامت سلامته      إذا انتهى فله لا بدَّ إقصار

(١) الحبوس : جمع حبس .

٣٠ - أمير في مجلس القضاء \*

أنت امرأة يوماً شريك<sup>(١)</sup> بن عبد الله قاضي الكوفة، وهو في مجلس الحكم، فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي! قال: من ظلمك؟ قالت: الأمير موسى بن عيسى عم أمير المؤمنين؛ كان لي بستان على شاطئ الفرات، فيه نخلة ورثته عن أبي، وقاسمت إخوتي، وبنيت بيني وبينهم حائطاً، وجعلت فيه رجلاً فارسياً يحفظ النخل ويقوم به، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع إخوتي، وسأومني ورغمني، فلم أبعه؛ فلما كانت هذه الليلة بعث بخمسة غلام، فاقتلوا الحائط؛ فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئاً، واختلط بنخل إخوتي.

فقال: يا غلام! أحضر طينة<sup>(٢)</sup>، فأحضرها فحتمها، وقال: امض بها إلى بابه حتى يحضر معك؛ فأخذها الحاجب، ودخل على موسى، فقال: قد أعدى<sup>(٣)</sup> القاضي عليك، وهذا ختمه؛ فقال: ادع لي صاحب الشرطة فدعا به، فقال: امض إلى شريك، وقل: يا سبحان الله! ما رأيت أعجب من أمرك! امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها عليّ! قال صاحب الشرطة: إن رأى الأمير أن يُعفيني من ذلك! فقال: امض، ويئلك! فخرج، وقال لعلمانه: اذهبوا واحملوا لي إلى حبس القاضي بساطاً وفراشاً، وما تدعو الحاجة إليه، ثم مضى إلى شريك،

\* العقد الفريد للملك السعيد: ١٧٢

(١) هو شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي، عالم فقيه، اشتهر بقوة ذكائه، وسرعة بديهته، ولى قضاء الكوفة سنة ١٥٣ هـ، وكان مثالا للعدل والزاهة في قضائه، توفي سنة ١٧٧ هـ (٢) الطينة: القطعة من الطين (٣) أعدى عليه: أعان.

فلما وقف بين يديه أدّى إليه ما قاله موسى ؛ فقال لغلام المجلس : خذ بيده فضعه  
في الحبس . فقال صاحب الشرطة : والله قد علمتُ أنك تحبسنى ، قدمتُ ما أحتاج  
إليه في الحبس .

وبلغ موسى بن عيسى الخبر ؛ فوجه الحاجب إليه ، وقال له : رسولُ أدّى  
رسالةً أى شيء عليه ؟ فقال شريك : اذهبوا به إلى رفيقه في الحبس ، فحبس .

فلما صلى الأمير العصر بعث إلى إسحاق بن الصباح الأشعشى وإلى جماعة من  
وجوه الكوفة من أصدقاء شريك ، وقال لهم : أبلغوه السلام ، وأعلموه أنه  
استخفَّ بى . وأنى لستُ كالعامّة ؛ فمضوا إليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة  
العصر ، فأبلغوه الرسالة ، فلما انقضى كلامهم ، قال لهم : ماى أراكم جئتمونى فى  
جمع من الناس ، فكلمتمونى ؟ من هاهنا من فتیان الحى ؟ فأجابہ جماعة من  
الفتیان فقال : ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس ، ما أنتم إلا  
فئنةٌ جزاؤكم الحبس . قالوا له : أجادتُ أنت ؟ قال : نعم ، حتى لا تعودوا الرسالة  
ظالم . فحبسهم .

فركب موسى بن عيسى فى الليلة إلى باب السجن ، وفتح الباب ، وأخرجهم  
كلهم ، فلما كان من الغد ، وجلس شريك للقضاء جاءه السجنان ، فأخبره ، فدعا  
بالقمطر<sup>(١)</sup> فخطمه ، ووجه به إلى منزله ، وقال لغلامه : ائلقُ بئقلى<sup>(٢)</sup> إلى بغداد ،  
والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ، ولكن أكرهونا عليه ، ولقد ضمنوا لنا فيه الإغزاز  
إذ تقلدناه لهم ، ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد ، وبلغ الخبر إلى موسى بن  
عيسى ، فركب فى موكبه ، فلحقه ، وجعل يناشده الله ، ويقول : يا أبا عبد الله ؛

(١) القمطر : وعاء الكبك (٢) التلق : المتاع .



تثبت ، انظر إخواني ، أنحبسهم ا قال نعم ، لأنهم مشوا لك في أمر لم يجز لهم  
الشي فيه ، ولست يباح أو يردوا جميعاً ، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين المهدي ،  
فاستغفرت مما قلته . .

فأمر موسى بردم جميعاً إلى الحبس ، وهو واقف مكانه حتى جاء السجنان ،  
فقال : قد رجعوا جميعاً إلى الحبس ، فقال لأعوانه : خذوا بلجام دابته بين يدي إلى  
مجلس الحكم ، ففروا به بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس في مجلس القضاء ،  
فجاءت المرأة المتظلمة ؛ فقال : هذا خصمك قد حضر ، فقال موسى وهو مع المرأة  
بين يديه : قبل كل أمر أنا قد حضرت ، أولئك يخرجون من الحبس ، فقال شريك :  
أما الآن فنع ! أخر جوم من الحبس ، فقال : ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة ؟ قال :  
صدقته ، قال : ترد ما أخذت منها ، وتنبئ حائطها سريماً كما كان . قال : أفعل  
ذلك ، قال لها : أبقى لك عليه دعوى ؟ قالت : لا ، وبارك الله عليك ، وجزاك  
خييراً . قال : قومي ، قامت من مجلسه .

فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه ؛ وقال : السلام  
عليك أيها الأمير ، أنامرُ بشيء ؟ فقال : بأي شيء أمر ؟ وضعتك ، فقال له شريك :  
أيها الأمير ، ذاك الفعل حق الشرع ، وهذا القول الآن حق الأدب ؛ فقام  
الأمير وانصرف إلى مجلسه .

٣١ — قاضٍ يطلب إقالته من القضاء\*

نقل أن عاقبة بن يزيد القاضى كان يلبى القضاء ببغداد للمهدى؛ فجاء فى بعض الأيام وقت الظهر للمهدى، وهو خالٍ، فاستأذن عليه، فلما دخل استأذنه فيمنّ يسلم إليه القمطر<sup>(١)</sup> الذى فيه قضايا مجلس الحكم، واستعفاه من القضاء، وطلب منه أن يُقيّله من ولايته.

فظن المهدي أن بعض الأولياء قد عارضه فى حكمه، فقال له فى ذلك: إنه إن كان قد عارضك أحد تُنكر عليه. فقال القاضى: لم يكن شيء من ذلك. قال: فما سبب استعفائك من القضاء؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ تقدّم لى خصمان منذ شهر فى قضية مُشكّلة، وكلّ يدعى بينة وشهوداً، ويدلّى بحُجج تحتاج إلى تأمل وتلبّث، فرددت الخصوم رجاء أن يضطّلعوا وأن يظهر الفصل بينهما، فسمع أحدهما أنى أحب الرطب، فعمد - فى وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب - فجمع رطباً لا يتهيأ الآن جمع مثله لأمر المؤمنين، وما رأيت أحسن منه، ورشاً بوّابى بدرهم على أن يَدْخِلَ الطَّبِقَ على.

فلما أدخله على أنكرت ذلك، وطردت بوّابى، وأمرت بردّ الطبق، فردّ عليه.

\* العقد الفريد للملك السعيد : ١٧٠

(١) ما تصان فيه الكتب .

فلما كان اليوم تقدّم الخصمان إلىّ فما تساويا في عيني ولا قلبي ؛ فهذا  
يا أمير المؤمنين ولم<sup>(١)</sup> أقبل ، فكيف يكون حالى لوقيت ، ولا آمن أن تقع علىّ  
حيلّة في ديني ، وقد فسد الناس ؛ فأقلني يا أمير المؤمنين ، أقالك الله ، وأعفى ، عفا  
الله عنك .

### ٣٢ — أبو دلامة وابن أبي ليلى القاضى \*

شهد أبو دلامة لجارة له عند ابن أبي ليلى<sup>(٢)</sup> القاضى على أتانٍ نازعها فيهارجل ،  
فلما فرغ من الشهادة ، قال لابن أبي ليلى : اسمع ما قلتُ قبل أن آتيك ، ثم أقضِ  
بما شئت . قال : هات ، فأشده :

إنّ الناسُ غَطَوْنِي تَمَطَّيْتُ عَنْهُمْ      وإنّ بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ  
وإنّ حَفَرُوا بَثْرِي حَفَرْتُ بِثَارَهُمْ      لِيُعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تِلْكَ النَّبَاثُ<sup>(٣)</sup>

فأقبل القاضى على المرأة وقال : أتبيعيّننى الأتان ؟ قالت : نعم . قال : بكم ؟  
قالت : بمائة درهم ! قال : ادفعوها إليها ، ففعلوا .

وأقبل على الرجل ، فقال : قد وهبتُها لك . وقال لأبي دلامة : قد أمضيتُ  
شهادتك ، ولم أبحثُ عنك ، وابتعتُ من شهدت له ، ووهبت ملكي لمن رأيتُ .  
أرضيت ؟ قال : نعم ، وانصرف .

\* معاهد التنصيص : ١ - ٢١١ ، الأغاني : ١٠ - ٢٣٨ .  
(١) جملة حالية ، والمعنى : فهذا ما حصل عندي ، مم أنى لم أقبل منه الهدية .  
(٢) ابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن قاضى الكوفة . (٣) النبائث : ما يستخرج من  
تراب البئر إذا حفرت .

٣٣ - صاحب شرطة المهدي مع الهادي \*

قال عبدُ الله بن مالك : كفت أتولى الشرطة للخليفة المهدي ، وكان يبعث إلى في ندماء ولده الهادي أن أضربهم وأحبسهم ، صيانةً للهادي عنهم ، فبعث إلى الهادي يسألني الرفق بهم ، والتخفيف في أمرهم ، فلا ألقتُ إلى ذلك ، وأنضى لما يأمرُ به المهدي . فلما ولي الهادي الخلافة أيقنتُ بالتلف ، فبعث إلى يومًا ، فحضرت ودخاتُ عليه متكفنا متحنطًا ، وإذا هو جالسٌ على كرسي والنطعُ والسيفُ بين يديه ، فسالتُ عليه ، فقال : لا سلمَ الله عليك ، تذكر يومًا بعثتُ إليك في أمر الحراني لما أمر أمير المؤمنين بضربه ، فلم تُجِبي ؟ وفي فلان وفلان - وجعل يمددُ ندماه .

قلتُ : نعم ، يا أمير المؤمنين ؛ أفتأذن لي أن أتكلم ؟ قال : نعم . قلت : أنشدتُك الله ! أسركَ أنك وليتني ما ولاني أبوك وأمرتني بأمر ؛ فبعثتُ إلى بعضُ ولدك بأمرٍ يخالفُ أمرك فاتبعتُ أمره ، وعصيتُ أمرك ؟ قال : لا . قلت : فكذلك أنا لك ، وكذلك كنتُ لأبيك .

فاستدناني فقبلتُ يده ، فأمر بخلع أبيضت علي ، وخرجتُ من عنده ، وصرتُ إلى منزلي مفكرًا في أمره وأمرى ، وقلت في نفسي : قد يحدث القوم بالأمر الذي عصيته فيه ، وهم ندماؤه ووزراؤه وكتابه ، فكأنني بهم قد أزالوه عن رأيه في وحلوه في أمرى علي ما كنتُ أتخوفه .

قال : فإني لجالس وبين يدي خبزٌ مشطورٌ بكامخ<sup>(١)</sup> ، وأنا أسخنه وأطعمه الصبية ، وإذا ضجّةٌ عظيمة ، حتى توهمت أن الدنيا قد اقتلعت وزلزلت من شدة وقع حوافر الخيل والدواب ، وكثرة الضوضاء ، فقلت : هاه ! والله قد جاء الأمر ، وإذا الباب قد فُتِح ، وإذا الخدم قد دخلوا ، وأمير المؤمنين الهادي في وسطهم . فلما رأيت به وثبت من مجلسي مبادراً ، قبّلتُ يده ورجله . فقال لي : يا عبد الله ! إني فكرت في أمرك بعد انصرافك ، فقلت : يَسْبِقُ إلى قلبك أني إذا جلستُ وحول أعداؤك الذين أسأت إليهم أزالوا ما حَسَنَ من رأيي فيك ، فأقلقك ذلك وأوحشك ، ومنعك القرار ، فصرتُ إلى منزلك لأؤانسك ، وأعلمك أن الوحشة قد زالت عن قلبي ، فهات فأطمني مما كنت تأكل ، وافعل فيه ما كنت تفعل ، حتى تعلم أن الوحشة قد زالت ، وقد تحرّمت<sup>(٢)</sup> بطعامك ، وأنستُ بمنزلك ، ليزولَ خوفك ووحشتك .

فأذّنت منه ذلك الرقاق والشكرجة<sup>(٣)</sup> التي فيها الكامخ ، فأكل ؛ ثم قال : هاتوا ما أحضرتموه لعبد الله من مجلسي . فأذّلتُ بغال<sup>(٤)</sup> كثيرة موقرة<sup>(٥)</sup> دراهم وأطعمة ، وقال : هذه لك فاستعين بها ، وهذه البغال أيضاً ، وقد وليتكَ ما كان أبي قد ولاك . ثم انصرف ، وصرتُ بعد ذلك أعد من صنائيه .

(١) الكامخ : نوع من الأدم . (٢) تحرم منه بجرمة : تمنع وتمنعى (٣) إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم ، وهي فارسية ، وأكثر ما يوضع فيه الكوامخ ونحوها .  
(٤) أوقر داجه : حليها :

٣٤ — لا أفلح قاض لا يقيم الحق\*

كان عبيد بن ظبيان<sup>(١)</sup> قاضي الرشيد بالرقّة - وكان الرشيد إذ ذاك بها - فبجاء رجل إلى القاضي ، فاستعداه<sup>(٢)</sup> على عيسى بن جعفر ، فكتب إليه القاضي ابن ظبيان : « أما بعد ، أبقى الله الأمير وحفظه وأتمّ نعمته ، فقد أتاني رجل فذكر أنه فلان ابن فلان ، وأن له على الأمير - أبقاه الله تعالى - خمسمائة ألف درهم ، فإن رأى الأمير أن يحضر مجلس الحكم ، أو يوكل وكيلاً يناظر خصمه ، أو يرضيه . فعل » .

ودفع الكتاب إلى رجل ، فأتى باب ابن جعفر ، فدفع الكتاب إلى خادمه . فواصله إليه ، فقال له : قل له : كل هذا الكتاب .

فوجع الرجل إلى القاضي ؛ فأخبره ، فكتب إليه : « أبقاك الله وأمتع<sup>(٣)</sup> بك ، حضر رجل يقال له فلان ابن فلان ، وذكر أن له عليك حقاً ، فسرّ معه إلى مجلس الحكم أو وكيلك إن شاء الله تعالى » .

ووجه الكتاب مع عونين<sup>(٤)</sup> من أعوانه ، فحضر باب عيسى بن جعفر ، ودفعا الكتاب إليه فغضب ، ورمى به . فانتقلقا ، فأخبراه فكتب إليه : « حفظك الله وأمتع بك ، لا بد أن تصير أنت أو وكيلك إلى مجلس الحكم ، فإن أبيت أنهيت أمرك إلى أمير المؤمنين - إن شاء الله » .

\* المقدم الفريد للملك السعيد : ١٧٤

(١) قاضي الرقة (٢) استعديت القاضي على الظالم : طلبت منه النصرة (٣) أبقاك الله ليستمتع بك (٤) العون : الظهير .

ثم وجه الكتاب مع رجلين من أصحابه ، فعمدا على باب عيسى بن جعفر حتى طلع ؛ فقاما إليه ، ودفعا إليه كتاب القاضي ، فلم يقرأه ، ورعى به ، فعادا فأبلغاه ذلك ، فحتم قمطره <sup>(١)</sup> ، وأغلق بابه ، وقعد في بيته .

فبلغ الخبر إلى الرشيد فدعاه ، وسأله عن أمره ، فأخبره الخبر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أعفني من هذه الولاية ، فوالله لا أفلح قاضٍ لا يُقيم الحق على القوى والضعيف ، فقال له الرشيد : مَنْ يَمْنَعُكَ من إقامة الحق ؟ فقال : عيسى بن جعفر ، فقال الرشيد لإبراهيم بن عثمان : سر إلى دار عيسى بن جعفر ، واختم أبوابه كلها ، لا يخرج منها أحدٌ ، ولا يدخل إليها أحد ، حتى يخرج إلى الرجل من حقه ، أو يسير معه إلى مجلس الحكم .

فأرسل إبراهيم إلى دار ابن جعفر بخمسمائة فارس ، وأغلق الأبواب كلها ، فتوهم عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده رأى في قتله ، ولم يعرف الخبر ، فجعل يكلم الأعوان من خلف الباب . وارتفع الصراخ في منزله ، وضح النساء .

ثم قال لبعض الأعوان من غلمان إبراهيم : ادع لي أبا إسحاق لأكلمه ، فأعلموه ، فجاء حتى وقف على الباب ، فقال له عيسى : وَيَحْتَكِ ما حالنا ؟ فأخبره خبر القاضي ابن ظبيان ، فأمر بإحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فأحضرت ، وأمر أن تدفع إلى الرجل . فجاء إبراهيم إلى الرشيد فأخبره . فقال : إذا قبض الرجل ماله ، فافتح أبوابه ، وعرفه أن مارأيته من سيرتك مع القاضي ؛ فإياك ومعارضته .

(١) القمطر : ما يسان فيه الكتب .

٣٥ — الغادرُ مخذولٌ \*

قال عمرو بن حفص مولى الأمين : دخلت على محمد الأمين في جوف الليل ،  
وكنتُ من خاصّته ، أصلُ إليه حيث لا يصل إليه أحد من مواليه وحشمه ،  
فوجدته والشمعُ بين يديه ، وهو يفكرُ ، فسلمتُ عليه فلم يردّ عليّ ، فعلمتُ أنه  
في تدبير بعضِ أموره ، فلم أزلُ واقفاً على رأسه ، حتى مضى أكثرُ الليل . ثم رفع  
رأسه إلى فقال : أحضر لي خزيمة بن خازم <sup>(١)</sup> ، فضيتُ إليه فأحضرتُه ، فلم يزل  
في مُناظرته حتى انقضى الليل ؛ فسمعتُ خزيمة وهو يقول : أنشدك الله يا أمير المؤمنين  
ألا تكون أول الخلفاء نكثَ عهده ، ونقضَ ميثاقه ، واستخفَّ يمينه ، وردَّ رأياً  
الخليفة قبله . فقال : اسكت ؛ لله أبوك ! فعبد الله بن خازم <sup>(٢)</sup> كان أفضلَ منك  
رأياً وأكملَ نظراً حيث يجتمع فحلان في هجمة <sup>(٣)</sup> .

ثم جمع وجوه القواد ، فكان يعرضُ عليهم واحداً واحداً ما اعتمزه قياً بونه ،  
وربما ساعده قوم ، حتى بلغ إلى خزيمة بن خازم ، فشاوره في ذلك ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ؛ لم ينصحك من كذّبك ، ولم ينشك من صدّقك ، لا تجرئُ  
القواد على الخلع فيخلموك ، ولا تحمّلهم على نكثِ العهد فينكثوا عهدك ويبيعتك ؛  
فإن الغادر مخذول والناكث مفلول .

\* عصر المأمون : ١ - ٢٠٤

(١) وال من أكبر القواد في عصر الرشيد والأمين والمأمون ، توفى سنة ٢٠٣ هـ .  
(٢) عبد الله بن خازم : كان من أشجع الناس ، له فتوح وغزوات ، وولى إمرة خراسان  
لبنى أمية ، توفى سنة ٧٢ هـ (٣) الهجمة من الإبل : ما بين السبعين إلى المائة .



٣٦ — رجل يُقاضي المأمون \*

دخل رجلٌ على المأمون <sup>(١)</sup>، وفي يده رقعةٌ فيها مظلمةٌ <sup>(٢)</sup> من أمير المؤمنين، فقال: أمظلمةٌ مني! فقال الرجل: فأخاطبُ يا أمير المؤمنين سواك! قال: وما هي ظلامتك؟ قال: إن سعيداً وكيلك اشترى مني جواهر بثلاثين ألف دينار. قال: فإذا اشترى سعيدٌ منك الجواهر تشكو الظلّامة مني! قال: نعم، إذ كانت الوكالةُ قد صحّت منك. قال: لعل سعيداً قد اشترى منك الجواهر، وحمل إليك المال، أو اشتراه لنفسه؛ وعليه فلا يلزمني لك حقٌّ، ولا أعرفُ لك ظلّامة. فقال له: إن في وصيّةِ عمر بن الخطاب لقضاتكم: «البيّنةُ على من ادّعى، واليمينُ على من أنكر». .

قال المأمون: إنك قد عدّمت البيّنة؛ فما يجبُ لك إلا حلفَةٌ، ولئن حلفتها لأنا صادقٌ؛ إذ كنتُ لا أعرفُ لك حقّاً يلزمني. قال: إذن أدعوك إلى القاضي الذي نصبته لرعيّتك. قال: نعم! يا غلام، على بيحيى بن أكرم <sup>(٣)</sup>، فإذا هو قد مثل بين يديّ، فقال له المأمون: اقضِ بيننا، قال: في حكمٍ وقضيّة؟ قال: نعم، قال: إنك لم تجعل ذلك مجلسَ قضاء. قال: قد فعلت.

\* عصر المأمون: ١ - ٣٤٦

(١) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد من أعظم خلفاء بني العباس وعلماهم وحكامهم، كان كريم الخلق عظيم الحلم محباً للعلم مؤثراً للحكمة، توفي سنة ٢١٨ هـ (٢) الظلّامة: ما تطلبه عند الظالم، وكذلك الظلّامة. (٣) بيحيى بن أكرم: فاض رفيع القدر، عالي الشهرة، من نبله الفقهاء، يتصل نسبه بأكرم بن صفيّ حكيم العرب، وولد المأمون قضاء البصرة وهو شاب، ثم قلده القضاء ببغداد. توفي سنة ٢٤٢ هـ.

قال : فإني أبدأ بالعامّة أولاً ليصلح المجلس للقضاء . قال : افعل .  
ففتح الباب وقعد في ناحية ، وأذن للعامّة ، ثم دُعِيَ بالرجل المتظلم ، فقال له  
يحيى : ما تقول ؟ قال : أقول : عليك أن تدعوا بمخصى أمير المؤمنين المأمون .  
فنادى النادى ؛ فإذا المأمون قد خرج ، ومعه غلام يحمل مصلى ، حتى وقف على  
يحيى وهو جالس ؛ فقال له : اجلس ؛ فطرح المصلى ليقعد عليها ؛ فقال له يحيى :  
يا أمير المؤمنين ؛ لا تأخذُ على خصمك شرف المجلس ، فطرح له مصلى ثم نظر  
في دَعْوَى الرجل ، وطالب المأمون باليمين خلفه ، ووثب يحيى بعد فراغ المأمون  
من يمينه ، فقام على رجليه ؛ فقال له المأمون : ما أقامك ؟ فقال : إني كنتُ في حقِّ  
الله عزّ وجلّ حتى أخذته منك ، وليس الآن من حقّي أن أتصدّر<sup>(١)</sup> عليك .  
ثم أمر المأمون أن يُحصّر ما ادعى الرجل من المال ، وقال له : خذه إليك ،  
والله ما كنتُ أحلفُ على فِجْرَةٍ<sup>(٢)</sup> ؛ ثم أسمح لك بالمال فأفسيدي ديني ودنياي ، والله  
يعلم ما دفعتُ إليك هذا المال إلا خوفاً من هذه الرعية ، لعلها ترى أنّي تناولتُك من  
وَجْهِ القُدْرَةِ ، وإنما لتعلم الآن أنّي ما كنتُ أسمحُ لك باليمين وبالمال .

(١) أتصدّر : أتقدم . (٢) حلف على فِجْرَةٍ : إذا ركب أمراً فيبغاً من بين كاذبة أو كذب .

٣٧ — لا يخلو أحدٌ من شَجَن<sup>(١)</sup> \*

دخل طاهر بن الحسين<sup>(٢)</sup> على المأمون ذات يوم في حاجة ، وكان المأمون - فيما قيل - في مجلس شراب ، فأمر برطلين من النبيذ ، ثم بكى المأمون ، واغرو زرقته عيناه ، فقال له طاهر : يا أمير المؤمنين ؛ لِمَ تبكي لا أبكي الله عينك ! فوالله ، لقد دانت لك البلاد ، وأدعن<sup>(٣)</sup> لك العباد ، وصرت إلى المحبة في كل أمرك . فقال : أبكي لأمرٍ ذكره ذلٌّ ، وسرته حزن ، ولن يخلو أحدٌ من شَجَن ، فتكلم بحاجة إن كانت لك .

فما زال طاهر بعد ذلك يتخذ الوسائل إلى معرفة السبب ، حتى وُقِّعَ بالمال إلى إغراء ساقٍ للمأمون أن يتعرف كنه ذلك السبب .

فلما تقدى المأمون ذات يوم قال لساقيه : يا حسين ؛ استغنى ، قال : لا والله لا أستقيك أو تقول : لم بكيت حين دخل عليك طاهر ؟ قال : يا حسين ؛ وكيف غنيت بهذا حتى سألتني عنه ؟ قال : لِعَمِّي بذلك . قال : هو أمرٌ إن خرج من رأسك قتلتك ، قال : ياسيدي ؛ ومتى أخرجتُ لك سرًّا قال : إلى ذكرت محمداً أخى ، وما ناله من الذلة ، فخنقتني العبيرة فاسترحت إلى الإفاضة ؛ وإن يفوت طاهراً منى ما يكره

فأخبر حسين الساق طاهراً بذلك فركب طاهراً إلى أحمد بن أبي خالد - وهو وزير

\* عصر المأمون : ١ - ٢٧٠

(١) الشجن : الهم والحزن . (٢) كان طاهر بن الحسين قائداً من قواد المأمون ، وهو الذي تولى قتل الأمين ونصب رأسه سنة ١٩٨ هـ . (٣) أى خضعوا لك .

المأمون - فقال له : إن الثناء مني ليس برخيص ، وإن المعروف عندي ليس بضائع ،  
فضيبي عن عين المأمون . فقال : سأفعل ؛ فبكر على غداً .

وركب ابنُ أبي خالد إلى المأمون ، فلما دخل عليه قال له : ما نمتُ الليلة ،  
فقال له : ولِمَ وَنَحْمَكَ ! قال : لأنك وليتَ غسانَ خراسان ، وهو ومن معه أكلتُ  
رأس<sup>(١)</sup> ، فأخاف أن يخرج عليك خارجة من الترك فيصطلمه<sup>(٢)</sup> .

قال : لقد فكرتُ فيما فكرتَ فيه . أفن ترى ؟ قال : طاهر بن الحسين -  
قال : ويحك يا أحمد ! قال : أنا الضامن له . قال له فأنفذه<sup>(٣)</sup> .

فدعا بطاهر من ساعته ، وجعله حاكماً على خراسان .

---

(١) يريد أن عددهم قليل ، يشبههم رأس واحد .  
(٢) اصطلمه : استأصله .  
(٣) المراد : أرسله ، ونفذ رأيك .

### ٣٨ - كيف يمتدّر إنسانٌ من كلام تكلم به!\*

حدّث أحمد بن أبي خالد الأحول أنه سمع المأمونَ يوماً - وعنده عليّ بن هشام ، وأخواه - ذكر عمرو بن مسعدة<sup>(١)</sup>، وقال : أيجسبُ عمرو أنى لا أعرف أخباره ، وما يُجيبَ إليه ، وما يعاملُ به الناس ! بلى والله ، ونهض وانصرفنا .

فقدتُ عمراً من ساعتى ، فخبّرتُه بما جرى ، وأنسيتُ أن أستحلّه من حكايته عني ، فراح عمرو إلى المأمون ، فظنّ المأمونُ أنه لم يحضُرْ إلا لأمرٍ مهمّ ، لموقعه من الرسائل والمظالم والوزارة ، فأذن له .

فلما دخل عليه وضع سيفه بين يديه ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ أنا عائدٌ بالله من سُخطه ، ثم عائد بك من سُخطك يا أمير المؤمنين ، أنا أقلُّ من أن يشكوا نى أمير المؤمنين إلى أحد ، أو يُيسرَّ علىّ ضيفنا بيعته بعضُ الكلام على إظهار ما يظهر منه .

فقال : وما ذاك ؟ فخبّره عمرو بما بلغه ، ولكنه لم يُسمِّ له مُخبّره . فقال المأمونُ : لم يكن الأمرُ كما بلغك ، وإنما كانت جملةً من تفصيلٍ كنتُ علىّ أن أخبرك به ، وإنما أخرج منى ما خرج معنّى تجارَيناه ، وليس عندى إلا ماتحبُّ ، فليُفْرخ رَوْعك<sup>(٢)</sup> ، وليجسُنْ ظنك . فأعدتُ الكلام ، فما زال يسكنُ منى ، ويطيب منى

\* عصر المأمون : ١ - ٣٤٢

(١) وزير المأمون وأحد الكتاب البغاة توفى سنة ٢١٧ هـ (٢) ليفرخ روعك : ليذهب رعبك وفرعك ، فإن الأمر ليس على ما تحاذر . قال الأزهرى : كل من لقيته من النعمانيين يقول : أفرخ روعه - بفتح الراء من روعه - إلا ما أخبرني به المنذرى أنه كان يقال : إنما هو أفرخ روعه - بضم الراء .

نفسى ، حتى ذهب بعض ما كان فى قلبى ، ثم بدأ فضئى إلى نفسه ، وقبّلت يده ، فأهوى ليعانقنى ؛ فشكرته ، وتبينتُ فى وجهه الحياء والحجل مما تأدى إلى .

قال أحمد : فلما غدوتُ على المأمون ، قال لى : يا أحمد ؛ أما لمجلسى حرمةً ! فقلتُ : يا أمير المؤمنين ؛ وهل الحرم إلا لما فصل عن مجلسك ! قال : ما أراكم ترَضون بهذه المعاملة فيما بينكم ! قلت : وأية معاملة يا أمير المؤمنين ؟ هذا كلام لا أعرفه ؛ قال : بلى ، أما سمعتَ ما كنّا فيه أمس من ذكر عمرو !

ذهب بعض من حضر من بنى هاشم فخبّره به ، فراح إلى عمرو ومُظهِراً منه ما وجب عليه أن يُظهِره ، فدفعتُ منه ما أمكن دَفَعُهُ ، وجعلتُ أعتذرُ إليه منه بمذِرٍ قد تبينَ فى الحجلُ منه ، وكيف يكونُ اعتذارُ إنسان من كلام قد تكلم به ! ألا يتبينُ فى عينيه وشفثيه ووجهه ! ولقد أعطيتُهُ ما كان يقنع منى بأقلِّ منه ، وما حدّانى عليه <sup>(١)</sup> إلا ما دخلنى من الخساسة ، وما كان قد نطق به اللسان من غير روية ولا احتمال مكروه به .

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ أنا أخبرتُ عمراً به ، لا أحدٌ من ولد هاشم ؛ فقال : أنت ! قلت : أنا ، فقال : ما حملت على ما فعلت ؟ فقلت : الشكرُ لك والنصحُ والحجة لأن تمَّ نعمتُك على أوليائك وخدمك ؛ أنا أعلمُ أن أمير المؤمنين يُحبُّ أن يصلح له الأعداء والبُعداء ، فكيف الأولياء والأقرباء ! ولا سيما مثل عمرو فى دُنوّه من الخدمة وموقعه من العمل ، ومكانه من رأى أمير المؤمنين ، أطل الله بقاءه !

سمعتُ أمير المؤمنين أنكر منه شيئاً فخبّرتُه به ليُصلحَه ، ويقومَ من نفسه أودها لسيده ومولاه ، ويتلافى ما فرط منه ، ولا يفسده مثله ؟ وإنما يكون ما فعلتُ

(١) ما حدّانى : ما بعثنى وحلنى .

عَيْبًا ، لو أَشَعْتُ سِرًّا فِيهِ قَدَحٌ<sup>(١)</sup> فِي السُّلْطَانِ ، أَوْ نَقَضُ تَدْبِيرٍ قَدْ اسْتَتَبَ ، فَأَمَّا  
مِثْلُ هَذَا فَمَا حَسِبْتُهُ يَبْلُغُ أَنْ يَكُونَ ذَنْبًا عَلِيًّا .

فَنَظَرَ إِلَى مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ قُلْتَ ؟ فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ : ثُمَّ قَالَ : أَعِدْ ، فَأَعَدْتُ ،  
فَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا أَحْمَدُ ، لَمَا خَبَّرْتَنِي بِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ ، وَأَلْفِ أَلْفٍ ،  
وَأَلْفِ أَلْفٍ .

وَعَقْدٌ مَخْنَصَرُهُ وَبِنِصْرِهِ وَالْوُسْطَى ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا أَلْفِ أَلْفٍ فَلَتَنَفِيكَ عَنِّي سَوْءُ  
الظَّنِّ - وَأَطْلَقَ وَسَطَاهُ - وَأَمَا أَلْفِ أَلْفٍ فَلِصِدْقِكَ إِيَّايَ عَن نَفْسِكَ - وَأَطْلَقَ  
الْبِنَصْرَ - وَأَمَا أَلْفِ أَلْفٍ فَلِحُسْنِ جَوَابِكَ - وَأَطْلَقَ الْخِنَصْرَ - وَأَمَّرَ لِي بِمَالٍ .

### ٣٩ — غَرَسُ يَدِي وَإِنْفُ أَدْبِي \*

قال رجل من إخوة المأمون له أمون : يا أمير المؤمنين ، إنَّ عبدَ الله بن طاهر<sup>(١)</sup> يميل إلى ولد أبي طالب ، وكذا كان أبوه قبله ؛ فدفع المأمون ذلك وأنكره ، ثم عاد بمثل هذا القول .

فدسَّ المأمون إلى عبد الله بن طاهر رجلاً . ثم قال له : امضِ في هيئة القراء والنسك إلى مصر ، فادعُ جماعةً من كبارها إلى القاسم بن إبراهيم بن طباطبا ، واذكُرْ مناقبه وعلمه وفضائله ، ثم صِرْ بعد ذلك إلى بعضِ بطانة عبد الله بن طاهر ، ثم ائتِه فادعُه ورغِّبه في استجابته له ، وابحثْ عن دَفِينٍ نِدْبَتِهِ بَحْثًا شَافِيًا ، واثْنِي بما تَسْمَعُ منه .

ففعل الرجلُ ما قال له وأسرَه به ، حتى إذا دعا جماعةً من الرؤساء والأعلام قعد يوماً بباب عبد الله بن طاهر ، ودفع رُقْعَةً إلى الحاجب ليوصلها إليه ، فأذن له ، فأدخله عليه وهو قاعد على بساطه ما بينه وبين الأرض غيره ، وقد مدَّ رجله وخُفَّاه فبهما ، فقال له : قد فهمتُ ما في رُقْعَتِكَ من جملة كلامك ، فهاتِ ما عندك .

قال : ولي أمانك وذمةُ الله معك ؟ قال : لك ذلك .

فأظهِر له ما أراد ، ودعاه إلى القاسم فأخبره بفضائله وعلمه وزُهدِه ، فقال له عبد الله : أتُنصِفُنِي ؟ قال : نعم ، قال : هل يجب شكر الله على العباده ؟ قال : نعم ،

\* عصر المأمون : ١ - ٣٣٧ .

(١) عبد الله بن طاهر : من أشهر الولاة في العصر العباسي ، ولاء المأمون خراسان ، كان عالي

الهمة شهياً نبيلاً توفي سنة ٢٣٠ هـ .



قال : فهل يجب شكرُ بعضهم لبعض عند الإحسان والمنّة والتفضل ؟ قال : نعم .  
قال : فتجئُ إليّ وأنا في هذه الحال التي ترى ؛ لي خاتم في المشرق وفي المغرب ،  
وفيما بينهما أمرى مطّاع وقولى مقبول ، ثم ما التفتُ يميني ولا شمالي وورائي وقدامي  
إلا رأيتُ نعمةً لرجل أنعمها عليّ ، ومنّة طوّق بها رقبتى ، ويداً لأئمة بيضاء ابتدأني  
بها تفضلاً وكرماً ، فتدعوّنِي إلى الكُفْرِ بهذه النعمة وهذا الإحسان ! وتقول : اغدِرْ  
بمن كان أوّلاً لهذا وآخرًا ! واسعَ في سفك دَمِهِ ! تراك لو دعوتنِي إلى الجنة  
عياناً من حيث أعلم ، أكان الله يُحِبُّ أن اغدِرَ به وأكُفِرَ بإحسانه ومنّته ،  
وأنكُتَ بيّمتَه !

فسكت الرجل ، فقال له عبد الملك : أما إنه قد بلغنى أمرُك ، وتالله ما أخاف  
عليك إلا نفسك ، فارحل عن هذا البلد ؛ فإن السلطانَ الأعظم إن بلغه أمرُك -  
وما آمن ذلك عليك - كنتَ الجانىَ على نفسك ونفسِ غيرك .

فلما يئس الرجل مما عنده جاء إلى المأمون فأخبره الخبر ، فاستبشر وقال : ذلك  
غرسُ يدي وإلفُ أدبي .

٤٠ — غَسَّانُ بن عَبَّادِ وَعَلِيٌّ بن عَيْسَى \*

كان بين غسان بن عباد وعلي بن عيسى عداوة عظيمة ، وكان علي بن عيسى ضامناً<sup>(١)</sup> أعمال الخراج والضَّياع ببلده ؛ فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار ، فألح المأمون عليه بطلبها ، إلى أن قال لعلي بن صالح الحاجب : أمهلهُ ثلاثة أيام ؛ فإن أحضر المال وإلا فاضربه بالسياط حتى يؤدي المال أو يتلف .

فانصرف علي بن عيسى من دار المأمون آيساً من نفسه ، وهو لا يدري وجهاً يتَّجِه إليه ، فقال له كاتبه : لو عرَّجت علي غسان بن عباد وعرفته خبرك لرجوت أن يعينك على أمرك ، فقال له : على ما بيني وبينه من العداوة ! قال : نعم ، فإن الرجل أَرْيَحِيٌّ كريم .

فدخل علي غسان ، فقام إليه وتلقاه بالجميل ، وأوفاه حقه من الخدمة ، ثم قال له : الحال الذي بيني وبينك كما علمت ، ولكن دخولك إلى داري له حرمةٌ توجب بلوغ ما رجوته مني ، فإن كانت لك حاجةٌ فاذْكُرْها .

فقصَّ عليه القصة ؛ فقال أرجو أن يكفيك الله تعالى ، ولم يزد علي ذلك شيئاً . فنهض علي بن عيسى ، وخرج آيساً نادماً على قَصْدِ غَسَّان ، وقال لكتابه : ما أفدَّتني بالدخول علي غَسَّان غير تعجيل الشبابة والهوان .

فلم يصل علي بن عيسى إلى داره حتى حضر إليه كاتبُ غسان ومعه البغالُ عليها مال ، فتقدَّم وسلّمه .

\* ثمرات الأوراق : ٢ - ٣٠ .

(١) ضمن الشيء : كفله .

وبكر إلى دار أمير المؤمنين ، فوجد غسان قد سبقه إليها ، ودخل على المأمون وقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن لعلي بن عيسى بحضرتك حرمةً وخدمةً وسالف أصل ، ولقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس ؛ وقد توعدته بضرب السياط بما أطار عقله وأذهب لُبّه ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يجيزني على حُسنِ كرمه ببعض ما عليه ؛ فهي صديعةٌ يجددها على تحرُّسٍ ما تقدّمها من إحسانه ؛ ولم يزل يتلطف إلى أن حطّ عنه النصف ، واقتصر على عشرين ألف دينار .

فقال غسان : على أن يجدد عليه أمير المؤمنين الضمان ، وبشرقه بخِلْمَةٍ تقوَّى نفسه ، وتُرهِف عزمه ، ويعرف بها مكان الرضا عنه . فأجابهُ المأمون إلى ذلك .

قال : فيأذن أمير المؤمنين أن أحمل الدواة إلى حضرته ليوقع بما رآه من هذا الإنعام ! قال : افعل ، فحمل الدواة إلى أمير المؤمنين ، فوقع بذلك . وخرج على ابن عيسى بالخِلْمَةِ ، والتوقيع بيده .

فلما حضر على بن عيسى إلى داره حمل من المال عشرين ألف دينار ، وأرسلها إلى غسان ، وشكر له جميل فعله معه . فقال غسان لكتابه : والله ما شفعتُ عند أمير المؤمنين إلا لتوقّر عليه وينتفع بها ؛ فامض بها إليه ، فلما ردّها كتبه إلى علي ابن عيسى علم قدر ما فعل معه غسان ، فلم يزل يعرفها له إلى آخر العمر .

٤١ - فِطْنَةٌ\*

كان المعتضد<sup>(١)</sup> يوماً جالساً في بيت يُبْنَى له ، وهو يشاهد الصنّاع ، فرأى في جلّتهم عبداً أسوداً مُنْكَرَ الخلق ، شديدَ اللّرح ، بصعد على السلالمِ مرّقتين<sup>(٢)</sup> مرّقتين ، ويحمل ضعف ما يحمل غيره . فأنكر أمره ، وأحضره ، وسأله عن سبب ذلك ، فتلجّج<sup>(٣)</sup> . فقال لوزيره : قد ختمت<sup>(٤)</sup> في هذا تخميناً ما أحسبه باطلاً ، إما أن يكون معه دنانيرٌ قد ظفّر بها من غير وجهها ، أو يكون لصّاً يتسكّر بالعمل . ثم قال : علىّ بالأسود ، فأحضره وضربه ، وحلف إن لم يصدقه ليضربنّ عنقه . فقال الأسود : ولي الأمان يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، إلا ما كان من حدّ ؛ فظنّ أنه قد أمّنه .

فقال : كنتُ أعمل في أتون الأجر منذ سنين ، فأنا منذ شهر جالس إذ مرّ بي رجل في وسطه كيس ؛ فتبعته وهو لا يعرف مكاني ، فخلّ الهميّان<sup>(٥)</sup> ، وأخرج منه ديناراً ، فتأملته فإذا كلّه دنانير ، فكشفتّه ، وسدّدتُ فاه ، وأخذت الهميّان ، وحملت على كتفي ، وطحرت في التنور ، وطيّنتُ عليه . فلما كان بعد أيام أخرجتُ عظامه وطحرتها في دجلة ، والدنانير معي تقوى قلبي .

فأرسل المعتضد من أحضر الدنانير ، وإذا على الكيس : « لفلان ابن فلان » فنادى في المدينة ، فحضرت امرأته ، وقالت : هذا زوجي ، وقد ترك طفلاً صغيراً ، خرج في وقت كذا ومعه كيس فيه ألف دينار ، فغاب إلى الآن ، فلم الدنانير إليها ، وضرب عنق الأسود ، وأمر أن يوضع في الأتون .

\* نهاية الأرب : ٣ - ١٥٠

- (١) بويح المعتضد للخلافة سنة ٢٧٧ وتوفي سنة ٢٨٠ هـ . (٢) السلالم : جمع سلم ، والمرقاة : الدرجة . (٣) اللجّجة . التردد . (٤) التخمين : القول بالحدس والظن . (٥) الهميّان : وعاء للدراهم .

٤٢ — لا تتبّع الهوى\*

قال عبد الرحيم بن القاضى إسماعيل بن إسحاق : كان فى حِجْرِ أبى يتيم فبلغ ، وله أمٌ ، وأختها فى دار الخليفة المعتضد بالله ، فقالت أمُّ اليتيم لأختها : كَلِّمى أمير المؤمنين حتى يرفعَ إسماعيلُ القاضى الحِجْرَ عن وِلى . فكلّمته ، فدعا المعتضد عبید الله بن سليمان بن وهب وزيره ، وقال له : قُلْ لإسماعيل القاضى يَفِكُ الحِجْرَ عن فلان . فقال القاضى : حتى أسألَ عنه ، وقام فسألَ عنه ، فلم يُخَبِرْ عنه برُشد ، فتركه .

ومضت على ذلك أيام ، فرجعت والدة الصبي إلى أختها ، وسألتهَا أن تعاودَ أمير المؤمنين ، وكان المعتضد لا يُعاوِدُ لخشونته ، فعاودته فقال : أَلستُ قد أمرتُ ! فقالت : لم يُرْفَعْ عنه الحِجْرُ بعد ، فدعا وزيره عبید الله ثانياً ، وقال : أمرتُك أن تأمرَ إسماعيلَ القاضى بأن يرفعَ الحِجْرَ عن فلان ! فقال : قد كنت قلت له ذلك ، فقال : حتى أسألَ عنه . فقال : قل له يرفعَ الحِجْرَ عنه . فدعا الوزير ثانياً ، وقال له : أميرُ المؤمنين يأمرُك أن ترفعَ الحِجْرَ عن فلان .

فأطرق القاضى ساعةً ، ثم استدعى دَوَاةَ ورقة ، وكتب شيئاً وختمه ، فاستمظم الوزيرُ أن يَنجِمَ عنه كتاباً ، ولم يقلْ له شيئاً لحلَّ إسماعيلَ من الِوَرَعِ والعلم ، ثم دفع ذلك للوزير ، وقال له : توصّل هذا إلى أمير المؤمنين فإنه جوابه .

فأخذَه الوزير ودخل على المعتضد ، وقال : زَعَمَ أن هذا جوابُ أمير المؤمنين ! ففتح المعتضد الكتاب ، وقرأه وألقاه ، وقال : لا تعاوذه فى هذا . فأخذ عبید الله

الوزير الكتاب، وإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . يادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَأَحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » .

٤٣ — هشام بن عبد الرحمن الداخل وأحد صنائعه \*

كان هشام<sup>(١)</sup> بن عبد الرحمن الداخل قاعداً لراحته في عُيَّة<sup>(٢)</sup> على النهر في حياة والده ، فنظر إلى رجل كنانى من قدماء صنائعه من أهل جِيَّان<sup>(٣)</sup> ، قد أقبل يُوضِعُ<sup>(٤)</sup> السير في الهاجرة ؛ فأنكر ذلك ، وقد شرَّأ وقع به من قبل أخيه سليمان - وكان والياً على جِيَّان - فأمر بإدخاله عليه ، فقال : مهيم<sup>(٥)</sup> يا كنانى ! فلا أمرٍ ما قدمت ا وما أحسبك إلا مزعجاً لشيء دَهَمَكَ .

فقال : نعم ياسيدي ، قَتَلَ رجلٌ من قومي رجلاً خطأ ، فقصدني أخوك بالاعتداء ؛ إذ عرف مكانى منك .

فمدَّ هشام يده إلى جارية كانت وراء الستر ، وقطع قِلَادَةَ كانت في نحرها ، وقال له : دونك هذا المقديا كنانى ، وشراؤه على ثلاث آلاف دينار ، فلا تُخْذَعَنَّ عنه ، وبعه وأدِّ عن نفسك وعن قومك ، ولا تُتَمَكَّنِ الرجل من اهتضامك<sup>(٦)</sup> .

\* فحح الطيب : ١ - ١٥٧

(١) ولد هشام سنة ١٣٩ هـ وتوفى سنة ١٨٠ هـ ، وكان من أشرف الناس نفساً ، وأكرمهم طبعاً ، وأكلمهم مروءة ، لم يعرف عنه هفوة في حديثه ، ولا زلة في أيام صباه ، وأهل الأندلس يشبهونه بعمر بن عبد العزيز . (٢) العلية : بالضم والكسر : القرفة . (٣) جيان : بلد بالأندلس . (٤) أوضع : أسرع . (٥) مهيم : كلمة استفهام : أى ما حالك وما شأنك أو ما وراءك ؟ (٦) هضم فلاناً واهتضمه : ظلمه وغصبه .

فقال : يا سيدي ؛ لم آتِك مُسْتَجِدِّيًّا ، ولا لضيق المال عما حَمَلْتُهُ ، ولكنني قُصِدْتُ بظلم صُراحٍ أحببت أن يظهر عليَّ عزُّ نصرِك ؛ وأثرُ ذبِّك وامتعاظك فأَتَمَّجِدُ<sup>(١)</sup> بذلك عند من يحسدني على الانتماء إليك .

فقال هشام : فما وجهُ ذلك ؟ فقال : أن تكتبَ إلي أخيك في الإمساك عني والقيام بدمتِك لي . فقال : أَمْسِكِ العِقد ، وركب من حينه إلى والده الداخل ، واستأذن عليه في وقت أنكره ، فانزعج ، وقال : ما أتى بأبي الوليد في هذا الوقت إلا أمر مُقَلِّق ، ائذنوا له .

فلما دخل سلم عليه ، ومثّل قائمًا بين يديه ، فقال له : اجلس يا هشام ، فقال : أصلح الله سيدي الأمير ! وكيف جلوسي بهمٍ وذلٌّ مُزِعِج ! وحقٌّ لمن قام مقامِي ألا يجلس إلا مطمئنًا ، ولن يُقَعِدَنِي إلا طيبٌ نفسِي بإسعاف الأمير لحاجتي ، وإلا رجعتُ على عَقِي . فقال له : حاشَ لك من انقلابك خائبًا ، فاقعدُ مُجَابًا مشفَعًا ؛ فجلس ، فقال له أبوه : فما الحدَثُ المُقَلِّقُ ؟ فأعلمه ؛ فأمر بحملِ الدية عنه ، وعن عشيرته من بيت المال ؛ فسرَّ هشام وأطنب في الشكر ، وكتب الأميرُ إلى ولده سليمان في ترك التمرض لهذا الكنانى .

ولما دخل الكنانى لوداع هشام قال له : يا سيدي ، قد تجاوزتُ بك حد الأمانة ، وبلغتُ غايةَ النصر ، وقد أغنى الله عن العِقدِ المبدول ، فتعيده إلى صاحبتة ؛ فأبى ذلك وقال : لا سبيل إلى رجوعه إلينا .

(١) تمجد : تفاخر ، وأظهر المجد .

## ٤٤ — قاضي لا يقبل شهادة خليفة\*

وكل سعيد بن عبد الرحمن الداخل عند ابن بشير القاضي وكيلا يُخَاصِمُ عنه لشيء اضطر إليه ، وكانت بيده وثيقة فيها شهادات شهود قد ماتوا ، ولم يكن فيهم من الأحياء إلا الأمير الحكم وشاهد آخر ، فشهد لسعيد ذلك الشاهد وضربت على وكيله الآجال في شاهد ثان ، وجدته به الخصاص ، فدخل سعيد بالكتاب على الحكم ، وأراه شهادته في الوثيقة - وقد كان كتبها قبل الخلافة في حياة أبيه - وعرفته حاجته إلى أداها عند قاضيه خوفاً من بطلان حقه .

وكان الحكم يعظم سعيداً عمه ويلتزم مبرته ، فقال له : يا عم ؛ إنا لسنا من أهل الشهادات ، وقد التبسنا من هذه الدنيا بما لا تجهله ، ونحشى أن توفقنا مع القاضي مَوْقِفٍ مَخْزَأَةٍ كُنَّا نَفْذِيهِ بملكنا ، فصر في خصامك حيث صبرك الحق إليه ، وعلينا رُدُّ ما انتقصك .

فأبى عليه وقال : سبحان الله ! وما عسى أن يقول قاضيك في شهادتك ، وأنت وليته ، وهو حسنة من حسناتك ؟ وقد لزمك أن تشهد لي بما علمته ، ولا تكتمني ما أخذ الله عليك .

فقال : بلى ؛ إن ذلك من حَقِّكَ كما تقول ، ولكنك تُدْخِلُ علينا به داخلة ، فإن أَعْفَيْتَنَا منه فهو أحبُّ إلينا ، وإن اضطررتنا لم يمكننا عقوبك .  
فعرزم عليه عزم من لم يشك أن قد ظفر بحاجته ، فأرسل الحكم عند ذلك إلى



فقيهن من فقهاء زمانه ، وخطَّ شهادته بيده في قرطاس ، وختم عليها بخاتمه ، ودفنها إلى الفقيهن ، وقال لها : هذه شهادتي بخطِّي ، فأدّياها إلى القاضي .

فأتياه بها إلى مجلسه وقتَ قعوده للسمع من الشهود ، فأدّياها إليه ؛ فقال لها : قد سمعتُ منك ، فقوماً راشدين في حفظ الله !

وجاء وكيل سعيد ، وتقدم إليه مُدِّلاً واثقاً ، وقال له أيها القاضي ؛ قد شهدَ عندك الأميرُ - أصلحه الله تعالى - فما تقول ؟ فأخذ كتابَ الشهادة ونظر فيه ، ثم قال للوكيل : هذه شهادةٌ لا تُقبَلُ عندي ، فجئني بشاهد عدل .

فدهش الوكيل ، ومضى إلى سعيد فأعلمه ، فركب من فورِهِ إلى الحكم ، وقال : ذهب سُلطاننا ، وأزيل بهاؤنا ؛ أو يجترئُ هذا القاضي على ردِّ شهادتك ، والله - سبحانه - قد استخلفك على عباده ، وجعل الأمر في دماهم وأمواهم إليك ! هذا ما يجب أن تحمّله عليه . وجعل يُغريه بالقاضي ويمجّزه على الإيقاع به .

فقال له الحكم : وهل شككتُ أنا في هذا يا عم ! القاضي زجل صالح ، لا تأخذه في الله لومةُ لائم ، فعل ما يجبُ عليه ويلزمه ؛ وسدّ دونه بابا كان يصعب عليه الدخول منه ، فأحسن الله جزاءه .

فغضب سعيد وقال : هذا حسي منك ! فقال له : نعم قد قضيتُ الذي كان لك علىّ ، ولستُ - والله - أعارضُ القاضي فيما احتاط به لنفسه ، ولا أخون المسلمين في قبض يدٍ مثله .



## البَابُ الثَّانِي

في القصص التي تصوّر احتفاظهم بأنسابهم ،  
واعترازهم بقبائلهم ، وتمجيدهم للأسلاف ، وتمديد  
ما تركوا من مآثر ، وما أدى إليه ذلك من  
مفاخرات ومنافرات .

٤٥ - خَاطَرْتُ عَلَى حَسْبِي وَحَسْبِكَ \*

خرج الحكم بن أبي العاصي ومعه عِطْرٌ يريد الحيرة - وكان بالحيرة ، سوقٌ  
يجمع إليها الناس كل سنة - فرّ في طريقه بحاتم بن عبد الله الطائي<sup>(١)</sup> ؛ فسأله  
الجوار في أرض طيبي حتى يصير إلى الحيرة ، فأجاره . ثم أمر حاتم بجزور فنحرت  
وطبخت ، ثم دعاهم إلى الطعام فأكلوا ، ولما فرغوا من الطعام طيَّبهم الحكم  
من طيبه .

وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأم رُبْعَ الطريق طعمه لهم ؛ لأن بنت  
سعد بن حارثة بن لأم كانت عنده .

ومر سعد بن حارثة بحاتم ومعه قومه من بني لأم ، فوضع حاتم سُفْرَتَهُ وقال :  
اطعموا حيّاكم الله ! فقالوا : من هؤلاء الذين معك يا حاتم ؟ قال : هؤلاء جبراني ،  
قال له سعد : فأنت تُجير علينا في بلادنا ! قال له : أنا ابن عمكم وأحق من لم  
تخفروا ذمته . فقالوا : لست هناك ! وأرادوا أن يفضحوه ، ووثبوا إليه ، وتناول  
سعد حاتمًا ، فأهوى له حاتم بالسيف ، فأطار أرنبه أنفه ، ووقع الشر حتى تمأجزوا ،  
ثم قالت بنو الأم لحاتم : بيننا وبينك سوق الحيرة فما جدك<sup>(٢)</sup> ؛ ثم وضعوا تسعة  
أفراس رهنا ، ووضع حاتم فرسه رهنا عند رجل من كلب ، وخرجوا حتى اتهموا  
إلى الحيرة .

\* الأغانى : ١٦ - ٩٥

(١) حاتم الطائي : فارس شاعر ، جواد ، يضرب المثل بجوده ، توفي نحو سنة ٤٥ ق . هـ

(٢) يقال : ماجده مجاداً : عارضه بالمجد فجده ، أى غلبه .

وسمع بذلك إياسُ بن قبيصة الطائي؛ فخاف أن يعينهم النعمانُ بن المنذر ويقيويهم بماله وسلطانه للصَّهر الذي بينهم وبينه؛ فجمع رهطه من بني حية، وقال: يا بني حية؛ إن هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مُمَاجِدَتِهِ؛ فقال رجل منهم: عندي مائة ناقة سوداء، ومائة ناقة حمراء أدماء<sup>(١)</sup>؛ وقام آخر فقال: عندي عشرة حصن؛ على كل حصان منها فارس مُدَجِّج<sup>(٢)</sup> لا يُرَى منه إلا عيناه. وقال حسان بن جبلة الخيري: قد علمت أن أبي قد مات وترك خيراً كثيراً، فعلى كل خمر ولحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة؛ ثم قام إياس فقال: على مثل جميع ما أعطيتكم كلُّكم - وحاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا.

وذهب حاتم إلى ابن عمه وهم بن عمرو - وكان مصارماً له لا يكلمه - فقالت له امرأته: أي وهم، هذا والله أبو سفانة - حاتم - قد طلع، فقال: مالنا ولحاتم! أثبتني النظر، فقالت: هاهو. قال: ويحك! هو لا يكلمني، فما جاء به إلي؟ ثم نزل حتى سلم عليه، فرد سلامه وحياه، ثم قال له: ميا جاء بك يا حاتم؟ قال: خاطرتُ على حسيك وحسبي، قال: في الرُّحْب والسَّعة، هذا مالي وعِدَّتُهُ تِسْعَمائة بغير، فخذها مائة مائة حتى تذهب الإبل أو تصيب ما تريد<sup>(٣)</sup>.

ثم إن إياس بن قبيصة قال لقومه: احمولوني إلى الملك - وكان به نقرس<sup>(٤)</sup> - فَحَمِلَ حتى أُدْخِلَ عليه، فقال: أنعم صباحاً، أبيت اللعن! فقال النعمان: وحياتك

(١) الأدمة في الإبل: لون مشرب سواداً أو بياضاً، والأني: أدماء (٢) اللدجج: الذي ليس سلاحه. (٣) وق وهم يقول حاتم:

ألا أبلغا وهم بن عمرو رسالة  
رأيتك أدنى الناس منا قرابة  
إذا ما أتى يوم يفرق بيننا  
بموت فكن ياوهم ذو يتأخر

وذو بمعنى الذي في لغة طي.

(٤) النقرس: ورم ووجع في مفاصل الكمين وأصابع الرجلين.

إليك . فقال إياس : أَعْمَدُ أَخْتَانِكَ <sup>(١)</sup> بالمال والخيل ، وجعلتَ بني ثعل في قعر الكِفَانَةِ ! أظنّ - أَخْتَانِكَ أَنْ يَصْنَعُوا بِحَاتِمٍ كَمَا صَنَعُوا بِعَامِرِ بْنِ جُوَيْنٍ <sup>(٢)</sup> ولم يشعروا أن بني حية بالبلد ! فإِنْ شئتَ وَاللَّهِ نَأْجِزُ نَأْكَ <sup>(٣)</sup> حتى يسفح الوادي دماً ، فليحضروا مجادهم <sup>(٤)</sup> غداً بمجمع العرب .

فعرف النعمان الغضبَ في وجهه وكلامه ، فقال له : يَا أَحْلَمْنَا ، لَا تَفْضَبْ فَإِنِّي سَأُكْفِيكَ . وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه ، وقال : انظُرُوا ابنَ عمِّكم حَاتِمًا فَأَرْضَوْهُ ، فوالله ما أنا بالذي أعطيتكم مالي تبذرونه ، وما أطيق بني حية .

فخرج بنو لآيم إلى حاتم وقالوا له : اعرض عن هذا المجداد ندع أرش <sup>(٥)</sup> أنفِ ابنِ عمِّنا . قال : لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ويغلب مجادكم . فتركوا أرشَ أنفِ صاحبهم وأفراسهم وقالوا : قبحها الله وأبعدها ! فعمد إليها حاتم فققرها وأطعمها الناس .

(١) أختان : جمع ختن ، وهو الصهر (٢) كانت بنو لآيم فضحت عامر بن جوين في مجادة .  
(٣) المناجزة : المقاتلة (٤) ماجده مجاداً : عارضه بالمجد (٥) الأرش : الدية .

٤٦ — لا تجملن هوازنا كمذحج\*

اجتمع يزيد بن عبد اللذان وعامر بن الطَّفِيل بموسم عُكاظ ، وقدم أمية<sup>(١)</sup> ابن الأسكر الكنانى ، وتبعته ابنة له من أجل أهل زمانها ؛ فخطبها يزيد وعامر فقالت أم كلاب امرأة أمية : مَنْ هذان الرجلان ؟ فقال : هذا يريد بن عبد اللذان ، وهذا عامر بن الطفيل ، فقالت : أعرفُ بنى الديان<sup>(٢)</sup> ، ولا أعرفُ عامراً . فقال : هل سمعتِ بملاعب الأسنة<sup>(٣)</sup> ؟ فقالت : نعم ، قال : فهذا ابنُ أخيه . وأقبل يزيد يفاخر خصمه ، فقال : يا أمية ، إن ابنَ الديان صاحب الكتيبة ورئيس مذحج ، ومن كان يصبو أصابعه فتنتطف<sup>(٤)</sup> دماً ، ويدلُّك راحتيه فتخرجان ذهباً .

فقال أمية : بخ بخ ! مرعى ولا كالسعدان<sup>(٥)</sup> !  
فقال يزيد : يا عامر ؛ هل تعلم شاعراً من قومي سار بمدحةٍ إلى رجل من قومك ؟ قال : اللهم لا !  
قال : فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي ، قال :  
اللهم نعم !

\* الأغاني : ١٠ - ١٣٨

(١) هو أمية بن حزنان بن الأسكر ، ينتهى نسبه إلى نزار ، وكان شاعراً فارساً مخضرمأ أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان من سادات قومه وفرسانهم وله أيام مأتورة مذكورة .  
(٢) بنو الديان : قبيلة يزيد . (٣) ملاعب الأسنة : عامر بن مالك ، فارس قيس ، وأحد أبطال العرب فى الجاهلية توفى نحو سنة ١٠ هـ . (٤) تنطف : تسيل . (٥) ذهب مثلها ، والسعدان نبت من أفضل مراعيهم .

قال : فهل لكم نَجْمُ يمان أو بُرْدُ يمان أو سَيْفُ يمان أو رُكنُ يمان ؟ قال : لا ،  
قال : فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟ قال : نعم .  
فنهض يزيد وأنشأ يقول مخاطباً أبا البنت :

أمي يا بن الأسكر بن مُدْلِجٍ لا تجعلن . هوازنا كمدحج  
إنك إن تلهج بأمرٍ تلجج ما النبع<sup>(٢)</sup> في مغرسه كالعوسج  
\*ولا الصريح المحض كالمزج\*

فزوج أمية يزيد بن عبد المدان ابنته ، ثم لجج التهاجي بين الرجلين .

---

(١) بنو مدلج : قبلة من كنانة  
(٢) النبع شجر تتخذ منه القسي ، ومن أغصانه السهام  
والعوسج : شجر من شجر الشوك .



٤٧ — يتنازعان الزمامة \*

لما سَنَّ أبو براء عامر بن مالك ، تنازع في الرياسة عامرُ بن الطفيل <sup>(١)</sup> ،  
وعَلَمَةُ <sup>(٢)</sup> بن عَلَانة .

فقال علقمة : كانت : لجدِّي الأخوص وإنما صارت لعمك بسببه ، وقد قعد  
عمك عنها ، وأنا أسترِجُها ، فأنا أولى بها منك ؛ فشرى <sup>(٣)</sup> الشرَّ بينهما ، وسارا  
إلى المنافرة .

فقال علقمةُ : إن شئتَ نافرْتُك ، فقال عامر : قد شئتُ ، والله إني لأَكْرَمُ  
منك حَسَبًا ، وأثبتُ منك نَسَبًا ، وأطولُ منك قَصَبًا <sup>(٤)</sup> .

فقال علقمة : والله لأنا خيرُ منك ليلاً ونهاراً . فقال عامر : والله لأنا أنحرُّ  
منك للقاح <sup>(٥)</sup> ، وخيرُ منك في الصباح ، وأطعمُ منك في السنة الشياح <sup>(٦)</sup> .

فقال علقمة : أنا خيرُ منك أثراً ، وأحدُ منك بصراً ، وأعزُّ منك فقراً ،  
وأشرفُ منك ذِكْراً .

\* الأغاني : ١٥ - ٥٠ ، مهذب الأغاني : ٢ : ٦٨ ، نهاية الأرب : ٣ - ٢٧٢ ، بلوغ  
الأرب : ١ : ٢٨٦

وهذه القصة اختلفت رواياتها - اختلافاً كثيراً جعلنا الروايات يكمل بعضها بعضاً .  
(١) من بني عامر بن صعصعة ، فارس قومه ، وأحد فتاك العرب وشعرائهم ، ولد ونشأ  
ببجد ، كريماً شجاعاً ، وفد على رسول الله يريد اللدبر به ولم يسلم ، فات في طريقه قبل أن يبلغ  
قومه سنة ١١ هـ (٢) علقمة بن علانة : كان في الجاهلية من أشرف قومه ، أسلم ، وارتد في  
أيام أبي بكر فانصرف إلى الشام ، ثم عاد إلى الإسلام ، توفي نحو سنة ٢٠ هـ (٣) شري :  
استطار (٤) يريد طول القامة ، والقصب أيضاً ثياب تتخذ من كتان رفاق ناعمة ، وهو كناية  
عن الرفاهية والنعمة ورغد العيش (٥) اللقاح : الإبل (٦) الشياح : القطط .

فقال عامر: ليس لبني الأَخْوَصِ فضلٌ على بني مالك في العدد ، وبصرى ناقصٌ ، وبصرُك صحيحٌ ، ولكني أَنافِرُك ؛ وإني أَسَمِيْ مِنْكَ سُمَّةً <sup>(١)</sup> ، وأطولُ مِنْكَ قَمَّةً ، وأحسنُ مِنْكَ أَمَّةً <sup>(٢)</sup> ، وأجعدُ مِنْكَ جُمَّةً <sup>(٣)</sup> ، وأمرعُ مِنْكَ رَحْمَةً ، وأبعدُ مِنْكَ هِمَّةً .

فقال علقمة: أنت رجلٌ جسيمٌ ، وأنا رجلٌ قَضيْفٌ <sup>(٤)</sup> ، وأنت جميلٌ ، وأنا قبيحٌ ، ولكني أَنافِرُك بآبائي وأعمامي .

فقال عامر: آباؤُك أعمامِي ، ولم أكنْ لِأَنافِرُك بِهِمْ ، ولكني أَنافِرُك ؛ أنا خيرٌ مِنْكَ عَقِبًا ، وأطعمُ مِنْكَ جَدَبًا .

فقال علقمة: قد علمتُ أن لك عَقِبًا ، وقد أطعمت طَيِّبًا ، ولكني أَنافِرُك ؛ إني خيرٌ مِنْكَ ، وأولى بالخيرات مِنْكَ .

فخرجت أمُّ عامرٍ - وكانت تَسْمَعُ كَلَامَهُمَا ، فقالت: يا عامر ، نافرُهُ أَيُّكُمَا أولى بالخيرات .

قال عامر: والله إني لأزكَبُ مِنْكَ فِي الحُمَاءِ ، وأقتلُ مِنْكَ للكُمَاءِ <sup>(٥)</sup> ، وخيرٌ مِنْكَ للمولى والمولاة .

فقال له علقمة: والله إني لَكَبْرٌ وَإِنِّكَ لَفَاجِرٌ ، وإني لَوَلُودٌ وَإِنِّكَ لِعَاقِرٌ <sup>(٦)</sup> ، وإني لعَفٌّ وَإِنِّكَ لِعَاهِرٌ ، وإني لَوَفِيٌّ وَإِنِّكَ لِعَادِرٌ ، فقيمُ تَفَاخُرِي يَا عامرُ؟ فقال عامر: والله إني لَأَنْزَلٌ مِنْكَ لِلْقَفْرَةِ <sup>(٧)</sup> ، وَأَنْحَرٌ مِنْكَ لِلْبَكْرَةِ <sup>(٨)</sup> ، وأطعمُ مِنْكَ لِلتَّهْبَرَةِ <sup>(٩)</sup> ، وأطعمُ مِنْكَ لِلشُّعْرَةِ .

(١) السمة: القرابة (٢) اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن (٣) الهجة: مجتمع شعر الرأس (٤) قضيْف: نحيف (٥) الكمأة: جمع كمي ، وهو الشجاع (٦) رجل عاقر: لم يولد له ولد (٧) القفرة: الحلاء من الأرض (٨) البكرة: القنية من الإبل (٩) الهبرة: القطعة المجتمعة من اللحم .

فقال علقمة : والله إنك للكليلُ البصر ، نكدُ النظر .  
فقال بنو خالد بن جعفر - وكانوا يداً مع بني الأخوص على بني مالك بن جعفر :  
لن تطيقَ عامراً ؛ ولكن قل له أنا فِرْكُ بخيرنا وأقر بنا إلى الخيرات .

فقال له علقمة هذا القول ؛ فقال عامر : غَيْرُ وتَيْسٌ <sup>(١)</sup> وتَيْسٌ وَعَزْزٌ . نعم ، على  
مائة من الإبل إلى مائة من الإبل يُعطأها الحكم أئنا نفرَ عليه صاحبه أخرجها ؛  
ففعلوا ذلك ، ووضعوا بها رهنا من أبنائهم على يدي رجل يقال له خزيمة بن عمرو ،  
فسمى الصميين .

وخرج علقمة ومن معه من بني خالد ، وخرج عامرُ فيمن معه من بني مالك ،  
وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية ، فلم يقل بينهما شيئاً ، وكره  
ذلك لخالها ، وحال عشيرتهما ، وقال : أنما كرُكبتَي البعير الأذرم <sup>(٢)</sup> . قالا : فأئنا  
اليمين ؟ قال : كلا كما يمين ؛ وأبى أن يقضىَ بينهما .

فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام ، فأبى أن يحكم بينهما ، وقد كانت العرب  
تحاكمُ إلى قريش ، فأتيا عيينة بن حصن بن حذيفة ، فأبى أن يقولَ بينهما شيئاً ،  
فأتيا غيلان بن سلمة الثقفي ، فردهما إلى حرمة بن الأشعر المري ، فأبى أن  
يقول شيئاً .

ثم تداعيا إلى هرير بن قطنبة ليحكم بينهما ، فرحلا إليه ، ومع كل واحد منهما  
ثلاثمائة من الإبل : مائة يطعمها من تبعه ، ومائة يعطيها للحاكم ، ومائة تُعقرُ إذا

(١) العير : الحمار ، وغلب على الوحش ، وهو أقوى من التيس ، أي مثل وإياك كالعير والتيس ،  
أو على الأقل كالتيس والعز ، إذ التيس أقوى على النطاح من العز (٢) درم العظم : واره  
اللحم حتى لم يبق له حجم .

حكّم ؛ فأبى هرم بن قُظنة أن يحكم بينهما مخافة الشرِّ ، وأبياً أن يرتحلا ، فقال هرم :  
لعمرى لأحكمن بينكما ، ثم لأفضلن ، فأعطينى موثقاً أطمئن إليه أن ترَضياً بما  
أقول ، وتُسَلِّما لما قضيتُ بينكما ، وأمرها بالانصراف ووعدهما يوماً . فانصرفا  
حتى إذا بلغ الأجلُ خرجا إليه ، وأقام القومُ عنده أياماً .

فخَلَّاهرم بمَلْمَعة ، وقال له : أترجو أن ينفرك<sup>(١)</sup> رجلٌ من العرب على عامرٍ  
فارسٍ مضرٍ ؛ أنذى الناس كفاً وأشجهم لقاءً ، لَسِنَانُ رُمَحِ عامرٍ أذْ كَرُ في  
العرب من الأحوص ، وعمه مُلَاعِبُ الأسنه .

فقال له علقمة : أنشدك الله والرحم ألا تُنفّر على عامراً ! اجزُرْ ناصيتي ،  
واحتكم في مالي ، وإن كنت لا بد أن تفعل فسوِّ بيني وبينه . فقال ، انصرف ،  
فسوف أرى رأيي ؛ فخرج وهو لا يشكُّ أنه سيفضّلُ عليه عامراً .

ثم خلا بعامر فقال له : أعلَى علقمة تَفَخَّرَ ؟ أنت تناوته ! أعلَى ابن عوف بن  
الأحوص ؛ أعفّ بنى عامر ، وأيمهم نقيبة ، وأحلمهم وأسودهم ؛ وأنت أعورُ عافر  
مَشْثوم ! أما كان لك رأيٌ يَزَعُك<sup>(٢)</sup> عن هذا ! أكنتَ تظن أن أحداً من العرب  
مُيَنفَرُكُ عليه ؟ فقال عامر : نَشَدْتُكَ اللهُ والرحم ألا تفضّل على علقمة ! فوالله  
إن فعلت لا أفلح بعدها أبداً ، هذه ناصيتي فاجزُرْها ، واحتكم في مالي ، فإن  
كنت لا بدّ فاعلا فسوِّ بيني وبينه . قال : انصرف فسوف أرى رأيي ، فخرج عامر  
وهو لا يشكُّ أنه ينفّرُه عليه .

ثم إن هَرِمًا أرسل إلى بنيه وبنى أبيه : إني قائلٌ غداً بيني وبين الرجلين  
مقالة ، فإذا فعلتُ فليطرد بعضكم عشر جزائر<sup>(٣)</sup> فليتنحرها عن علقمة ، ويطرد

(١) نفره عليه : قضى له عليه بالغبية (٢) يزعك : يردك (٣) جزائر : جمع جزور

بعضكم عشر جزائر لينحروها عن عامر ، وفرّقوا بين الناس لا تكون لهم جماعة .  
فلما اجتمعا وحضر الناس للقضاء قام هرّم ، وقال : يا بني جمعقر ، قد تحاكمتما  
صندي ، وأنتما كرّ كبتى البعير الأذرم ، تقعان إلى الأرض معاً ، وليس فيكما أحد  
إلا وفيه ماليس في صاحبه ، وكلا كما سيّد كريم .

وعند بنو هرّم وبنو أخيه إلى تلك الجزر فنحروها حيث أمرهم هرّم ، وفرّقوا  
الناس ، ولم يُفضّل هرّم أحداً منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل - وهما ابنا عم -  
فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرّاً .

فارتحلوا عن هرّم لما أعيام نحو عكاظ ، فلقبهم الأعشى منحدرّاً من اليمن -  
وكان لما أرادها قال لعلمة : اعقد لى حبلاً<sup>(١)</sup> ، فقال : أعقد لك من بنى عامر !  
قال : لا يُغنى عنى . قال : فمن قيس ! قال : لا . قال : فما أنا بزائدك . فأتى عامر بن  
الطفيل ، فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف تُجيره من أهل السماء ؟  
قال : إن مات ودَيْتُهُ<sup>(٢)</sup> - فقال الأعشى لعامر : أظهر أنكما حكمتأني ، ففعل ؛  
فقام الأعشى ؛ فرفع عقيرته<sup>(٣)</sup> في الناس فقال :

حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ      أَبْلَجُ مِثْلُ الْقَمَرِ الزَّاهِرِ  
لَا يَأْخُذُ الرَّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ      وَلَا يَبَالِي خُسْرَ الْخَاسِرِ  
عَلِمَ لَا ؛ لَسْتَ إِلَى عَامِرِ النَّاقِضِ الْأَوْتَارِ      وَالْوَاتِرِ  
وَاللَّابِسِ الْخَلِيلِ بِخَيْلٍ إِذَا      نَارَ عَجَاجِ الْكَبَّةِ<sup>(٤)</sup> النَّائِرِ  
إِنْ نَسُدَّ الْحَوْصُ فَلَمْ تَعْدُمْ      وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ  
سَادَ وَالْفِي رَهْطُهُ سَادَةً      وَكَبِيرَ آسَادُوكَ عَنِ كَابِرِ

(١) يريد جواره . (٢) دفعت ديتة (٣) عقيرته : صوته (٤) الكبة : الدفعة في القتال والحلة في الحرب .

وشدَّ القومُ في أعراضِ الإبلِ المائةِ فمقروها ، وقالوا : نُفِرَ عامرٌ وذُهِبَ بها  
الغوغاءُ ، وجهدَ علقمةُ أن يردَّها فلم يقدر على ذلك ، فجعل يهددُ الأعشى فقال :

أناي وعيْدُ الخوصِ من آلِ عامرٍ      فيا عبدَ عمرٍو لو نَهَيْتَ الأحواصاً !  
فاذنبُنا إن جاشَ بحرُ ابنِ عمِّكم      وبحركِ ساجٍ<sup>(١)</sup> لا يوارى الدَّعامِصاً<sup>(٢)</sup>  
كلا أبويكم كان فرعونى دِعامَةً      ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصاً  
تبيتون في المَشْتَى ملاءِ بطونكم      وجاراتكم غرثى<sup>(٣)</sup> يبتنَّ سخائصاً<sup>(٤)</sup>  
يراقبنَ من جوعٍ خِلالَ مخافةِ      نجومِ العِشاءِ العائمتِ الغوامِصاً<sup>(٥)</sup>  
رمى بك في أخرامٍ تركت الندى      وفضلَ أقواماً عليك مراهِصاً<sup>(٦)</sup>  
فعضَّ حديدَ الأرضِ إن كنت ساخطاً      بفيك وأحجارَ الكلابِ الرِّوهِصاً<sup>(٧)</sup>

فبكى علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار .

(١) سجي : سكن (٢) الدموس : دويبة أو دودة سوداء تكون في الغدران إذا قل ماؤها  
(٣) غرث : جاع (٤) الخائس : جمع خيصة ، ضال ، البطن : أى من شدة الجوع .  
(٥) الغميصاء : إحدى الشعرين ، قال في القاموس : من أحاديثهم : إن الشعرى العبور قطعت  
المجرة فسميت عبوراً وبكت الأخرى على أنرها حتى غمضت ، ويقال لها الغموس أيضاً (٦) راهس  
غريمه : راصده ؛ قال في القاموس : وللراهم لم يسمع بواحدها (٧) الكلاب : موضع ،  
والرواهس من الحجارة التي تنكب الدواب ، والصخور الثابتة .

٤٨ — أَنْتَ لَهُ\*

قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ بَنِي جَعْفَرٍ عَلَى النِّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، عَلَيْهِمْ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ مَلَاعِبُ  
الْأَسْتَةِ ، وَفِيهِمْ لَيْبِدٌ<sup>(١)</sup> بْنِ رَبِيعَةَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ غَلَامٌ لَهُ ذُوَابَةٌ ، فَضْرَبَ النِّعْمَانُ قُبَّةً  
وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ النَّزْلَ<sup>(٢)</sup> ، فَجَعَلُوا يَتَقَدُّونَ إِلَى النِّعْمَانِ وَيَرُوحُونَ وَيَتْرَكُونَ لَيْبِدًا فِي  
رِحَالِهِمْ ، يَحْفَظُ أَمْتَمَتَهُمْ وَيَقْدُوا بِإِبْلِهِمْ فَيُرْعَاها ، فَإِذَا أَمْسَى الْمَسَاءُ انْصَرَفَ بِهَا .  
وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ الْعَبْسِيُّ يُنَادِمُ النِّعْمَانَ وَبِصَادِقِهِ ، وَيَتَقَدَّمُ عَلَى مَنْ سِوَاهُ ،  
فَكَانَ إِذَا خَلَا بِالنِّعْمَانَ طَعَنَ فِي بَنِي جَعْفَرٍ وَذَكَرَ مَعَابِيَهُمْ لِمَدَاوَةِ قَدِيمَةٍ كَانَتْ بَيْنَ  
عَبْسٍ وَبَنِي جَعْفَرٍ ، وَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا حَتَّى أَثَرَ فِي نَفْسِ النِّعْمَانَ ، فَزَنَعَ الْقُبَّةَ عَنْهُمْ ،  
وَقَطَعَ النَّزْلَ .

وَدَخَلُوا عَلَيْهِ يَوْمًا ، فَرَأَوْا مِنْهُ جَفَاءً ؛ فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ غَضَابًا ، وَهَمُّوا  
بِالْانْصِرَافِ .

وَبَيْنَمَا هُمْ يَتَذَاكِرُونَ أَمْرَ الرَّبِيعِ سَمِعَهُمْ لَيْبِدٌ فَقَالَ لَهُمْ : مَا لَكُمْ تَتَنَاجَوْنَ !  
فَكَتَمُوهُ ، وَقَالُوا لَهُ : إِلَيْكَ عَنَّا . قَالَ : أَخْبِرُونِي ، فَلَمَلَّ لَكُمْ عِنْدِي فَرَجًا ،  
فَرَجَرُوهُ ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَحْفَظُ لَكُمْ مَتَاعًا ، وَلَا أُشْرِحُ<sup>(٣)</sup> لَكُمْ بَعِيرًا  
أَوْ تَخْبِرُونِي .

فَقَالُوا لَهُ إِنْ خَالَكَ الرَّبِيعُ - وَكَانَتْ أُمُّ لَيْبِدٍ عَبْسِيَّةً ، وَكَانَتْ يَتِيمَةً فِي جِحْرِ

\* الخزانة : ٤ - ١٧١ ، مجع الأمثال : ٢ - ٤٢ ، الأغاني : ١٤ - ١٩٢ ، ١٦ - ٢٢ ،  
اللسان - مادة سمل .

(١) لبيد بن ربيعة : أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، أدرك الإسلام ، وعاش  
عمرًا طويلًا ، وتوفى سنة ٤١ هـ . (٢) النزول : الطعام (٣) سرح الماشية وسرحت بنفسها .

الربيع - قد غلبنا على الملك ، وصدَّ عنا وجهه ! فقال لهم : هل تقدرن أن تجمعوا بيني وبينه غداً حين يقعدُ الملك ، فأرْجُزَ به رجراً مُحصَّاً مؤلماً ، لا يلتفت إليه النعمانُ بعده أبداً ؟ قالوا له : وهل عندك ذلك ؟ قال : نعم ، قالوا : إنا نَبْلُوكَ بِشْتَمِ هذه البَقْلَةِ - وقدأمهم بَقْلَةٌ دَقِيقَةُ القَضبان (١) ، قليلة الورق ، لا صقَّةُ فروعها بالأرض تُدعى التُّرْبَةُ (٢) .

فاقتلهم من الأرض ، وأخذها بيده ، وقال : هذه التربة التي لا تُذْكِ (٣) ناراً ، ولا تُؤْهِلُ داراً ، ولا تُسُرُّ جاراً ، عودُها ضئيل ، وفرعها كليل (٤) ، وخيرها قليل بَلْدُها شاسع ونَبْتُها خاشع (٥) ، وآكلها جائع ، والمقيمُ عليها ضائع ؛ أقصرُ البقولِ فَرَعًا ، وأخبثُها مرعى ، وأشدُّها قَلْعًا ، فَحَرَبًا لها وجدعًا (٦) ! القوا بي أخا عبس ، أرجعه عليكم بتعس (٧) ونُكس ، وأتركه من أمره في لبس .

فقالوا : نُصْبِحُ فترى فيك رأينا . فقال لهم عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ؛ فإن رأيتموه نائمًا فليس أمرُه بشيء ، إنما يتكلمُ بما جرى على لسانه ويَهْدِي بما يَهْجِسُ في خاطره ، وإن رأيتموه ساهرا فهو صاحبكم !

فرمقوه بأبصارهم ، فوجدوه قد رَكِبَ رَحْلاً يَكْدِمُ (٨) واسطته حتى أصبح

فلما أصبحوا قالوا : أنت والله صاحبُه . وحلقوا رأسه ، وتركوا له ذؤابتين ،

وألْبَسُوهُ حُلَّةً ، وغدوا به معهم .

(١) القضبان : الأغصان (٢) التربة . نبت سهل ، والبقل : ما نبت من بزره لا من أرومة نائية ، والبقلة واحدة (٣) أذكى النار : أوقدها (٤) كليل : ضعيف غير صليب . (٥) خاشع : دان من الأرض (٦) جدعا : قطعاً (٧) النكس : الهلاك . (٨) كدمه : عضه بأذنيه أو أثر فيه بمعدية .



فدخلوا على النعمان ، فوجدوه يتفدَّى ومعه الربيع ، ليس معه غيره ، والدارُ  
والجالس مملوءة من الوفود .

فلما فرغ من الغداء ذكروا له حاجتهم ؛ فاعترضهم الربيعُ في كلامهم ، فقال  
لبيد - وقد دهن أحد شِقَيْ رَأْسِهِ ، وَأَرْخَى إِزَارَهُ ، وَاثْتَعَلَ نَعْلًا : آيَةُ اللَّعْنِ !  
أَتَأْذِنُ لِي فِي الْكَلَامِ ؟ فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ (١) :

لا تَرْجِرِ الْفَتِيانَ عَنِ سُوءِ الرَّعَّةِ (٢)      ياربِّ هَيْجَا (٣) هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَا  
فِي كُلِّ يَوْمٍ هَامَتِي مُقَرَّعُهُ (٤)      نحنُ بَنُو أُمِّ الْبَنِينِ (٥) الْأَرْبَعَةِ  
نحنُ خِيَارُ عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ      الْمُطْعِمُونَ الْجَنْفَنَةَ الْمَدْعَدَةَ (٦)  
وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَمَةِ (٧)      يَا وَاهِبَ الْمَالِ الْجَزِيلِ مِنْ سَعَةِ  
إِلَيْكَ جَاوِزَنَا بِلَادًا مُسْبِعَةً (٨)

\* يَجْزِيكَ عَنْ هَذَا خَيْرٌ فَاسْمِعْ \*

فقال النعمان : ما هو ؟ فقال : \* مهلاً آيَةُ اللَّعْنِ لَا تَأْكُلُ مَعَهُ \* .

فقال النعمان : ولم ؟ فقال : \* إِنْ أَسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ مُلْمَعَةٍ \* .

فقال النعمان : وما كَلَى ؟ فقال : \* وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إِصْبَعَهُ \* .

يَدْخُلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَهُ (٩)      كَأَنَّهَا يَطْلُبُ شَيْئًا ضَيِّعَةً

(١) يجمع الأمثال : ٢ - ٤٤ مع اختلاف الرواية (٢) الرعة : حالة الأحمق التي رضى بها  
(٣) الهيجا : الحرب . (٤) يقال هو مقزوع ومقزوع : رقيق شعر الرأس .  
(٥) بنو أم البنين الأربعة : هم خسة : مالك بن جعفر ، وطفيل بن مالك ، وربيعة بن مالك ،  
وعبيدة بن مالك ، ومعاوية بن مالك ، وهم أشرف بني عامر ، فجعلهم أربعة لأجل القافية .  
(٦) المدعدة : المملوءة (٧) الخيضة : البيضة (٨) بلاد مسبعة : كثيرة السباع .  
(٩) الأشاجع : عروق ظاهر الكف .

فلما سمع النعمان قوله أَفَفَ<sup>(١)</sup> ، ورفع يده من الطعام ، والتفت إلى الربيع  
يرمئمه شزراً ، وقال : أ كذالك أنت ! قال : كذَّبَ والله ابن الحَمِيقِ<sup>(٢)</sup> اللثيم !  
قال النعمان : لقد خُبْتُ على طعَامِي .

ثم قضى النعمان حوائج الجعفرين ، وانصرف الربيع إلى منزله ، فبعث  
إليه النعمان بِضِعْفٍ ما كان يَحْبُوه به ، وأمره بالانصراف إلى أهله . فكتب  
إليه : « إني قد تخوفتُ أن يكون قد وقع في صَدْرِكَ ما قال لبيد ، ولست  
برائم<sup>(٣)</sup> حتى تبعثَ من يردني ؛ ليعلم مَنْ حضرك من الناس أني لست كما  
قال . . . »

فأرسل إليه : « إنك لست صانماً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً ، ولا قادراً على  
ردِّ ما زلت به الألسن ، فالْحَقِّ بأهلك » . فلحق بأهله .

ثم أرسل إلى النعمان :

لئن رَحَلْتُ جِمالِي إنَّ لي سَعَةً      ما مثلها سَعَةٌ عَرَضًا ولا طولا  
ولو جَمَعْتَ بني نَظْمٍ بِأَسْرَمٍ      لم يَمْدِلُوا ريشَةً من ريشِ سَمَوِيلا<sup>(٤)</sup>  
تَرعى الرِّوَانِمَ<sup>(٥)</sup> أحرارَ البَقولِ بها      لا مثلَ رعيكمُ مِلْحًا وغَسَوِيلا<sup>(٦)</sup>  
فأثبت بأرضك بعدى واخِل مَتَكِنًا      مع النَّطاسِي طورا<sup>(٧)</sup> وابنِ نوفيلا

(١) أفَفَ : قال « أف » (٢) الحَمِيقُ : الأحمق (٣) رَائِمٌ : بارح وراحل (٤) سمويلا :  
أحد أجداد الربيع . وهو في الأصل اسم طائر ، وقيل : بلد كثير الطير (٥) ناقة رعووم ورأئمة  
ورائم : عاطفة على ولدها (٦) الغسويل : نبت ينبت في السباح (٧) النطاسي وابن نوفيل :  
اثنان كانا ينادمان النعمان أولهما طيب وثانيهما تاجر .

فأجابه النعمان :

شَرِّدْ بِرَحْلِكَ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تَكْثُرْ عَلَيَّ ، وَدَعْ عَنْكَ الْأَقَاوِيلَا  
فَقَدْ رُمِيتَ بِدَاءِ لَسْتِ غَاسِلَه  
فَمَا انْتَفَاؤُكَ مِنْهُ بَعْدَ مَا قَطَعْتَ  
مَا جَاوَرَ السَّيْلَ أَهْلُ الشَّامِ وَالنَّيْسَلَا  
قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صَدَقَا وَإِنْ كَذَبَا  
هُوجٌ <sup>(١)</sup> الْمَطِيُّ بِهِ أَكْنَافٌ شِمْلِيلَا <sup>(٢)</sup>  
فَمَا اعْتَذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلَا  
فَأَلْحَقْ بِحَيْثُ رَأَيْتَ الْأَرْضَ وَاسْعَه  
وَأَنْشُرْ بِهَا الطَّرْفَ إِنْ عَرْضَا وَإِنْ طَوَّلَا

---

(١) الهوجاء : الناقة المسرعة ، جمها هوج (٢) شمليل : بلد .

## ٤٩ - أنت اليوم ذوجديين \*

قال الملك النعمان : لأعطين<sup>١</sup> أفضل العرب مائة من الإبل . فلما أصبح الناس اجتمعوا لذلك ، ولم يك قيس بن مسعود فيهم ، وأرادَه قَوْمُه على أن ينطلق معهم إليه ، فقال : لا ، لئن كان يُريدُ بها غيري لأشهدُ ذلك ، وإن كان يريدني بها لأعطينها .

فلما رأى النعمانُ اجتماعَ الناس قال : ليس صاحبها شاهداً . فلما كان من الغدِ ، قال له قومه : انطلق ؛ فانطلق فدفعها الملك إليه ، فقال حاجب<sup>(١)</sup> بن زُرارة : أبيت اللعن ! ما هو بأحقَّ بها مني ، فقال قيس بن مسعود : أنا فرُه<sup>(٢)</sup> عن أكرمنا قعيدة<sup>(٣)</sup> ، وأحسننا أدبَ ناقة ، وأكرم لثيم قوم .

فبعث معهما النعمانُ من ينظر في ذلك ، فلما اتهبوا إلى بادية حاجب بن زُرارة مرَّوا على رجل من قومه ، فقال حاجب : هذا الأمُّ قومي ، وهو فلان ابن فلان - والرجلُ عند حوضه يُورِدُ إبله - فأقبلوا إليه فقالوا : يا عبدَ الله ؛ دعنا فلندستق فإنا قد هلكنا عطشاً ، وأهلكنا ظهوراً<sup>(٤)</sup> ، فتجَّهم وأبى عليهم . فلما أغيام قالوا لحاجب : أسفر ، فسفر ، وقال : أنا حاجبُ بن زُرارة فدعنا فلنشرب . قال : أنت ! فلا مرحباً بك ولا أهلاً ؛ ثم أتوا بيته ، فقالوا لامراته : هل من منزل يا أمةَ الله ؟ قالت : والله ماربُّ المنزل شاهداً وما عنده من منزل ، وأرادوها على ذلك فأبَّتْ

\* بلوغ الأرب : ١٠ - ٢٨٦

(١) حاجب بن زُرارة : من سادات العرب في الجاهلية ، أدرك الإسلام وأسلم ، وتوفي نحو سنة ٣٠ هـ . (٢) أنازره : أحاكمه (٣) القعيدة : المرأة (٤) يريد ما يركبون .

ثم أتوا رجلا من قوم قيس بن مسعود على ماء يُورِدُ إبله ، فقال قيس : هذا والله  
الأم قومي ، فلما وقفوا عليه قالوا مثل ما قالوا للآخر ، فأبى عليهم وهم أن يضر بهم ،  
فقال له قيس بن مسعود : ويلك ! أنا قيس بن مسعود ، فقال له : مرحباً وأهلاً ، أُورِدُ .  
ثم أتوا بيته ، فوجدوا فيه امرأته قد رُها نعط<sup>(١)</sup> ، فلما رأت الركب من بعيداً نزلت  
القدر وتروت ، فلما انتهوا إليها قالوا : هل عندك يا أمة الله منزل ؟ قالت : نعم !  
انزلوا في الرحب والسعة . فلما نزلوا وطعموا وارتحلوا أخذوا ناقتيهما ، فأنأخوها على  
قريتين للنمل ، فأما ناقة قيس بن مسعود فتصورت<sup>(٢)</sup> ، وتقلبت ثم لم تنز ، وأما  
ناقة حاجب فكننت وثبتت ، حتى إذا قالوا : قد اطمانت طفقت هاربة . فأتوا الملك ،  
فأخبروه بذلك ، فقال له : قد كنت يا قيس ذا جد<sup>(٣)</sup> ، فأنت اليوم ذو جدين .

---

(١) نعط : أى تصوت ، وذلك عند اشتداد غليانها (٢) التصور : الصياح والتلوي عند  
الضرب أو الجوع (٣) الحد : العظمة ، والحظ .

٥٠ - إن البلاء مَوَكَّلٌ بالمنطق \*

خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعلي . قال عليّ : فدفعنَا إلى مجلس من مجالس الدَرَبِ ، فتقدّم أبو بكر - وكان نَسَابَةً <sup>(١)</sup> - فسلم فردّوا عليه السلام، فقال: يَمَن القوم؟ قالوا: مِن ربيعة . فقال: من هَامَتِهَا أم مِن لَهَازِمِهَا <sup>(٢)</sup>؟ قالوا: من هَامَتِهَا العُظْمَى . قال: فأَيّ هَامَتِهَا العُظْمَى أتم؟ أتم ذُهل الأكبر؟ قالوا: نعم .

قال: أفنكم عَوْف الذي يقال له: لا حُرَّ بَوَادِي عوف؟ قالوا: لا! قال: أفنكم بِسْطَام <sup>(٣)</sup> ذو اللواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا! قال: أفنكم جَسَاس بن مرة حامى الذمار، ومائعُ الجار؟ قالوا: لا! قال: أفنكم الحَوْفَزَان <sup>(٤)</sup> قاتل الملوك وسالباها أَنفُسَهَا؟ قالوا: لا! قال: أفنكم المَزْدَلِف <sup>(٥)</sup> صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا! قال: فأتم أحوال الملوك <sup>(٦)</sup> من كِنْدَةَ؟ قالوا: لا! قال: فأتم أصهار الملوك من نَعْم <sup>(٧)</sup>؟ قالوا: لا! قال: فلستم ذُهلًا الأكبر، أتم ذُهل الأصغر! فقام إليه غلام منهم حين بَقَلَ <sup>(٨)</sup> وجهه يقال له دَعْفَل <sup>(٩)</sup> فقال:

\* المحاسن والأضداد : ١٠٤ ، بجم الأمثال : ١ - ١٢

(١) النسب : العالم بالنسب ، وأدخلوا الماء للبالغة والمدح (٢) من هَامَتِهَا أم من لَهَازِمِهَا : يريد أمن أشرفها أم من أوساطها ؟ (٣) هو بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني ، أفرس فرسان بكر في الجاهلية (٤) الحوفزان : لقب الحارث بن شريك ، لقبه به قيس بن عاصم حين حفره بالرمح فقاته (٥) هو عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل الشيباني ، سمى بذلك لآزدلافه إلى العدو وحده بين الصفيين ، وكان إذا اعتم لا يجرؤ بكرى أن يلبس مثل عمامته (٦) هم كليب ومهلهل وأختهم فاطمة أم امرئ القيس (٧) هم النمر بن قاسط من ذهل بن شيبان ، منهم ماء السماء أم المنذر أحد ملوك الحيرة (٨) بقل : ظهر ونجم (٩) هو دعفل بن حنظلة السدوسي النسابة .

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَالْعَبَاءُ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمِلَهُ

يا هذا ، إنك سألتنا فلم نكتفك شيئا من أمرنا ، فمن الرجل ؟ قال : رجل من قريش ، قال : بَخِ بَخِ ! أهل الشرف والرياسة ، فمن أى قريش أنت ؟ قال : من تَيْمِ بْنِ مُرَّة . قال : أفنكم قُصَيِّ بْنِ كِلَاب الذى جمع القبائل من فهر وكان يدعى مجمعا ؟ قال : لا ، قال : أفنكم هِشَام الذى هَشَمَ التَّيْرِدَ لقومه . ورجال مكة مُسْنِتُونَ عِجَافٌ <sup>(١)</sup> ؟ قال : لا ، قال : أفنكم شَيْبَةُ الحمد مُطْعِم طير السماء الذى كَانَ بوجهه قرأ يضيء ليل الظلام الداجي ؟ قال : لا ، قال : أفن المفيضين بالناس أنت <sup>(٢)</sup> ؟ قال : لا ا قال : أفن أهل النَّدْوَةِ أنت ؟ قال : لا ا قال أفن أهل الرِّقَادَةِ <sup>(٣)</sup> أنت ؟ قال : لا ، قال : أفن أهل الحِجَابَةِ أنت ؟ قال : لا ، قال : أفن أهل السَّقَايَةِ <sup>(٤)</sup> أنت ؟ قال : لا .

واجتذب أبو بكر زمام ناقته ورجع إلى رسول الله ، فقال دَغَلْ :

صادف دَرَّ السَّيْلِ دَرًّا يَدْفَعُهُ يَرْفَعُهُ حِينًا وَحِينًا يَضَعُهُ

أما والله لو ثبت لأخبرتُك أنك من زَمَمَات <sup>(٥)</sup> قريش ، أو ما أنا دَغَلْ ا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال على : قلت لأبي بكر : لقد وقعت من الأعرابي على بأقمة <sup>(٦)</sup> ، قال : أجل ! إن لكل طامة طامة ، وإن البلاء مَوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ <sup>(٧)</sup> .

(١) مسنتون : مجذبون ، والأعجف : الهزيل (٢) الإفاضة من مناقب قريش في الجاهلية ، وكانت في آل صفوان ، ثم انتقلت إلى عبد الدار ولإيهم كانت السدانة . (٣) كانت لى نوفل . (٤) كانت لى هاشم في العباس بن عبد المطلب وكذلك الحجابة . (٥) أصل الزمعات : الزوائد براء الأرساغ . (٦) داهية كيس . (٧) ذهبت مثلا .

١٦ - مُعَاقِرَةٌ \*

أَسْنَتَ<sup>(١)</sup> بنو تميم زمن علي بن أبي طالب؛ فانتجعوا أرضاً من أرض كلب من طرف السّماوة، فصنع غالب بن صعصعة - وهو أبو الفرزدق - طعاماً، ونَحَرَ نَحَائِرَ، وجَفَنَهَا<sup>(٢)</sup> في جفان، وجعل يُقَسِّمُهَا على أهل المزاييا<sup>(٣)</sup>.

فَأَتَتْ جَفْنَةً<sup>(٤)</sup> منها سُحَيْمُ بن وَثِيل الرياحي الشاعر، فَكَفَّأَهَا وضرب الخادم التي أُنْتَه بها، واحتفظ<sup>(٥)</sup> غالب من ذلك، فعاتب سحياً؛ فسرى القول بينهما حتى تداعياً إلى المعاقرة<sup>(٦)</sup> - وكان سُحَيْم رجلاً فيه شَنِيفِيَّةٌ<sup>(٧)</sup> وأذى للناس، وكان الناس شَأْفَى<sup>(٨)</sup> القلوب عليه - وكانت إبلة خوامس<sup>(٩)</sup> لم ترد.

ووردت إبلة غالب؛ فطفق غالب يعقرها، وطافت الوغدان<sup>(١٠)</sup> والفتيات بالإبل، فجعلت تحوزها من أطرافها إليه، ومع الفرزدق هراوة ترد بها على أبيه، فيقول غالب: ردّ، أي بني، فيقول الفرزدق: اعقر أبت؛ حتى نحر سائرها؛ وكانت مائتين.

فقال طارق بن ديسق - وكان يهاجى سحياً:

أَبْلُغْ سُحَيْمًا إِنْ عَرَضْتَ وَجَحْدَرًا أَنْ الْحَازِمَى لَا يَنَامُ قُرَادُهَا

\* ذيل الأملى: ٥٢، بلوغ الأرب: ٣ - ٣٠

(١) أسنت: أجدبوا (٢) جفن الناقة: نحرها وأطمع لحمها في الجفان (٣) أهل القدر (٤) غضب (٥) المعاقرة: هي أن يتبارى الرجلان كل واحد منهما يجادل صاحبه، فيعقر هذا عدداً من إبلة، ويعقر صاحبه، فأيهما كان أكثر عقراً غلب صاحبه وقهره (٦) الشنيفية: سوء الخلق والفحش والبذاءة (٧) وغراء الصدور عليه (٨) الخمس من أطباء الإبل: أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع، والإبل خوامس (٩) الوغدان: جمع وغد، وهو خادم القوم.



أَقْدَحْتُمَا حَتَّى إِذَا أُورِيْتُمَا لِلْحَرْبِ نَارًا كَاخْبَاءَ إِيقَادُهَا  
لَوْ كَانَ شَاهِدَنَا الْجَمِيلُ وَمَالِكٌ لَحَبَّتْ (١) لِقَاحٍ وَوَلَّهُ أَوْلَادُهَا  
أَطْرَدَتْهَا نَيْبًا تَحْنُ إِفَاتُهَا (٢) مِنْ أَنْ يَكُونَ لَسَيْفِهِ إِيرَادُهَا  
فَأَقْبَلَتْ إِبِلُ سُحَيْمٍ حَتَّى وَرَدَتْ عَلَيْهِ ، فَأَوْرَدَهَا كُنَاسَةً (٣) السُّكُوفَةَ . وَجَعَلَ  
يَقْرُهَا وَهُوَ يَقُولُ :

كَيْفَ تَرَى جُحَيْدِرًا يَرَعَاهَا بِالسَّيْفِ يُخْلِئُهَا إِذَا اسْتَخْلَاهَا

\* يَنْتَرُ الْجَزِيرَ (٤) مِنْ ذُرَاهَا \*

فَلَمْ يَنْفَعَهُ عَقْرُهُ إِيَّاهَا ، وَقَدْ سَبَقَهُ غَالِبٌ بِالْعَقْرِ .

(١) اللهب : الطريق الواضح ، ولحِب الطريق : سلكه (٢) الإفال : جمع أفيل ، الفصيل

(٢) كُنَاسَةُ السُّكُوفَةِ : عملة بها .

(٤) أصل الجزيرة : خصلة من صوف .

٥٢ — قد كان يسؤني أن تكون أميراً\*

دخل صمصمة<sup>(١)</sup> بن صوحان على معاوية أول ما دخل عليه ، وقد كان يبلغ معاوية عنه كلام ، فقال له معاوية : بمن الرجل ؟ قال : رجل من نزار . قال : وما نزار ؟ قال : إذا غزا احتش<sup>(٢)</sup> ، وإذا انصرف انكش ، وإذا آتني افتش .

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من ربيعة . قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالخيـل ، ويُغير بالليل ، ويجود بالنيل .

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من أسد . قال : وما أسد ؟ قال : كان إذا طلب أفضى<sup>(٣)</sup> ، وإذا أدرك أرضى ، وإذا آب أنضى<sup>(٤)</sup> :

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من جديلة ؟ قال : وما جديلة ؟ قال : كان يطيل النجاد<sup>(٥)</sup> ، ويُمدّ الجياد ، ويجيد الجلال<sup>(٦)</sup> .

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من دُعمي . قال : وما دُعمي ؟ قال : كان ناراً ساطعاً ، وشرّاً قاطعاً ، وخيراً نافعاً .

\* بلوغ الأرب : ٣ - ٢٠٥ ، صبح الأعشى : ١ - ٢٥٤ ، مروج الذهب : ٢ - ٧٧ ،  
الأمالي : ٢ - ٢٣٠

(١) صمصمة بن صوحان : كان خطيباً بليغاً له شهر ، شهد صفين مع علي ، وله مع معاوية مواقف ومات نحو سنة ٦٠ هـ (٢) احتش : جمع وكسب (٣) أفضى إلى انشيء : وصل .  
(٤) أنضى بمره : هزله ، وتوبه أبلاه (٥) النجاد : حائل السيف .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أفصى ، قال : وما أفصى ؟ قال : كان ينزل القارات<sup>(١)</sup> ، ويكثر الغارات ؛ ويحصى الجارات .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من عبد القيس . قال : وما عبد القيس ؟ قال : أبطال ذادة ، ججاجحة<sup>(٢)</sup> قادة ، صناديد سادة .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أفصى . قال : وما أفصى ؟ قال : كان ذا رماح مشرعة ، وقدور مثرعة<sup>(٣)</sup> ، وجفان مفرغة .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من لكينز . قال : وما لكينز ؟ قال : كان يباشر القتال ، ويمانق الأبطال ، ويبدد الأموال :

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من عجل : قال : وما عجل ؟ قال : الليوث الضراغة<sup>(٤)</sup> ، الملوك القمامة<sup>(٥)</sup> ، والقروم القشاعة<sup>(٦)</sup> .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من كعب ، قال : وما كعب ؟ قال : كان يسعر<sup>(٧)</sup> الحرب ، ويمجد الضرب ، ويكشف الكرب :

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من مالك : قال : وما مالك ؟ قال : الهمام للهمام ، والقمام للقمام .

قال معاوية : والله ما تركت لهذا الحى من قریش شيئاً ! قال : بل تركت أكثره وأحبّه . قال . وما هو ؟ قال : تركت لهم الوبر والمدر<sup>(٨)</sup> ، والأبيض

---

(١) القارات : جمع قارة ؛ وهى الجبل الصغير . (٢) ججاجحة : جمع ججاج : السيد . (٣) هترعة : مملوءة (٤) جمع ضرغام : الأسد (٥) جمع فقام : السيد (٦) القرم : السيد ، والقشع : الأسد أو الرجل المسن ، ويقصد المحرب (٧) سمر الحرب : أو قداما (٨) كناية عن البادية والمدن .

والأصفر ، والصفاء والمشعر<sup>(١)</sup> ، والقُبَّة والمفخر ، والسرير والمنبر . والمُلك إلى المحشر .

فقال: أما والله لقد كان يسوءني أن أراك أسيراً . فقال : وأنا والله لقد كان يسوءني أن أراك أميراً . ثم خرج ، فبعث إليه فردّه ووصله وأكرمه .

٥٣ — لترجمنّ بأكثر مما آب به معدّي\*

كان الوليدُ بن جابر بن ظالم الطائيّ ممن وفد على رسول الله ، ثم صحب عليا ، وشهد معه صفين<sup>(٢)</sup> ، وكان من رجاله المشهورين ، ثم وفد على معاوية ، فدخل عليه في جملة الناس .

فلما انتهى إليه استنسبه<sup>(٣)</sup> فانتسب له فقال له : أنت صاحب ليلة الهرير<sup>(٤)</sup> ؟ قال : نعم ! قال : والله ما تخلو مسامعي من رجرك تلك الليلة ، وقد علا صوتك أصوات الناس ، وأنت تقول :

(١) المشعر : موضع مناسك الحج .

\* ابن أبي الحديد : ٤ - ٤٩ .

(٢) موضع قرب الرقة بشاطئ الفرات كانت به الموقعة العظمى بين علي ومعاوية في صفر سنة ٣٧ هـ (٣) استنسه : سأله أن ينتسب . (٤) سمرت بين علي ومعاوية السفراء ؛ لمصلحوا بين الفريقين ولكن ذهب سعيهم سدى ، فابتدأ القتال ثانية في يوم الأربعاء أول صفر سنة ٣٧ هجرية من غير أن يقف كلا الجمعين وجهاً لوجه ، بل كل يوم يخرج قائد من هنا وقائد من هنا حتى إذا مضت سبعة أيام قال علي لجنده : حتى متى لا تناهض هؤلاء القوم بجمعنا ا فباتوا يصلحون أمرهم ، وفي الصباح زحف على بجنوده ، وزحف معاوية بجنوده ، واقتتل الفريقان ، ثم أعادوا الكرة في غد ذلك اليوم ولا أمسى المساء لم ينفصلا ، بل استمر القتال شديداً طول الليل ، ويسمون هذه الليلة ليلة الهرير .

شُدُّوا فِداءَ لَكُمْ أُمِّي وَأَبِي      فَإِنَّمَا الْأَمْرُ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ  
هَذَا ابْنُ عَمِّ الْمِصْطَفَى وَالْمُنْتَخَبِ      تَشْبِيهِهِ لِلْعِليَاءِ سَادَاتِ الْعَرَبِ  
لَيْسَ بِمَوْصُومٍ إِذَا نُصِّ <sup>(١)</sup> النَّسَبِ      أَوَّلُ مَنْ صَلَّى وَصَامَ وَاقْتَرَبَ

قال : نعم . أنا قائلها . قال : فلماذا قلتها ؟ قال : لأننا كنا مع رجل لا نعلمُ  
خَصْلَةً تُوجِبُ الخِلافةَ ولا فَضِيلَةً تُصِيرُ إلى التَّقَدِيمَةِ إلا وهى مجموعة له . كان أولُ  
الناسِ سِلْمًا <sup>(٢)</sup> ، وأكثَرُهم عِلْمًا ، وأرَجَحَهم حِلْمًا ، فَاتَّ الجِيادُ فلا يُشَقُّ غُبَارُهُ ،  
وأَوْضَحَ منهمجَ الهدى فلا يبيدُ منارَهُ ، وسلكَ القَصْدَ فلا تَدْرُسُ آثارُهُ ، فلما ابتلانا  
اللهُ تعالى بِاِفْتِقَادِهِ ، وحوَّلَ الأمرَ إلى مَنْ يشاءُ من عِبَادِهِ دَخَلْنَا فى جَمَلَةِ المُسْلِمِينَ ؛  
فلم نَنزِعْ بِدَأً عن طاعةِ ، ولم نَصُدِّعْ صَفَاةَ جَمَاعَةٍ .

على أن لك منّا ما ظهر ، وقلوبنا بيدِ الله ، وهو أملكُ بها منك ؛ فاقبلْ  
صفونا ، وأعرضْ عن كَدْرِنَا ، ولا تُنْزِ كَوامِينَ الأَحْقَادِ ؛ فإن النارَ  
تُقَدِّحُ بِالزُّنَادِ .

قال معاوية : وإنك تهتدنى يا أخا طيِّبٍ بأوْبَاشِ <sup>(٣)</sup> العراق ، أهلُ النفاقِ  
ومَعْدِنُ الشَّقَاقِ ، قال : يا معاوية ، هم الذين أشرَقوك بالريق ، وحبسوك فى المضيّقِ ،  
وذادوك عن سَنَنِ الطَّرِيقِ ، حتى لُدَّتْ منهم بالمصاحف ، ودعوتَ إليها من صدقِ  
بها وكذبت ، ومن آمنَ بِمَنْزِلِها وكفرت ، وعرفَ مِنْ تَأويلِها  
ما أنكرت .

ففضب معاوية ، وأدار طرفه فيمن حوله ، فإذا جلهم من مُصْرٍ ونقر قليل من  
اليمن ، فقال : أيها الشقيُّ الخائن ، لإِخْلالِ أن هذا آخرُ كلامٍ تفوهتَ به .

(١) كل ما أظهر فقد نص (٢) السلم : الإسلام (٣) الأوباش : الأخطا .

وكان عقير بن ذى يزن يباب معاوية حينئذ فعرف موقف الطائي ومراد معاوية ، فخافه عليه ، فهجم عليهم الدار ، وأقبل على اليمانية ، فقال : شاهت الوجوه ذُلًّا وقُلًّا<sup>(١)</sup> ، وجدعًا وقُلًّا!

ثم التفت إلى معاوية فقال : إى والله يا معاوية ، ما أقول قولى هذا حبًّا لأهل العراق ، ولا جنوحًا إليهم ، ولكن الحفيظة<sup>(٢)</sup> تذهب الغضب .

لقد رأيتك بالأمس خاطبت أخا ربيعة - بمعنى صفصة بن صوحان - وهو أعظم جرماً عندك من هذا ، وأذكى قلبك ، وأفدح فى صفاتك ، وأجدث فى عداوتك ، وأشدُّ انتصاراً فى حربك ، ثم أثبتته وسرحتته ، وأنت الآن مُجمعٌ على قتل هذا ، زعمت استصغاراً لجماعتنا ، وأنا لا نبرِّ ولا نُحلي<sup>(٣)</sup> ، ولعمري لو وكتلتك أبناء قحطان إلى قومك لكان جدك العائر ، وذكرك الدائر ، وحدك المفلول ، وعرشك المثلول ، فازبغ<sup>(٤)</sup> على ظلمك ، واطوينا على مبللاتنا<sup>(٥)</sup> ، ليسهل لك حزن نسا ، ويطمنن لك شاردنا ، فإننا لا نرام بوقع الضيم ، ولا نتملظ<sup>(٦)</sup> جرع الخسف ، ولا نغمر بفمار الفتن ، ولا ندرُّ على الغضب .

فقال معاوية : الغضبُ شيطان ، فازبغ على نفسك أيها الإنسان ، فإننا لم نأت إلى صاحبك مكروهاً ، ولم نرتكب له مُضيباً ، ولم ننتهك منه محرماً ، فدونك ، فإنه لم يضق عنه حلمنا ويسع غيره .

(١) القل : القالة (٢) الحفيظة : الحمية (٣) يقال فلان ما يمر وما يحلى : أى لا يضر ولا ينفع (٤) ازبغ على ظلمك : ارفق على نفسك فإنك ضعيف فانه عما لا تطيقه . (٥) يقال : طويت فلاناً على بللانه ، وفتح اللام أيضاً : إذا احتمله على ما فيه من الإساءة والعيب ، وداريته وفيه بنية . (٦) تملظ : تتذوق .

فأخذ عفير بيد الوليد ، وخرج به إلى منزله ، وقال له : والله لئن ثوبنَّ بأكثر مما آت ب به معدّي .

وجمع مَنْ بدمشق من اليمانية ، وفرض على كلِّ رجل دينارين في عطائه فبلغت أربعين ألفاً ، فتمجّلها من بيت المال ، ودفعها إلى الوليد ، وردّه إلى العراق .

#### ٥٤ - مات كَشِيفُ الأيَّامُ منك إلا عن سَيْفِ صَقِيلِ\*

وفد عبدُ الله بن عباس على معاوية مرّة ، فقال معاوية لابنه يزيد ولزيد بن سمية وعُتْبَةَ بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن أم الحكم : إنه قد طال العهد بعبد الله بن عباس ، وما كان شَجَرَ بيننا وبينه وبين ابن عمه <sup>(١)</sup> ، ولقد كان نصبه للتحكيم فدَفِعَ عنه <sup>(٢)</sup> ؛ فحرَّ كوه على الكلام لنبلغ حقيقة صفته ، ونقف على كنه معرفته ؛ ونعرف ما صُرِفَ عنا من شَبَابِ حَدِّه ، ووُورَى عنّا من دَهَاءِ رَأْيِهِ ؛ فربما وُصِفَ المرء بغير ما هو فيه ، وأُعْطِيَ من النِّعَتِ والاسم ما لا يستحقُّه .

ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس ، فلما دخل واستقرَّ به المجلس ابتداء ابن أبي سفيان ، فقال : يا بن عباس ، ما منع علياً أن يوجه بك حكماً ؟ فقال :

\* ابن أبي الحديد : ٢ - ١٠٥ .

(١) يريد على بن أبي طالب (٢) حينما خرج الخوارج على علي بن أبي طالب وأصروا على التحكيم أشار بابن عباس أو الأشتر حكماً ، ولكنهم أبوا إلا التحكيم أبي موسى الأشعري .

أما والله لو فعل لقرنَ عمراً بصعبية<sup>(١)</sup> من الإبل يوجع كتفيه مِرَاسُهَا<sup>(٢)</sup>، ولأذهلتُ عقله، وأجْرَضَتْهُ بِرَيْقِهِ<sup>(٣)</sup> وقدْحَتْ في سويداءِ قلبه؛ فلم يُبْرِمْ أَمراً، ولم ينفذ تراباً إلا كنتُ منه بمرأى ومسمع، فإن نكثته أَرَمْتُ<sup>(٤)</sup> قواه، وإن أَرَمَهُ فَصَمْتُ<sup>(٥)</sup> عراه؛ بقرَّبِ مَقُولٍ<sup>(٦)</sup> لا يُقَلُّ حَدَّهُ، وأصالةِ رَأْيٍ كَمَتَّاحٍ<sup>(٧)</sup> الأجل لا وَزَرَ منه، أصدعُ به أديمه، وأفلُّ به شبا حدّه، وأشحذُ به عزائم المتقين، وأزيحُ به شبه الشاكِّين .

فقال عمرو بن العاص: هذا والله يا أمير المؤمنين نجوم<sup>(٨)</sup> أولِ الشرِّ، وأقولُ آخرَ الخير، وفي حَسَمِهِ قطعُ مادته؛ فبادِرْهُ بالحِمْلة، وانتهزْ منه الفُرْصَةَ، واردةً بالتنكيل به غيره، وشرِّدْ به من خلفه .

فقال ابن عباس: يا ابن النابغة؛ ضلَّ اللهُ عقلك، وسفَهَ حِلْمَكَ، ونطقَ الشيطانُ على لسانك! هلا توليت ذلك بنفسك يوم صفين، حين دُعيت نزال<sup>(٩)</sup>، وتكافح الأبطال، وكثُرَتْ الجراح، وتقصفت الرماح، وبرزت إلى أمير المؤمنين مُصَاوِلاً، فانكفأ نحوك بالسيف حاملاً، فلما رأيت الكواثر<sup>(١٠)</sup> من الموت أعددت حيلة السلامة قبل لقائه، والانكفاء عنه بعد إجابة دُعائه، ففحنته - رجاء النجاة - عورتك، وكشفت له - خوف بأسه - سواتك؛ حذراً أن يصطلمك بسطوته، أو يلتهمك بمحملته:

(١) الصعبة: مؤنث صعب، والصعب من الدواب تقيض الذلول. (٢) مِرَاسُهَا: علاجها  
(٣) جَرَضَ بَرَيْقَهُ: ابتلعه بجهد (٤) أَرَمَ قُوَّتَهُ: أضعفها وإينها (٥) يقال أَرَمَ الحبل: قتله  
مديداً، فصنت: حلت (٦) القرب: حد كل شيء، والمقول: اللسان (٧) الأجل المتاح:  
المقدر (٨) نجوم: ظهور (٩) نزال (١٠) الكواثر: جمع كوتر، وهو الكثير من كل شيء .



ثم أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته ، وحسنت له التعرض لمكافحته ،  
رجاء أن تكفي ثنوته وتقدم صورته ؛ فعلم غل صدرك ، وما انحنت عليه من النفاق  
أضلمك ، وعرف مقراً سهمك في غرضك ؛ فأكف غرب لسانك ، وأقمع  
عوزاء<sup>(١)</sup> لفظك ، فإنك بين أسد خادر ، وبجر زاخري ؛ إن تبرزت<sup>(٢)</sup> للأسد  
افترسك ، وإن عمت في البحر قمستك<sup>(٣)</sup> .

فقال مروان بن الحكم : يا ابن عباس ؛ إنك لتصرف<sup>(٤)</sup> نآبك ، وتورى نارك ،  
كأنك ترجو الغلبة ، وتؤمل العافية ، ولولا حلم أمير المؤمنين عنكم لتناول لكم  
بأقصر أنامله ، فأوردكم منهلاً بعيداً صدره<sup>(٥)</sup> ؛ ولمصرى لئن سطا بكم ليأخذن  
بعض حقه منكم ، ولئن عفا عن جرائركم<sup>(٦)</sup> فقديماً نسب إلى ذلك .

فقال ابن عباس : وإنك لتقول ذلك يا عدو الله ، وطريد رسول الله ، والمباح  
دمه<sup>(٧)</sup> ، والداخل بين عثمان ورعيته بما حملهم على قطع أوداجه<sup>(٨)</sup> وركوب أثباجه<sup>(٩)</sup> !  
أما والله لو طلب معاوية ثأره لأخذك به ، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوله وآخره .  
وأما قولك لي : إنك لتصرف نآبك وتورى نارك ، فسل معاوية وعمراً يخبرك  
ليلة الهرير<sup>(١٠)</sup> ، كيف ثباتنا للمثلات<sup>(١١)</sup> ، واستخفافنا بالمعضلات ، وصدق جرادنا  
عند المصاولة ، وصبرنا على اللاؤاء<sup>(١٢)</sup> والمطاولة ، ومصاحفتنا بجباهنا السيوف المرهفة ،

(١) العوزاء : الكلمة أو الفعلة القبيحة (٢) تبرز : برز وخرج إلى القفار (٣) القمس :  
الغلبة بالنوم (٤) الصرف : صوت الأنياب ، يقال : صرف نابه وبنابه ، إذا صوت بها .  
(٥) الصدر : الرجوع (٦) الجريرة : الذنب (٧) في فتنة عثمان (٨) جم ودج ، وهو العرق  
الذي يقطعه الذئب (٩) الشج : ما بين السكاهل إلى الظهر ووسط الشئ ومعظمه (١٠) ليلة الهرير  
هي تلك الليلة التي استمر فيها القتال طول الليل بين أنصار معاوية وعلي في حرب صفين وأوشك  
جيش علي أن تكون له الغلبة (١١) جمع مثلة ( بضم التاء وسكونها ) ، من مثلت بالقتيل إذا  
نكلت به (١٢) اللاؤاء : الشدة .

ومباشرتنا بنحورنا حدَّ الأسنَّة ؛ هل خِنَاءٌ<sup>(١)</sup> عن كرائم تلك المواقف، أم لم يبدل  
مُهَجَّنًا للمتلف ! وليس لك إذ ذاك فيها مقامٌ محمود، ولا يومٌ مشهود، ولا أثرٌ  
معدود، وإنهما شهدا ما لو شهدت لأقلقك ؛ فارتبِع<sup>(٢)</sup> على ظلمِكَ ، ولا تتعرض  
لما ليس لك ؛ فإنك كالمغروز في صَفَدٍ<sup>(٣)</sup> ، لا يهبط برجل ، ولا يرفأ<sup>(٤)</sup> بيد .

فقال زياد : يا بن عباس ؛ إني لأعلم مامنع حسناً وحسيناً من الوفود معك على  
أمير المؤمنين إلا ماسولتَ لهما أنفسهما، وغرَّهما به مَنْ هو عند البأساء يُسَلِّهُما<sup>(٥)</sup> .  
وايمُ الله لو وليتهما لأدأبأ<sup>(٦)</sup> في الرحلة إلى أمير المؤمنين أنفسهما ، ولقلَّ بمكانهما  
لُبُّهُمَا .

فقال ابنُ عباس : إذن والله يقصر دونهما باعك ، ويضيق بهما ذراعك ، ولو  
رُمْتَ ذلك لو جدتَ من دونهما فنةً صُدُقاً<sup>(٧)</sup> صُبراً على البلاء ، لا يتخيمونَ عن اللقاء ،  
فلعَرَ كوكَ بِكَلالِهِم<sup>(٨)</sup> وَوَطئوكَ بِمَناسِمِهِم<sup>(٩)</sup> ، وأوجِرُوكَ مَشقَّ<sup>(١٠)</sup> رماحهم  
وشِفَارَ سيوفهم ، وَوَحزَ أَسِنَّتِهِم ، حتى تشهدَ بسوء ما أتيت ، وتبينَ ضياع الحزم  
فيما جنيت ؛ فحذار حذار من سوء النية ؛ فإنها تردُّ الأمانة ، وتكونُ سبباً لفساد  
هذين الحَيِّين بعد صلاحهما ، وسعيًا في اختلافهما بعد ائتلافهما ، حيثُ لا يضرهما  
إِبْسَاسُك ، ولا يُغنى عنهما إِيْناسُك<sup>(١١)</sup> .

فقال عبد الرحمن بن أم الحكم : لله درُّ ابنِ مُلجِم<sup>(١٢)</sup> ! فقد بَلَغَ الأمل ،

(١) خام عنه : تكسر وجين (٢) اربع على ظلمك : ارفق على نفسك واسكت على ما بك .  
(٣) الصغد : الوثاق (٤) يقال : رفاً في الدرجة ، أي صعد (٥) أسلمه : خذله (٦) أدأبأ :  
أجهدا (٧) أي ذات صدق وصبر (٨) بكلا كلمهم : بصدورهم (٩) المنسم : خف البعير  
(١٠) يقال : أوجره الرمح ، أي طعنه به في فيه . والمشق : الطعن الخفيف السري .  
(١١) الإبساس أن يقال للناقة عند الحلب : بس بس ، والإيناس : خلاف الإيماش .  
(١٢) هو عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي .

وأمن الوجيل، وأحد الشفرة، ولأن المهرة، وأدرك الثار، ونقى العار، وفاز بالنزلة العليا، ورتقى الدرجة القضيوى .

فقال ابن عباس : أما والله لقد كرع كأس حنثه بيده ، وعجل الله إلى النار برؤحه ؛ ولو أبدى لأمير المؤمنين صفحته لألقه صاباً<sup>(١)</sup> ، وسقاه سماماً<sup>(٢)</sup> ، وألحقه بالوليد وعتبة وحنظلة<sup>(٣)</sup> ، فكلمهم كان أشد منه شكيمة ، وأمضى عزيمة ، فقرى بالسيف هامهم<sup>(٤)</sup> ، ورملمهم<sup>(٥)</sup> بدمائهم ، وقرى الذئاب أشلاءهم<sup>(٦)</sup> ، وفرق بينهم وبين أحبائهم ، أولئك حصب<sup>(٧)</sup> جهنم لها واردون فهل تحبس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركراً<sup>(٨)</sup> ! ولا غرو إن ختل ، ولا وصمة إن قتل .

فقال المغيرة بن شعبة : أما والله لقد أشرت على بالنصيحة ، فأثر رأيه ، ومضى على غلوائه ، فكانت العاقبة عليه لا له ، وإني لأحسب أن خلفه يقتدون بمنهجه .

فقال ابن عباس : كان والله أمير المؤمنين - عليه السلام - أعلم بوجوه الرأى ، ومعاقد الخزم ، وتضريف الأمور، من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله عنه، وعنف عليه : قال سبحانه : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ .

ولقد وقفت على ذكر مبين ، وآية متلوة قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ مَتَّحِدِينَ وَالْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ . وهل كان يسوغ له أن يحكم في دماء المسلمين وفي المؤمنين

(١) الصاب : عصارة شجر مر (٢) السمام : جمع سم (٣) هؤلاء قتلوا يوم بدر .  
(٤) جمع هامة ، وهى الرأس (٥) رملهم : لطمهم (٦) الأشلاء : جمع شلو ، وهو العضو  
(٧) الحصب : ما يرمى في النار (٨) الركن : الصوت الخفى .

من ليس بمأمونٍ عنده ، ولا موثوقٍ به في نفسه ، هيئات هيئات ! هو أعلم بفرضِ  
الله وسنةِ رسوله أن يُبطنَ خلافَ ما يظهر إلا للتقية<sup>(١)</sup> ، ولاتَ حينَ تقيّةٍ ، مع  
وضوح الحق وثبوتِ الجنان ، وكثرة الأُنصار ؛ يمضى كالسيف المصلت<sup>(٢)</sup> في أمرِ  
الله ، مؤثراً لطاعةِ ربه والتقوى على آراءِ أهلِ الدنيا .

قال يزيد بن معاوية : يا ابنَ عباس ؛ إنك لتتطقُ بلسانٍ طلق<sup>(٣)</sup> ، تنبئُ عن  
مكنونِ قلبِ حرق<sup>(٤)</sup> ، فاطورٍ ما أنت عليه كشمعاً ، فقد محاضوه حقناً ظلمةً  
باطليكم .

قال ابنُ عباس : مهلاً يزيد ! فوالله ما صفتِ القلوبِ لكم منذ تكذرتِ  
بالمداوة عليكم ، ولا دنتِ بالحبّة إليكم منذ نأتِ بالقبضاء عنكم ، ولا رضيت  
اليوم منكم ما سخطت بالأمس من أفعالكم ، وإن تُدِلَّ<sup>(٥)</sup> الأيامُ نستقصِ  
ماشدّ عنا ، ونسترجع ما ابتزُّ منا ، كيلاً بكييل ، ووزناً بوزن ؛ وإن تكن الأخرى  
فكفى بالله ولياً وكيلاً على المعتدين علينا !

يقال معاوية : إن في نفسى منكم لحزازات يا بني هاشم ، وإني لخليق أن  
أدركَ فيكم النار ، وأتقيَ العار ؛ فإن دماءنا قبلكم ، وظلامتنا فيكم .

قال ابن عباس : والله إن رُمّت ذلك يا معاوية لتثيرنّ عليك أسداً مُخدّرةً<sup>(٦)</sup> ،  
وأفاعى مُطرقة لا يفتوؤها<sup>(٧)</sup> كثرةُ السلاح ، ولا تعضُّها نكابة الجراح ، يضعون  
أسيانهم على عواتقهم ، يضربون قُدماً قُدماً من ناوأهم ، يهون عليهم نباح  
الكلاب ، وعواء الذئاب ، لا يقاتون بوتراً ، ولا يسبقون إلى كريمِ ذِكر ، قد

(١) التقية : المحافظة على النفس (٢) المصلت : المسلول (٣) طلق : ذلق (٤) حرق =  
عروق (٥) يقال : أداله الله من عدوه ، نصره عليه (٦) أخدر الأسد : لزم الأجمة .  
(٧) المراد : لا يسكنها .

وطنوا على الموت أنفسهم ، وسميت بهم إلى العلياء همهم كما قالت الأزدية :  
قومٌ إذا شهدوا الهياج فلا ضربٌ يهنهم ولا زجرٌ  
وكانهم آسادٌ غينة<sup>(١)</sup> قد غرثت<sup>(٢)</sup> وبل متوتها القطرُ

فلتكونن منهم بحيث أعددت ليلة الهري للهرب فرسك ، وكان أكبرهمك  
سلامة حُشاشة نفسك ، ولولا طغام<sup>(٣)</sup> من أهل الشام وقوك بأنفسهم ، وبدلوا  
دونك مهجهم ، حتى إذا ذاقوا وخز الشقار ، وأيقنوا بحلول الدمار ، رفعوا المصاحف  
مستجبرين بها ، وعائذين بعصمتها ، لكنت شلوا مطروحا بالمرء ، تسفي عليك  
رياحها ، ويعتورك ذئابها .

وما أقول هذا أريد صرفك عن عزيمتك ، ولا إزالتك عن معقود نيتك ،  
لكن الرحم التي تعطف عليك ، والأوامر التي توجب صرف النصيحة إليك !  
فقال معاوية : لله درك يا بن عباس ! ما تكشف الأيام منك إلا عن سيفٍ  
صقيل ، ورأى أصيل ؛ وباللّه لو لم يلد هاشمٌ غيرك لما نقص عددهم ، ولو لم يكن  
لأهلك سواك لكان الله قد كثّرهم .  
ثم نهض ابن عباس وانصرف .

(١) الغينة : الأجمة (٢) غرثت : جاعت (٣) الطغام : آوفاذ الناس .

٥٥ — لولا ما جعل الله لنا في يدك ما أتيناك \*

بيننا معاويةُ جالس يوماً وعنده عمرو بن العاص إذ قال الأذن : قد جاء عبدُ  
الله بن جعفر بن أبي طالب ، فقال عمرو : والله لأسوأته اليوم ! فقال معاوية :  
لا تفعل يا أبا عبد الله ، فإنك لا تنتصف<sup>(١)</sup> منه ، ولعلك إن تفعل تظهر لنا من  
منقبته<sup>(٢)</sup> ما هو خفيٌ عنا ، وما لا نحب أن نعلمه منه .

وغشيتهم عبد الله بن جعفر ، فأذناه معاويةً وقرّبه ، فمال عمرو إلى بعض جلساء  
معاوية ، فنال من عليٍّ جهاراً غير ساتر له ، وثلبه ثلباً قبيحاً ؛ فالتمع لونُ عبد الله  
واعتراه أفكل<sup>(٣)</sup> حتى أرعدتُ خصائله<sup>(٤)</sup> ثم نزل عن السرير كالفنيق<sup>(٥)</sup> ؛  
فقال عمرو : مه يا أبا جعفر ! فقال عبد الله : مه ، لا أم لك ! ثم قال :

أظنُّ الحلمَ دلَّ على قومي وقد يتجهلُّ الرجلُ الحليمُ

ثم حسر عن ذراعيه ، وقال : يا معاوية ؛ حتام تتجرع غيظك ، وإلام الصبرُ  
على مكروه قولك وسينُ أدبك ، وذميم أخلاقك ، هبلتِك الهبول<sup>(٦)</sup> ! أما يزجرك  
ذِمَامُ المجالسة عن القُدْعِ لجليسك إذا لم تكن حرمةً من دينك تنهاك عما لا يجوزُ  
لك ؟ أما والله لو عطفتك أو اصبرُ الأرحام ، أو حاميت على مهمك من

\* ابن أبي الحديد : ٢ - ٩٠٤ .

(١) اتصف منه : استوفى حقه منه كاملاً (٢) المنقة : المنفرة (٣) الأفكل : الرعدة  
(٤) الحصلة : كل قطعة من لحم عظمت أو صغرت ، وجمها الحصائل (٥) الفنيق : الفعل المكرم  
لا يؤذى لكرامته على أهله (٦) هبل : نكل ، والهبول : هي من النساء التي لا يبقى لها ولد

الإسلام ، ما أَرَعَيْتَ بنى الإمام أَعْرَاضَ قومك ؛ وما يجهل موضع الصَّفْوَةِ إلا أهل الجَفْوَةِ .

وإنك لتعرف قريشاً وصفوة غرائزها فلا يدعونك تصويبُ ما فرط من خطئك في سَفَكِ دماءِ المسلمين ، ومحاربة أمير المؤمنين إلى التماذى فيما قد وضع لك الصوابُ في خلافه ؛ فاقصد لمنهج الحق ؛ فقد طال عمهك<sup>(١)</sup> عن سبيل الرشد ، وخبطك في دنجور ظلمة الغي ؛ فإن أبيت ألا تتابعنا فأعفنا من سوء القالة فينا ، إذا ضمنا وإياك الندى<sup>(٢)</sup> ، وشأنك وما تريد إذا خلوت ، والله حسيبك ! فوالله لولا ما جعل الله لنا في يديك لما أتيناك .

ثم قال : إنك إن كلفتنى ما لم أطق ساك ما ستر منى من خلق .

فقال معاوية : يا أبا جعفر ؛ نغىر الخطأ ، أقسمت عليك لتجلسن ، لعن الله من أخرج ضب صدرك من وجاره<sup>(٣)</sup> ، محمول لك ما قلت ، ولك عندنا ما أملت ، فلو لم يكن تحتك ومنصبك لكان خلقتك وخلقتك شافعين لك إلينا ، وأنت ابن ذى الجناحين ، وسيد بنى هاشم .

فقال عبدُ الله : بل سيدُ بنى هاشم : حسن وحسين ، لا يمتازعهما في ذلك أحد . فقال : يا أبا جعفر ؛ أقسمتُ عليك لما ذكرت حاجةً لك إلا قضيتها كأنه ما كانت ! ولو ذهبت بجميع ما أملك ، فقال : أما في هذا المجلس فلا !

ثم انصرف فأتبعه معاويةُ بصره ، فقال والله لكانه رسول الله في مشيئته وخلقه وخلقه ، وإنه لمن مشكاته<sup>(٤)</sup> ؛ ولوددت أنه أخى بنفيس ما أملك .

---

(١) العمه : التردد في الضلال (٢) الندى : مجلس القوم (٣) الوجار : جحر الضبع وغيرها (٤) أى أنهما من شيء واحد .

ثم التفت إلى عمرو فقال : يا أبا عبد الله ؛ ما تراه منعه من الكلام معك !  
قال : ما لا خفاء به عنك ! قال : أظنك تقول : إنه هاب جوابك ، لا والله ،  
ولكنه ازدراك واستحقرك ، ولم يرك للكلام أهلاً ، أما رأيت إقباله على  
دونك ، ذاهباً بنفسه عنك ؟ فقال عمرو : فهل لك أن تسمع ما أعددت له لجوابه ؟  
فقال معاوية : أرغبُ إليك يا أبا عبد الله ؛ فلات حين جواب فيما يرى اليوم ،  
ونهض معاوية وتفرق الناس .



٥٦ — ذهب قريش بالمكارم والملا\*

شَبَّبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَانَ بَرْمَلَةَ بِنْتَ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ :

رَمَلُ ، هَلْ تَذَكِّرِينَ يَوْمَ عَزَالٍ إِذْ قَطَعْنَا مَسِيرَنَا بِالتَّمَنِ  
إِذْ تَقُولِينَ : عَمَّرَكَ اللَّهُ ، هَلْ شَيْءٌ لَا وَإِنْ جَلَّ سَوْفَ يُسَلِّيكَ عَنِّي !

وَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ ؛ فَغَضِبَ ، وَدَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَقَالَ :  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الْعَلْجِ (١) مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ يَتَهَكَّمُ بِأَعْرَاضِنَا ،  
وَيَتَشَبَّبُ بِنِسَائِنَا ! قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَانَ ، وَأَنْشَدَهُ مَا قَالَ .  
فَقَالَ : يَا يَزِيدَ ؛ لَيْسَتِ الْعُقُوبَةُ مِنْ أَحَدٍ أَقْبَحَ مِنْهَا مِنْ ذَوَى الْقُبُورَةِ ؛ وَلَكِنْ  
أَسْهَلُ ، حَتَّى يَقْدَمَ وَفَدُ الْأَنْصَارِ ، ثُمَّ ذَكَرْنِي .

فَلَمَّا قَدِمَ وَفَدُ الْأَنْصَارِ ذَكَرَهُ بِهِ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ؛  
أَلَمْ يَبْلُغْنِي أَنَّكَ تَشَبَّبَ بَرْمَلَةَ بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا  
أَشْرَفَ بِهِ شَعْرَى أَشْرَفَ مِنْهَا لَذَكَرْتُهُ ! قَالَ : وَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ أُخْتِهَا هِنْدَ ؟ قَالَ :  
وَإِنْ لَهَا لِأَخْتَا ! قَالَ : نَعَمْ - وَإِنَّمَا أَرَادَ مَعَاوِيَةَ أَنْ يَشَبَّبَ بِهِمَا جَمِيعًا فَيَكْذِبُ نَفْسَهُ -  
فَلَمْ يُرْضِ يَزِيدٌ مَا كَانَ مِنْ مَعَاوِيَةَ .

فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ جُمَيْلٍ فَقَالَ : اهْجُ الْأَنْصَارَ ، فَقَالَ : أَفَرَّقَ (٢) مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وَلَكِنْ أَدْلَكَ عَلَى الشَّاعِرِ الْكَافِرِ الْمَاهِرِ ، قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : الْأَخْطَلُ (٣) .

\* الْأَغَانِي : ١٤ - ١٤٢ .

(١) الْعَلْجُ : الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْفَلِيطُ (٢) أَفَرَّقَ : أَخَافَ (٣) الْأَخْطَلُ : شَاعِرٌ اشْتَهَرَ فِي عَهْدِ  
بَنِي أُمَيَّةَ بِالشَّمَامِ وَأَكْثَرَ مِنْ مَدْحِ مَلُوكِهِمْ ، وَتَهَاجَى مَعَ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ فَتَنَاقَلَ الرُّوَاةُ شَعْرَهُ ،  
تَوَفَّى سَنَةَ ٥٩٠ هـ .

فدعاه ، فقال : اهج الأنصار ، قال : أفرق من أمير المؤمنين ، فقال :  
لا تخف شيئاً ، أنا لك بذلك ، فهجهم فقال :

وإذا نسبت ابن الفريعة<sup>(١)</sup> خلتَهُ كالجحش بين حمارةٍ وحمارٍ  
لعن الإله من اليهود عصاةً بالجِزَعِ بين جَلَّالٍ وصرارٍ<sup>(٢)</sup>  
قومٌ إذا هدرَ العسيرُ رأيتهم حمرا عيونهم من السُّطارِ<sup>(٣)</sup>  
خلوا المكارم لستموا من أهلها وخذوا مساحيكم<sup>(٤)</sup> بنى النجار  
ذهبت قريش بالمكارم والملا واللؤم تحت عمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير ؛ فدخل على معاوية فحَسَرَ عن رأسه عمامته ،  
وقال : يا أمير المؤمنين ؛ أترى لؤماً ؟ قال : لا ، أرى كرماً وخَيْراً ، ما ذاك ؟ قال :  
زَعَمَ الأخطل أن اللؤم تحت عمائمنا ، قال : أو فعل ! قال : نعم ، قال : لك لسانه .

وكتب فيه أن يُوتى به ، فلما أُتِيَ به ، سأل الرسول ليدخل إلى يزيد أو لا ،  
فأدخله عليه ، فقال : هذا الذي كنتُ أخاف ، قال : لا تخف شيئاً ، ودخل على  
معاوية ، فقال : علام أرسل إلى هذا الرجل وهو يرمى من وراء جمرتيناً<sup>(٥)</sup> ؟ قال :  
هجا الأنصار ، قال : ومن زَعَمَ ذلك ؟ قال : النعمان بن بشير . قال : لا يُقبَلُ  
قوله عليه ، وهو يدعى لنفسه ، ولكن تدعوه بالبيئنة ، فإن أثبت شيئاً أخذت به له .  
فدعاه بالبيئنة ، فلم يأت بها فخلّى سبيله ، فقال الأخطل في يزيد :

(١) الفريعة : هي أم حسان بن ثابت (٢) صرار : اسم جبل ، وجلاجل : مكان  
(٣) اللبطار من أسماء الحجر التي اعتصرت من أبيكار النعب (٤) المساحي : جمع مسحة وهي  
الحجرقة من الحديد (٥) الجرة : اجتماع القبيلة الواحدة على من ناوأها .

صحاً القلبُ إلا من ظمائنِ فاتني  
 وقرّبنَ للبينِ الجمالِ وزينتُ  
 فطرُنَ بوَحشٍ ماتوا نيك بعد ما  
 وإني غداةَ استعبرت<sup>(٤)</sup> أم مالكِ  
 ولولا يزيدُ ابن الملوكِ وسيدُهُ  
 فكم أنقذتني من جرورٍ<sup>(٦)</sup> حبالكم  
 إلى أن قال :

أبا خالدٍ ؛ دافعتَ عني عزيمةً  
 وأطفأتَ عني نارَ نُعمان بعد ما  
 ولما رأى النعمانُ دوني ابن حرّةٍ  
 ولاقى امرأً لا ينقضُ القومُ عهده  
 وأدركتَ لحمي قبل أن يتبددا  
 أغذتُ لأمر عاجزٍ وتجرّداً<sup>(٩)</sup>  
 طوى الكشّحَ إذ لم يستطعني وعرداً<sup>(١٠)</sup>  
 أمر القوي دون الوشاة، وأحصداً<sup>(١١)</sup>

(١) أصعد : سار في أرض مرتفعة (٢) لك : أراد بها الجلود أو الثياب المصبوغة  
 (٣) أراد بالوحش النساء ، والبازي قسه (٤) استعبرت : جرت عبرتها ، وأم مالك : امرأة  
 الأختل (٥) الحدبار : السنة المجذبة ، ويستعار للأمر الصعب (٦) الجرور : البئر البعيدة النور  
 (٧) الحرساء : الداهية (٨) بلد : لصق بالأرض (٩) النعمان بن بشير ، والإغذاذ : سرعة  
 السير ، وأمر عاجز : شديد يعجز صاحبه (١٠) طوى الكشّح : أضمر المداوة ،  
 هرد : مرب (١١) أمر القوي : أحكم قتلها ، وكذلك أحصد .

٥٧ — لو ترك القطأ لنا\*

تزوج عبدُ الله بن الزبير<sup>(١)</sup> أم عمرو ابنة منظور بن زبَّان الفزَّارية ، فلما دخل بها قال لها تلك الليلة : أتدريين مَنْ معك في حجَّلتك<sup>(٢)</sup> ؟ قالت : نعم ! عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، قال : ليس غير هذا ؟ قالت : فما الذى تريدُ ؟ قال : معك مَنْ أصبحَ فى قریش بمنزلة الرأس من الجسد ، لا بل بمنزلة العينين من الرأس .

قالت : أما والله لو أن بَعْضَ بنى عبد مناف حَضَرَكَ لقال لك خلاف قولك . فغضب وقال : الطعامُ والشرابُ على حرام حتى أحضركِ الهاشميين وغيرهم من بنى عبد مناف فلا يستطيعون لذلك إنكاراً .

قالت : إن أظعتى لم تفعل ، وأنت أعلمُ وشأنك . فخرج إلى المسجد ، فرأى حلقهَ فيها قومٌ من قریش ، منهم عبد الله بن عباس وعبدُ الله بن الحصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، فقال لهم ابن الزبير : أحبُّ أن تنطلقوا معى إلى منزلى ، فقام القومُ جميعاً ، حتى وقفوا على باب بيته . فقال ابن الزبير : يا هذه ؛ اطرحى عليك سِتْرَكَ .

\* ابن أبى الحديد : ٢ - ٥٠١ .

(١) عبد الله بن الزبير : أول مولود فى المدينة بعد الهجرة ببيع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ ببعد موت يزيد بن معاوية وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة انتهت بقتله سنة ٧٣ هـ (٢) الحجلة : موضع يزين بالثياب والستور .

فلما أخذوا مجالسهم دعا بالمائدة فتغذى القوم ، فلما فرغوا قال لهم : إنما جئتمكم  
لحديثٍ رَدَّته على صاحبةُ السرِّ ، وزعمتُ أنه لو كان بعضُ بنى عبدمناف حضرنى  
لما أقرتُ لى بما قلت . وقد حضرتم جميعاً . وأنتَ يابنَ عباس ، ماتقول ؟ إني أخبرتها  
أن معها فى خدرها منَّ أصبح فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد ، لا بل بمنزلة العينين  
من الرأس ، فردت على مقالتي .

فقال ابنُ عباس : أراك قصدتَ قَصْدِي ؛ فإن شئتَ أن أقول قلت ، وإن  
شئتَ أن أكفَّ كَفَفْتِ ، قال : بل قل ، وما عسى أن تقول ؟ ألسنتَ تعلم أن أبى  
الزبير حوارى رسول الله ، وأن أمى أسماء بنتُ أبى بكر الصديق ذات النطأ قَيْنِ ،  
وأن عمتى خديجة سيدة نساء العالمين ، وأن صفية عمه رسول الله جدتى وأن عائشة  
أم المؤمنين خالتي ، فهل تستطيع لهذا إنكاراً !

قال ابنُ عباس : لا ، ولقد ذكرتُ شرفاً شريفاً ، وغزراً فاخراً ؛ غير أنك تفاخر  
مَنْ بفضره فخرتُ ، وبفضله سموتُ . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك لم تذكُرْ  
غزراً إلا برسول الله وآله ، وأنا أولى بالفخر به منك !

قال ابنُ الزبير : لو شئتُ لفخرتُ عليك بما كان قبل النبوة . قال ابنُ عباس :  
قد أنصف القارة<sup>(١)</sup> من راماهما ، نَشَدْتُمْ الله أيها الحاضرون ؛ أعبدُ المطلبَ أشرفُ  
أم خويلد فى قريش ؟ قالوا : عبد المطلب . قال : أفهاشم كان أشرفَ فيها أم أسد ؟

(١) القارة : قبيلة ، وفى اللسان زعموا أن رجلين التقيا ، أحدهما قارى والآخر أسدى ، فقال  
القارى : إن شئتَ صارعتك ، وإن شئتَ سابعتك ، وإن شئتَ راميتك ، فقال الأسدى : قد  
اخترت المراماة ، فقال القارى : قد أنصفتنى وأنشد :

قد أنصف القارة من راماهما

إننا إذا ما فشة نلقاها  
نرد أولاهما على آخرها

قالوا: بل هاشم! قال: أفعبد مناف كان أشرف أم عبد العزى؟ قالوا:  
عبد مناف، فقال ابن عباس:

تَنَافَرْنِي<sup>(١)</sup> يَا بَنَ الزَّيْبِرِ وَقَدْ قَضَىٰ عَلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ لَا قَوْلَ هَازِلٍ  
وَلَوْ غَيْرَنَا يَا بَنَ الزَّيْبِرِ فَخَرَّتْهُ وَلَكِنَّمَا سَامَيْتَ شَمْسَ الْأَصَائِلِ  
قَضَىٰ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ بِالْفَضْلِ فِي قَوْلِهِ: «مَا أَفْتَرَقَتْ فِرْعَوْنَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي  
خَيْرِهِمَا»، فَقَدْ فَارَقْنَاكَ مِنْ بَعْدِ قُصَى<sup>(٢)</sup> بَنِ كِلَابٍ، أَفَنَحْنُ فِي فِرْقَةِ الْخَيْرِ أَمْ لَا؟  
إِنْ قُلْتَ: نَعَمْ خُصِمْتُ<sup>(٣)</sup>، وَإِنْ قُلْتَ: لَا كَفَرْتُ.

فضحك بعض القوم؛ فقال ابن الزبير: أما والله لولا تحرمك<sup>(٤)</sup> بطعامنا  
يأبن عباس لأغرقت جبينك قبل أن تقوم من مجلسك!

قال ابن عباس: ولم؟ أبايطل! فالباطل لا يغلب الحق، أم بحق! فالحق  
لا يخشى من الباطل.

فقالت المرأة من وراء الستر: إني والله قد نهيتُ عن هذا المجلس فأبى إلا  
ماتروُن. فقال ابن عباس: مه أيتها المرأة، اقنعي ببيعك، فما أعظم الخطر،  
وما أكرم الخبير!

فأخذ القوم بيد ابن عباس - وكان قد عمى - فقالوا: انهض أيها الرجل فقد  
أحمتَه غير صرة، فهض وهو يقول:

أَلَا يَا قَوْمَنَا ارْتَحِلُوا وَسِيرُوا      فَلَوْ تَرُكَ الْقَطَا لَفَسَا وَنَامَا

(١) تماكني في الحسب وتفاخرني (٢) كان من أولاد قصى عبد العزى (ومن سلالة ابن  
الزبير) وعبد مناف (ومن سلالة بنو هاشم) (٣) خصمت: غلبت (٤) تحرمك: احتماؤك.

فقال ابن الزبير : يا صاحبَ القَطَا ؛ أَقِيلِ عَلَيَّ ، فما كنتَ لَتَدْعَنِي حَتَّى أَقُولَ ،  
وَإِيْمُ اللَّهِ لَقَدْ عَرَفَ الْأَقْوَامُ أَنِي سَابِقُ غَيْرِ مَسْبُوقٍ ، وَابْنُ حَوَارِيٍّ <sup>(١)</sup> وَصَدِيقٌ ،  
مُتَّبِعٌ <sup>(٢)</sup> فِي الشَّرَفِ الْأَنِيْقِ ، خَيْرٌ مِنْ طَلِيْقٍ <sup>(٣)</sup> وَابْنِ طَلِيْقٍ .

فقال ابن عباس : هذا الكلام مردود من امرئ حُودٍ ، فإن كنت سابقاً  
فإلى مَنْ سبقت ؟ وإن كنت فاعراً فبِمَنْ فخرت ؟ فإن كنت أدركت هذا الفخر  
بأسرتك دون أسرتنا فالفخرُ لك علينا ، وإن كنت إنما أدركته بأسرتنا فالفخرُ لنا  
عليك ، وَالكَتْكُكُ <sup>(٤)</sup> فِي فَمِكَ وَيَدِيْكَ .

وأما ما ذكرت من الطليق ؛ فوالله لقد ابْتُلِيَ فِصْرٌ ، وَأُنْعِمَ عَلَيْهِ فَشَكَرَ ، وَإِنْ  
كَانَ - وَاللَّهِ - وَفِيًّا كَرِيْمًا غَيْرَ نَاقِضٍ بِيَعَةٍ بَعْدَ تَوَكُّيْدِهَا ، وَلَا مُسْلِمٍ كَتَبَتْهُ بَعْدَ  
التَّأْمُرِ <sup>(٥)</sup> عَلَيْهَا .

فقال ابن الزبير : أتعبر الزبير بالجين ! والله إنك لتعلم منه خلاف ذلك .  
قال ابن عباس : والله إني لا أعلم إلا أنه فرّ وما كرت ، وحارب فما صبر ، وباع  
فما تم ، وقطع الرِّحِمَ ، وأنكر الفضل ، ورام ما ليس له بأهل :

وَأَدْرِكُ مِنْهَا بَعْضَ مَا كَانَ يَرْجِي - وَقَصَّرَ عَنِ جَرِيِّ الْكِرَامِ وَبَلَدِ <sup>(٦)</sup>  
وَمَا كَانَ إِلَّا كَالهَجِينِ أَمَامَهُ عِتَاقٍ <sup>(٧)</sup> فجاراه العِتَاقُ فَأُجْهِدَا

(١) الحواري في الأصل : كل سابع في نصرة آخر ، وقد لقب الزبير بذلك . والصديق : أبو بكر ،  
وهو أبو أسماء أم عبد الله بن الزبير (٢) التبعجج : الافتخار والتعظيم (٣) يعرض بالعباس  
ابن عبد المطلب ، وقد أسره المسلمون يوم بدر ، وقد أطلقه رسول الله بعد أن أخذ منه الفدية  
(٤) الكتكت : التراب (٥) يعرض بالزبير وقد بايع علي بن أبي طالب ثم نكس (٦) لم يتبعه  
لشيء ، وبخل ولم يجيد (٧) العتاق : جمع عتيق وهو الكريم من الخيل ، والهجين : ما ليس عشيقاً

فقال ابن الزبير: لم يَبْقَ يا بني هاشم غير المشائمة والمُضاربة . فقال عبد الله  
ابن الحصين بن الحارث : أقناه عنك يا بن الزبير ، وتأبى إلا منازعته ! والله  
لو نازعتهُ من ساعتك إلى انقضاء عمرك ما كنت إلا كالسَّغْب (١) الظمان ، يفتح  
فاه يستزيدُ من الريح ، فلا يشبع من سَغْب ، ولا يروى من عطش ، فقل : إن  
شئتَ أو فدع . وانصرف القوم .



٥٨ — مفاخرة ربيعة \*

قال عبدُ الملك<sup>(١)</sup> بن مروان يوماً لجلسائه: خبروني عن حَيٍّ من أحياء العرب،  
فيهم أشدُّ الناس، وأسخَى الناس، وأخطبُ الناس، وأطوعُ الناس في قومه،  
وأحلمُ الناس، وأحضرهم جواباً.

قالوا: يا أميرَ المؤمنين؛ ما نعرفُ هذه القبيلة، ولكن ينبغي أن تكونَ في  
قريش، قال: لا، قالوا: ففي حِميرٍ وملوكها، قال: لا. قالوا: ففي مضر،  
قال: لا.

قال مصقلةُ بنُ رقية العبدى: فهي إذن في ربيعة، ونحن هم. قال: نعم. قال  
جسأوه: ما نعرفُ هذا في عبد القيس، إلا أن نخبرنا به يا أميرَ المؤمنين.

قال: نعم، أما أشدُّ الناس حِكيم<sup>(٢)</sup> بن جبلة؛ كان مع عليّ بن أبي طالب  
رضي الله عنه، فقطعت ساقه، فضمَّها إليه، حتى مرَّ به الذي قطعها فرماه بها،  
فألقاه عن دابته، ثم حبا إليه فقتله، واتَّكأ عليه؛ فر به الناس؛ فقالوا: يا حَكيم؛  
مَنْ قطع ساقك؟ قال: وسادي هذا! وأنشأ يقول:

ياساقُ لا تُراعى إن مَعِيَ ذِرَاعِي

\* أنحى بها كُرَاعِي<sup>(٣)</sup> \*

\* العقد الفريد: ٢ - ٢٣٢

(١) عبد الملك بن مروان من أعظم الخلفاء ودهاتهم، استعمله معاوية على المدينة، وانتقلت إليه  
الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥، توفى بدمشق سنة ٨٦ هـ (٢) حَكيم بن جبلة: صحابي، اشترك  
في الفتنة أيام عثمان، ولما كان يوم الجمل قاتل مع أصحاب علي، وقتل في هذه الواقعة سنة ٣٦ هـ  
(٣) الكراع: اسم يجمع الخيل والسلاح.

وأما أسْحَى الناس فعبدُ الله بن سوار ؛ استعمله معاوية على السند ؛ فسار إليها في أربعة آلاف من الجند ، وكانت تُوقَدُ معه نارٌ حينما سار فيطعم الناس ؛ فبينما هو ذات يوم إذ أَبْصَرَ ناراً ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : أصلح الله الأمير ! اعتلّ بعضُ أصحابنا ، فاشتبهى خبيصاً<sup>(١)</sup> ، فعملنا له ؛ فأمر خبازَه ألا يطعمَ الناس إلا الخبيص ، حتى صاحوا ، وقالوا : أصلح الله الأمير ! رُدْنَا إلى الخبز واللحم ؛ فسُمِّي مُطْعِمَ الخبيص .

وأما أطوعُ الناس في قومه فالجارود<sup>(٢)</sup> بن بشر بن العلاء ؛ لأنه لما قبضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتدَّت العرب ، خطبَ قومه فقال : أيها الناس ، إن كان محمدٌ قد ماتَ فإن الله حيٌّ لا يموت ؛ فاستمسكوا بدينكم ، فمن ذهب له في هذه الرِّدَّة دينار أو درهم أو بعيرٌ أو شاة ، فله على مِثْلَاه ؛ فما خالفه منهم رجل .

وأما أحضرُ الناس جواباً فصمصعةُ بن صُوحان ؛ دخل على معاوية في وَفْدِ أهل العراق ؛ فقال معاوية : مرحباً بكم يا أهل العراق ، قدتم أرضَ الله المقدسة ، منها المَنشَرُ وإليها الحشر ، قدتم على خير أميرٍ يَبْرُكُ كبيركم ، ويرحم صغيركم ، ولو أنَّ الناس كلَّهم ولدُ أبي سفيان لكانوا حِلماً عقلاء .

فأشار الناس إلى صمصعة ؛ فقام ، فحمد الله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : أما قولك يا معاوية : إننا قدمنا الأرض المقدسة ؛ فلمرى ما الأرض تقدسُ الناس ، ولا يقدسُ الناس إلا أعمالهم ، وأما قولك : منها المَنشَرُ وإليها الحشر

---

(١) الخبيص : الطعام من التمر والسمن (٢) هو بشر بن عمرو سيد عبد القيس ، كان شريفاً في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وقتل شهيداً سنة ٢٠ هـ

قلهمرى ما ينفع قُرْبها ولا يضر بُعْدُها مؤمناً . وأما قولك : لو أن الناس كلُّهم ولدُ  
أبى سفيان لكانوا حلاء عقلاء ، فقد ولدتم خيرٌ من أبى سفيان ، آدم صلوات الله  
عليه ، فمنهم الحليم والسفيه ، والجاهل والعالم .

وأما أحلمُ الناس فإن وفدَ عبد القيس قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم  
بصدقاتهم ، وفيهم الأشج ، ففرّقها رسول الله ، وهو أول عطاء فرّقه في أصحابه ،  
ثم قال : يا أشج ، اذنُ منى ، فدنا منه ، فقال : إن فيك خلتين يحبهما الله :  
الأناة والحلم ، وكفى برسول الله شاهداً .

٥٩ — أراك عالمًا بقومك \*

رَوَى أَن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لَمَّا قَدِمَ الْكُوفَةَ بَعْدَ قَتْلِهِ مُصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ جَلَسَ لِعَرَضِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ مَعْبِدُ بْنُ خَالِدِ الْجَدَلِيِّ - وَكَانَ قَصِيرًا دَمِيًّا - فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ .

قال مَعْبِدُ : فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال : مَنْ أَنْتَ ؟ فسكت ولم يقل شيئًا - وكان مِنًا - فقلت مِنْ خَلْفِهِ : نحن يا أمير المؤمنين من جَدِيلَةَ ، فأقبل على الرجل وتركني وقال : مِنْ أَيِّكُمْ ذُو الْإِصْبَعِ ؟ قال الرجل : لا أدري ، قلت : كان عَدَوَانِيًّا ، فأقبل على الرجل وتركني وقال : لَمْ تُسَمِّ ذَا الْإِصْبَعِ ؟ قال الرجل : لا أدري ، قلت : نَهَشْتَهُ حَيَّةٌ فِي إِصْبَعِهِ فَيَبَسَتْ فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرَكَنِي ، ثم قال : وَبِمَ كَانَ يُسَمَّى قَبْلَ ذَلِكَ ؟ قال الرجل : لا أدري ، قلت : كان يسمى حُرَّتَانًا ، فأقبل على الرجل وتركني ، ثم قال : مِنْ أَيِّ عَدَوَانَ كَانَ ؟ فقلت من خَلْفِهِ : من بنى ناجٍ ، الذين يقول فيهم الشاعر :

وَأَمَّا بَنُو نَاجٍ فَلَا تَذْكُرْهُمْ  
وَلَا تُتْبِعَنَّ عَيْنِكَ مَا كَانَ هَالِكًا  
إِذَا قُلْتُمْ مَعْرُوفًا لِأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ  
يَقُولُ وَهَيْبٌ لَا أَسْأَلُ ذَلِكَ  
فَأُضْحَى كظُهِرِ الْفَحْلِ جُبَّ سَفَامُهُ  
يَدْبُ إِلَى الْأَعْدَاءِ أَحْدَبَ بَارِكًا

فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرَكَنِي وَقَالَ : أَنَشِدُنِي قَوْلَهُ : « عَذِيرُ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَانَ » .

قال الرجل : لستُ أرويهَا ؛ قلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن شئتُ أنشدتكَ . قال :  
ادنُ مني ؛ فإني أراك بقومك عالماً . فأنشدته :

وليس المرء في شيء من الإبرام والنقضِ  
إذا أبرم أمراً خافاً له يقضي وما يقضي  
يقولُ اليومَ أمضيه ولا يملك ما يمضي  
عذيرَ الحى من عدواً نَ كانوا حية الأرضِ (١)  
بنى بعضهم بعضاً فلم يُيقوا على بعض  
قد صاروا أحاديثَ برقعِ القولِ والخفضِ  
ومنهم كانت السادا تُ والموقونَ بالقرضِ  
ومنهم حكمٌ يقضي فلا يُنقضُ ما يقضي  
ومنهم من يُجيزُ (٢) النَّاسَ بالسنةِ والقرضِ  
وهم من ولدوا أشبوا (٣) بسرَّ الحسبِ المحضِ  
ومن ولدوا عامرَ ذو الطولِ وذو العرضِ  
وهم بؤوا (٤) ثقيفاً داراً لا ذلٍ ولا خفضِ

فأقبل على الرجل وتركنى وقال : كم عطاؤك ؟ فقال : أفتان . فأقبل على  
كاتبه وقال : اجعل الألفين لهذا والخسمائة لهذا . فانصرفتُ بها .

(١) يقال : فلان حية الوادى أو الأرض أو البلد : أى داه خبيث .  
(٢) كانت لإجازة الحج لخزاعة ، ثم انتقلت إلى عدوان ، يقف رئيسهم في أيام الحج يخطب في  
الناس ثم ينفر ويتبعونه بعد ذلك (٣) يقال : أشي فلان إذا ولد له ولد كيس (٤) بؤوا : أنزلوا .

٦٠ — لقد خِفْتُ أَنْ تَفْخَرَ عَلِيٌّ\*

دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان ، فقال له من الرجل ؟  
قال : من الذين قال لهم الشاعر :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا

فقال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل :

يَزِيدُ بَنُو سَعْدٍ عَلَى عَدَدِ الْحَصَى وَأَثْقَلُ مِنْ وَزَنِ الْجِبَالِ حُلُومَهَا<sup>(١)</sup>

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُمْ بِيضُ الْمَسَافِرِ غُرَّانٍ<sup>(٢)</sup>

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

فَلَا وَأَيْبِكَ مَا ظَلَمْتَ قُرَيْعٌ بَأَنْ يَبْنُوا الْمَكَازِمَ حَيْثُ شَاءُوا

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّيْ بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا؟

قال : اجلس لا جلست ! والله لقد خفتُ أن تفخرَ عليٌّ .

\* نهاية الأرب : ٣ - ٢٠٠

(١) الحلوم : جمع حلم : وهو العقل .

(٢) يقال : رجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه ، من قوم غر وقران ، والبيت لامرئ القيس

(اللسان - غرر) .

٦١ — عبد الله بن جعفر والحجاج\*

أكره الحجاجُ بن يوسف عبد الله بن جعفر على أن زوجته ابنته ، فاستأجله<sup>(١)</sup> في قتلها سنة ؛ ثم فكرَ عبدُ الله في الانفكاك منه ، فألقى<sup>(٢)</sup> في روعه خالد بن يزيد ، فكتب إليه يعلمه ذلك . وكان الحجاجُ تزوجها بإذن عبد الملك - فورد على خالد كتابه ليلاً ، فاستأذن من ساعته على عبد الملك . فقيل : أفي هذا الوقت ؟ فقال : إنه أمرٌ لا يُؤخر .

فأعلمَ عبدُ الملك بذلك ، فأذن له . فلما دخل عليه قال له عبد الملك : فيم السري<sup>(٣)</sup> يا أبا هاشم ؟ قال : أمرٌ جليل لم آمن أن أؤخره ، فتحدث على حادثة ، فلا أكون قد قضيتُ حقَّ بيعتك . قال : وما هو ؟ قال : أتعلمُ أنه ما كان بين حيين من العداوة والبغضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبي سفيان ؟ قال : لا ، قال : فإن تزويجي<sup>(٤)</sup> إلى آل الزبير أذهب ما كان لهم في قلبي ، فما أهل بيت أحبُّ إلي منهم .

قال : فإن ذلك ليكون .

قال : فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج في بني هاشم ، وأنت تعلم ما يقولون ويُقال فيهم ؟ والحجاجُ من سلطانك بحيث علمت ! فجزاه خيراً وكتب إلى الحجاج أن يطلقها .

\* رغبة الأمل : ٥ - ٢٣ ، السكامل : ١ - ٢٠٥

(١) طلب منه أن يؤجله إلى مدة (٢) في روعه : فكر فيه (٣) السري : السير بالليل (٤) كان خالد قد تزوج رملة بنت الزبير بن العوام .

فطلقها ، وغدا الناس عليه يُعزُّونه عنها ؛ فكان ممن أتاه عمرو بن عُتْبَةَ بن  
أبي سفيان ، فأوقع الحجاجُ بخالد ؛ فقال : كان الأمر لآبائه فعجز عنه حتى انزِع  
منه . فقال له عمرو بن عُتْبَةَ : لا تقلْ ذا أيُّها الأمير ؛ فإن لخالد قديماً سبق إليه ،  
وحديثاً لم يُفانِب عليه ، ولو طلب الأمر لطلبه بِجِدِّ وَجِدِّ ، ولكنه علمِ علماً ،  
فسلم العلمَ إلى أهله .

فقال الحجاج : يا آل أبي سفيان ؛ أنتم تُحبُّون أن تَحْمُلُوا ، ولا يكون الحِلْمُ إلا  
عن غضب ؛ فنحن نُفَضِّلُكم في العاجل ؛ ابتغاءَ مَرْضَاتِكُمْ في الآجل .



٦٢ — إنها قريش يُقَارِع بعضها بعضاً\*

لما قُتِلَ ابنُ الزبير حَجَّ خالد<sup>(١)</sup> بن يزيد بن معاوية ، فخطب رَمَلَةَ بنت الزبير بن العوام ؛ فأرسل إليه الحجاج حاجبه عبيد الله ، فقال له : ما كنتُ أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني ! وكيف خطبت إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ، وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ، ورموه بكل قبيلة ، وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة !

فتنظر إليه خالد طويلاً ، ثم قال له : لولا أنك رسول — والرسولُ لا يعاقب — لتقطعتك إزباً إزباً<sup>(٢)</sup> ، ثم طرحتك على باب صاحبك ؛ قل له : ما كنتُ أرى أن الأمور بلغت بك إلى أن أشاورك في خطبة النساء . وأما قولك لي : قارعوا أباك ، وشهدوا عليه بكل قبيلة ، فإنها قريش يقارع بعضها بعضاً ؛ فإذا أقرَّ الله عز وجل قراره كان تقاطعهم وتراحمهم على قدر أحلامهم وفضلهم .

وأما قولك : إنهم ليسوا بأكفاء ، فقاتلك الله يا حجاج ! ما أقرَّ علمك بأنساب قريش ! أيكون العوام كفننا لعبد المطلب بن هاشم بتزوجه صفية ، ويتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد ، ولا ترام أهلاً لأبي سفيان !

فرجع الحاجب إليه فأعلمه !

\* الأغاني : ١٦ - ٨٤ ، بلوغ الأرب : ٢ - ٦ ،  
(١) خالد بن يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، كان من رجالات قريش سخاء ، وعارضة وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيبياء ، فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه (٢) إزباً إزباً : عضوا عضوا .

٦٣ — تَسْتَجِيرُ بِقَبْرِ أَبِيهِ\*

لما ولى الحجاجُ تميمَ بنَ زيدِ القينِيَّ السندَ دخلَ البصرةَ فجعلَ يُخْرِجُ من أهلها مَنْ شاءَ؛ فجاءتِ مجوزًا إلى الفرزدقِ (١) فقالت: إني استجرتُ بقبرِ أبيك - وأتتَ منه بِحَصِيَّاتٍ (٢) - فقال لها: وما شأنُكَ؟ قالت: إن تميمَ بنَ زيدِ خرجَ بابنٍ لي معه، ولا قرّةَ لعيني، ولا كاسبَ لي غيره: فقال لها: وما اسمُ ابنك؟ فقالت: خُنَيْسٌ.

فكتب إلى تميم بن زيدٍ مع بعض من شَخَّصَ:

تميمُ بنَ زيدٍ لا تكوننَّ حاجتي      بظَهْرٍ، فلا يَمِينًا على جَوابِها  
وَهَبْ لي خُنَيْسًا واحْتَسِبْ فيه مِنَّةً      لَعَبْرَةَ أُمِّ مَا يَسُوعُ شِراهُها  
أَتَنِّي فَعَاذَتِ يَا تَمِيمُ بِغَالِبِ (٣)      وبِالْحَفْرَةِ السَّافِي عَلَيْها تراهُها  
وقد عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّكَ ما جِدُّ      وليتْ إذا ما الحربُ شُبَّ شِهابِها

فلما وردَ الكتابُ على تميم تشكك في الاسم، فقال: أَحْبَبَيْشُ أم خُنَيْسُ؟ انظروا مَنْ له مثلُ هذا الإسم في عسكرنا . فأصيب ستة ما بين حبيس وخُنَيْسِ، فوجه بهم إليه .

\* الكامل : ١ - ٢٩١

(١) الفرزدق : شاعر من أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ومهاجاته لها أشهر من أن تذكر . توفي سنة ١١٠ هـ (٢) الحمى : صغار الحجارة ، الواحدة حصاة . (٣) غالب هو أبو الفرزدق .

٦٤ — الفرزدق والأنصار \*

قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري : قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان ؛ وإني والفرزدق وكثيراً جلوس في المسجد تتناشد الأشعار ؛ إذ طلع علينا غلام شخت<sup>(١)</sup> آدم في ثوبين مُمَصَّرين<sup>(٢)</sup> ، ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلم ، فقال : أيكم الفرزدق ؟ فقلت - مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ! فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له .

فقال له الفرزدق : ومن أنت لا أم لك !

قال : رجل من بني الأنصار ، ثم من بني النجار ، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم . . بلغني أنك تزعم أنك أشعرُ العرب ، وتزعم مُصَرُّ ذلك لك ، وقد قال صاحبنا حسانُ شعراً ، فأردتُ أن أعرضه عليك وأوجلك سنة ، فإن قلت مثله فأنت أشعرُ العرب ، وإلا فأنت كذابٌ مُنتحل ، ثم أنشده قول حسان :

لنا الجففاتُ الغرُّ يلمن بالضحا      وأسيفنا يقطرن من نجدة دما  
متى ما تزرنا من معدٍ عصابة<sup>(٣)</sup>      وغسان<sup>(٣)</sup> نمنع حوضنا أن يهدما  
أبي فعلنا المعروف أن ننطق الخنا      وقائلنا بالعرف إلا تكدا  
وَلَدْنَا بني العنقاء وابني مُحَرَّقِ      فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

وأنشده القصيدة إلى آخرها ، وقال له : إني فدأجلك فيها حولاً ، ثم انصرف

\* الأغاني : ٩ - ٣٣٧

(١) الشخت : الدقيق الضامر ، أصلاً ، لا هز إلا (٢) ممصران : أي مصبوغان بصفرة غير شديد  
(٣) وغسان : الواو هاهنا للقسمة ، لأن غسان لم تكن تفروم مع معد .

وانصرف الفرزدق مُغَضَّبًا يسحبُ رداءه ما يدرى أى طريق يسلك ، حتى

خرج من المسجد .

فأقبل كثيرٌ على فقال : قاتل الله الأنصارى ! ما أفصح لهجته ، وأوضح حجته

وأجود شعره ! ثم لم نزل في حديث الفرزدق والأنصارى بقية يومنا ، حتى إذا

كان الغدُ خرجتُ من منزلى إلى مجلسى الذى كنت فيه بالأمس ؛ وأتاني كثيرٌ

فجلس معي ؛ فإنا لتذاكر الفرزدق ونقول : ليت شعري ما فعل ! إذ طلع علينا

في حلة أفواف<sup>(١)</sup> يمانية موشاة ، له غدیرتان ، حتى جلس في مجلسه بالأمس ،

ثم قال : ما فعل الأنصارى ؟ فلنا منه وشمنا ؛ فقال : قاتله الله ! ما رميتُ

بمثله ولا سمعتُ بمثل شعره ؛ فارتسما فأتيتُ منزلى ، فأقبلتُ أصددُ

وأصوب في كل فن من الشعر ، فكأني مُفحم ، أو لم أقل قط شعراً ، حتى نادى

النادى بالفجر ، فرحلتُ ناقتى ، ثم أخذت بزمامها ، فقدتها حتى أتيتُ ذباباً<sup>(٢)</sup> ،

ثم ناديتُ بأعلى صوتى : أخاكم أبا لُبني ! وجاش صدرى كما يجيش المرجل ،

ثم عقلتُ ناقتى ، وتوسدتُ ذراعها ، فاقمتُ حتى قلتُ مائة وثلاثة عشر

بيتاً .

فبينما هو يُنشدنا ، إذ طلع علينا الأنصارى حتى انتهى إلينا فسلم ، ثم قال :

أما إني لم آتك لأعجلك عن الأجل الذى وقته لك ، ولكنى أحبيت ألا أراك إلا

سألتك عما صنعت ، فقال : اجلس ، ثم أنشده قصيدته :

عرفت بأعشاش<sup>(٣)</sup> وما كدت تعرفُ وأنكرت من حدراء ما كنت تعرفُ

ولج بك الهجران حتى كأنما ترى الموت في البيت الذى كت تالفُ

(١) أفواف : جمع فوف وهو النطن . (٢) ذباب : جبل بالمدينة .

(٣) أعشاش : موضع في بلاد بني عيم .

ومنها :

لنا العِزَّةُ الغَلْبَاءُ والعُدُدُ الذي  
 ولا عِزًّا إِلَّا عِزُّنا قاهرٌ له  
 ومِنَّا الذي لا يَنطِقُ الناسُ عندهُ  
 تراهُمُ قعوداً حولَهُ ، وعيونُهُم  
 إذا هبطَ الناسُ المُحَصَّبَ من مِنى  
 ترى الناسَ ما سرنا يسرون خلفنا  
 عليه إذا عُدَّ الحصى يَتَحَلَّفُ (١)  
 وَيَسْأَلُنَا النِّصْفَ الدَّلِيلُ فَيُنْصَفُ (٢)  
 ولكن هو السِّتَائِذُنُ لِلْيَنْصَفِ (٣)  
 مُكْسَرَةً أَطرافها ما تَصَرَّفُ  
 عَشِيَّةَ يَوْمِ النَجْرِ من حيثُ عَرَفُوا (٤)  
 وإن نحنُ أَوْمانا إلى الناسِ وَقَفُوا (٥)

فلما فرغ الفرزدقُ من إنشاده قام الأنصارى كثيراً ، فلما توارى طلع أبوه في  
 مَشِيخَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَمُوا عَلَيْنَا وَقَالُوا : يَا أَبَا فِرَاسٍ ؛ قَدْ عَرَفْتَ حَالَنا وَمَكَانَنا  
 رَسُولَ اللَّهِ وَوَصِيَّتَهُ بِنَا ؛ وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ سَفِيهاً مِنْ سَفِيهاً تَعْرِضُ لَكَ ، فَسَأَلَكَ بِاللَّهِ  
 لَمَّا حَفِظْتَ فِينَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ وَوَهَبْنَا لَهُ وَلَمْ تَفْضَحْنَا . قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَأَقْبَلْتَ  
 أَكْلَهُ أَنَا وَكَثِيرٌ ، فَلَمَّا أَكثَرْنَا عَلَيْهِ قَالَ : اذْهَبُوا قَدْ وَهَبْتُمْ لِهَذَا الْقَرَشِيِّ .

(١) يتحلف : يحلف الناس أنه عدد الحصى .

(٢) النصف هنا : الإنصاف (٣) التنصيف : الطلوب منه الإنصاف (٤) المحصب : موضع  
 رى الجار بمعنى . وعرفوا : أى من حيث هبطوا من جبل عرفات (٥) كان الذى يؤم الناس  
 ويدفع بهم من عرفات فى الجمالية من تميم ، فيسيرون بسيره ويقفون بوقوفه .

٦٥ — الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك \*

دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ، فقال له : مَنْ أَنْتَ ؟ وَتَجْهَمُ لَهُ كَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ : أَوْ مَا تَعْرِفُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ ! قَالَ : لَا ، قَالَ : أَنَا مِنْ قَوْمٍ مِنْهُمْ أَوْفَى الْعَرَبِ ، وَأَسْوَدُ الْعَرَبِ ، وَأَجُودُ الْعَرَبِ وَأَحْلَمُ الْعَرَبِ ، وَأَفْرَسُ الْعَرَبِ ، وَأَشْعَرُ الْعَرَبِ .

قال : وَاللَّهِ لَتُبَيِّنَنَّ مَا قُلْتَ أَوْ لَأُوجِعَنَّ ظَهْرَكَ وَلَا أُهْدِيَنَّ دَارَكَ .

قال : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا أَوْفَى الْعَرَبِ فَخَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ الَّذِي رَهَنَ قَوْسَهُ عَنْ جَمِيعِ الْعَرَبِ فَوَفَّى بِهَا .

وَأَمَّا أَسْوَدُ الْعَرَبِ فَقَيْسُ بْنُ عَاصِمِ الَّذِي وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَسَطَ لَهُ رِدَاءَهُ ، وَقَالَ : هَذَا سَيْدُ الْوَبَرِ .

وَأَمَّا أَحْلَمُ الْعَرَبِ فَمَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ الرَّيَّاحِيِّ .

وَأَمَّا أَفْرَسُ الْعَرَبِ فَالْحَرِيشُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّعْدِيِّ ، وَأَمَّا أَشْعَرُ الْعَرَبِ فَهَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَاغْتَمَّ سُلَيْمَانُ مِمَّا سَمِعَ مِنْ فَخْرِهِ وَلَمْ يَنْكُرْهُ ، وَقَالَ : ارْجِعْ عَلَى عَقْبِيكَ ، فَمَا لَكَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ خَيْرٍ . فَرَجَعَ الْفَرَزْدَقُ وَقَالَ :

أَتَيْتُنَاكَ لَا مِنْ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَنَا إِلَيْكَ ، وَلَا مِنْ قَلَّةٍ فِي مُجَاشِعٍ (١)

\* العقد الفريد : ٢ - ١٩٣

(١) هو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة من تميم .

٦٦ — البَاهِلِيُّ \*

قال أبو قلابة الجرميُّ : حَجَجْنَا مَرَّةً مَعَ أَبِي جَزْءَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعِيدٍ ، وَكُنَّا فِي ذَرَاهِ (١) : وَهُوَ إِذْ ذَاكَ بَهِيٌّ وَضِيٌّ ؛ فَجَلَسْنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى أَقْوَامٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، لَمْ نَرَ أَفْصَحَ مِنْهُمْ ؛ فَرَأَوْا هَيْئَةَ أَبِي جَزْءَ وَإِعْظَامَنَا إِيَّاهُ ، مَعَ جَمَالِهِ ؛ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : أَمِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْخَلِيفَةِ أَنْتَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ . قَالَ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قَالَ رَجُلٌ مِنْ مُضَرَ . قَالَ : أَعْرَضَ ثَوْبٌ مِنَ الْمَلْبَسِ (٢) ! مِنْ أَيِّهَا عَافَاكَ اللَّهُ ! قَالَ : رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ . قَالَ : أَيْنَ يُرَادُ بِكَ ؟ صِرْتُ إِلَى فَصِيلَتِكَ الَّتِي تُؤْوِيكَ . قَالَ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ ، قَالَ : اللَّهُمَّ غَفِّرْ أُمَّةً مِنْ أَيِّهَا عَافَاكَ اللَّهُ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَفْصُرٍ . قَالَ : مِنْ أَيِّهَا ؟ قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ . قَالَ : قُمْ عِنَّا .

قال أبو قلابة : فَأَقْبَلْتُ عَلَى الْحَارِثِيِّ فَقُلْتُ : أَتَعْرِفُ هَذَا ؟ قَالَ : ذَكَرْتُ أَنَّهُ بَاهِلِيُّ ، فَقُلْتُ : هَذَا أَمِيرُ ابْنِ أَمِيرٍ . . . وَعَدَدْتُ خَمْسَةَ . ثُمَّ قُلْتُ : هَذَا أَبُو جَزْءَ ابْنِ عَمْرٍو ، وَكَانَ أَمِيرًا ، ابْنِ سَعِيدٍ ، وَكَانَ أَمِيرًا : ابْنِ سَلْمٍ ، وَكَانَ أَمِيرًا ، ابْنِ قَتَيْبَةَ وَكَانَ أَمِيرًا .

\* الكامل : ٢ - ٢٤

(١) ذراه : كنفه (٢) اللبس : ثوب اللبس ، يريد اسم وسار عريضاً ، وهو مثل يضرب حين يقال للرجل : ممن أنت ؟ فيقول : من مضراً أو ربيعة أو اليمن ولم يخص ، أى عمته ولم تخص

قال الحارثي : الأمير أعظم أم الخليفة ؟ قلت : بل الخليفة . قال : أفالخليفة  
أعظم أم النبي ؟ قلت : بل النبي . قال : والله لو عدت له في النبوة أضمافاً  
ما عدت له في الإمارة ، ثم كان باهلياً ما عبأ<sup>(١)</sup> الله به شيئاً .  
فكادت نفس أبي جزة تخرج ؛ قلت : انهض بنا ، فإن هؤلاء أسوأ  
الناس آداباً .

---

(١) ما عبأ الله به شيئاً : يريد : لم يكن له قدر عنده .



## ٦٧ - كلثوم المتابي\*

كان أخوان من قيس يَخْفَران قرية بالجزيرة ، فطال مقامهما بها حتى أثريا ، ففسدهما قوم من ربيعة؛ وقالوا: يَخْفَران هذه الضياع في بلدنا وجمعوا لها جمعا ، وساروا إليهما ، فقاتلوهما حتى قتل أحدهما ؛ وعلى الجزيرة يومئذ عبد الملك بن صالح الهاشمي<sup>(١)</sup> ، فشكا القيسي أمره إلى وجوه قيس ، وعرفهم قتل ربيعة أخاه .

فقالوا له : إذا جلس الأمير فادخل إليه ، ففعل ذلك ، ودخل على عبد الملك وشكا إليه ما لحقه ، ثم قال له : وحسبُ الأمير أنهم لما قتلوا أخى وأخذوا مالى قال قاتل منهم :

لا يحوزنَّ امرنا مُصرى<sup>٢</sup> بخفير ولا بسفير خفير

فقال عبد الملك : أتندبني<sup>(٢)</sup> إلى العصبية ا وزبره<sup>(٣)</sup> .

فخرج الرجل مغموما ، وشكا ذلك إلى وجوه قيس ، فقالوا : لا تُرْع ، فوالله لقد قدقنا في سويداء قلبه ، فعاودهُ .

فعاوده في المجلس الآخر فزبره ، وقال له قوله الأول ، فقال له : إني لم آتتك أندبك للعصبية ، وإنما جئتك مستعديا<sup>(٤)</sup> . فقال له : حدثني كيف فعل القوم ؟ فحدثه وأنشده فغضب ، وقال : كذبت لعمرى ليحوزنَّ .

\* الأغاني : ١٢ - ٨

(١) عبد الملك بن صالح : أمير من بني العباس ، تولى الموصل ، ثم المدينة ، وبلغ الرشيد أنه يطلب الخلافة فخبسه ، وتوفى سنة ١٩٦ هـ (٢) فدبه لأمر : داه إليه (٣) زبره : زجره واتهره . (٤) استعديت الأمير : استعنت به .

ثم دعا أحد قواده، وقال له : اخرج ، وجرد السيف في ربيعة . فخرج وقتل منها مقتلة عظيمة ، فقال كلثوم بن عمرو العتّابي - وهو من ربيعة - قصيدة فيها :

هَدَى يَمِينِكَ فِي قُرْبَاكَ صَائِلَةٌ      وصارم من سيوف الهند مشهورُ  
إِنْ كَانَ مَنَازِوُ وَإِفْكَ وَمَارِقَةٌ <sup>(١)</sup>      وَعُصْبَةٌ دِينُهَا الْعُدْوَانُ وَالزُّورُ  
فَإِنَّ مَنَّا <sup>(٢)</sup> الَّذِي لَا يَسْتَحِثُّ إِذَا      حُتَّ الْجِيَادُ وَضَمَّتْهَا الْمَضَامِيرُ <sup>(٣)</sup>  
مَسْتَنْبِطُ عَزَمَاتِ الْقَلْبِ مِنْ فِكْرٍ      مَا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ اللَّهِ مَعْمُورُ  
وَبَلَّغْتَ الْقَصِيدَةَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَأَمَرَ قَائِدَهُ بِالْكَفِّ عَنْهُمْ .

ولما قدم الرشيد الرّافقة <sup>(٤)</sup> أنشده عبد الملك القصيدة ، فقال : لِمَنْ هَذِهِ ؟ فقال : لرجل من بني عتّاب يقال له : كلثوم بن عمرو ، فقال : وما يمنعه أن يكون بيابنا ؟ وأمر بإشخاصه من رأس عَيْن <sup>(٥)</sup> .

فوافق الرشيد ، وعليه قميص غليظ وفرّوة وخفّ ، وعلى كتفه ملحفة جافية ؛ فلما رُفِعَ الخبرُ بقدمه أمر الرشيد بأن تُفْرَشَ له حجرة ، وتقام له وظيفة ؛ ففعلوا ، فكانت المائدة إذا قُدِّمَتْ إليه أخذ منها رقائقاً وملحاً وخلط الملح بالتراب فأكله بها ، فإذا كان وقت النوم نام على الأرض ، والخدمُ يتمجبون من فعله ، وسأل الرشيد عنه فأخبروه بأمره ، فأمر بطرده .

فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العميلي وهو في منزله ، فسلم عليه ، وانتسب له ، فرحبّ به وقال له : ارتفع ، فقال : لم آتئك للجلوس ، قال : فما حاجتك ؟ قال :

---

(١) الإفك : الكذب ، والمارقة : الخارجون (٢) يشير إلى عبد الله بن هشام بن بسطام الثغلي وكان أحد قواده (٣) المضار : الموضع الذي تضمر فيه الخيل (٤) بلدة على الفرات بناها المنصور (٥) الجزيرة .

دابةً أبلغُ عليها إلى رأس عَيْنٍ ، فقال : يا غلام ؛ أعطه الفرس الفلانيّ ، فقال : لا حاجة لي في ذلك ، ولكن تأمر أن تُشترى لي دابةً أتبلغُ عليها ، فقال لعلامه : امض معه ، فاتبعْ له ما يريد . فمضى معه ، فعدل به العتّابي إلى سوق الحجير ، فقال له : إنما أمرني أن أبتاع لك دابةً ، فقال كلثوم : إنه أرسلك معي ولم يُرسلني معك فإن عملت ما أريد وإلا فانصرف . فمضى معه ، فاشتري حميراً بمائة وخمسين درهماً وقال : ادفع ثمنه ، فدفعه . فركب الحمار بمرشحة<sup>(١)</sup> عليه وبرذعة ، وساقاه مكشوفتان .

فقال له يحيى بن سعيد : فضحتني ، أمثلي يَحْمِلُ مثلك على هذا ! فضحك وقال : ما رأيتُ قَدْرَكَ يستوجب أكثر من ذلك . ومضى إلى رأس عين ، وكانت تحته امرأةٌ من بأهلة ، فلامته وقالت : هذا منصور النمرى قد أخذ الأموال فحلى نساءه ، وبنى داره ، واشترى ضياعاً ، وأنت هنا كما ترى ؛ فأنشأ يقول :

تلومُ على تركِ الغنى باهليّةً      ذوى الفقرُ عنها كل طرفٍ وتالدٍ<sup>(٢)</sup>  
رأيتُ حولها النسوان يرفلن في الثرى<sup>(٣)</sup>      مقلدة أعناقها بالقلائدِ  
أسركِ أنى نلتُ ما نال جمفر<sup>(٤)</sup>      من العيش ، أو مانال يحيى بن خالدٍ !  
وأن أمير المؤمنين أغصنى      مَقصَّهما بالزُهَّفاتِ البواردِ  
رأيتُ رَفِيعاتِ الأمور مشوبةً      بمستودعاتِ في بطونِ الأسودِ  
دعيني تجبئني ميمتى مطمئنةً      ولم أنجشم هولَ تلك الموارِدِ !

(١) المرشحة : ما يوضع تحت الميثة ، والميثة : هنة تتخذ للسرّج .  
(٢) الطرف هنا : الحديث من المال ، والتالد : غير الحديث من المال .  
(٣) الزراء (٤) جمفر البرمكى .



## البَابُ الثَّالِثُ

في القصص التي تنقل ما كانوا يتفكّهون به من  
أَسْمَارٍ وَمُطَايَبَاتٍ ، وَمُنَاقَذَاتٍ وَأَفَاكِيهِ ، مما نال  
به المحدثونِ والندماءُ سِنِيَّ الجوائزِ والجلع من الخلفاء  
والوزراء ، وما ارتفعت به مكاتبتهم عند السادةِ والوجوه  
في المجتمعات والمنتديات .

٦٨ - يبيع اسمه\*

لقي تَابَطُ شَرًّا<sup>(١)</sup> رجلاً من ثَقِيفٍ يقال له أبو وهب ، وكان جَبَانًا أَهْوجَ<sup>(٢)</sup> ،  
وعليه حلّةٌ جيّدةٌ ، فقال أبو وهب لتَابَطُ شَرًّا : بم تغلبُ الرجال يا ثابِت وأنت - كما  
أرى - دميمٌ ضئيلٌ ؟ قال : بأسمى ، إنما أقول سبّاعة ما ألقى الرجل : أنا تَابَطُ شَرًّا ،  
فِيخْلَعُ قلبه حتى أنال منه ما أردتُ .

فقال له الثَّقَفِيُّ : أَ قَطَّ<sup>(٣)</sup> ؟ قال : قَطَّ ، قال : فهل لك أن تبيعني اسمك ؟  
قال : نعم ، قال : فبِمَ تَبْتَاعُهُ ؟ قال : بهذه الحِلَّةِ وبكُنيتي . قال له : أفعَل . ففعل ،  
وقال تَابَطُ شَرًّا : لك اسمي ولي كُنيتك ، وأخذ حُلَّتَهُ ، وأعطاه طِمْرِيَه<sup>(٤)</sup> ، ثم  
انصرف .

وقال في ذلك يخاطب زوجة الثَّقَفِيِّ :

ألا هَلْ أتى الحسناء أن حايِلها      تَابَطُ شَرًّا واكتنيتُ أبا وهَبِ  
فهبه تسمي اسمي وسميت باسمه      فأين له صَبْرِي عَلَى مُعْظَمِ الخُطْبِ !  
وأين له بأسٌ كَبَّامِي وسورتي      وأين له في كل فادِحَةٍ قَلْبِي !

\* مهذب الأغاني : ١ - ٢١٦

(١) هو ثابت بن جابر ، كان أسمع العرب وأبصرهم وأكيدهم ، اشتهر بالعدو والغزو ، توفي نحو  
سنة ٨٠ ق ٨٠ (٢) الهوج : الطول في حق وطيش وتسرع (٣) أقط : أحسب  
(٤) الطمر : الكساء البالي :

٦٩ - أنا كنتُ أولى بهذا الشعر من أيك\*

حجَّ معاوية حِجَّتَيْن<sup>(١)</sup> في خلافته ، وكانت له ثلاثون بَعْلَةً يُحِجُّ عليها نساؤه وجواريه ؛ فحجَّ في إحداهما ، فرأى شيخاً يصلي في المسجد الحرام ، عليه ثوبان أبيضان ؛ فقال : من هذا ؟ قالوا : سَعْيَةَ بنِ غَرِيضٍ - وكان من اليهود .

فأرسل إليه يدعوه ، فأتاه رسوله ، فقال : أجب أمير المؤمنين . قال : أوليس قد مات أمير المؤمنين ؟ قيل : فأجب معاوية : فأتاه فلم يسلم عليه بالخلافة ، فقال له معاوية : ما فعلت أرضك التي بدتِ بآء ؟ قال : يُكْسَى منها العارى ، ويُرَدُّ فَضْلُهَا على الجار . قال : أفتبيعها ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : بستين ألف دينار ، ولولا خَلَّةٌ<sup>(٢)</sup> أصابت الحى لم أبعها . قال : لقد أغلّيت<sup>(٣)</sup> ! قال : أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستمائة ألف دينار ، ثم لم تُبَالِ : قال : أجلي ، وإذا بخلت بأرضك فأنشدنى شعر أيك يرثى به نفسه فقال : قال أبى :

يا ليتَ شعرى حينَ أندبُ هالكاً	ماذا توبِّدُنِي به أنوَّاحِي <sup>(٤)</sup> !
أيقنن : لا تبعدَ ، فربُّ كريمةٍ	فرجَّتْها بشجاعةٍ وسمَّاحٍ
ولقد ضربتُ بِفَضْلِ مالى حقَّه	عند الشتاء وهبَّةِ الأرواحِ <sup>(٥)</sup>
ولقد أخذتُ الحقَّ غيرَ مخاصمٍ	ولقد رددتُ الحقَّ غيرَ مُلاحِي <sup>(٦)</sup>
وإذا دُعيتَ لصعبَةٍ سهلتُها	أدعى بأفْلَحٍ مرةً ، ونجاح

\* الأغاني : ٣ - ١٣٠

(١) الحجَّة : المرة من الحج ، وهى من الشواذ ، لأن القياس الفتح (٢) الخلة : الحاجة والفقير (٣) جعلتها غالية (٤) الأنواع : النامحات (٥) الأرواح : الرياح (٦) الملاحاة : المنازعة .

فقال : أنا كنتُ بهذا الشعر أُرزَى من أبيك . قال : كذبتَ ولوئمتَ ! قال :  
أما كذبتُ فنعمَ ، وأما لوئمتُ فلمَ ؟ قال : لأنك كنتَ مَيِّتَ الحقِّ في الجاهلية  
ومَيِّتُهُ في الإسلام ؛ أما في الجاهلية فقاتلتَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم والوَحَىَ حتى  
جَعَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ كَيْدَكَ المردود . وأما في الإسلام فنمعتَ ولد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم الخلافة ، وما أنتَ وهى ، وأنتَ طَلِيقُ ابنِ طَلِيقٍ <sup>(١)</sup> ! فقال معاوية :  
قد خَرَفَ <sup>(٢)</sup> الشيخ فأقيموه ؛ فأخذ بيده فأقيم .

---

(١) الطليق : الأسير الذى أطلق عنه إيساره ، وهو يريد أنه من الطلقاء الذين حاربوا النبي وآذوه  
فلما غلبهم عام الفتح خطبهم فقال : يا معشر قريش ؛ ما ترون أنى فاعلُ بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ ،  
كريم وابن أخ كريم . فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .  
(٢) خرف : فسد عقله من الكبر .



٧٠ - عبد الرحمن بن الحكم يترضى زياداً\*

دخل بنو أمية ، وفيهم عبد الرحمن بن الحكم ، على معاوية ، عندما استلحق زياداً ، فقال له عبد الرحمن : يا معاوية ؛ لو لم تجد إلا الزنج (١) لا استكرت بهم علينا قلةً وذلةً - يعني على بنى أبي العاص .

فأقبل معاوية على مهران ، وقال : أخرج عنا هذا الخليع (٢) . فقال مروان : إي والله إنه خليع ما يطاق ، فقال معاوية : والله لولا حلى وتجاوزى لعلمت أنه يطاق ؛ ألم يبلغني شعره في وفى زياد ! ؟ فقال مروان : أسمعنيهِ فأنشد :

ألا أبلغ معاوية بن حرب لقد ضاقت بما يأتي اليدان

ثم قال : والله لا أَرْضَى عنه حتى يأتي زيادا ، فيترضاه ويعتذر إليه .

فجاء عبد الرحمن بن الحكم إلى زياد معتذراً يستأذنُ عليه ، فلم يأذن له .

فأقبلت قريش تكلمهُ في أمر عبد الرحمن ، فلما دخل سلم فتشاور (٣) إليه

زياد بعينيه ، ثم قال : أنت القائلُ ما قلتَ ؟ قال عبد الرحمن : ما الذي قلتَ ؟

قال : قلتَ ما لا يقال ، قال : أصلح الله الأمير ! إنه لا ذنب لمن أعتب (٤) ،

وإنما الصَّفْحُ من أذنب ، فاسمع مني ما أقول . قال : هاتِ ، فأنشده :

إليك أيا المغيرة تبتُ مما جرى بالشام من خطلٍ (٥) اللسانِ

\* ابن أبي الحديد : ٤ - ٧١

(١) الزنج والزوج : جيل من السودان (٢) الخليع : الرجل يحنى الجنايات يؤخذ بها أولياؤه فيبرءون منه ومن جناياته ، والخليع أيضاً : السهر بالشرب واللهو ولللازم للفتار (٣) التشاور : أن ينظر إليه بمؤخر عينيه ويميل وجهه في شق العين التي ينظر بها (٤) أعتب : الإعتاب رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى العاتب (٥) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب .

وأغضبتُ الخليفةَ فيك حتى دعاه فرَطَ غيظٍ أن هجاني  
وقلت لمنَ لحاني<sup>(١)</sup> في اعتذاري : إليك اذهب فشأنك غيرُ شاني  
عرفتُ الحقَّ بعد ضلالِ رأبي وبعد النغي من زَيْغِ الجِنَانِ<sup>(٢)</sup>  
زيادٌ من أبي سفيانٍ غُصْنٌ تهادى ناضراً بين الجِنَانِ<sup>(٣)</sup>  
أراك أخاً وعمّاً وابنَ عمِّ فأأدرى بعيبِ ما تراني  
وإن زيادةً في آلِ حربٍ أحبُّ إليَّ من وَسْطَى بناني  
ألا أبلغ معاوية بن حربٍ فقد ظفرت بما تآنى اليدان

فقال زياد : قد سمعنا شعرك ، وقبلنا عذرك ، فهات حاجتك . قال : تكتبُ  
إلى أمير المؤمنين بالرضا عني . قال : نعم ، ثم دعا بكتابه فكتب له بالرضا عنه .  
فأخذ كتابه ومضى حتى دخل على معاوية ، فلما قرأه ، قال : لحا الله<sup>(٤)</sup> زياداً !  
لم يتنبه لقوله : « وإن زيادةً في آل حرب » .

ثم رضى عن عبد الرحمن ، وردّه إلى حاله .

(١) لحاني : لامني ومعنني (٢) الجنان : القلب (٣) جمع جنة (٤) لحاه الله : أهلكه ولمنه.

٧١ — أتاكم غريب الدارِ مظلوم\*

استعمل عُبَيْبَةُ بن أبي سفيان رجلاً من آلِه على الطائف ، فظلم رجلاً من  
أَزْدِشَنوَةِ ، فأنى الأزدىُّ عتبه ، فثل بين يديه ، فقال :

أَمَرْت من كان مظلوماً لِيَأْتِيَكُمُ      فقد أتاكم غريبُ الدارِ مظلومُ !  
ثم ذكر ظلامته ؛ فقال له عتبه : إني أراك أعرابياً جافياً ، والله ما أحسبُكَ  
تدرى كم تُصَلِّي في كلِّ يومٍ وليلة : فقال : أرايتَ إن أنبأتُكَ ذلكَ أتَجعلُ لي  
عليك مسأَلةً ! قال : نعم ، فقال الأعرابي :

إن الصلاةَ أربعٌ وأزْبَعُ      ثم ثلاثٌ بعدهنَّ أربعُ

\* ثم صلاةُ الفجرِ لا تُصَبِّحُ \*

فقال : صدقت . فاسأل ، فقال : كم فقارٌ <sup>(١)</sup> ظهرك ؟ فقال : لا أدري ، فقال :  
أفتحكم بين الناس ، وأنت تجهلُ هذا من نفسك ! قال : ردُّوا عليه غُنَيْمَتَه <sup>(٢)</sup> .

\* الكامل للبرد : ١ - ٢٠٩

(١) الفقار : جمع فقارة ، وهي أيضاً الفقرة (٢) النسيمة : تصغير غم ، قال في اللسان : إذا  
صغرتها أدخلت عليها التاء لأن أسماء المجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين  
وصغرتها فالتأنيث لها لازم .

٧٢ — أَرَى فَيْكَ مَوْضِعًا لِلصَّنِيعَةِ \*

أَخَذَ مُصْعَبٌ <sup>(١)</sup> بِنُ الزُّبَيْرِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْخِطَابِ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ  
فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ مَا أَقْبِحَ بِكَ أَنْ أَقُومَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى صُورَتِكَ هَذِهِ الْحَسَنَةَ  
وَوَجْهِكَ هَذَا الَّذِي يُسْتَبْضَاهُ بِهِ ، فَأَنْتَلِقُ بِأَطْرَافِكَ وَأَقُولُ : أَيُّ رَبٍّ ؛ سَلْ مُصْعَبًا  
فِيمَ قَتَلَنِي ؟ قَالَ : أَطْلِقُوهُ .

قَالَ : اجْعَلْ مَا وَهَبْتَ لِي مِنْ حَيَاتِي فِي خَفْضِ . قَالَ : أَعْطُوهُ مِائَةَ أَلْفِ .  
قَالَ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، أَشْهَدُ اللَّهَ أَنْ لَا بِنَ قَيْسِ الرُّقَيْيَاتِ مِنْهَا خَمْسِينَ أَلْفًا . قَالَ :  
وَلَمْ ؟ قَالَ : لَقَوْلِهِ فَيْكَ :

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلْمَاءُ  
مُلْكُهُ مُلْكٌ رَحِمَةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبْرُوتٌ يُخْشَى وَلَا كِبْرِيَاءُ  
يَتَّقِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْ لَمَحَ مِنْ كَانَ هُمُ الْإِتْقَانُ

فَضَحَكَ مُصْعَبٌ ، وَقَالَ : أَرَى فَيْكَ مَوْضِعًا لِلصَّنِيعَةِ . وَأَمْرُهُ بِلِزُومِهِ ، وَأَحْسَنُ  
إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قَتَلَ .

\* عيون الأخبار : ١ : ١٠٣

(١) أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام ، وولاه أخوه عبدالله البصرة ، ثم أضاف إليه الكوفة  
فأحسن السياسة ، وأجرى العدل ، خرج عبد الملك بن مروان لقتاله ، ثم قتل وحمل رأسه إليه سنة ٥٧١ هـ .

٧٣ — الرقية \*

دخل عبدُ الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان <sup>(١)</sup> ، فوجده يتأوه ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ؛ لو أذخلتَ عليك من يُؤنسك بأحاديث العرب وبياسطك  
استرحت ! فقال : لستُ بصاحبٍ لهو ، فقال : ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين ؟ قال :  
هاجَ بي النَّسَاءُ <sup>(٢)</sup> ليلاتي هذه ؛ فبلغ منى ماتراه .

فقال : إنَّ بُدَيْنَحًا مولاي أَرَقَى <sup>(٣)</sup> انخلقٍ منه . فأمر بإحضاره .

فلما مثل <sup>(٤)</sup> بين يديهِ قال عبد الملك : يا بُدَيْنَح ، أَرَقِ رجلى ، فقال :  
يا مولاي ؛ أنا أَرَقَى الناسَ لها . ثم وضع يده عليها ، وجعل يقول ما لا يُسمع ، فقال  
عبد الملك : قد وجدتُ راحةً بهذه الرقية ؛ أين فلانة ؟ اثنتونى بها تكتبها ؛  
لئلا يهيجَ بي الوجعُ بالليل .

فقال بديح : يمينا ؛ ما أكتبها إلا بتعجيل جائزتى ، فأمر له بأربعة آلاف  
درهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، يمينا ، ما أكتبها حتى تُحمَلَ جائزتى إلى بيتى .  
قال : تُحمَل . فُحمِلت .

\* المستطرف : ٢ - ٢٣٢

(١) من أعظم الخلفاء ودهاتهم ، نشأ في المدينة ، واستعمله معاوية عليها ، وانتقلت إليه الخلافة  
سنة ٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٨٦ هـ . (٢) النساء عرق من الورك إلى الكعب ، ولا يقال : عرق  
النساء لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه (٣) يقال : رقى الراقي رقية ، إذا عوذ وقت .  
(٤) مثل : وقف .

فقال : يا أمير المؤمنين : يميناً مارقيتُ رجلك إلا مباسطة بقول نصيب :  
ألا إن ليلى العامرية أصبحت على البعد منى ذنبَ غيرى تنقمُ  
فقال : ويلك ، ما تقول ! قال : مارقيتُك إلا بها ، فقال : اكتبها  
على ، فقال : كيف وقد سارت بها الرُّكبان إلى أخيك بمصر ا فضحك حتى  
فحص الأرضَ برجليه .

٧٤ — ظَرْفُ عُبَادِ الْحِجَازِ \*

قال عبدُ الله بن عمر العمريّ: خرجتُ حاجًّا ، فرأيتُ امرأةً جميلةً تتكلم  
بكلامٍ أُرِفْتُ (١) فيه ، فأدْنَيْتُ نَاقَتِي منها ، ثم قلتُ لها : يَا أُمَّةَ اللَّهِ ، أَلَسْتَ حَاجَّةً !  
أما تخافين الله ؟ فَسَفَرْتُ عَنْ وَجْهِ يَبْهَرُ الشَّمْسَ حَسَنًا ، ثم قالت : تَأْمَلُ يَا عَمِّ فَإِنِّي  
مِنْ عَنَاءِ الْعَرَجِيِّ (٢) بقوله :

أَمَاطَتْ كِسَاءَ الْخَزِّ عَنْ حُرِّ وَجْهِهَا وَأَذَنْتَ عَلَى الْخَلْدَيْنِ بُرْدًا مَهْلَهَلًا  
مِنَ اللَّاءِ لَمْ يَحْجُبْجُنَّ يَبْغِينِ حِسْبَةَ (٣) وَلَكِنْ لِيَقْتُنَانَ الْبَرِيِّ الْمَغْفَلًا (٤)  
فقلتُ لها : فَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ الْأَيُّ يَمْدُبُ هَذَا الْوَجْهَ بِالنَّارِ .

وبلغ ذلك سعيد بن المسيّب (٥) فقال : أما والله لو كان من بعض بُغَضَاءِ الْعِرَاقِ  
لَقَالَ لَهَا : اعْزُبِي قَبْحَكَ (٦) اللَّهُ ا وَلَكِنَّ ظَرْفُ عُبَادِ الْحِجَازِ .

\* الأغانى : ١ - ٤٠٣ .

(١) أُرِفْتُ : تكلمت بفاحش القول (٢) هو عبد الله بن عمر ، شاعر غزل ينحو نحو عمر بن  
أبي ربيعة ، وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء ، ولقب بالمرجى لسكنائه قرية المرج في الطائف  
(٣) الحسبة : الأجر (٤) المغفل : الذي لا فطنة له (٥) سعيد بن المسيّب ، سيد التابعين ،  
جمع بين الحديث والفقه ، توفي سنة ٩٤ هـ . (٦) قبحه الله : نجاه عن الخير .

٧٥ - جرير وجارية الحجاج \*

نزل جريرٌ على عَنبَسَةَ<sup>(١)</sup> بن سعيد بوَاسِطٍ ، ولم يكن أحدٌ يدخلها إلا بإذن الحجاج ، فلما دخل على عَنبَسَةَ ، قال له : وَنَحْكَ ! لَقَدْ غَرَّرْتَ بِنَفْسِكَ ، فَمَا حَمَلَكَ على ما فعلت ؟ قال : شِعْرٌ قَلْتَهُ اعْتَلَجَ فِي صَدْرِي ، وَجَاشَتْ بِهِ نَفْسِي ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَسْمَعَهُ الْأَمِيرُ . فَعَتَفَهُ وَأَدْخَلَهُ بَيْتًا فِي جَانِبِ دَارِهِ ، وَقَالَ : لَا تُطْلِعَنَّ رَأْسَكَ حَتَّى نَنْظُرَ كَيْفَ تَكُونُ الْحِيلَةُ لَكَ .

ولم يلبث أن أتاه رسولُ الحجاج من ساعته يدعوه في يوم قَائِظٍ ، وهو قَاعِدٌ فِي الْخَضْرَاءِ<sup>(٢)</sup> ، وَقَدْ صَبَّ فِيهَا مَاءٌ اسْتَنْقَعَ<sup>(٣)</sup> فِي أَسْفَلِهَا ، وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى سُرِيرٍ ، وَكُرْسَىٍّ مَوْضُوعٌ نَاحِيَةً .

قال عنبسة : قَعَدْتُ عَلَى الْكُرْسِيِّ ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ الْحَجَّاجُ بِحَدَّثَتِي ، فَلَمَّا رَأَيْتُ تَطَلَّقَهُ وَطَيَّبَ نَفْسَهُ قَلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! رَجُلٌ مِنْ شِعْرَاءِ الْعَرَبِ قَالَ فِيكَ شِعْرًا أَجَادَ فِيهِ ، فَاسْتَخَفَّهُ عَجَبُهُ بِهِ حَتَّى دَعَاهُ إِلَى أَنْ رَحَلَ إِلَيْكَ ، وَدَخَلَ مَدِينَتَكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَأْذَنَ لَهُ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَلْتُ : ابْنُ الْخَلْفَتِيِّ . قَالَ : وَأَيْنَ ؟ قَلْتُ : فِي الْمَنْزِلِ . قَالَ : يَا غِلَامَ ، فَأَقْبِلِ الْعِلْمَانَ يَتَسَارِعُونَ . قَالَ : صَفُّ لَهْمٍ مَوْضِعُهُ مِنْ دَارِكَ ؛ فَوَصَفْتُ لَهُمُ الْبَيْتَ الَّذِي هُوَ فِيهِ .

\* الْأَغَانِي : ٨ - ٧٥ ، الْكَامِلُ : ١ - ٣١٢ .

(١) هُوَ عَنبَسَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَحَدُ أَشْرَافِ بَنِي أُمِيَّةٍ ، حَبَسَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَوْمَ قَتْلِ أَخِيهِ عَمْرٍو بْنِ سَعِيدِ الْأَشَدِّقِ (٢) الْخَضْرَاءُ : يَرَادُ بِهَا خَضْرَاءُ وَاسِطٍ ، وَتَعْرَفُ بِالْقُبَّةِ الْخَضْرَاءِ بِنَاهَا الْحَجَّاجُ مَعَ قَصْرِهِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ (٣) اسْتَنْقَعَ الْمَاءَ : اجْتَمَعَ .



فانطلقوا حتى جاؤا به ، فأدخل عليه وهو مأخوذ بصَبْعِيَّةٍ <sup>(١)</sup> حتى رُمِيَ به في  
الْحَضْرَاءِ ، فوقع على وجهه في الماء ، ثم قام يَتَنَفَّسُ كما يَتَنَفَّسُ <sup>(٢)</sup> الفَرَّخُ . فقال له :  
هيه ! ما أقدمك علينا بغير إذننا ؟ لا أمَّ لك ! قال : أصلحَ اللهُ الأمير ! قلتُ في  
الأمير شعراً لم يقل مثله أحدٌ ؛ فحاشَ به صدري ، وأحببت أن يسمعه مني الأميرُ ؛  
فأقبلتُ به إليه .

فَتَطَلَّقَ الْحَجَّاجُ وَسَكَنَ ، واستنشدته ، فأَنشده ، ثم قال : يا غلام ، فجاؤا بِسَعُونَ .  
قال : علىَ بالجارية التي بَعَثَ بها إلينا عاملُ اليمامة ؛ فأُتِيَ بجاريةٍ بيضاءَ مَدِيدَةٍ  
القائمة . فقال : إن أصبْتَ صِفَتَهَا فهِى لك . فقال : ليس لى أن أقولَ فيها وهى  
جاريةُ الأمير . فقال : بلى ، فتأمَّلْها واسألها ؛ فقال لها : ما اسمك ؟ فأمسكت .  
فقال لها الحجاج : خَبِّرِيه ، فقالت : أمانة ، فأنشأ :

وَدَّعْ أمانةَ حَانَ منك زحيلُ      إن الوداعَ لمن تُحِبُّ قليلُ  
مثلُ الكَثِيبِ تمايلتُ أعطافهُ      فالريحُ تجرُّ برمتَهُ وتهيلُ  
هَذِي القلوبُ صوادياً تَتِمَّتِهَا      وأرى الشفاءَ وما إليه سبيلُ

قال الحجاج : قد جعل اللهُ لكَ السبيلَ إليها ، فخذْها فهِى لك .  
فضرب بيده إلى يَدِهَا ، فتمتعت عليه ، فقال :

إن كان طِبُّكُمْ <sup>(٣)</sup> الدلالُ فإنه      حسنٌ دلالُك يا أمانَ جميل  
فاستَضَحَكَ الحجاج ، وأمر بتجهيزها معه إلى اليمامة .

وكانت من أهل الرى ، وكان إخوتها أحراراً ، فاتبعوه ، فأعطوه بها حتى  
بلغوا عشرين ألفاً فلم يقبل ، ففى ذلك يقول :

(١) الضج : المضد كلها أو وسطها بلحمها (٢) تنفش الطائر : نقض ريشه (٣) الطب :  
المذهب ، والدلال : الدالة .

إذا عرضوا عشرين ألفاً تعرّضت لأُمّ حكيم حاجةً هي ماهياً  
لقد زدت أهل الرّميّ عندي مودّةً وحبّيت أضعافاً إلى المواليا  
فأولدها حكيماً وبلالاً وحرزّه بنيه .

٧٦ — أرادت عرّاراً بالهوان\*

لما أخذ الحجاجُ رأس ابن الأشعث وجّه به إلى عبد الملك بن مروان ، مع  
عرّار<sup>(١)</sup> بن عمرو بن شأس الأسدّي ، وكان أسودَ دميماً ؛ فلما وردت به عليه جعل  
عبدُ الملك لا يسأل عن شيء من أمرِ الوقعة<sup>(٢)</sup> إلا أنباه به عرّار ، في أصحّ لفظ ،  
وأشبع قولٍ ، وأجزأ اختصار .

فشفاه من الخبر ، وملاً أذنه صواباً ، وعبدُ الملك لا يعرفه ، وقد اقتحمته<sup>(٣)</sup>  
عينه حين رآه ، فقال عبد الملك مُتمّلاً :

أرادت عرّاراً بالهوان ومن يرُدُّ لعمري عرّاراً بالهوان فقد ظلم  
وإن عرّاراً إن يكن غير واضحٍ فإني أحبُّ الجونَ ذا المنكبِ العمم<sup>(٤)</sup>  
فقال له عرّار : أتعرفني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ! قال : فأنا والله عرّارُ ،  
فزاد في سروره ، وأضعف له الجائزة .

\* الكامل : ١ - ١٦٠

(١) ضبطه صاحب اللسان ( مادة عرر ) بالفتح ، ولما أورد البيت الثاني من البيتين الواردين في  
القصة ضبطه بالكسر (٢) الوقعة : الواقعة (٣) اقتحمته : احتقرته (٤) منكب عمم :

٧٧ - قد نجوت\*

خرج العدِيل<sup>(١)</sup> بن الفرخ يريدُ الحجاجَ<sup>(٢)</sup> ، فلما صار ببابه حجبه الحاجب فَوَتَبَ عليه العدِيلُ ، وقال : إنه لن يدخلَ على الأمير - بعد رجالات قریش - مَنْ هو أكبرُ مني ولا أولى بهذا الباب ؛ فنارعه الحاجبُ الكلامَ ، فأحفظه<sup>(٣)</sup> ، وانصرف العدِيلُ عن باب الحجاجِ إلى يزيد بن المهلب ، فلما دخل إليه أنشأ يقول :

لئن أرتجَ الحجاجُ بالبخلِ بابَه      فبأبُ الفتى الأزدي بالعرفِ يفتحُ  
فتى لا يُبالى الدهرَ ماقلَ ماله      إذا جعلتُ أيدي المكارمِ تفتحُ  
يداهُ يد بالعرفِ تنهب ما حوتُ      وأخرى على الأعداء تسطو وتجرحُ  
إذا ما أتاه المرملون<sup>(٤)</sup> تيقنوا      بأنَّ الغنى فيهم وشيكاً سيسرحُ  
أقام على العافين<sup>(٥)</sup> حراسَ بابِه      ينادونهم ، وألحُرُّ بالحرِّ يفرحُ  
هلموا إلى سيبِ الأميرِ وعرفِ ه      فإن عطاياهُ على الناسِ تنفتحُ  
فقال له يزيد : عرّضتَ بنا وخاطرتَ بدمك ، وباللّهِ لا يصل إليك وأنت  
في حيزي ، ثم أمر له بخمسين ألف درهم ، وأمر له بأفراس ، وقال له : الحق بعلياء  
نجد ، واحذر أن تعلقك حبالُ الحجاج ، أو تختججك<sup>(٦)</sup> بحاجته ، وابعث إلى  
في كل عام ، فلك على مثل هذا ، فارتحل .

\* الأغاني : ١٣ - ٢٠

(١) العدِيل : شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية (٢) الحجاج : انظر صفحته ٢٨  
(٣) أحفظه : أغضبه (٤) أرموا : نفذ زادهم (٥) العاق : طالب المعروف (٦) تحتويك .

وبلغ الحجاج خبره ، فأحفظه ذلك على يزيد ، وطلب العديل فهرب وقال :  
أخوف بالحجاج حتى كأننا يحرك عظم في الفؤاد مهيب  
ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط لأيدي الناعجات<sup>(١)</sup> عربض  
مهامه أشباه كأن سراًبها ملاء<sup>(٢)</sup> بأيدي الغاسلات رحيض<sup>(٣)</sup>

ولكن الحجاج لج في طلبه حتى لفظته الأرض ، ونبا به كل مكان هرب  
إليه ؛ فأتى بكر بن وائل ، وهم يومئذ بلدون ، فشكا إليهم أمره ، وقال لهم : أنا  
مقتول ، أفتسلموني هكذا وأتم أعز العرب ! قالوا : لا والله ؛ ولكن الحجاج  
لا يراغم<sup>(٤)</sup> ، ونحن نستوهبك منه ، فإن أجابنا فقد كفييت ، وإن حادنا<sup>(٥)</sup> في  
أمرك منعناك ، وسألنا أمير المؤمنين أن يهبك لنا .

فأقام فيهم ، واجتمعت وجوه بكر بن وائل إلى الحجاج ، فقالوا له : أيها  
الأمير ؛ إننا قد جنينا جميعاً عليك جناية لا يغفر مثلها ، وها نحن أولاء قد استسلمنا  
وألقينا بأيدينا إليك ، فإما وهبت فأهل ذلك أنت ، وإما عاقبت فكنت المسكط  
المالك العادل ؛ فتبسم وقال : قد عفوت عن كل جرم إلا جرم الفاسق العديل ،  
فقاموا على أرجلهم وقالوا : مثلك أيها الأمير لا يستثنى على أهل طاعته وأوليائه  
في شيء ، فإن رأيت ألا تكدر مننتك باستثناء ، وأن تهب لنا العديل في أول  
من تهب . قال : قد فعلت ، فهاتوه - قبحه الله - فأتوه به ، فلما مثل بين  
يديه أنشأ يقول :

فلو كنت في سلى أجا وشعابها لكان لحجاج على دليل

(١) ناعجات : جم الناعجة : الناقة السريعة ، أو التي تصاد عليها نعاج الوحش (٢) الملاء :  
جم ملاءة ، وهي الرطة (٣) الرحيض : الثوب المسول (٤) لا يراغم : لا يعادي .  
(٥) حاده : غاضبه وعاداه وخالفه .

بنى قبة الإسلام حتى كأنها  
إذا جارَ حكمُ الناسِ الجأ حكامه  
خليلُ أمير المؤمنين وسيفه  
به نصرَ الله الخليفة منهم  
فأنت كسيف الله في الأرض خالد  
وجازيت أصحاب البلاء بلاءهم  
وصلت بمرآق العراق فأصبحت  
وما خفت شيئاً غير ربي وحده  
ترى الثقلين : الجن والإنس أصبحا  
على طاعة الحجاج حين يصول

فقال له الحجاج : أولى لك ! قد نجوت ، وفرض له ، وأعطاه عطاءه .

٧٨ — ما أنا ييارح أو يرضى أمير المؤمنين \*

أوفد الحجاجُ ابنه محمداً إلى عبد الملكَ عاشرَ عشرةٍ من أهل العراق ، وأوفدَ إليه جريراً<sup>(١)</sup> معه ، ووصاه به ، وأمره بمسألة عبد الملك في الاستماع منه .

فقدم محمدٌ على عبد الملك فخطب بين يديه ، فأجلسه على سريره عند رجله ، ثم دعا بالوفد رجلاً رجلاً ، فجعل كلما خطب رجل قطع خطبته وتسكلم جرير فقطع خطبته ، ثم قال : من هذا يا محمد ؟ فقال : هذا يا أمير المؤمنين ابنُ الخطفي . قال : مادحُ الحجاج ؟ قال : ومادحك يا أمير المؤمنين ! فقال جرير : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشاده مدحةً فيه ! قال : هات ما قلت في الحجاج ، فأنشده :

صَبْرَتْ<sup>(٢)</sup> النفسَ يا ابنَ أبي عقيل      محافظةً فكيف ترمى الثواباً  
ولو لم يرضَ ربُّكَ لم يُنزلْ<sup>(٣)</sup>      مع النصر الملائكة الغضاباً  
إذا سَعَرَ<sup>(٤)</sup> الخليفةُ نارَ حربٍ      رأى الحجاجَ أنقَبها<sup>(٥)</sup> شهاباً<sup>(٥)</sup>

\* المحاسن والمساوي : ٢٣٠ ، طبع لبيزج ، الأغاني : ٨ - ٦٧  
(١) كان جرير مقماً بالبادية ، فكتب إليه بنو يربوع : أنت مقيم بالبادية ، وليس أحد يروى عنك ، والفرزدق قد ملاء عليك العراق ، فأنحدر إلى جماعة الناس ؛ فأشد بالرجل كما يشيد بك ؛ فأنحدر وأقام بالبصرة ؛ فلذلك يقول :

وإذا شهدت لثغر قومي مشهداً      آثرت ذلك على بني ومالي  
فأوجهه الحجاج ، وملاً بمدحه الأرض ، وبلغ أهل الشام وأمير المؤمنين ورواه الناس .  
(٢) صبرت : حبست (٣) سمر الحرب : أوقدها (٤) الكوكب الثاقب : الضياء  
(٥) الشهاب : الكوكب .

فقال : صدقت ! كذلك هو ، ثم قال : ابدأ بالحجاج ، فأنشده :  
طَرِبْتُ لِعَهْدِ هَيْجَتِهِ الْمَنَازِلُ وَكَيْفَ تَصَابِي (١) المرء والشيب شامل  
فما فرغَ منها حتى ظهر في وَجْهِ أمير المؤمنين الغضب ، وقال : هات ؛ ابدأ  
بالحجاج ، فأنشده :

هَاجَ الْهَبْوَى لِفَوَادِكِ الْمُهْتَاجِ فَانظُرْ بِتَوْضُوحِ (٢) بَاكِرِ الْأَحْدَاجِ (٣)  
حتى أتى على قوله :

مَنْ سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفَاقِ عَلَيْهِمْ أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحِجَابِ  
أَمْ مَنْ يَفَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَفِيظَةً إِذْ لَا يَنْقِنُ بَغَيْرَةِ الْأَزْوَاجِ  
فتكلم الأخطل وقال : أين أمير المؤمنين يا بن المراغة ؟ فعلم جرير أنه الأخطل  
فزبن (٤) حيال وجهه بكلمه ، وقال : اخسأ ، ومضى حتى أنشده كلها .

فقال الخليفة : اجلس ، فجلس ، ثم قال : قم يا أخطل ، هات مديح  
أمير المؤمنين .

قال جرير : فقام حِيَالِي ، فأنشد أشعر الناس وأمدح الناس ؛ فقال له الخليفة :  
أنت شاعرنا ومادحنا ، ازكبه ، فرمى بردائه ، وألقى قميصه على منكبه ، ووضع  
يده على عنقه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ لا يفعل . فقال أهل المجلس : صدق  
يا أمير المؤمنين ، فقال : دعه ، وانتقض المجلس وخرجنا .

فقال جرير : فدخل الوفدُ عليه ثمانية أيام مع محمد كلهن أحجب فلا أدخل

---

(١) التصابي : التظاهر بالصبا (٢) توضح : اسم مكان (٣) الحدج : مركب للنساء كالحفة  
جمعه أحداج (٤) الزبن : الدفع .

عليه ، ثم دخلوا في التاسع ، وأخذوا جوائزهم ، وتهبثوا في العاشر للدخول والتوديع للرحيل .

فقال محمد : يا أبا حَرْزَةَ ما لي لا أراك تَتَجَهَّزُ ؟ قلتُ : كيف وأميرُ المؤمنين عليّ - سباحط ؟ ما أنا بيارح أو يرَضَى عني !

فلما دخل عليه محمد ليودّعه ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ابن الخطفي ما دحك وشاعرك ، ومادح الحجاج سيفك وأمينك ، وقد لزمْتنا له صُحْبَةً وذِمَامًا ، فإن رأيتَ أن تأذنَ له ؟ فإنه أباي أن يخرجَ معنا ، وأنت عنه غضبان ، وآلى أنه لا يخرج أو ترضى عنه فيدخل ويودّك .

قال جرير : فأذن لي ؛ فدخلت عليه ، ودعوت له ، فقال : إنما أنت للحجاج . قلت : ولك يا أمير المؤمنين .

ثم استأذنته في الإنشاد ، فسكت ولم يأذن لي ، فاندفعت فقلت :

أَتَصْحُو<sup>(١)</sup> أم فؤادك غديرُ صاحب

فقال : بل فؤادك !

فقلت :

عَشِيَّةَ هَمٍّ صَحْبُكَ بِالرَّوَّاحِ<sup>(٢)</sup>

حتى فرغت منها ، وعلمت أني إن خرجت بغير جائزة كان إسقاطي آخر

الدهر .

فلما بلغت إلى قولي :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحِ<sup>(٣)</sup>

(١) تصحو : ترك الباطل (٢) الرواح : الذهاب عشية (٣) الراح : جمع راحة : باطن الكف .



تبسم عبد الملك وقال : بلى ، كذلك نحن ، وما زلنا كذلك ؛ أَعِدُّ فَأَعِدْتُ ، فطرب لذلك ، ثم أنشدته إياها حتى أتيت إلى قولي :

تَعَزَّتْ أُمُ حَرْزَةَ ثُمَّ قَالَتْ رَأَيْتُ الْمُرْدِينَ ذَوِي لِقَاحِ  
تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاعِبَةٌ بِذَيْبِهَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّمِّ الْقَرَّاحِ<sup>(١)</sup>

فالتفت عبد الملك إلى محمد بن الحجاج ، وقال : أترى أم حَرْزَةَ تُرْوِيهَا مائَةً من الإبل ؟ قال : إن لم يُرْوِهَا ذلك فلا أرواها الله !

فقال : أخرجوا لنا مائة من النعم التي جاءت من عند كلب ، ولا تُرْزِلُوهَا<sup>(٢)</sup> ؛ فشكرتُ له ، وشكر له أصحابي ومن شهدني من العرب .

ثم قلتُ : يا أمير المؤمنين ؛ إنما نحن أشياخٌ من أهل العراق ، وليس في واحدٍ منا فضلٌ عن راحلته . قال . أفجعل لك أثمانها ؟ قلت : لا ! ولكن الرِّعَاءَ يا أمير المؤمنين ؛ فنظر جَنَّبَتَيْهِ ، ثم قال لجلسائه : كم يجزئ مائة من الإبل ؟ قالوا : ثمانية يا أمير المؤمنين . فأمر لي بثمانية عبد ؛ وكان قد أهدى إليه بعض الدهاقين<sup>(٣)</sup> ثلاثَ صحافٍ فضة ، وهن بين يديه يقرعهن بالخيزرانة ، فقلت : المِحَابُ يا أمير المؤمنين فندس<sup>(٤)</sup> إلى منهن واحدة ، وقال : خذها لا نفعَكَ ، قلت : بلى ، كل ما أخذته منك ينفعني إن شاء الله ، وودعناه وانصرفنا .

وكتب محمدٌ إلى أبيه بالحديث كله ، فلما قدِمْنَا على الحجاج قال لي : أما والله لولا أن يبلغ الخبرُ أميرَ المؤمنين فيجدَ عليّ لأعطيتك مثلها ، ولكن هذه خمسون راحلةً وأحمالها حِنْطَةٌ ، تأتي بها أهالك ؛ فتميرهم ؛ فقبضتها وانصرفتُ .

(١) الأنفاس : جمع نفس ، وهو جرعة الماء ، والشيم : البارد ، والقراح : الخالص ، يريد أنها تعلمهم بالماء عند افتقاد اللبن (٢) أرذله : جعل فيه الرذالة ، وهي ما اتقى جيبه (٣) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو زعيم فلاحى العجم ، ورئيس الإقليم - معرب (٤) ندس إلى منهن واحدة : قذفى بها .

٧٩ - آكل \*

قال الشمردل وكيل عمرو بن العاص : قدم سليمان بن عبد الملك الطائفَ فدخل هو وعمرو بن عبد العزيز وأيوب ابنه بستاناً لعمرو ، فجال حتى ألقى صدره إلى غُصن ، ثم قال : ويلك ! يا شمردل ؛ ما عندك شيء تطعمني ؟ قلت : عندي جَذَعٌ<sup>(١)</sup> حافِلٌ<sup>(٢)</sup> تغدو عليه وتروح أخرى . قال عَجَل به فأنته به كأنه عسكة<sup>(٣)</sup> سمن ، فجعل يأكل ، وهو لا يدعو عمرو ولا ابنه ، حتى بقي منه فخذ . فقال : يا أبا حفص ؛ هلم ! قال : إني صائم ، فأني عليه ، ثم قال : يا شمردل ؛ ويلك ! ما عندك شيء تطعمني ؟ قلت : دجاجات سِت ، كأنهن رِثلان<sup>(٤)</sup> النعام ، فأنته بهن فكان يأخذ برجل الدجاجة فيلقى عظامها نقيّة فأني عليهن ، ثم قال : ويلك يا شمردل ! ما عندك شيء تطعمني ؟ قلت : سويق كأنه قرأصة الذهب ؛ فأنته بعس<sup>(٥)</sup> يغيب فيه الرأس ، فشر به ، فلما فرغ تجشأ كأنه صارخ في جب ، ثم قال : يا غلام ! أفرغت من غدائنا ؟ قال : نعم ! قال : ما هو ؟ قال : نيف وثمانون قدراً ، فأني بها قدراً قدراً ، وبقناع<sup>(٦)</sup> عليه رقائق ، فأكل من كل قدرٍ ثلاث لقم ، ثم مسح يده ، واستلقى على فراشه ، فوضع الخوان ، وقعد يأكل مع الناس ، فما أنكرت شيئاً من أكله .

\* العقد الفريد : ٣ - ١٦٨ ، نهاية الأرب : ٣ - ٣٤٤

(١) الجذع : الصنوبر السن ، وهو يختلف في أسنان الأبل والحيل والبقر والشاء ، وهو من الغنم ما عمره سنة (٢) شاة حافل : كثيرة اللبن (٣) العكة : آنية السمن (٤) رِثلان : جمع الرأل : وهو ولد النعام أو حوايه (٥) العس : القدح العظيم (٦) القناع : الطبق من عسب النخل .

٨٠ - نُزُلُ أُمِّ حَبِيبٍ \*

نزل نُصِيبٌ <sup>(١)</sup> بامرأة تُكَنَّى أُمَّ حَبِيبٍ ، من أهل مَلَلٍ <sup>(٢)</sup> ، وكانت تُصِيفُ في ذلك الموضع وتَقَرِّي ، ولا يزال الشريف ينزلُ بها فيُفْضِلُ عليها الفضلَ الكثيرَ ، ولا يزالُ الشريفُ ممن لم يَحْمِلْ بها ، يتناولها بالبرِّ لِيُعِينَهَا على مُرُوتِهَا ، فنزل بها نُصِيبٌ ومعه رجلان من قريش ، فلما أرادوا الرَّحْلَةَ عنها وصَلَّاهَا القرشيان ، وكان نُصِيبٌ لا مالَ معه في ذلك الوقت ؛ فقال لها : إن شئتِ فلك أن أُوجِّهَ إليكِ بمثل ما أعطاكِ أحدهما ، وإن شئتِ قلتُ فيكِ شعراً ؛ فقالت : بل الشعر ؛ فقال :

أَلَا حَيَّ قَبْلَ الْبَيْنِ <sup>(٣)</sup> أُمَّ حَبِيبٍ      وَإِن لَمْ تَكُنْ عِنَّا غَدَاً بِقَرِيبٍ  
وَإِن لَمْ يَكُنْ أَنِّي أَحَبُّكَ صَادِقاً      فَمَا أَحَدٌ عِنْدِي إِذْنٌ بِجَبِيبٍ  
تَهَامَ أَصَابَتْ قَلْبَهُ مَلَلِيَّةٌ      غَرِيبُ الْهَوَى ، وَاهَاً لِكُلِّ غَرِيبٍ !

\* الكامل : ١ - ٣٣٤

(١) نصيب بن رباح : شاعر غل مقدم في النسيب والمدائح توفي سنة ١٠٠ هـ (٢) ملل : موضع في طريق مكة بين الحرمين (٣) البين : الفراق .

٨١ - امرأةٌ تجاوزتُ كثيراً\*  
—

قال السائب راويةً كثيراً : والله إنني لأسير يوماً مع كثيراً<sup>(١)</sup> ، حتى إذا كنا من المدينة على أميال ، لقيتُنا امرأةً في رحالة<sup>(٢)</sup> متتعبةً ، معها عبيدٌ لها يسمعون معها ، فمرت جنابى<sup>(٣)</sup> ، فسأمتُ ، ثم قالت : ممن الرجل ؟ قلت : من أهل الحجاز : قالت : فهل تروى لك كثيراً شيئاً ؟ قلت : نعم . قالت : أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحبُّ إلى من أن أرى كثيراً وأسمع شعره ، فهل تروى قوله :  
أهاجك برق آخر الليل واصب<sup>(٤)</sup>

قلت : نعم ، فأنشدتُها إياها إلى آخرها ، قالت : فهل تروى قوله :  
كأنك لم تسمع ولم ترَ قبلها تفرق الألف لهنَّ حين  
قلت : نعم ، وأنشدتها . قالت : فهل تروى قوله أيضاً :  
أطلال سعدى باللوى تتعهد

قلت : نعم ، وأنشدتها حتى أتيت على قوله :  
فلم أر مثل العين ضنتُ بمائها على ولا مثل على الدمع يُحسد  
فقلت : قاتله الله ! فهل قال مثل قول كثيراً أحدٌ على الأرض ! والله لأن  
أكون رأيت كثيراً أو سمعتُ منه شعره أحبُّ إلى من مائة ألف درهم .

---

\* الأغاني : ١١ - ٤٨

(١) هو كثيراً بن عبد الرحمن ، اشتهر بعزة ، وشيب بها ، وكان رافضياً شديداً التعصب لآل أبي طالب ، توفي سنة ١٠٥ هـ (٢) الرحالة : السرج (٣) الجناب : الناحية (٤) واصب : دائم .

قال السائب: فقلت: هو ذاك الراكب أمامك، وأنا السائب روايته، قالت: حياك الله! ثم ركضت بقلتها حتى أدركته، فقالت: أنت كئيب؟ قال: مالك؟ ويحك! فقالت: أنت الذي تقول:

إِذَا حُسِرَتْ عَنْهُ الْعِمَامَةُ رَاعَهَا جَمِيلٌ الْحَيَا أَعْفَلَتْهُ الدَّوَاهِنُ  
والله ما رأيت عربياً قط أبيض ولا أحقر ولا ألام منك! قال: أنت والله أبيض منى وألام. قالت له: أو لست القائل:

تَرَاهُنَّ إِلَّا أَنْ يُودِينَ نَظْرَةً بِمُؤَخَّرِ عَيْنٍ أَوْ يَقْلِبَنَّ مِعْصَمَا  
يُحَاذِرُنَّ مَنِيَّ غَيْرَةٍ قَدْ عَرَفْنَهَا قَدِيمًا فَمَا يَضْحَكُنَّ إِلَّا تَبَسُّمًا  
لعن الله من يفرق<sup>(١)</sup> منك اقال: بل لعنك الله، من أنت؟ قالت: لا يضرك إن لم تعرفني. قال: والله إنى لأراك لثيمة الأصل والعشيرة. قالت: حياك الله يا أبا صخر! ما كان بالمدينة رجل أحبَّ إلىَّ وجهاً ولا لقاءً منك: قال: لا حياك الله، ولكن ماعلى الأرض أحدٌ أبغض إلىَّ وجهاً منك. قالت: أتعرفني؟ قال: أعرف أنك لثيمة من اللثام، ثم تعرفت إليه فإذا هي غاضرة أمٌ ولدٍ لبشر ابن مروان.

قال السائب: وسأيرها حتى الجبل، ثم قالت له: يا أبا صخر؛ أضمن لك مائة ألف درهم عند بشر بن مروان إن قدمت عليه. قال: أفنى سببك إياى أو فى سبى إيتاك تضمنين لى هذا؟ والله لا أخرج إلى العراق على هذه الحال. فلما قامت تودعه سفرت فإذا هى أحسن من رأيت من أهل الدنيا وجهاً، وأمرت له بعشرة آلاف درهم.

٨٢ - إفحام \*

بينما كان كثير عزة ماراً بالطريق يوماً ، إذ هو بمجوز عمياء على قارعة<sup>(١)</sup>  
الطريق تمشي ؛ فقال لها : تنحى عن الطريق ، فقالت له : ويحك ! ومن تكون ؟  
قال : أنا كثير عزة . قالت : قبحك الله ! هل مثلك يُدَنحى له عن الطريق ؟  
قال : ولم ؟ قالت : ألسن القائل :

وماروضة بالحزن طيبة الترى      يمح الندى ججأها وعرارها<sup>(٢)</sup>  
باطيب من قبا إذا جنت طارقاً      وقد أودت بالمجمر<sup>(٣)</sup> اللدن<sup>(٤)</sup> نارها  
ويحك يا هذا ! لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحها ؛ هلاً  
قلت كما قال سيدك امرؤ القيس :

وكنت إذا ماجئت بالليل طارقاً      وجدت بها طيباً وإن لم تطيب  
فقطعت<sup>(٥)</sup> ، ولم يرد جواباً !

\* المستطرف : ١ - ٥٥

(١) قارعة الطريق : أعلاه (٢) الجحجحات ، نبات له زهر أصفر طيب الريح . والعرار : نبت  
طيب الريح أيضاً (٣) الجمر : ما يبخر به من عود وغيره (٤) اللدن : اللبن .  
(٥) انقطع الرجل : إذا انقطعت حجته ، وقطعه أيضاً وأقطمه .

٨٣ — بين كثير وعزة \*

دخل كثير بن عبدالرحمن على عزة، فقالت : ما ينبغي أن تأذن لك في الجلوس.  
قال : ولم ذلك ؟ قالت : لأنى رأيت الأحوص ألين جانباً عند القوافى منك في  
شعره ، وأضرع خدّاً للنساء ؛ وإنه الذى يقول :

يأبها اللامى فيها لأصرمها (١)  
أكثر لو كان يُفنى عنك إكثار  
أقصر فليست مطاعاً إذ وشيت بها  
لا القلب سأل ولا فى حُبها عار  
ويعجبني قوله :

أدور ولو لأن أرى أمّ جعفر  
بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ  
وما كنت زوّاراً ولكن ذا الهوى  
إذا لم يُرز لا بدّ أن سيزور  
لقد منعت معروفها أمّ جعفر  
وإنى إلى معروفها لفقير  
ويعجبني قوله :

كم من دنى لها (٢) قد صرت أتبعه  
ولو صحا القلب عنها كان لى تبعاً  
لا أستطيع نزوعاً عن محبتها  
أو يصنع الحبُّ بى فوق الذى صنعا  
أدعو إلى هجرها قلبى فيتبني  
حتى إذا قلت : هذا صادق نزعاً  
وزادنى رغبةً فى الحب أن منعت  
أشهى إلى المرء من دنياه ما منعا  
وقوله (٣) :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى  
فكن حجراً من يابس الصخر جلمداً

\* ذيل زهر الآداب : ١٥٠

(١) أصرمها : أقطعها ، وأفارقها (٢) الدنى : القريب (٣) البتان الأخيران ألقهما  
العيني وغيره بهذا الموضع من شعر الأحوص ، وأنشدهما أبو بكر بن دريد لأعرابي .

وما العيشُ إلا ما تَلَدَّ وتشهى وإن لآمَ فيه ذُو الشَّنَانِ وفَنَدَا<sup>(١)</sup>  
 وإني لأهواها وأهوى لقاءها كما يشتهي الصادي<sup>(٢)</sup> الشرابَ البرِّدَا  
 فقال لها كثير: والله لقد أجاد؛ فما استجفيت<sup>(٣)</sup> من قولي؟ قالت:  
 فذلك قولك:

وكنْتُ إذا ما جئتُ أَجْلَانِ مَجْلِسِي وَأُظْهَرَنَ مِنِّي هَيْبَةً لَا تَجْهَمَا  
 يَحَازِرُنَ مِنِّي عَزِيْرَةً قَدْ عَرَفْنَهَا قَدِيْمًا فَمَا يَضْحَكُنَّ إِلَّا تَبَسْمًا  
 تَرَاهُنَّ إِلَّا أَنْ يُؤْدِيْنَ نَظْرَةَ بِمُوْخِرِ عَيْنٍ أَوْ يُقَلِّبَنَّ مِعْصَمَا  
 وقولك:

وددت - وبيت الله - أنك بكرة<sup>(٤)</sup> هيجان<sup>(٥)</sup> وأنى مُصْعَب<sup>(٥)</sup> ثم نهرب  
 كلاًنا به عر<sup>(٦)</sup> فمن يرنا يقل:  
 نكون لذي مالٍ كثير مُغْفَلٍ فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب  
 إذا ما وردنا مهلاً صاح أهله علينا، فانتفك<sup>(٦)</sup> ننفى ونضرب  
 ويحك! لقد أردت في الشنماء، ما وجدت أمنيّة أوطأ من هذه! فخرج  
 من عندها خجلاً!

(١) ذو الشنان: البفض. فنده: خطأ رأيه (٢) الظمان (٣) استجفاه: عده جافياً  
 (٤) الهجان من الإبل: البيضاء الكريمة، يستوى فيه الذكر والمؤنث والجمع (٥) المصعب:  
 الفحل (٦) العر: داء يأخذ الإبل فيتمتع عنها ويرها حتى يبدو الجلد، وهو كالجرب للإنسان:



٨٤ — حوار بين شعراء\*

قَدِمَ عمرُ بنُ أبي ربيعة المدينةَ لأمرٍ ، فأقام شهراً ثم خرج إلى مكة ، وخرج معه الأحوص مُعْتَمِراً .

قال السائب راوية كثير: فلما مرنا بالروحاء<sup>(١)</sup> استنلتيانى<sup>(٢)</sup> ، فخرجت أنلوهما ، حتى لحقتهما بالمرج<sup>(٣)</sup> . فخرجنا جميعاً حتى وردنا ودان<sup>(٤)</sup> ، فحبسهما نصيب ، وذبح لهما وأكرمهما .

وخرجنا وخرج معنا نصيب ، فلما جئنا إلى منزل كثير قيل لنا قد هبط قديداً<sup>(٥)</sup> ، فجئنا قديداً ، فقيل لنا : إنه في خيمة من خيامها ، فقال لي ابن أبي ربيعة : اذهب فاذعه لي ، فقال نصيب : هو أحق وأشد كبراً من أن يأتيك ، فقال لي عمر : اذهب كما أقول .

فجئته فهش لي وقال : « اذكري غائباً تراه » ، لقد جئت وأنا أذكرك ، فأبلغته رسالة عمر ، فحدد لي نظره ، ثم قال : أما كان عندك من المعرفة بي ما كان يردعك عن إتياني بمثل هذا فقلت : بلى ، ولكن سترت عليك ، فأبى الله إلا أن يهتك سترك ، قال : إنك والله يابن ذكوان ، ما أنت من شكلي ، فقل لابن أبي ربيعة : إن كنت قُرشيًا فإني قرشي ، وإن كنت شاعرًا فأنا أشعر منك . فقلت : هذا إذا كان الحكم إليك ، قال : وإلى من هو؟ ومن أولى به مني !

\* الأغاني : ١١ - ١٧ ، الكامل للمبرد : ١ - ٣٣٢ .

(١) الروحاء : موضع على ثلاثين ميلاً من المدينة (٢) استنلتيانى : طلبا مني أن أنلوهما

(٣) المرج : قرية بالطائف في الحجاز (٤) ودان : موضع بين مكة والمدينة

(٥) قديد : موضع قرب مكة .

قال السائب : فرجعت إلى القوم فأخبرتهم ، فضحكوا ، ثم نهضوا معي إليه ، فدخلنا عليه في خيمة ، فوجدناه جالسا على جلد كبش ، فوالله ما أوسع للقرشي ، فلما تحدثوا مليا ، وأفاضوا في ذكر الشعراء أقبل كثير على عمر فقال له : أنت تنعت للمرأة فتشيب بها ، ثم تدعها وتنسب بنفسك ! أخبرني عن قولك :

قالت : تصدّئي له ليعرفنا      ثم اغمزيه يا أختي في خفري  
قالت لها : قد غمزته فأبى      ثم اسبطرت<sup>(١)</sup> تشتد في أئري  
وقولها والدموع تسبقها      لتفسدن الطواف في عمر  
أترك لو وصفت بهذا الشعور أهلك ، ألم تكن قد قبحت وأسأت لها ،  
وقلت الهجر ! إنما توصف الحرة بالحياء والإباء والبخل والامتناع ، كما قال هذا -  
وأشار إلى الأحوص :

أدورُ ولولا أن أرى أمَّ جعفرِ<sup>(٢)</sup>      بأبياتكم ؛ مادرتُ حيثُ أدورُ  
وما كنتُ زواراً ولكن ذا الهوى      إذا لم يُرز لا بد أن يسيزورُ  
لقد منعتُ معروفها أمَّ جعفرِ      وإني إلى معروفها لفقيرُ  
فدخلتُ الأحوص الأبهة ، وعرفتُ الخيلاء فيه . فلما عرف كثير ذلك منه  
قال له : أبطل آخرك أولك ، أخبرني عن قولك :

فإن نصلي أصلك وإن تعودي      لهجرٍ بعد وصلك لا أبالي  
ولا ألتقي كمن إن سيم صرماً<sup>(٣)</sup>      تعرّض كي يردّ إلى الوصالِ  
أما والله لو كنتَ فحلاً لبأيت ولو كسرت أنفك ! ألا قلت كما قال هذا  
الأسود - وأشار إلى نصيب :

(١) اسبطرت : أسرعت ، : تشتد : تجرى وتسرع (٢) أم جعفر : امرأة من الأنصار كان يشيب بها الأحوص (٣) صرماً : قطيعة .

بزينب ألم قبل أن يرحل الركبُ وقُلْ : إن تمكينا فما ملك القلبُ  
فانكسر الأحوص ، ودخل نصيبا الأبهة ، فلما فهم ذلك منه قال : وأنت  
يا أسود ؛ أخبرنا عن قولك :

أهيمُ بدَعْدِ مَاحِيَتُ وإن أمتُ فوا كبدِي من ذابهمُ بها بعدى !  
أهمك من يُسبُّ بها بعدك ! فقال نصيب : استوى الترقى (١) .

قال السائب : فلما أمسك كثير أقبل عليه عمر فقال : قد أنصتنا لك فاستمع ،  
أخبرني عن قولك لنفسك وتخبرك لمن تحب حيث تقول :

ألا ليتنا يعزّ من غيرِ ريبِةِ بعيران نزعى فى الخِلا ونعذب !  
كلانا به عرٌّ (٢) فمن يرنا يقلُّ على حسنها جرباء تعدى وأجربُ  
إذا ماوردنا منها لصاح أهله علينا ، فما ننفك نرى ونضرب  
وددت ، وبيت الله ، أنك بكرة هيجان (٣) وأنى مُصعب (٤) ثم نهزبُ  
نكونُ بعيرى ذى غنى فيضيعنا فلا هو يرطانا ولا نحنُ نطلبُ  
وبلك ، تمنيت لها ولنفسك الرق والجرب والرّمى والطرْد والنسخ ، فأى مكروه  
لم تتمن لها ولنفسك ! ولقد أصابها منك قول الأول : معادة عاقل خير من مودة  
أحمق ، فجعل يَخْتَلِج جسد كثير كله ، ثم أقبل عليه الأحوصُ فقال : أخبرني  
عن قولك :

وقلن - وقد يكذبن - فيك تصفئ وشوؤم إذا ما لم تطع صاح ناعفة  
وأعيبتنا لا راضيا بكراة ولا تاركا شكوى الذى أنت صادقة

(١) الترقى . نوع من اللعب ، ومعنى الجملة : استويينا فلم يظلم واحد منا صاحبه ، وفى الكامل  
« الترقى » وهى لعبة على خطوط فاستواؤها اقتضاؤها (٢) المر : الجرب (٣) الهجان  
من الإبل : البيضاء الكريمة (٤) المصعب : الفحل .

فأدركتَ صفوَ الودِّ منا فلمتَّنا وليس لنا ذنبٌ، فنحن مَوَازِقُهُ (١)  
وَأَلْفَيْتَنَا سِلْمًا فَصَدَّعْتَ بَيْنَنَا كَمَا صَدَّعْتَ بَيْنَ الْأَدِيمِ خَوَالِقَهُ (٢)  
والله لو اَحْتَقَلَ عَلَيْكَ هَاجِيكَ مَا زَادَ عَلَيَّ مَا بُوتَ بِهِ (٣) عَلَيَّ نَفْسِكَ . فَخَفَقَ (٤)  
كثيْرٌ كَمَا يَتَخَفِقُ الطَّائِرُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ نُصِيبُ فَقَالَ : أَقْبَلَ عَلَيَّ ، فَقَدْ تَمَنَيْتَ  
مَعْرِفَةَ غَائِبٍ عِنْدِي عَلَيْهِ حَيْثُ تَقُولُ :

وَدَدْتُ ، وَمَا تَغْنِي الْوَدَادَةُ ، أَنْفِي بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِيَّةِ عَالِمُ  
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَّني وَعَلِمْتُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَلْمُنِي اللَّوَائِمُ  
انظُرْ فِي مِرَاتِكَ ، وَاَعْرِفْ صُورَةَ وَجْهِكَ تَعْرِفْ مَا عِنْدَهَا . فَاضْطَرْبِ اضْطَرْبَ  
الْمَصْفُورِ ، وَقَامِ الْقَوْمِ يَضْحَكُونَ .

---

(١) مذاق الود : لم يخلصه (٢) الخالق : صانع الأديم .  
(٣) رجعت به على نفسك ، أى ما وصفت به نفسك (٤) اضطرب .

٨٥ — احتال حتى أقرأها رسالته \*

كان عمرُ بنُ أبي ربيعة<sup>(١)</sup> يهوى كَلمَ بنتَ سعدِ الحزُومِيَّةَ ، فأرسل إليها رسولاً<sup>(٢)</sup> فضربتها وحلقها<sup>(٣)</sup> وأحلقها ألا تُعاوِدَ ؛ ثم أعادها ثانية ففعلت بها مثلَ ذلك ، فتحأماها رسولُهُ ؛ فابتاع أمةً سوداءَ لطيفةً رقيقةً ، وأتى بها منزله فأحسن إليها وكساها ، وآنسها وعرفها خبره ، وقال لها : إن أوصلتِ لي رُقعةً إلى كَلمَ فقرأتها فأنتِ حرةٌ ولكِ معيشتك ما بقيتِ .

فقال : اكتبِ لي مَكتَبةً<sup>(٤)</sup> واكتبِ حاجتكِ في آخرها . ففعل ذلك فأخذتها ومضت بها إلى بابِ كَلمَ ، فاستأذنت ، فخرجت إليها أمةٌ لها ، فسألتهاعن أمرها ، فقالت : مَكتَبةٌ لبعضِ أهلِ مَولَاتِكِ جئتُ أستمينها في مَكتَبتِي ، وحادثتها وناشدتها حتى ملأت قلبها .

فدخلت إلى كَلمَ وقالت : إن بالبابِ مَكتَبةً لم أرقطُ أجلَ منها ولا أكل ولا آدب . فقالت : انذني لها ، فدخلت ، فقالت : مَنْ كَاتِبِكِ ؟ قالت : عمرُ ابنُ أبي ربيعةَ الفاسقُ ؛ فاقرئني مَكتَبتِي . فدَّتْ يدها لتأخذها فقالت لها : لي عليك عهدُ الله أن تَقْرَئِنيها ؛ فإن كانت منكِ إلى شيءٍ مما أُحِبُّه ، وإلا لم يَلْحَقْني

\* الأغانى : ١ - ٢٠٤ .

(١) من مخزوم ، بطن من قريش ، واختص شعره بوصف النساء ، والتشبيب بهن ، قال ابن جريج : ما دخل على العواتق في جاهلن شيء أضر عليهن من شعر ابن أبي ربيعة ، توفي سنة ٩٣ هـ .  
(٢) رسول . يجوز استعماله للمذكر والمؤنث (٣) يقال : حلقة : أي أوجعه في حلقة  
(٤) المَكتَبة : أن يكتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجماً ، فإذا أداه صار حراً .

مِنْكَ مَكْرُوهٌ ، فَعَاهَدْتَهَا وَفَطِنْتَ ، وَأَعْطَيْتَهَا الْكِتَابَ فِإِذَا أَوْلَهُ :

من عاشقٍ صَبَّ بِسِرِّهِ الْمَوَى	قد شَفَّهُ الْوَجْدُ إِلَى كَلْمٍ
رَأَيْتُكَ عَيْنِي فَدَعَانِي الْمَوَى	إِلَيْكَ لِلْحَيْنِ (١) وَلَمْ أَعْلَمْ
قَتَلْتِنَا ، يَا حَبِّذَا أْتُمُ	فِي غَيْرِ مَا جُرْمٍ وَلَا مَأْتَمٍ
وَاللَّهُ قَدْ أَنْزَلَ فِي وَحْيِهِ	مُبِينًا فِي آيَةِ الْحُكْمِ
مَنْ يَقْتُلِ النَّفْسَ كَذَا ظَالِمًا	وَلَمْ يُقِدْهَا نَفْسَهُ يَظْلَمُ
وَأَنْتِ تَأْرِي فَتَلَا فِي دَمِي	ثُمَّ اجْعَلِيهِ نِعْمَةً تُنْمِي
وَحُكْمِي عَدْلًا يَكُنْ بَيْنَنَا	أَوْ أَنْتِ فِيمَا بَيْنَنَا فَاحْكِي
وَجَالِسِي نَجْلِيًّا وَاحِدًا	مِنْ غَيْرِ مَاعَارٍ وَلَا مَحْرَمٍ (٢)
وَخَبِّرِي : مَا الَّذِي عِنْدَكُمْ	بِاللَّهِ فِي قَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ؟

فلما قرأت الشعر قالت لها : إنه خداعٌ مَلِيقٌ ، وليس لما شكاه أصلٌ . قالت :  
يا مولاتي ؛ فما عليك من امتحانه ؟ قالت : قد أذنتُ له ، وما زال حتى ظفِرَ  
بِبُغْيَتِهِ ، فقولِي له : إذا كان المساء فليجلس في موضع كذا حتى يأتيه رسولي .  
فانصرفتِ الجارية فأخبرته فتأهب لها .

فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل إليها وقد تهيأت أجمل هيئة . وزينت  
نفسها وجلسها وجاست له من وراء ستر ، فسلم وجلس ، فتركته حتى سكن ثم  
قالت له : أخبرني عنك يا فاسق ؛ ألسنت القائل :

هَلَا ارْعَوَيْتِ فَتَرْجِي صَبًا	صَدِيانٍ لَمْ تَدْعِي لَهُ قَلْبًا
جَشِمَ الزِّيَارَةَ فِي مَوَدَّتِكُمْ	فَأَرَادَ الْأَتْحَقْدِي ذَنْبًا

وَرَجَا مُصَاحَلَةً فَكَانَ لَكُمْ      سَلَامًا<sup>(١)</sup> وَكُنْتَ تَرَيْنَهُ حَرَبًا  
يَأْتِيهِمُ الْمُصْنَفِيُّ مَوَدَّةً      مَنْ لَا يَرَاكَ مُسَامِيًا خِطْبًا<sup>(٢)</sup>  
لَا تَجْعَلَنَّ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا      أَحْبَبْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا  
وَصَلَ الْحَبِيبَ إِذَا شُفِّتَ بِهِ      وَاطُورِ الزِّيَارَةِ دُونَهُ غِيًّا  
فَلَذَاكَ أَحْسَنُ مِنْ مُوَاصَلَةٍ      لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا  
لَا ، بَلْ يَمْلِكُ عِنْدَ دَعْوَتِهِ      فَيَقُولُ هَاهُ<sup>(٣)</sup> وَطَالَمَا لَبِيَّ

فقال لها : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إن القلبَ إذا هوى نطقَ اللسانُ بما يهوى !

فتزوجها ، فولدت له ابنين .

٨٦ — مَنْ لِي بِمَثَلِكَ يُمْتَبِنِي إِذَا اسْتَعْتَبْتَهُ ! \*

دخل حمزة بن بيض<sup>(١)</sup> على مخلد بن يزيد بن المهلب ، فوعده أن يصنع به خيراً ، ثم شغل عنه ، فاختلف عليه مراراً ثم لم يصل إليه ، وأبطأت عليه عدته ، فقال ابن بيض :

أَمَخَلَدُ <sup>(٢)</sup> إِنْ أَلَّهَ مَا شَاءَ يَصْنَعُ	يَجُودُ فَيُعْطِي مَا يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
وَإِنِّي قَدْ أَمَلْتُ مِنْكَ سَحَابَةً	فَجَادَتْ سَرَابًا فَوْقَ بَيْدَاءِ تَلْمَعُ
فَأَجَمْتُ صَرْمًا ثُمَّ قَلْتُ لَعَلَّهُ	يَتُوبُ إِلَى أَمْرٍ جَمِيلٍ وَيَرْجِعُ
فَأَيَّاسِي مِنْ خَيْرِ مَخْلَدٍ أَنَّهُ	عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْسَ لِي فِيهِ مَطْمَعُ
يَجُودُ لِأَقْوَامٍ يُوَدُّونَ أَنَّهُ	مِنَ الْبُغْضِ وَالشَّنَانِ أَمْسَى يُقَطِّعُ
وَيَبْخُلُ بِالْمَعْرُوفِ عَمَّنْ يُوَدُّهُ	فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي بِهِ كَيْفَ أَصْنَعُ
أَصْرِمُهُ ، فَالْصَّرْمُ شَرٌّ مَغْتَبَةٌ	وَنَفْسِي إِلَيْهِ بِالْوَصَالِ تَطْلَعُ
وَشَتَانُ بَيْنِي وَالْوَصَالِ وَيَنْبَهُ	عَلَى كُلِّ حَالٍ اسْتَقِيمَ وَيُظْلَعُ <sup>(٣)</sup>
فَأَعْقَبَنِي صَرْمًا عَلَى غَيْرِ إِحْنَةٍ	وَبِخْلًا وَقَدِّمًا كَانَ لِي يَتَبَرَّعُ
وغيره ما غير الناس قبلة	فَنَفْسِي بِمَا يَأْتِي بِهِ لَيْسَ تَقْنَعُ

\* الأغانى : ١٥ - ٢٣ .

(١) حمزة بن بيض : شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كوفي خليج ماجن ، وكان منقطعاً إلى المهلب ابن أبي صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد وبلال بن أبي بردة واكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيماً ، توفي سنة ١٢٠ هـ (٢) أمير من بيت إمارة ورياسة وبطولة ، ولى إمارة خراسان على عهد عمر بن عبد العزيز نائباً عن أبيه ، ثم رحل إلى الشام وافداً على الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فأعجب به ، مات سنة ١٠٠ هـ (٣) الظلم : العرج .



ثم كتبها في قرطاسٍ ، وختمه ، وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه .

فلما قرأه سأل الغلام : مَنْ صاحبُ الكتاب ؟ قال لا أعرفه ، فأدخل إليه الرجل ، فقال : مَنْ أعطاك الكتاب ؟ ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدري ، ولكن من صفته كذا وكذا ، ووصف صفة ابن بيض . فأمر به فضرب عشرين سوطاً على رأسه ، وأمر له بخمسة آلاف درهم وكساه ، وقال : إنما ضربتك أدباً لك ؛ لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه لمن لا تعرفه ، فإياك أن تعود لمثلها .

فقال الرجل : لا والله ، أصاحك الله ! لا أحمل كتاباً لمن أعرف ولا لمن لا أعرف . قال : احذر فليس كلُّ أحدٍ يصنع بك صنيعي .

وبعث إلى ابن بيض ، فقال له : أتعرف ما لحق صاحبك ؟ قال لا ، فخذته مخدلاً بقصته . فقال ابن بيض : والله إنه لا يزال يتسوق إلى العشرين سوطاً مع الخمسمائة أبداً ؛ فضحك مخدلاً ، وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتسوق إلى عتاب إخوانك أبداً . قال : أجل والله ، ولكن من لي بمثلك يُعتبني <sup>(١)</sup> إذا استعتبتته ، ويفعل بي مثل فعلك ، ثم قال :

وأبيض بهلول إذا جئتُ داره      كفاني ، وأعطاني الذي جئتُ أسألُ  
ويُعتبني يوماً إذا كنت عاتباً      وإن قلت زدني قال حقاً سأفعل  
تراه إذا ما جئتُه تطلبُ الندى      كأنك تعطيه الذي جئتُ تسألُ

(١) يقال : أعتبني فلان ؛ إذا ترك ما كنت أجد عليه ، ورجع إلى ما أَرْضأني عنه ، بعد إسقاطه إياي عليه .

فله أبناء المهلب فتيةً إذا لقيت حَربٌ عوانٌ تأكلوا<sup>(١)</sup>  
ترى الموت تحت الخافقات أمامهم إذا ورَدُوا علواً الرماح وأنهلوا<sup>(٢)</sup>  
يجودون حتى يحسبَ الناسُ أنهم لجودهم نذرٌ عليهم يحلُّ  
فذلك ميراثُ المهلب ، إنه كريمٌ نساءً للكارمِ أوَّلُ

فلما أنشده ابنُ بيض هذه الأبيات أمره له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب  
وقال : نزيدك ما زدتنا ونضعفُ لك ، فقال :

أتحبُّ الله لم تترك لنفسى بقيةً وزدت على ما كنت أرجو وآمل  
فكنتُ كما قد قال معنُ فإنه بصيرٌ كما قد قال إذ يتملَّ  
وجدتُ كثيرَ المالِ إذ ضنَّ مُعدماً يذمُّ ويلجأه<sup>(٣)</sup> الصديق المؤملُ  
وإن أحقَّ الناسَ بالجود من رأى أباه جواداً للكارمِ يُجزلُ  
وجدتَ يزيداً والمهلبَ برزاً فقلتَ فإني مثلَ ذلكَ أفعُلُ  
ففتت كما فازا وجاوزت غايةً يقصِّرُ عنها السابقُ المتمل  
فأنت غياثٌ لليتامى وعصمةٌ إليك رجاء الطالبى الخيرِ يرحل  
وموتُ الفتى خيرٌ له من حياته إذا كان ذا مالٍ يضيئُ ويبخُل  
فقال له مغلدة : احتكم ، فإني ، فأعطاه ألفي دينار وجاريةً وغلاماً  
وبرذوناً .

(١) تأكل الرجل : غضب وهاج كأنه يأكل بعضه بعضاً (٢) العل : الشرب الثاني ، والتهل :  
الشرب الأول (٣) يلومه .

٨٧ — هما قمرًا السماء وأنت نجم \*

قَدِمَ الفرزدق إلى المدينة في سنةٍ مُجَدِّبةٍ ، فمشى أهلُ المدينة إلى عمر بن عبد العزيز ، فقالوا له : أيها الأمير ؛ إن الفرزدق قدم مدينتنا في هذه السنة الجَدِّبة التي قد أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة ، وليس عند أحدٍ منهم ما يعطيه شاعراً ؛ فلو أن الأمير بعث إليه فأرضاه ، وتقدَّم إليه ألا يمرض لأحدٍ بمدح ولا هجاء .

فبعث إليه عمر : إنك يا فرزدق قدِمْتَ مدينتنا في هذه السنة الجَدِّبة ، وليس عند أحد ما يعطيه شاعراً ، وقد أمرتُ لك بأربعة آلاف درهم ، فخذها ولا تعرِّض لأحد بمدح ولا هجاء .

فأخذها الفرزدق ، ومرَّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو جالس في سقيفة داره ، عليه مُطْرَف<sup>(١)</sup> خَزْرَ أَحْمَر ، وجبة خَزْرَ أَحْمَر ، فوقف عليه ، وقال :

أعبد الله أنت أحق ماشٍ وساعٍ بالجواهر الكبارِ  
نما الفاروق<sup>(٢)</sup> أمك وابن أروى أبوك فأنْت مُنْصَدِعُ النهارِ  
هما قمرًا السماء وأنت نجمٌ به في الليل يُدْلِجُ<sup>(٣)</sup> كلُّ سارِ

فخلع عليه الجبَّة والعمامة والمطْرَف ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

\* الأغاني : ١٩ - ٥٢ .

(١) رداء من خز مريح له أعلام (٢) عمر بن الخطاب (٣) أدلج : سار من أول الليل -

فخرج رجلٌ كان حضر عبد الله والفرزدقُ عنده، ورأى ما أعطاه إياه،  
وسمع ما أمره عمرُ به ألاَّ يعرض لأحد؛ فدخل إلى عمر بن عبد العزيز،  
فأخبره، فبعث إليه عمر: ألم أتقدم إليك يا فرزدقُ ألاَّ تعرض لأحدٍ بمدح ولا  
هجاء! اخرج، فقد أجلتك ثلاثاً، فإن وجدتُك بعد ثلاث نكَّتُ بك، فخرج  
وهو يقول:

فَأَجَلَنِي وَوَاعَدَنِي ثَلَاثًا      كَأَوْعَدَتْ لِمَهْلِكِهَا نُمُودُ<sup>(١)</sup>!

---

(١) هم أصحاب صالح.

٨٨ — نفى الأحوص \*

لما وليَ عمرُ بنُ عبد العزيزِ الخلافةَ لم تكن له همةٌ إلا عمرُ بنُ أبي ربيعةِ والأحوص . فكتب إلى عامله على المدينة : قد عرفتُ عمرَ والأحوص بالخبثِ والشرِّ ، فإذا أتاك كتابي هذا فاشدُذهما وانحكما إليَّ .

فلما أتاه الكتاب حملهما إليه ؛ فأقبل على عمر فقال له : هيه !

فلم أر كالتجبير<sup>(١)</sup> منظرَ ناظرٍ ولا كلباً إلى الحج أفلتنَ ذا هوى  
وكم ماليء عينيه من شيءٍ غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدهى  
فإذا لم يُفنت الناس منك في هذه الأيام فتى يُفنتون ! أما والله لو اهتمت  
بأمرِ حجك لم تنظر إلى شيءٍ غيرك ، ثم أمر بنفيه . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أو  
خيرٌ من ذلك ا قال : وما هو ؟ قال : أعاهدُ الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر أبداً  
وأجددُ توبة على يدك . قال : أو تفعل ؟ قال : نعم . فعاهد الله على توبةٍ وخلاة .  
ثم دعا بالأحوص فقال : هيه !

الله بيني وبين قيمتها يهربُ مني بها وأتبعُ  
بل الله بين قيمتها وبينك ! ثم أمر بنفيه إلى دهلك<sup>(٢)</sup> ، فلم يزل بها .  
فرحل إلى عمر عدةً من الأنصار فكأموه في أمره ، وسألوه أن يُقدمه ،

\* الأغانى : ٩ - ٦٤

(١) التجبير : رمى الجمار (٢) دهلك : بلدة ضيقة حارة تجاه مصوع ، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها .

وقالوا له : قد عرفتُ نَسَبَهُ وَقَدَمَهُ وموضمه ، وقد أُخْرِجَ إلى بلادِ الشِركِ ، فنطلب  
منك أن تردّه إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودارِ قومه . فقال لهم عمر :  
من الذى يقول :

فما هو إلا أن أراها فُجَاءَةً فَأُبْهَتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُحِيرُ<sup>(١)</sup>

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

أدورُ ولولا أن أَرَى أمَّ جعفرِ بأبياتكم مادرتُ حيثُ أدورُ  
وما كنتُ زوّاراً ولكنّ ذا الهوى إذا لم يزُرْ لا بُدَّ أن سيزورُ  
قالوا : الأحوص . قال : فمن ذا الذى يقول :

كأنُّ لُبِّي صَبِيرٌ<sup>(٢)</sup> غاديةٍ أودمِيَّةٌ زِينَتُهَا البَيْعُ  
الله يبنى وبين قيمها يهربُ مني بها وأتبع  
قالوا : الأحوص ، قال : والله لا أردّه مادام لى سلطان .

فكث هناك حتى مات عمر ، وولى الأمرُ يزيدُ بن عبد الملك ، ففتته  
جميلة يوماً :

كريمُ قريش حين يُنسَبُ والذى أقرت له بالملك كَهَلًا وأمرداً  
فطرب يزيد وقال : ويحك ! من كريم قريش هذا ؟ قالت : أنت  
يا أمير المؤمنين ، ومن عسى أن يكون ذلك غيرك . قال : ومن قائل هذا الشعر  
في ؟ قالت : الأحوص وهو منفي .

(١) لم يجر جواباً : لم يرجع ولم يرد (٢) صبير : سحابة بيضاء .

فكتب برده وحمله إليه : وأنفذ إليه صلات سنية ؛ فلما قدم إليه أدناه وقرّبه  
وأكرّمه ، وقال له يوماً في مجلس حافل : والله لو لم تمت<sup>(١)</sup> إلينا بحق ولا صهر  
ولا رحيم إلا بقولك :

وإني لأستحييكم أن يقودني إلى غيركم من سائر الناس مطمع  
لكفالك ذلك عندنا . ولم يزل يُناديه حتى مات .

٨٩ — شهادة \*

قال دُكَيْنُ الرَّاجِزِ : امتدحتُ عمرَ بنَ عبدِ العزیزِ وهو والی المدینة ، فأمر لی  
بمخمسَ عشرةَ ناقةً كرائمَ ، ففكرتُ أن أزمیَ بهنَّ الفِجَاجَ <sup>(١)</sup> ، ولم تَطِبْ  
نفسی ببیئِهِنَّ . فقدمتُ علینا رُقَّةً من مِصرَ ، فسألتهُمُ الصُّحْبَةَ ، فقالوا : ذلك  
إلیك ، ونحنُ نخرجُ اللیلةَ .

فأتیتُهُ فودَّعتهُ ، وعنده شیخان لا أعرفهما ، فقال لی : یا دُكَيْنُ ؛ إن لی نفساً  
توافقهُ ، فإن صرْتُ إلى أكثر مما أنا فیهِ فأنتی ولك الإحسان . قلت : أشهدُ لی  
بذلك . قال : أشهدُ اللهَ به . قلت : ومن خَلَقَهُ ؟ قال : هذین الشیخین ، فأقبلتُ  
علی أحدهما فقلت : من أنت أعرفك ؟ قال . سالم بن عبد الله بن عمر . وقلت  
للآخر : من أنت ؟ قال : أبو یحیی مولى الأمير .

فخرجتُ إلى بلدی بهن ، فرمی اللهُ فی أذنانهنَّ بالبركة حتى اعتقدتُ <sup>(٢)</sup>  
منهنَّ الإبل والعبيد ؛ فإنی لبعصراءَ فلج <sup>(٣)</sup> إذا ناعَ ینعی سلیمان . قلت : فمن  
القائمُ بعده ؟ قال : عمرُ بن عبد العزیز ،

فتوجهتُ نحوه ، فلقینى جریر مُنصرِفاً من عنده ؛ فقلت : یا أبا حرزَةَ <sup>(٤)</sup> ،  
من أين ؟ فقال : من عند مَنْ یُعطى الفقراء ، ویمنعُ الشعراء ، فانطلقتُ فإذا هو فی  
عرصة <sup>(٥)</sup> دار ، وقد أحاط الناسُ به ، فلم أخلصُ إلیه ، فنادبتُ :

\* الأغانی : ٩ - ٢٦١ ، العقد الفرید : ١ - ٢٠٢

(١) أصل الفج : الطريق الواسع ، وجمه فجاج (٢) اعتقد الشيء : اشتراه أو اقتناه .

(٣) فلج : اسم واد (٤) كنية جریر (٥) العرصة : كل بقعة بین الدور واسعة ليس فیها بناء .



يا عمرَ الخيراتِ والمكارِمِ      وعمرَ الدَّسائِعِ (١) العظائمِ  
إني امرؤُ من قَطَنِ بنِ دارِمِ -      طلبتُ دِينِي (٢) من أخي مَكَارِمِ  
إذُ تَلْتَجِي والليلُ غَيْرُ نَائِمِ      عند أبي يحيى وعند سالمِ  
فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لهذا البدوي عندي شهادةٌ عليك ،  
فقال ؛ أعرفها ؛ اذنُ يا دُكَيْنِ ، أنا كما ذكرتُ لك ، إن نفسي لم تنل شيئاً قط  
إلا تافت لما هو فوقه ، وقد نلتُ غايةَ الدنيا ، فنفسي تتوقُ إلى الآخرة ، والله  
ما رزأتُ (٣) من أموال الناس شيئاً ؛ ولا عندي إلا ألفُ درهم ، فخذ نصفها .  
قال دُكَيْنِ : فوالله ما رأيتُ ألفاً كان أعظمَ بركةً منه .

---

(١) الدسائِع : الطايا (٢) يشير إلى وعده السابق (٣) رزأ من ماله شيئاً : إذا اُخذ .  
( ١٤ - قصص العرب - ٣ )

٩٠ — فُغُضَّ الطرف إنك من نمير\*

كان راعِي<sup>(١)</sup> الإبل يَقْضِي للفرزدق على جرير<sup>(٢)</sup> وَيُفْضَلُهُ . فلما أكثر من ذلك خرج جريرٌ إلى رجالٍ من قومه ، فقال : هَلَّا تَعْجَبُونَ لهذا الرجل الذي يَقْضِي للفرزدق على ، وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم !

ثم خرج ذات يومٍ يمشى ولم يركب دابته — وكان لراعي الإبل والفرزدق وجلساتهما حلقة بأعلى المرْبَد بالبصرة يجلسون فيها — قال جرير : فخرجت أتمرّض له لألقاه حيث كنتُ أراه يمرُّ إذا انصرف من مجلسه ، وما يسرنى أن يعلم أحد ، حتى إذا مرّ على بغلة له وابنه جندلٌ يسير وراءه على مَهْر له أَحْوَى محذوف الذنب<sup>(٣)</sup> ؛ فلما استقبلته قلت : مرحباً بك يا أبا جندل ؛ وضربت بشمالى على معرفة بفلته ، ثم قلت : يا أبا جندل ؛ إن قولك يُسْتَمَع ، وإنك تُفْضَلُ الفرزدقَ على تفضيلاً قبيحاً ، وأنا أمدحُ قومك وهو يهجوهم ، ويكفئك من ذلك إذا ذُكِرْنَا أن تقولَ : كلاهما شاعر كريم ، ولا تحتملُ منى ولا مِنْهُ لائمة .

فبينما أنا وهو كذلك وما ردّ على شيئاً إذ لحق به ابنة جندل ، فرفع

(١) هو عبيد بن حصين ، وبكى أبا جندل ، والراعى لقب غلب عليه لكثرة وصفه الإبل وجوده نفته إياها . (٢) هو جرير بن عطية الخطمي أشهر شعراء عصره ، وأصفاهم ديباجة ، عاش عمره كله يناضل الشعراء ويساجلهم ، وكان هجاء مرأ ، لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل مات سنة ١١٠ هـ . (٣) الأحوى : الذى يضرب إلى السواد من شدة خضرته . وعذوف

كَرْمَانِيَّة<sup>(١)</sup> معه ، فضرب بها عَجَزَ بَقْلَتِهِ ، ثم قال : إِنِّي لِأَرَاكَ واقفًا على كلب من بني كَلْبِيبِ كأنك تخشى منه شرًّا أو ترجو منه خيرًا !

وضرب البغلة ضربةً فَرَحَّحْتَنِي<sup>(٢)</sup> رَحْمَةً وَقَعَتْ مِنْهَا قَلَنْسُوتِي ، فوالله لو عَرَجَ على الراعي لقلت : سَفِيهٌ غَوَى - يعني جِنْدَلًا ابْنَهُ - ولكن لا والله ما عَاجَ<sup>(٣)</sup> على ، فأخذتُ قَلَنْسُوتِي فمسحتها ؟ ثم أَعَدَّتْهَا على رَأْسِي ، ثم سمعتُ الراعي قال لابنه : أما والله لقد طرحت قَلَنْسُوتَهُ طَرَحَةً مَشْثُومَةً .

فانصرف جريراً غضبان حتى صلى العشاء بمنزله في عِلِّيَّة<sup>(٤)</sup> له ، ثم قال : ارفعوا إلى باطية<sup>(٥)</sup> من نبيذ وأسرجوا لي . فأسرجوا له ، وأتوه بباطية من نبيذ . فجعل يُمَمِّمُهُمْ<sup>(٦)</sup> ، فسمعتُ صوته عجزوز في الدار ، فأطلعت في الدرجة حتى نظرت إليه ، فإذا هو ينجبئ على الفراش عُرْيَانًا لما هو فيه ، فأنحدرت فقالت : ضيفكم تجنون ! رأيت منه كذا وكذا ! فقالوا لها : اذهبي لطيتك ، نحن أعلم به وبما يمارس . فما زال كذلك حتى كان السحر ، ثم إذا هو يكبر ، قد قالها ثمانين بيتًا في بني نمير ، فلما ختمها بقوله :

فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنْكَ مِنْ مُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلغْتَ وَلَا كِلَابًا  
كَبْرًا ، ثم قال : أَخَزَيْتُهُ وَرَبُّ الكَعْبَةِ . ثم أصبح ، حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد ، وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق ، دعا بدهن فآذنه ، وكف<sup>(٧)</sup> رأسه - وكان حسن الشعر - ثم قال : يا غلام ؛ أسرج لي ،

(١) نوع من السياط . (٢) رجمته : رفسته (٣) عاج : رجع وعاد (٤) العلية : الغرفة

(٥) الباطية : الناجود ، وهو إناء الحجر (٦) المهمة والهينة : الصوت الحني (٧) كف

شعره : جمعه وضم أطرافه .

فأُتْرَجَ له حصاناً ثم قصد مجلسهم ، حتى إذا كان بموضع السلام قال : يا غلام -  
ولم يسم - قل لعبيد<sup>(١)</sup> أبعثك نسوتك تُكسِبُهُنَّ المال بالعراق ! أما والذي نفس  
جربير بيده لترجعن إليهنَّ بِمَيْرٍ<sup>(٢)</sup> يُسُوهُنَّ ولا يسرهنَّ !  
ثم اندفع فيها فأنشدها ، فنكس الفرزدق وراعى الإبل ، وأرم<sup>(٣)</sup> القوم ، حتى  
إذا فرغ منها سار ، وثبت راعى الإبل ساعة ، ثم ركب بفلته بِشَرٍّ وَعَرٍّ<sup>(٤)</sup> ،  
وخلّى المجلس حتى ترقى إلى منزله الذي ينزله ، ثم قال لأصحابه : ركبكم ركبكم ،  
فليس لكم هاهنا مقام ، فضحكهم والله جربير فقال له بعض القوم : ذاك شوؤمك  
وشوؤم ابنك . ثم رحل بنو نمير فوجدوا البيت قد سبقهم .

---

(١) هو راعى الإبل (٢) الميرة : الطعام يتتاره الإنسان ، وقد مار ميراً (٣) أرم القوم :  
سكتوا . (٤) أصل العر : الجرب .

٩١ — لا أهجو شاعراً هذا شعره \*

هجا الأحوص<sup>(١)</sup> رجلاً من الأنصار من بني حرام يقال له ابن بشير ،  
وكان كثير المال ؛ فغضب من ذلك ، وخرج حتى قدم على الفرزدق بالبصرة ،  
وأهدى إليه وألطفه<sup>(٢)</sup> فقبل منه ؛ ثم جلسا يتحدّثان ، فقال الفرزدق :  
من أنت ؟ قال : من الأنصار ؛ قال : ما أقدمك ؟ قال : جئت مستجيراً بالله  
عز وجل ، ثم بك من رجل هجاني ؛ قال : قد أجارك الله منه وكفأك مؤنته ؛  
فأين أنت عن الأحوص ؟ قال : هو الذي هجاني ؛ فأطرق ساعة ثم قال : أليس  
هو الذي يقول :

ألا قف برسم الدار فاستنطق الرّسما      فقد هاج أحراني وذكرني نعماً  
قال : بلى ؛ قال : والله لا أهجو رجلاً هذا شعره .

فخرج ابن بشير فاشترى أفضل من الشراء الأول من الهدايا ، فقدم بها  
على جرير ، فأخذها وقال له : ما أقدمك ؟ قال : جئت مستجيراً بالله وبك من  
رجل هجاني ؛ فقال : قد أجارك الله عز وجل منه وكفأك ، أين أنت عن ابن عمك  
الأحوص بن محمد ؟ قال : هو الذي هجاني ؛ فأطرق ساعة ثم قال : أليس هو  
الذي يقول :

\* الأغاني : ٤ : ٢٦٢

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله من الأوس ، وكان ميالاً إلى الرخاء ، قليل المروءة والدين  
مع ميل إلى هجو الناس ، إلا أنه كان شاعراً ذا ديباجة صافية ، وحلاوة وعدوبة ، توفي سنة  
١٠٥ هـ (٢) ألطفه : أكرمه وبره بطرف التحف .

تمشى بشتمي في أكاريس<sup>(١)</sup> مالك      تُشيدُ به كالكلب إذ ينبح النجماً  
فما أنا بالمخسوس<sup>(٢)</sup> في جذم مالك<sup>(٣)</sup>      ولا بالمسمى ثم يلتزمُ الإسماءَ  
ولكن يتي إن سألت وجدته      توسط منها العزَّ والحسب الضخماً  
قال : بلى والله ؛ قال : فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره . فاشتري أفضل  
من تلك الهدايا ، وقدم على الأحوص ، فأهداها إليه وصالحه .

---

(١) الأكاريس : جمع الكرس . وهو الجماعة من الناس . (٢) رجل مخسوس : مردول -  
(٣) الجذم : الأصل .

٩٢ — جارية \*

وفد الكُمَيْت<sup>(١)</sup> على يزيد<sup>(٢)</sup> بن عبد الملك ، فدخل عليه يوماً وقد اشترت له سلامة القس؛ فأدخلت إليه والكميت حاضر ، فقال له : هذه جارية تباع ، أفترى أن نبتاعها ؟ قال : إى والله يا أمير المؤمنين ، وما أرى أن لها مثلاً فى الدنيا فلا تفوتك .

قال : فصفا لى فى شعر حتى أقبل رأيك ، فقال :

هى شمسُ النهار فى الحسنِ إلّا      أنها فضلت بقتل الظرافِ<sup>(٣)</sup>  
غضّة بضة رخيمٍ لموبد      وعثة<sup>(٤)</sup> المتن شخنة<sup>(٥)</sup> الأطراف  
زانها دلها وتغر نقي      وحديث مرتل غير جاف  
خلقت فوق منية التمنى      فاقبل النصح يابن عبد مناف

فضحك يزيد وقال : قد قبلنا نصحك ومشورتك وأمر له بجائزة سنية .

\* مهذب الأغانى : ٥ - ٢٠٧

- (١) هو الكميت بن زيد الأسدى ، كان شاعرا عالما بلغات العرب ؛ خبيراً بآياتها ، من شعراء مضر التميميين على اليمين ، وكان مشهوراً بالتشيع لبني هاشم ، توفى سنة ١٢٦ هـ .  
(٢) من ملوك الدولة الأموية فى الشام ، تولى الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ ، ولم يطل عهده إذ توفى سنة ١٠٥ هـ .  
(٣) الظراف : جم ظريف . (٤) امرأة وعثة : كثيرة اللحم ، كأن الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . وامرأة وعثة الأرداف : ليتها . (٥) الشخنة : الدقيق الضامر من الأصل لا مزالا .

٩٣ — فَضَحْتُ شَيْخًا مِنْ قَرِيْشٍ وَعَدَّ بَنِيَّ \*<sup>\*</sup>

حَدَّثَ مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَتَانِي أَبُو السَّائِبِ <sup>(١)</sup> الْخَزْرَمِيُّ فِي لَيْلَةٍ بَعْدَ مَا رَقَدَ السَّامِرُ <sup>(٢)</sup> فَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ : هَلْ مِنْ حَاجَةٍ ؟ فَقَالَ : سَهْرَتُ اللَّيْلَةَ فَذَكَرْتُ أَحَا لِي أَسْتَمْتِعُ بِهِ ، فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا سِوَاكَ ! فَوَضَعْنَا إِلَى الْعَقِيقِ <sup>(٣)</sup> فَتَنَاشَدْنَا وَتَحَدَّثْنَا ! قُلْتُ : نَعَمْ ! فَزَلْتُ ؛ فَمَا زَالَ فِي حَدِيثٍ إِلَى أَنْ أُنْشِدْتَهُ فِي بَعْضِ ذَلِكَ بَيْنَتَيْنِ لِلْعَرَجِيِّ :

بَاتَا بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ حَتَّى بَدَأَ صَبِيحُ تَلَوِّحِ <sup>(٤)</sup> كَالَأَغْرَاءِ الْأَشْفَرِ  
فَتَلَازَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْفَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ

فَقَالَ : أَعِدَّهُ عَلَيَّ ! فَأَعَدْتَهُ ! فَقَالَ : أَحْسَنُ وَاللَّهِ ، أَمْرَاتُهُ طَالِقٌ إِنْ نَطَقَ بِمَجْرَفٍ غَيْرِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ .

فَضَيْنَا فَلَقِينَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنِ ، فَلَمَّا صَرَّحْنَا إِلَيْهِ وَقَفَ بِنَا ، وَهُوَ مَنْصَرَفٌ يَرِيدُ الْمَدِينَةَ ، فَسَلَّمُ ، ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا السَّائِبِ ؟ فَقَالَ لَهُ :

فَتَلَازَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْفَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ

\* الْأَغَانِي : ١ : ٣٩٨ ، ذَيْلُ زَهْرِ الْأَدَابِ : ٣٨

(١) اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَكَانَ أَشْرَافَ الْمَدِينَةِ بِقَدَمَيْهِ وَيَعْظُمُونَهُ لِشَرَفِ مَنْصِبِهِ وَحِلَاوَةِ طَرَبِهِ ، وَغَزَاةِ أَدَبِهِ ، وَجَدَّهُ يَكْنَى أَبُو السَّائِبِ أَيْضًا ، وَكَانَ خَلِيصًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَقْبَلَ الْإِسْلَامَ فَكَانَ النَّبِيُّ إِذَا ذَكَرَهُ يَقُولُ : نَعَمْ الْحَلِيسُ كَانَ أَبُو السَّائِبِ لَا يَدَارِي وَلَا يَمَارِي (٢) انْسَامِرُ : السَّمَارُ ، وَهِيَ الْقَوْمُ يُسَمَّرُونَ ، وَالسَّمَرُ : حَدِيثُ اللَّيْلِ (٣) الْعَقِيقُ : مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ .  
(٤) تَلَوِّحٌ : بَانَ وَوَضَحٌ .



فالتفت إلى وقال : متى أنكرت عقلَ صاحبك ؟ قلت : منذ الليلة ! قال :  
إنا لله ! أي كهلٍ أصيبت به قريش !

ثم مضينا فلقينا محمد بن عمران التيمي ، قاضي المدينة ، يريد مالا على بغلة له ،  
وكان أثقل الناس جسما ، ومعه غلام له على عنقه مخلّاة فيها قيدُ البغلة ، فبلم عليه ،  
ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عند الفراق صباية أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلى وقال : متى أنكرت عقلَ صاحبك ؟ قلت : آنفا ! فتركني  
وانصرف ، فقلت : أفندعه هكذا ! ؟ ما آمنُ أن يتهور<sup>(١)</sup> في بعض آبار العقيق ؛  
قال : صدقت ! يا غلام ؛ هات قيد البغلة ، فوضعه في رجله ، وهو ينشدُ البيت  
ويشير بيديه إليه ، يُرى أنه يفهمُ عنه قصته ، ثم نزل الشيخُ عن البغلة ، وقال :  
يا غلام ؛ احمله على بغلتي ، وألحقه بأهله .

فلما كان بحيث علمتُ أنه قد فاته أخبرته الخبر ، فضحك وقال : قبّحك الله  
ماجنا ! فضحت شيخا من قريش ، وعذبتني وأنا لا أقدرُ أن أنحرّك !

(١) يتهور : يسقط .

٩٤ — في دار هشام بن عبد الملك \*

قال حماد<sup>(١)</sup> الراوية : كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك . فكان هشام<sup>(٢)</sup> يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد . فلما مات يزيد ، وأفضت الخلافة إلى هشام خفته ، فكنت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أتق به من إخواني سرًا .

فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنة أمنتُ فخرجتُ فصليت الجمعة ، ثم جلستُ فإذا شمرطيآن قد وقف عليّ فقال لي : يا حماد ؛ أجب الأمير يوسف بن عمر<sup>(٣)</sup> . قلت في نفسي : من هذا كنتُ أهدر ، ثم قلت للشَّرْطِيِّين : هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ، ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك من سبيل .

فاستسلتُ في أيديهما وصيرتُ إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر<sup>(٤)</sup> . فسلمتُ عليه فرد عليّ السلام ، ورمى إليّ كتاباً فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر . أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابحث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مروّع ولا مُتَمَتِّع<sup>(٥)</sup> ، وادفع إليه

\* ثمرات الأوراق : ١ : ١١٢ ، الأغاني : ٦ : ٧٥

- (١) هو حماد بن ميسرة ، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها ، وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيره ، فيسألونه ويمزلون صلته (٢) انظر صفحة ٤٥  
(٣) لم يكن يوسف بن عمر والياً على العراق بعد ولاية هشام بسنة ، وإنما كان والياً عليها خالد القسري حتى سنة ١٢٠ هـ . ثم ولي يوسف بعده . (٤) الإيوان : البيت بيني طولاً  
(٥) غير متمتع : من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه .

خمسائة دينار وجملًا مَهْرِيًّا<sup>(١)</sup> يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دِمَشْقِ .  
فأخذت الخمسائة الدينار ونظرت فإذا جمل مَرْحُول<sup>(٢)</sup> ، فوضعتُ رجلى فى  
الْفَرَزِ<sup>(٣)</sup> وسيرتُ اثنتى عشرة ليلة ، حتى وافيت بابَ هشام ، فاستأذنتُ فأذِنَ لى ،  
فدخلتُ عليه فى دار قَوْرَاءِ<sup>(٤)</sup> مفروشةٍ بالرُّخَامِ ، وهو فى مجلس مفروش بالرُّخَامِ ،  
وبين كل رُخَامَتَيْنِ قضيبُ ذهب ، وحيطانه كذلك ، وهشامٌ جالسٌ على طِئْفِسَةٍ  
حراء ، وعليه ثياب خَزَّ حُمْر ، وقد تَضَمَّحَ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك  
مفتوت فى أوانى ذهب يُقَلِّبُهُ بيده فتفوحُ روائحهُ ، فسَلَّمْتُ فرد علىّ ، واستدنانى  
فدنوت حتى قبلتُ رجله ، وإذا جاريتان لم أرَ قبلهما مثلهما ، فى أُذُنَيَّ كلِّ واحدة  
منهما حلقتان من ذهب ، فيهما لؤلؤتان تتوقدان .

فقال لى : كيف أنت يا حَمَّادُ؟ وكيف حالُك؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين ؛  
قال : أندرى فيم بعثتُ إليك؟ قلت : لا . قال : بعثتُ إليك لبيتِ خطر ببالى لم  
أدرِ مَنْ قاله . قلت : وما هو؟ فقال :

فَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا فُجَاءَتْ قَيْنَةٌ فى يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ

قلت : هذا يقوله عَدِيٌّ بن زيد فى قصيدةٍ له . قال فأَنشِدَنيها ، فأَنشَدته :  
بَكَرَ العاذِلونَ فى وَضَحِ الصُّبْحِ يقولون لى : أَلَا تَسْتَفِيْقُ  
ويلومون فيكِ يابنَةَ عبد الله والقلبُ عندكم موهوقُ<sup>(٥)</sup>  
لستُ أدرى إذا كثروا العَدْلَ عندى أَعَدُّوْا يَومنى أم صَدِيقُ

(١) مهرة بن حيدان : أبو قبيلة ، وهم حى عظيم ، ولبل مهربية : منسوبة لآبهم (٢) مرحول :  
عليه الرجل - (٣) الفرز : ركاب الرجل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب  
(٤) دار قوراء : واسمة (٥) الموهوق : المشدود بالوهق ، وهو الجبل .

زانها حسنُها وفرعٌ عيم وأثيثٌ صلتُ الجبينِ أنيقُ (١)  
وثنايَا مفلجَاتٌ عِذَابٌ لا قِصَارٌ تُرَى ولا هُنَّ رُوقُ (٢)  
فدعوا بالصَّبوح يوماً فجاءتْ قَيْنَةٌ في يمينِها لم يريقُ  
قَدَمته على عُقارِ كعينِ الديكِ صَفَى سلافِها الرَّاوقُ (٣)  
مُرَّةٌ قبلَ مَزجِها، فإذا ما مُزجتْ لذَّ طعمُها مَنْ يذوقُ  
وطنتُ فوقَها فقايعُ كالدِّ زَصِغَارٌ يُشِيرُها التَّصْفِيقُ  
ثم كانَ المزاجُ ماءً سماءَ غيرَ ما آجِنٍ ولا مَطْرُوقِ

فطرب ، ثم قال : أحسنتَ والله يا حماد . يا جارية ؛ اسقيه . فسقتني  
شربة ذهبت بثلث عقلي . وقال : أعد . فأعدتُ فاستخفَّه الطرب ، حتى نزل  
عن فرشه .

ثم قال للجارية الأخرى : اسقيه . فسقتني شربة ذهب بثلث عقلي . فقلت  
إن سقتني الثالثة افتضحت . فقال : سل حوائجك . فقلت : كائنة ما كانت ؟  
قال : نعم . قلت : إحدى الحاريتين ، فقال لي : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما .  
ثم قال للأولى : اسقيه . فسقتني شربة سقطت معها فلم أعقل حتى أصبحتُ فإذا  
بالجاريتين عند رأسي وإذا عذبة من الخدم مع كل واحدٍ منهم بَدرة ؛ فقال لي  
أحدهم : أميرُ المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : خذ هذه فانتفع بها .  
فأخذتها والجاريتين وانصرفت .

---

(١) الفرع : الشعر ، والأثيث الكثير ، يطلق على الشعر وعلى البدن المتلىء باللحم ، وهو  
المراد هنا والصلت : الواضح (٢) روق : طوال (٣) الراووق : فاجود الشراب الذي  
يروق فيه .

٩٥ - هروب الكميته \*

كان حكيمُ بن عباس الأعرور الكلابي وَاِماً بهجاء مُضر ، فكانت شعراء  
مضر تهجوه ويُجيبهم ، وكان الكميته يقول : هو والله أشعرُ منكم ، قالوا :  
فأجب الرجل ؛ قال : إن خالدَ بن عبد الله القسريُّ مُحسنٌ إليَّ ، فلا أقدرُ أن  
أردَّ عليه . قالوا : فاسمعْ بأذنك ما يقول في بناتِ عمك وبناتِ خالك من الهجاء ،  
وأنشدوه ذلك ؛ فغى الكميته لعشيرته ، وقال قصيدة هجا فيها أهلَ اليمن ، وبلغ  
خالدًا خبرها فقال : لا أبالي ما لم يجرِ لعشيرتي ذِكْرٌ ، فأنشدوه القصيدةَ وفيها ذمُّ<sup>١</sup>  
لعشيرة خالد ، فأحفظته<sup>(١)</sup> عليه ، ثم قال : فعلمها ، والله لأقتلنه !

ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن ، وتخيَّرهن نهايةً في حُسنِ الوجوه والكمال  
والأدب ، فرواهن الهاشميات ودسَّهنَّ مع نخاسٍ إلى هشامِ بن عبد الملك ، فاشترهنَّ  
جميعاً ، فلما أنسَ بهنَّ استنطقهنَّ ، فرأى فصاحةً وأدباً ، فاستقرأهنَّ القرآنَ  
فقرأنَّ . واستنشدهنَّ الشعرَ فأنشدته قصائد الكميته الهاشميات ، فقال :  
ويلكن ! مَنْ قائل هذا الشعر ؟ قلن : الكميته بن زيد الأسدي ، قال : وفي أي  
بلد هو ؟ قلن : في العراق ، ثم بالكوفة .

فكتب إلى خالد - وهو عامله على العراق : ابعث إلى برأس الكميته بن  
زيد ، فبعث خالد إلى الكميته في الليل ، فأخذه وأودَّعه السجن ؛ ولما كان من

(١) الأغانى : ١٥ : ١١٠

(٢) أحفظته : أغضبته .

الغد أقرأ مَنْ حضره من مُضر كتاب هشام ، واعتذر إليهم مِنْ قتلِه ، وأذنهم في إنفَادِ الأمرِ فيه في غد .

ثم قال لأبان بن الوليد البَجَلِي - وكان صديقاً للكُمَيْت : انظر ماورد في صديقك ، فقال : عزَّ عليَّ والله ذلك .

ثم قام أبان فبعثَ إلى الكُمَيْت بِنِلامِ علي بنِفل وقال له : أنت حرٌّ إن لحقته والبعل لك ، وكتب إليه : « قد بلغني ماشرتَ إليه وهو القتل إلا أن يدفع الله عز وجل ، وأرى لك أن تبعثَ إلى حُبِّي<sup>(١)</sup> ، فإذا دَخَلَتْ إليك تنقبتَ بنقابها ، ولبستَ ثيابها وخرجتَ ، فإني أرجو ألا يُؤوبَ به لك » .

فأرسل الكُمَيْت إلى أبي وَضاح حبيب بن بديل وإلى فتیانٍ من بني عَمَ فدخل عليه حبيب ، فأخبره الخبر ، وشاوره فيه ، فسَدَّ رأيه .

ثم بعث إلى حُبِّي امرأته ، فقصَّ عليها القصة وقال لها : أي ابنة عم ، إن الرأى لا يقدم عليك ، ولا يُسَلِّمُكَ قومُك ، ولو خفته عليك لما عَرَضْتُكَ له ؛ فألبسته ثيابها وإزارها وخمرته ، وقالت له : أقبلْ وأدبر ، ففعل ، فقالت : ما أنكر منك شيئاً إلا يبساً في كتفك ، فأخرج علي اسم الله - وأخرجت معه جارية لها - فخرج وعلى ياب السجن أبو وَضاح ومعه فتیان من بني أسد ، فلم يُؤوبَ به له ، ومشى والفتيان بين يديه ، فمرَّ بمجلس من مجالس بني تميم ؛ فقال بعضهم : رجلٌ وربُّ الكعبة ، وأمر غلامه فاتبعه ، فصاح به أبو وَضاح : يا كذا وكذا ، لا أراك تتبع هذه المرأة منذ منذ اليوم ! وأوماً إليه بتعلمه ، فولى العبدُ مُدَّ برأ وأدخله أبو وَضاح منزله .

(١) حبي بنت نكيف : زوج الكُمَيْت ، وكانت ممن يتشبع .

ولما طال على السجّان الأمر نادى الكميّ فلم يجبه ، فدخل ليعرف خبره ، فصاحت به المرأة : ورائك ! لا أم لك ! فشق ثوبه ومضى صارخاً إلى باب خالد ، فأخبره الخبر ؛ فأحضر حُبِّي ، وقال لها : يا عدوّ الله ؛ احتلتِ على أمير المؤمنين ، وأخرجت عدوّه ! لأمثّلنّ بكِ ، ولأصنعنّ ولأفعلنّ ! فاجتمعت بنو أسد وقالوا : ماسبيلك على امرأة منّا خُدِعتْ ! فخافهم ، وختّى سبيلها .

قال الراوي : وسقط غرابٌ على الحائط فنمّب<sup>(١)</sup> ، فقال الكميّ لأبي وضاح : إنّي لأخوذ ، وإن حائطك لساقط . فقال : سبحان الله ! هذا مالا يكون إن شاء الله . فقال له : لا بدّ من أن تحوّلني<sup>(٢)</sup> فخرج به إلى بني علقمة - وكانوا يتشيعون - فأقام فيهم ، ولم يُصبح حتى سقط الحائط الذي وقع عليه الغراب .

وأقام الكميّ مدةً متوارياً حتى إذا أيقن أن الطلب قد خفّ عنه خرج ليلاً في جماعة من بني أسد على خوفٍ ووجل ، وكان عالماً بالنجوم مهتدياً ، فلما صار سحيراً صاح بالفتيان هوّموا<sup>(٣)</sup> وقام هو يصلي . ثم رأى واحد منهم شخصاً ، فتضمّض<sup>(٤)</sup> له ، فقال الكميّ : مالك ؟ قال : أرى شيئاً مقبلاً ، فنظر إليه فقال : هو ذئب قد جاء يستطعمكم ، فجاء الذئب فربض ناحية ، فأطعموه يدَ جزور فتعرّقا<sup>(٥)</sup> ، ثم أهووا له بإناء فيه ماء فشرب منه ، وارتحلوا ، فجعل الذئب يعوى ، فقال الكميّ : ماله ؟ وبله ! ألمْ نطعمه ونسّقه ؟ وما أعرفني بما يريد ؛ هو يعلمنا أنّا لسنا على الطريق ، تيامنوا يافتيان ، فتيامنوا . فسكن عواؤه !

---

(١) نمّب : صاح (٢) تحوّل عنه : زال إلى غيره (٣) أصل الهويم والتهوم : هز الرأس من الناس (٤) تضمض : خضع وذلل (٥) تعرق العظم : أكل ماعليه من اللحم .

ولم يزل يسير حتى جاء إلى الشام ، وتوارى في بني أسد وتميم ، وأرسل إلى أشراف قريش - وكان سيدهم يومئذ عَنبَسَةُ بن سعيد بن العاص - فشت رجالات قريش بعضها إلى بعض ، وأتوا عَنبَسَةَ ، فقالوا : يا أبا خالد ؛ هذه مَكْرُمَةٌ قد أتاك الله بها ؛ هذا الكُمَيْتُ بن زيد لسانُ مضر ، كتب أميرُ المؤمنين في قتله ، فنجنا حتى تخلص إليك وإلينا .

قال : فرؤوه أن يعودَ بقبر معاوية بن هشام ؛ فمضى الكُمَيْتُ ، ففُضِرَ فُسْطَاطُه عند قبره ، ومضى عَنبَسَةَ ، فأتى مَسْلَمَةَ بن هشام فقال له : يا أبا شاكر ؛ مَكْرُمَةٌ أتيتك بها تبلغُ الثرياَ إن اعتقدتها<sup>(١)</sup> ، فإن علمت أنك تفي بها وإلا كتمتها . قال : وما هي ؟ فأخبره الخبر ، وقال : إنه قد مدحك بما لم يُسمع بمثله ، فقال : على خلاصه .

ودخل على أبيه هشام في غير وقت دخول - فقال له هشام : أجتت حاجة ؟ قال : نعم ، قال : هي مَقْضِيَةٌ إلا أن يكون الكُمَيْت ، فقال : ما أحبُّ أن تستنني عليّ في حاجتي ، وما أنا والكُمَيْت ، فقالت أمه : والله لتقضين حاجته كأنه ما كانت . قال : قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قُطْرَيْهَا<sup>(٢)</sup> ؛ قال : هي الكُمَيْت يا أمير المؤمنين ! وهو آمن بأمان الله عز وجل وأمانى ، وهو شاعر مضر ، وقد قال فينا قولاً لم يُقَلْ مثله ، قال : قد أمنتته وأجزتُ أمانك له ، فاجلس له مجلساً ينشدك فيه ما قال فينا .

(١) اعتقدت مالا وضيمه : افئناهما .

(٢) القُطْر : الجانب والناحية .



فقد له ، فتكلم بخطبة ارتجلها ما سُمع بمثله قط ، وامتدحه بقصيدته الرائية ،  
فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله :

ماذا عليك من الوقوف بها وإنك غير صاغر  
درجت عليها العاديات الرأحت من الأعاصر<sup>(١)</sup>

إلى أن قال :

فالآن صرتُ إلى أمية والأمورُ إلى المصاير

وجعل هشامٌ يغمز مسلة بقضيب في يده ، فيقول : اسمع ، اسمع ، ثم استأذنه  
في مرثية معاوية ، فأذن له ، فأنشده قوله :

سأبكيك للدين وللدنيا وإنني رأيتُ يدَ المعروف بعدك شلتِ  
فدامت عليك بالسلام تحية ملائكة الله الكرام وصلت

فبكى هشام بكاءً شديداً ، فوثب الحاجب فسكنه ، ثم جاء الكميث إلى منزله  
أمناً ، فغشدت له المضربة بالهدايا ، وأمر له مسلة بعشرين ألف درهم ، وأمر له  
هشام بأربعين ألف درهم ، وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته ، وأنه لا سلطان  
له عليهم ، وجمعت له بنو أمية مالا كثيراً .

ولم يُجمع من قصيدته تلك يومئذ إلا ما حفظه الناس منها ، وسئل عنها ، فقال :  
ما أحفظ منها شيئاً ، إنما هو كلام ارتجلته .

---

(١) الأعاصر : الأعاصير .

٩٦ - وشاية \*

كان الوليد<sup>(١)</sup> بن يزيد يُكْرَمُ طُرِيحًا<sup>(٢)</sup>، وكانت له منه منزلةٌ قريبة ومكانة، وكان يُدْنِي مجلسه، وجَعَلَه أولَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ، ولم يكن يُصَدِّرُ إلا عن رأيه. فاستفرغ مديحه كله وعامة شعره فيه، فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد، وقَدِمَ حمادُ الراوية على التَّفْتِنَةِ<sup>(٣)</sup> الشام، فشكَّوا ذلك إليه، وقالوا: والله لقد ذهب طُرِيحٌ بالأمير، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار؛ فقال حماد: أنتوني من يُنشد الأمير بيتين من شعر؛ فأسقطَ منزلته.

فطلبوا إلى الخادم الذي كان يقومُ على رأس الوليد، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن يُنشدَها الأمير في خلوة. فإذا سأله من قولٍ من هذا؟ قال: من قولٍ طُرِيحٍ، فأجابهم الغلام إلى ذلك وعلموه البيتين.

فلما كان ذات يوم دخل طُرِيحٌ على الوليد، وفُتِحَ الباب وأذِنَ للناس؛ فجلسوا طويلاً، ثم نهضوا، وبقي طريح مع الوليد وهو وليء عهد ثم دعا بَعْدَانَه فتغذَّيا جميعاً.

\* الأغاني : ٣ : ٣١٢

(١) كان الوليد قبل أن يبل الخلافة من فتيان بني أمية وطفقاتهم وشعرائهم، ولما ولي الخلافة انهمك في اللهو والشرب وسماع الفناء، مات مقتولاً سنة ١٢٦ هـ. (٢) هو طريح بن إسماعيل التقي، نشأ في دولة بني أمية، واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد، وأدرك دولة بني العباس، ومات في أيام المهدي سنة ١٦٦ هـ. (٣) التفتة: الحين والزمان.

ثم إن طرِيحًا خرج وركب إلى منزله ، وترك الوليدَ في مجلسه ليس معه أحد .  
فاستلقى على فراشه ، واغتم الغلامُ خلوته ؛ فاندفع ينشد :

سِيرِي رِكَابِي إِلَى مَنْ تَسْعَدِينَ بِهِ      قَدْ أَقْتُمُ بَدَارَ الْهُونِ مَاصِلِحًا  
سِيرِي إِلَى سَيِّدِ تَمَحُّجِ خِلَاتِقِهِ      ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ (١) قَرْمٍ يَحْمِلُ الْمَدْحَ (٢)  
فَأَصْنَى الْوَلِيدَ إِلَى الْغَلَامِ بِسَمْعِهِ . وَأَعَادَ الْغَلَامُ غَيْرَ مَرَّةٍ . ثُمَّ قَالَ الْوَلِيدُ : وَيْحَكَ  
يَا غَلَامُ ! مِنْ قَوْلٍ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ قَوْلِ طَرِيحٍ .

فغضب الوليد حتى امتلأ غيظًا ، ثم قال : والمفا على أمِّ لم تلدني ا قد جعلته  
أولَ داخلٍ وآخر خارجٍ ، ثم يزعم أن هشامًا يحمل المدح ؛ ولا أحملها .  
ثم قال : عليّ بالحاجب ، فإناه . فقال : لا أعلم أنك أذنت لطرِيح ؛ فإن  
حاورك في ذلك فاخطفه بالسيف .

فلما كان بالعشيّ وصُلِّيتِ العَصْرُ جاء طَرِيحٌ للساعة التي كان يُؤدِّنُ له فيها ؛  
فدنا من الباب ليدخلَ ؛ فقال له الحاجب : ورائك ا فقال : مالك ا هل دخل على  
وليّ العهد أحدٌ بعدى . قال : لا ا ولكن ساعةً وليتَ مِنْ عنده دعاني فأمرني  
ألا آذن لك ، وإن حاورتني في ذلك خطفتك بالسيف .

فقال : لك عشرةُ آلافٍ وأذِن لي في الدخولِ عليه . فقال له الحاجب :  
والله لو أعطيتني خراج العراق ما أذنتُ لك في ذلك ، وليس لك من خير في  
الدخولِ عليه فارجع . قال : ويحك ا هل تعلمُ من دَهَانِي عنده ؟ قال الحاجب :

---

(١) الدسيعة : العطية ، والقرم : السيد . (٢) يحمل المدح : يدخرها ويعرفها ويكافئ عليها  
من قوله تعالى : « وكأين من دابةٍ لا تحمل رزقها » .

لا والله، والله لقد دخلتُ عليه وما عنده أحد، ولكن الله يُحدث ما يشاء في الليل والنهار .

فرجع طُريح ، وأقام ببابِ الوليد سنةً لا يَخْلُصُ إليه<sup>(١)</sup> ، ولا يقدر على الدخول عليه ، وأراد الرجوع إلى بلده وقومه . فقال : والله إن هذا لعجزٌ بي أن أرجعَ من غير أن ألقى وليَّ العهد ، فأعلمَ مَنْ دهاني عنده ؛ ورأى أناساً كانوا له أعداء قد فرحوا بما كان من أمره ، فكانوا يدخلون على الوليد ويمحدثونه ، ويصدُرُ عن رأيهم ، فلم يزل يَلُطْفُ بالحاجب ويمنِّيهِ حتى قال له الحاجب : أما إذ أُطِلَّتَ المقامَ فإني أكره أن تنصرفَ على حالِك هذه ، ولكنَّ الأمير ، إذا كان يوم كذا وكذا ، دخل الحمامَ ثم أمر بسريره فأبرزَ ، وليس عليه يومئذ حِجَابٌ ، فإذا كان ذلك اليوم أعلمتُك ؛ فتكون قد دخلتَ عليه وظفرتَ بحاجتك ، وأكون أنا على حالٍ عُدْر .

فلما كان ذلك اليوم دخلَ الأميرُ الحمامَ وأمر بسريره فأبرزَ ، وجلس عليه ، وأذن للناس ؛ فدخلوا عليه ، والوليد ينظر إلى مَنْ أقبل . وبعث الحاجب إلى طُريح فأقبل وقد تتأمَّ الناس ؛ فلما نظر الوليد إليه من بعيد صرف عنه وجهه ، واستَحْيَا أن يردَّه من بيت الناس ؛ فدنا فسلم فلم يرد عليه السلام ؛ فقال طُريح يستعطفه ويتضرع إليه :

نام الخلى من الهموم وبات لى ليلٌ أكايدُهُ وهمٌ مُضِلُّع<sup>(٢)</sup>  
جزعاً لمعتبةِ الوليد ولم أكن من قبلِ ذلك من الحوادث أجزعُ

(١) لا يخلص إليه : لا يصل إليه . (٢) مضلع : مثل .

يا بن الخلائفِ إنَّ سَخَطَكَ لَأَمْرِيْ      أَنْسَيْتَ عِصْمَتَهُ بِبَلَاءِ مُنْظَبِ ع  
فَلَا تُزِعَنَّ<sup>(١)</sup> عَنِ الَّذِي لَمْ تَهْوَهُ      إِنْ كَانَ لِي - وَرَأَيْتَ ذَلِكَ مَنُزِعُ  
فَاعْطَفْ فِدَاكَ أَبِي عَلَيَّ تَوْسَعًا      وَفَضِيلَةً فَعَلَى الْفَضِيلَةِ تُنْبِغُ  
فَلَقَدْ كَفَاكَ وَزَادَ مَا قَدْ نَالَنِي      إِنْ كُنْتُ لِي بِبِلَاءِ ضُرِّ تَقَنَعُ<sup>(٢)</sup>

فقرَّ به وأدناه وضعك إليه وعاد إلى ما كان عليه .

(١) نزع عن الشيء من باب جلس : انتهى . (٢) القصيدة في الأغانى صفحة ٣١٥ ج ٤ .

٩٧ - أشعب يبلغ رسالة\*

بعث الوليدُ بن يزيد إلى أشعب<sup>(١)</sup> بعد ما طلق امرأته سعدة ، فقال له :  
يا أشعب ؛ لك عندي عشرة آلاف درهم ، على أن تُبَلِّغَ رسالتي سعدة ، فقال له :  
أحضر المال أنظر إليه ، فأحضر الوليدُ بَدْرَةَ<sup>(٢)</sup> ، فوضعها أشعب على عنقه ، وقال :  
هاتِ رسالتك ، قال : قل لها يقول لك :

أسعدةُ هل إليكِ لناسيلُ؟ وهل حتى القيامةِ من تلاقٍ؟  
بلى ! ولعل دهرأ أن يؤاني بموتٍ من حليلك أو طلاقٍ  
فأصبحَ شامتاً وتقرَّ عيني ويُجمعَ شملنا بعد افتراقٍ

فأتى أشعب الباب ، فأخبرتْ بمكانه ، فأمرت ففرش لها فرش ، وجلست  
وأذنت له ، وكان نساء المدينة لا يحتجبنَ عنه ، فدخل فأنشدها ، فلما أنشأ البيت  
الأول :

أسعدةُ هل إليكِ لناسيلُ؟ وهل حتى القيامةِ من تلاقٍ؟  
قالت : لا والله ، لا يكونُ ذلك أبداً ، فلما أنشد البيت الثاني :  
بلى ! ولعل دهرأ أن يؤاني بموتٍ من حليلك أو طلاقٍ  
قالت : كلاً إن شاء الله ، بل يفعل الله ذلك به ، فلما أنشد البيت الثالث :

\* العقد الفريد : ٣ : ١٨١ ، الأغاني : ٧ : ٢٧ ، نهاية الارب : ٤ - ٤١  
(١) هو أشعب بن جبير ، من ظرفاء أهل المدينة ، كان مولى لعبد الله بن الزبير ، وكان يجيد  
الفناء ويضرب المثل بطمعه ، عمر طويل ، وتوفى سنة ١٥٤ هـ . (٢) البدره : كيس فيه  
عشرة آلاف درهم .

فأصبحَ شامتاً وتقرَّ عينيَ ويُجمَعُ شملُنَا بعدَ افتراقِ  
قالت : بل تكونَ الشامةُ به . ثم قالت لخدمها : خذوا الفاسق ، فقال :  
يا سيدتي ؛ إنها عشرة آلاف درهم ، قالت : والله لأقتلنك أو تبلفه كما بلفقتني ، قال :  
وما تهيبين لي ؟ قالت : بساطي الذي تحتي ، قال : قومي عنه ، فقامت ، فطواه ، ثم  
قال : هاتي رسالتك ، جعلتُ فداك ، قالت : قل له :

أتبكي على بُني وأنت تركتها فقد ذهبت بُني ؛ فإنتَ صانع ؟  
فأقبل أشعب حتى دخل على الوليد ، فأنشده البيت ، فقال : قَتَلْتَنِي وَاللَّهِ ؛  
فما تراني صانعاً بك ؟

اختر : إما أن أدليكَ مُنكسّاً في بئر ، أو أرزِمِي بك من فوق القصر منكسّاً ،  
أو أضربَ رأسك بعمودي هذا ضربةً !

قال له : ما كنتَ فاعلاً بي شيئاً من ذلك ! قال : ولم ؟ قال : لأنك لم تكن  
لتعذب عينيْن قد نظرنا إلى سعدة .  
قال : صدقت !

٩٨ — رُعْتَنِي رَاعِكَ اللَّهُ \*

غَدَى أَشْعَبُ جَدِيًّا بَلْبِنِ أُمِّهِ وَغَيْرِهَا حَتَّى بَلَغَ غَايَةً ، ثُمَّ قَالَ لَزَوْجَتِهِ : إِنِّي أَحَبُّ أَنْ تُرْضِعِيهِ بِأَيْبِنِكَ ، فَفَعَلْتَ .

ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى إِسْمَاعِيلِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَقَالَ : تَاللَّهِ إِنَّهُ لَابْنِي ، رَضِعَ بَلْبِنِ زَوْجَتِي ، قَدْ حَبَبْتُكَ بِهِ ، وَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَسْتَأْهِلُهُ <sup>(١)</sup> سِوَاكَ . فَنَظَرَ إِسْمَاعِيلُ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ فَذُبُحَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَشْعَبُ وَقَالَ : الْمَكَافَاةُ . فَقَالَ : مَا عِنْدِي وَاللَّهِ الْيَوْمَ شَيْءٌ ، وَنَحْنُ مَنْ نَعْرِفُ ، وَذَلِكَ غَيْرُ فَائِتِكَ .

فَلَمَّا يَبَسَ أَشْعَبُ مِنْهُ قَامَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَدَخَلَ عَلَى أَبِيهِ جَعْفَرٍ ، ثُمَّ انْدَفَعَ فَشَهَقَ حَتَّى التَّقَّتْ أَضْلَاعُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَخْلِنِي ، قَالَ : مَا مَعْنَى أَحَدٍ يَسْمَعُ ، وَلَا عَلَيْكَ عَيْنٌ ، قَالَ : وَثَبَ ابْنُكَ إِسْمَاعِيلُ عَلَى ابْنِي فَذَبَحَهُ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ؛ فَارْتَاعَ جَعْفَرُ وَصَاحَ ، وَيَلَيْكَ أَوْ فِيمِ ؟ وَتَرِيدُ مَاذَا ؟ قَالَ : أُمَّمَا مَا أُرِيدُ ، فَوَاللَّهِ مَالِي فِي إِسْمَاعِيلِ حَيْثَالَهُ وَلَا يَسْمَعُ هَذَا سَامِعٌ أَبَدًا بَعْدَكَ .

فَجَزَاهُ خَيْرًا ، وَأَدْخَلَهُ مَنْزِلَهُ ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ مَائَتِي دِينَارٍ ، فَقَالَ : خُذْ هَذِهِ وَلِكَ عِنْدَنَا مَا مَحِبَّةٌ .

وَخَرَجَ إِلَى إِسْمَاعِيلِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُ مَا يَطَأُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا بِهِ مُسْتَرْسِلٌ فِي مَجْلِسِهِ ، فَلَمَّا رَأَى إِسْمَاعِيلَ وَجَهَ أَبِيهِ أَنْكَرَهُ ، وَقَامَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا إِسْمَاعِيلُ ؛ فَعَلْتَهَا بِأَشْعَبِ ! قَتَلْتَ وَلَدَهُ ؟ فَاسْتَضْحَكَ ، وَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ ، فَأَخْبَرَهُ أَبُوهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ ؛ وَمَا صَارَ إِلَيْهِ .

\* نهاية الأرب : ٤ - ٢٨

(١) يستأمله : يستحقه .



فكان جعفر يقول لأشعب : رُعتنى راعك الله ! فيقول : روعةُ ابنك بنا فى الجدى أكثرُ من روعتك بالمائتى الدينار .

٩٩ — كادت تموت فرحاً \*

قال أشعب : تملقتُ بأستار الكعبة ، فقلت : اللهم أذهبْ منى الحِرْصِ والطلبِ إلى الناس ، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطنى أحداً شيئاً ، فجئت إلى أمى ، فقالت : مالك قد جئتَ خائباً ؟ فأخبرتها بذلك فقالت : والله لا تدخلُ حتى ترجعَ فتستَقِيلَ<sup>(١)</sup> ربك ! فرجعت ، فجعلت أقول : ياربِّ أقتلنى ، ثم رجعت ، فامررتُ بمجلس لقريش ولا غيرهم إلا أعطونى !  
ووهب لى غلام ؛ فجئت إلى أمى بجمالٍ موقرةٍ<sup>(٢)</sup> من كل شيء ، فقالت : ما هذا الغلام ! فخيفتُ أن أخبرها فتموت فرحاً إن قلت : وهبوه لى ، فقالت : أى شيء هذا ؟ فقلت : غين ، قالت : أى شيء ! قلت : لام ، قالت : أى شيء ؟ قلت : ميم ، قالت : أى ميم ؟ قلت : غلام ؛ ففئسى عليها ، ولو لم أقطع الحروف لملت فرحاً .

\* نهاية الأرب : ٤ : ٢٨

(١) تطلب منه الإقالة : العفو . (٢) موقرة : محملة .

١٠٠ — هلمّ إلىّ حتى أكايفك \*

قال ابن زَبَنَج : كان أبان بن عثمان من أهزل الناس ، فبينما نحن ذات يوم عنده ، وعنده أشعب ، إذ أقبل أعرابيّ ، معه جل أشقرُّ أزرقُ أزرعُ (١) يتلظى (٢) كأنه أفعى ، والشرُّ بيني في وجهه ، ما يدنو منه أحدٌ إلا شتمه ونهره ، فقال أبان : ادعوه لي ، فدعوه له ، وقيل : إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك ؛ فاتاه فسلم عليه ، فسأله أبان بن عثمان عن نسبه فانتسب له ، فقال له أبان : حيّاك الله يا خال ؛ اجلس ، اجلس .

فقال له : إني أطلبُ جملاً مثلَ جملِكَ هذا منذُ زمان فلم أجده كما اشتهى بهذه الصفة وهذه الهامة والصورة والورك والأحفاف ، والحمد لله الذي جعل ظفري به عند من أحبّه ، أتدبّعنيهِ ؟ فقال : نعم أيها الأمير ! قال : فإني قد بذلتُ لك به مائة دينار ؛ فطمع الأعرابيّ وسرّ وانتفخ ، وبان الطمعُ في وجهه .

فأقبل أبانُ على أشعب ، ثم قال له : ويلاك يا أشعب ! إن خالي هذا من أهلك وأقاربك - يعني في الطمع - فأوسع له ممّا عندك ، فقال : نعم ! بأبي أنت وزيادة ! فقال له أبان : يا خال ؛ إنما زدتك في الثمن على بصيرة أن الجملَ يساوي ستين ديناراً ، ولكني بذلتُ لك مائة دينار لقلّة النقد عندنا ، وإني معطيك

\* نهاية الأرب : ٤ : ٣٤

(١) الزعارة : التراسمة وسوء الخلق . (٢) يتلظى : يتقد من شدة الغضب .

عروضاً<sup>(١)</sup> تساوى مائة دينار .

فزاد طمعُ الأعرابي ، وقال : قد قبِلت ذلك أيها الأمير ! وأسرت أبان إلى أشعب ؛ فأخرج شيئاً مغطىً ، فقال له : أخرج ما جئتَ به ، فأخرج عمامةً باليةً تساوى أربعة دراهم ، فقال له : قومها يا أشعب ، فقال : عمامةُ الأمير يشهدُ فيها الأعياد وأُجمِع ويأتي فيها الخلفاء ! خمسون ديناراً ، قال : ضَعها بين يديه .

قال ابن زَبَنَج : فقال لى : أثبت قيمتها ؛ فكتبت ذلك ، ووَضعت العمامة بين يدي الأعرابي ، فكادَ يدخلُ بعضُه في بعض غيظاً ، ولم يقدر على الكلام .

قال أبان : هاتِ قَلَنْسُوتى ، فأخرج أشعب قَلَنْسُوتةً طويلةً باليةً قد علاها الوسخ والدَّهْن وتخرقت ، تساوى نصفَ درهم قال : قوِّم ، فقال : قَلَنْسُوتةُ الأمير تَقْلُو هامته ، ويصلى فيها الصلوات الخمس ، ويجلسُ فيها للحُكْم ! ثلاثون ديناراً ، قال لى : أثبت ، فأثبت ذلك ، ووَضعت القَلَنْسُوتة بين يدي الأعرابي ؛ فأربدَّ وجهه ، وجَحَظت<sup>(٢)</sup> عيناه ، وهمَّ بالوثوب ، ثم تماسك .

ثم قال لأشعب : هاتِ ما عندك ! فأخرج خُفَّين خَلَقَيْن قد نُقِيا وتَقشرا وتفتتا فقال : قوِّم ، فقال : خُفَّ الأمير يَطأُ بهما الرُّوضَة ويعلوهما منبرُ النبي صلى الله عليه وسلم ! أربعون ديناراً ، فقال : ضَعها بين يديه ، ثم قال للأعرابي : اضمم إليك متاعك ، وقال لبعض الأعوان : امضِ مع الأعرابي واقبضْ ما بقى لنا عليه من ثمن المتاع ، وهو عشرون ديناراً .

(١) العروض: كل ماسوى التقدين . (٢) جحظت عينه : عظمت مقلتها .

فوثب الأعرابي ، فأخذ القماش<sup>(١)</sup> ، فضرب به وجوه القوم لا يَأْتُو  
في الرثي .

ثم نهض كالجنون ، حتى أخذ برأسِ بعيره ؛ وضحك أبانُ حتى سقط ،  
وضحك من كان معه ، فكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعبَ يقول له :  
هلمَّ إليّ حتى أُكافئك على تقويمك المتاع ، يوم قومت ، فيهرب منه  
أشعب .

---

(١) القماش : جم قنس ، وهو الرديء من كل شيء .

١٠١ -- بوزع \*

قال حماد : كان جعفر بن أبي جعفر المنصور <sup>(١)</sup> المعروف بابن الكردية يستخف مطيع بن إلياس <sup>(٢)</sup> ويحبّه ، وكان منقطعاً إليه ، وله معه منزلة حسنة ، فذكَر له حماداً الراوية ، وكان صديقه ، وكان مُطَرِّحاً مَجْمُوعاً في أيامهم ، فقال له : ائتنا به لنراه .

فأتى مطيع حماداً فأخبره بذلك ، وأمره بالمسير معه إليه ، فقال له حماد : دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية ، ومالي عند هؤلاء خير . فأتى مطيع إلا الذهب إليه ، فاستعار حماداً سواداً وسيفاً ثم أتاه ، فضى به مطيع إلى جعفر ، فلما دخل سلم عليه سلاماً حسناً ، وأثنى عليه ، وذكر فضله ، فردّ عليه ، وأمره بالجلوس فجلس .

فقال جعفر : أنشدني ؛ فقال : لمن أيها الأمير ، الشاعر بعينه أم لمن حضر ؟ قال : بل أنشدني لجرير .

قال حماد : فسلىخ والله شعر جرير كله من قلبي إلا قوله :

بان الخليط برامتين <sup>(٣)</sup> فودّعوا أو كلما اعترموا لبين تجزع

\* الأغاني : ٦ : ٨١

(١) انظر صفحة ٥٥ (٢) مطيع بن إلياس : شاعر من مخصومي الدولتين الأموية والعباسية ، كان ظريفاً مليح النادرة ماجناً ، مولده ومنشؤه بالكوفة ، انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن المنصور فكان معه إلى أن مات وكان صديقاً لحماد ، وتوفى سنة ١٦٦ هـ .  
(٣) رامتين ثنية رامة ، ورامة : موضع في طريق البصرة إلى مكة ، وكثير من أسماء المواضع ثني في الشعر للضرورة .

فاندفعت فأنشدته إياها ، حتى انتهت إلى قوله :

وتقول بوزعُ : قد دبت على العصا هلا هزئتِ بغيرنا يا بوزعُ  
فقال لي جعفر : أعد هذا البيت ، فأعدته ، فقال : بوزع أي شيء هو ؟  
فقلت : اسم امرأة ؛ فقال : امرأة اسمها بوزع ! هو برىء من الله ورسوله ونفى<sup>(١)</sup>  
من العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع إلا غولاً من الغيلان ! تركتني والله  
يا هذا لا أنام الليلة من فزع بوزع ، يا غلمان ! قفاه ! فصفت<sup>(٢)</sup> والله حتى لم أدر  
أين أنا ؛ ثم قال : جرؤوا برجله ؛ فجرؤوا برجلي حتى أخرجت من بين يديه  
مسحوباً ، فتخرق السواد وانكسر جفنُ السيف ، ولقيت شراً عظيماً مما جرى علي ؛  
وكان أغلظ من ذلك كله وأشد بلاءً من السواد وجفنِ السيف .

فلما انصرفتُ أتاني مطيع بن إياس يتوجع لي ، فقلت له : ألم أخبرك أني  
لا أصيبُ منهم خيراً وأن حظي قد مضى مع بني أمية !

(١) نفى : منعى ومبعد . (٢) القفا : ما وراء العنق ، وهو مؤنث وقد يذكر .

١٠٢ — المنصور يطلب من يسأله بالشعر \*

لما مات جعفر بن أبي جعفر المنصور مشى أبوه في جنازته من المدينة إلى مقابر قريش ، ومضى الناس أجمعون معه حتى دُفِنه ، ثم انصرف إلى قصره ، وأقبل على الربيع فقال : ياربيع ؛ انظر من في أهلي ينشدني :

\* أَمِنَ النَّوْنِ وَرَيْبَهَا تَتَوَجَّعُ <sup>(١)</sup> \*

حتى أتسلى بها عن مصيبتى .

قال الربيع : فخرجتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور ، فسألتهم عنها ؛ فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها ؛ فرجعت فأخبرته . فقال : والله لمُصِيبَتِي بأهل بيتي ألا يكون فيهم أحدٌ يحفظُ هذا ؛ لِقَلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الْأَدَبِ ، أعظمُ وأشدُّ على من مصيبتى يا بني !

ثم قال : انظر هل في القواد والعوام من الجند من يعرفها ؟ فإنى أحب أن أسممها من إنسان يُنشدُها ؛ فخرجت فاعترضت الناس ؛ فلم أجد أحداً ينشدها إلا شيخاً كبيراً مؤدّباً قد انصرف من موضع تأديبه ؛ فسألته : هل تحفظ شيئاً من الشعر ؟ فقال : نعم ! شعر أبي ذؤيب <sup>(٢)</sup> ، فقلت : أنشدني ، فابتدأ القصيدة العينية

\* عصر المؤمنون : ١ : ١٧٥

(١) بقية البيت : \* والدمر ليس بمعتب من يجرع \*

وهي نحو سبعين بيتاً أورد ابن رشيقي آياتاً منها في العمدة ، ورواها صاحب جهرة العرب في المراني صفحة ٢٦٤ ، وهي لأبي ذؤيب الهذلي . في ديوان الهذليين ج ١ ص ١ - ٢١ طبع دار الكتب (٢) هو خالد بن خويلد ، شاعر مجيد محضرم قدم المدينة عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وحسن إسلامه ، وتوفى في غزوة لإفريقية مع ابن الزبير .

فقلت له : أنت بُعَيْتِي ، ثم أوصلته إلى المنصور ، فاستنشدَه إياها ، فأنشد :

أَمِنَ النَّوْنَ <sup>(١)</sup> وَرَبِّهَا تَتَوَجَّعُ      والدهرُ ليس بمُعْتَبٍ من يَجْرَعُ  
قالت أُمَيَّةُ : ما لِحَسَمِكَ شاحِبًا      منذ ابتذلت <sup>(٢)</sup> ، ومثلُ مالكٍ يَنْفَعُ  
أَمْ ما لِحَسَمِكَ لا يِلَّامُ <sup>(٣)</sup> مَضْجَمًا      إلا أِقْضَ عَلَيْكَ ذاك المَضْجَعُ  
فأجبتُها : أَمَّا لِحَسَمِي إنَّه      أودى <sup>(٤)</sup> بَنِيَّ من البلاد فودَّعُوا  
أودى بَنِيَّ فَأَعْقَبُونِي <sup>(٥)</sup> حَسْرَةً      بعد الرِّقَادِ وَعِزَّةً ما تُقْلِعُ <sup>(٦)</sup>  
سَبَقُوا هَوَىَّ وَأَعْتَقُوا <sup>(٧)</sup> لَهْوَهم      فَتَخَرَّمُوا <sup>(٨)</sup> ، ولكلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ  
فَغَبِرْتُ بَعْدَهُمُ بَعِيشٍ ناصِبٍ      وإِخالُ أَنِي لَأَحَقُّ مُسْتَتَبِعُ  
ولقد حَرَّصْتُ بأن أَدافِعَ عَنْهمُ      وإذا المَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لا تُدْفَعُ  
وإذا المَنِيَّةُ أَنشَبَتْ <sup>(٩)</sup> أَظْفارَها      أَلْمِيَّتِ كُلِّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ

حتى أتى على آخرها ، فأجازه بمائة درهم !

(١) النون : المنية ، وهي مؤنثة . (٢) ابتذلت : أي ابتذلت نفسك وأهنتها حسرة وأسى  
(٣) لا يلام : لا يوافق . (٤) أودى بني : هلكوا . (٥) أعقبوني : خلفوا لي .  
(٦) ما تقلع : ما تنقطع . (٧) أعقوا : أسرعوا . (٨) تخرموا : مانوا .  
(٩) أنشبت : أعلقت ، والتميمة : التمويذة .



١٠٣ - صر إلى متى شئت \*

كان أزهر<sup>(١)</sup> السّمان صديقاً لأبي جعفر المنصور في أيام بني أمية ، وكانا قد سافرا جميعاً ، وسمعا الحديث ، وكان المنصور يَأْلُفُهُ وَيَأْنَسُ إِلَيْهِ .

فلما أفضت الخلافة إليه شَخَّصَ<sup>(٢)</sup> إليه من البصرة ؛ فسأله المنصور عن زوجته وبناته - وكان يعرفهنَّ بأسمائهنَّ - وأظهر برّه وإكرامه ، ووصله بأربعة آلاف درهم ، وأمره ألا يَقْدَمَ إِلَيْهِ مُسْتَمِيحاً<sup>(٣)</sup> .

فلما كان بعدَ حَوْلٍ صار إليه فقال له : ألم آمرك ألا تصيرَ إلى مستميحاً ! فقال له : ما صرتُ إليك إلا مسلماً ومجدّداً بك عهداً . قال : ما أرى الأمرَ كما ذكرتَ . وأمر له بأربعة آلاف درهم ، وأمره ألا يصيرَ إليه مسلماً ولا مُسْتَمِيحاً .

فلما كان بعد سنة صار إليه ، فقال : إني لم أقدم عليكَ للأمرين اللذين نهيتني عنهما ، وإتّما بلغني أنّ علةَ عرَضتَ لأمير المؤمنين ؛ فأتيتُه عائداً ، فقال : ما أظنك أتيتَ إلا مُستَوْصلاً ، وأمر له بأربعة آلاف درهم .

فلما كان بعد الحَوْلِ ألحَّ عليه بناتُه وزوجُه ، وقلنَّ له : أمير المؤمنين صديقك ، فارجع إليه ، فقال : ويحكُنَّ ، ماذا أقول له ، وقد قلتَ له : أتيتك مُسْتَمِيحاً ومسلماً وعائداً ، ماذا أقول في هذه المرة ؟ وبِمَ أحتجّ ! فأبين على الشيخ إلا الإلحاح .

\* السعدي : ٢ - ٢٣٧ . وثمرات الأوراق : ١ - ١٢٦

(١) هو أزهر بن سعد الباهلي ، عالم بالحديث من أهل البصرة كان يتردد على المنصور العباسي ، وله معه أخبار ، توفي سنة ٢٠٣ هـ . (٢) شخص من بلد إلى بلد : ذهب . (٣) الاستراحة : طلب العطاء .

فخرج فأتى المنصور ، وقال : لم آتكَ مُسْتَرِ فِدَاءً<sup>(١)</sup> ولا زائراً ولا عائداً ، وإنما  
جئتُ لسماع حديث كُنَّا سَمِعْنَاهُ جَمِيعاً فِي بَلَدِ كَذَا مِنْ فُلَانٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ، فِيهِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، مَنْ سَأَلَ اللَّهَ بِهِ لَمْ يَرُدَّهُ . وَلَمْ يَحْيَبْ دَعْوَتَهُ .  
فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : لَا تُرُدُّهُ فَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُهُ فَوَجَدْتَهُ غَيْرَ مُسْتَجَابٍ . وَذَلِكَ أَنِّي  
مَنْذُ جِئْتَنِي أَسْأَلُ اللَّهَ بِهِ أَلَّا يَرُدَّكَ إِلَيَّ ، وَأَنْتَ ذَا تَرْجِعُ ، لَا تَنْفُكُ تَقُولُ مُسَلِّماً  
أَوْ عَائِداً أَوْ زَائِراً . وَوَصَّلَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَعْيَيْتَنِي فِيكَ الْحِيلَةَ ، فِصْرُ  
إِلَى مَتَى شِئْتَ .

---

(١) المسترفد : طالب العطاء .

١٠٤ — أَتَذَكُرُ إِذْ لَحَافَكَ جِلْدَ شَاةٍ\*١

تذاكر جماعةً فيما بينهم آثارَ معنٍ<sup>(١)</sup> وأخبارَ كرمه ، معجبين بما هو عليه من الثَّوَدَةِ وَوَفْرَةٍ<sup>(٢)</sup> الحلم ، ولين الجانب ، وغالوا في ذلك كثيراً ؛ فقام أعرابي ، وأخذ على نفسه أن يُفَضِّبَهُ . فأنكروا عليه ، ووعده مائة بعير ، إن هو فعل ذلك . فعمد<sup>(٣)</sup> الأعرابيُّ إلى بعيرٍ فسَلَخَهُ ، وارتنى بإهابه<sup>(٤)</sup> ، واحتدى<sup>(٥)</sup> ببعضه جاعلاً باطنه ظاهراً ، ودخل عليه بصورته تلك ، وأنشأ يقول :

أَتَذَكُرُ إِذْ لَحَافَكَ جِلْدَ شَاةٍ      وَإِذْ نَعَلَاكَ مِنْ جِلْدِ الْبَعِيرِ !  
قال معن : أَذَكُرُهُ وَلَا أَنْسَاهُ ! فقال الأعرابي :

فَسَبْحَانَ الَّذِي أَعْطَاكَ مُلْكًا      وَعَلَّمَكَ الْجُلُوسَ عَلَى السَّرِيرِ !  
فقال معن : إِنْ اللَّهُ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، فقال الأعرابي .  
فَلَسْتُ مُسْلِمًا إِنْ عِشْتُ دَهْرًا      عَلَى مَعْنٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ  
فقال معن : السلام خير ، وليس في تركه ضيرٌ<sup>(٦)</sup> ، فقال الأعرابي :

سَأَرْحَلُ عَنْ بِلَادِ أَنْتَ فِيهَا      وَلَوْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى الْفَقِيرِ  
فقال معن : إِنْ جَاوَزْتَنَا فَرِحْنَا بِالْإِقَامَةِ ، وَإِنْ جَاوَزْتَنَا فَصَحَبْنَا بِالسَّلَامَةِ ،  
فقال الأعرابي :

\* بحر الآداب : ٣ - ٢٦٣

(١) من أشهر أجياد العرب ، أدرك المصريين : الأموي والعباسي ، ولاء النصور إمارة سجستان ، فأقام بها ، ثم قتل بها غيلة سنة ١٥١ هـ (٢) كثرة . (٣) عمد إلى الشيء : قصد إليه (٤) الإهاب : الجلد ما لم يدبغ (٥) احتدى : امتثل (٦) الضير : الضرر .

فَجَدُّ لِي يَابِنٌ<sup>(١)</sup> ناقصةٍ بجمالٍ فإني قد عَزَمْتُ على المسيرِ  
فقال معن : أعطوه ألف دينار ، تخففُ عنه مشاقَّ الأسفار ، فأخذها وقال :

قليلٌ ما أتيتَ به وإني لأطمعُ منك في المال الكثيرِ  
فَتَنُّ قَدِ أَتَاكَ الْمَلِكُ عَفْوًا بلا عَقْلِ ولا رَأْيٍ مُنِيرِ  
فقال معن : أعطوه ألفاً ثانياً ، كي يكونَ عَنَّا راضياً . فتقدم الأعرابي إليه ،  
وقبل الأرض بين يديه وقال :

سألتُ الله أن يُبيقك دَهْرًا فمالك في البرية من نظيرِ  
فمنك الجودُ والإفضالُ حقًا وقيضُ يدك كالبَحْرِ الغزيرِ  
فقال معن : أعطيناها على هجوِّنا ألفين ، فليعط أربعةً على مدحنا ،  
فقال الأعرابي : بأبي أيتها الأمير ونفسي ! فانت نسيجُ وحدك في الحلم ، ونادرةُ  
دَهْرِكَ في الجودِ ﴿ وإِنَّكَ لَمَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . ولقد كنتُ في صفاتك بين مصدِّقٍ  
ومُكذِّبٍ ، فلما بَلَّوْتُكَ صَفْرَ الخَبْرِ<sup>(٢)</sup> ، وأذهبَ ضَمْفَ الشكِّ قوَّةَ اليقينِ ،  
وما بعثني على ما فعلتُ إلا مائةً بعيرٍ جُمِلتُ لي على إغضابك .

فقال له الأمير : لا تثرِب<sup>(٣)</sup> عليك ! ووصله بمائتي بعير : نصفها للرهان  
والنصف الآخر له ؛ فانصرف الأعرابي دَاعِيًا له ، شاكرًا لهبَّانته ، مُعجَبًا بِأَنَاتِهِ .

(١) يابن ناقصة بدلا من قوله: ابن زائدة

(٢) الخبر : الخبز

(٣) لا تثرِب : لا لوم عليك .

١٠٥ — لقد كان ذلك الرجل شوّماً\*

خرج معنُ بنُ زائدة في جماعةٍ من خواصّه للصيد ، فاعترضهم قَطِيعٌ<sup>(١)</sup> خِلباء ، ففترقوا في طلبه ، وانفردَ معنٌ خَلْفَ ظَبْيٍ حتى انقطع عن أصحابه ، فلما ظَفِرَ به نزل فذبحه ؛ فرأى شيخاً مُقْبِلاً من البريةِ على حمار ؛ فركب فرسه ، واستقبله ؛ فسلمَّ عليه ؛ فقال : من أين ؟ وإلى أين ؟ قال : أتيتُ من أرضٍ لها عشرون سنةً مجدبةً ، وقد أخضبتُ في هذه السنة ؛ فزرعتها مَقْتَنَةً<sup>(٢)</sup> فأخرجت القِثَاءَ في غير أوان ؛ فجمعتُ منها ما استحسننته ، وقصدتُ به معنَ بنَ زائدة لكرمه المشكور ، وفضله المشهور ، ومعروفه المأثور ، وإحسانه الموفور .

قال : وكم أمّلتُ منه ؟ قال : ألفَ دينار ، قال : فإن قال لك : كثير ! قال : خمسمائة : قال : فإن قال لك : كثير ! قال : ثلثمائة ! قال : فإن قال لك : كثير ! قال : مائة . فما زال به حتى قال : لا أقل من الثلاثين ! قال : فإن قال لك : كثير قال : أدخل قوائم حمارى في عينه ، وأرجع إلى أهلى خائباً .

فضحك معن ، وساق جواده حتى لحق بأصحابه ، ونزل في منزله ، وقال لحاجبه : إذا أتاك شيخ على حمار بقِثَاءٍ فادخل به على .

فأتى الرجلُ بعد ساعة ، فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلاله ، وكثرةِ حَشَمِهِ وخدمه ، وهو مُتَصَدِّرٌ في دَسْتِهِ<sup>(٣)</sup> ، والخدمُ قيامٌ عن يمينه وشماله وبين يديه .

\* المستطرف : ٢ - ٢٣٧ .

(١) القطيع من الطباء : الطائفة (٢) المقتناة : موضع زراعة القثاء (٣) الدست : صدر البيت .

فلما سلم عليه قال : ما الذى أتى بك يا أخا العرب ؟ قال : أملتُ فضلَ الأمير ،  
وأنتيتُه بقتاء في غير أوان . فقال : كم أملتَ فينا ؟ قال : ألف دينار . قال : كثير !  
فقال في نفسه : والله لقد كان ذلك الرجل شوّماً على . ثم قال : خمسمائة دينار . قال :  
كثير ، ثم ما زال به إلى أن قال : خمسين ديناراً ، فقال له : كثير . فقال : لأقل من  
الثلاثين ؛ فضحك معن .

فلم الأعرابي أنه صاحبه ؛ فقال : ياسيدى ؛ إن لم تُجِبْ إلى الثلاثين فالجمار  
مربوط بالباب ، وهاهو ذا معن جالس . فضحك معن حتى استلقى على فراشه ،  
ثم دعا بوكيله ، فقال : أعطه ألفاً ، وخمسمائة ، وثلاثمائة ، ومائة ، وخمسين ، وثلاثين ،  
ودع الجمار مكانه .

١٠٦ — حُبِسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ \*

شرب أبو دُلَامَةَ <sup>(١)</sup> في الحَانَاتِ <sup>(٢)</sup> ؛ ففشى وهو يميل ؛ فلفِيهِ العَسَسُ  
فأخذوه ققيل له : من أنت ؟ وما دينك ؛ فقال :

دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي الْعَبَّاسِ      مَاخُتِمَ الطِّينُ عَلَى الْقِرْطَاسِ  
إِذَا اصْطَبَحْتُ أُرْبَعًا بِالْكَاسِ      فَقَدْ أَدَارَ شُرْبُهَا بِرَاسِي

\* فَهَلْ بِمَا قُلْتُ لَكُمْ مِنْ بَأْسٍ \*

فأخذوه وخرقوا ثيابه وساجه <sup>(٣)</sup> ، وأتت به إلى أبي جعفر فأمر بحبسه مع  
الدجاج في بيت ؛ فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة ، وجاريته أخرى ، فلا يجيبه  
أحد ؛ وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج ، وزقأه <sup>(٤)</sup> اللذيوك .

فلما أكثر قال له السجنان : ماشأنك ؟ قال : ويلك ! من أنت ؟ وأين أنا ؟  
قال : أنت في الحبس ، وأنا السجنان . قال : ومن حبسني ؟ قال : أمير المؤمنين . قال :  
ومن خرقت طيئسائي ؟ قال : الحرّس .

فطلب أن يأتيه بدواة وقرطاس ، ففعل ، فكتب إلى أبي جعفر المنصور

يقول :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ      فِدَتِكَ      نَفْسِي      عِلَامَ حَبَسْتَنِي      وَخَرَقْتَ سَاجِي !

\* نهاية الأرب : ٤ - ٤٢ ، الأغاني : ١١٠ - ٢٥١ ، ( طبعة دار الكتب ) .  
(١) هو زند بن الجون شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة ، أسود اللون ، نشأ في الكوفة  
واتصل بالخلفاء من بني العباس ، فكانوا يستلطفونه ، ويفدقون عليه صلاتهم ، وأخباره كثيرة .  
توفي سنة ١٦٦ هـ (٢) الحانات : المواضع التي تباع فيها الخمر (٣) الساج : الطيلسان  
الأخضر أو الأسود (٤) زقأه الديك : صياحه .

أمن صَهْبَاءَ<sup>(١)</sup> صَافِيَةَ الْمِزَاجِ      كَأَنَّ شُعَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ  
وَقَدْ طَبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى      لَقَدْ صَارَتْ مِنَ النَّظْفِ<sup>(٢)</sup> النَّضَاجِ  
تَهَشُّ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَبِهَا      إِذَا بَرَزَتْ تَرَقُّقُ فِي الزَّجَاجِ  
أَقَادُ إِلَى السَّجُونِ نَغِيرِ جُرْمِ      كَأَنِّي بَعْضُ عَمَّالِ الْخَرَاجِ  
فَلَوْ مَعَهُمْ حُبِسْتُ لَكَانَ سَهْلًا      وَلَكِنِّي حُبِسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ  
وَقَدْ كَانَتْ مَخْبَرُوتِي ذُنُوبِي      بَأَنِّي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِ  
عَلَى أُنَى - وَإِنْ لَأَقِيتُ شَرًّا -      خَلِيرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِ

فاستدعاه المنصور ، وقال : أين حُبِسْتَ يَا أبا دلامة ؟ قال : مع الدجاج !  
قال : فما كنتَ تصنع ؟ قال : أَقَوِّتُ<sup>(٣)</sup> إِلَى الصَّبَاحِ . فضحك وخطى سبيله ،  
وأمر له بجائزة .

فلما خرج قال له الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ! أما سمعت قوله :  
« وَقَدْ طَبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ » - يعنى الشمس - فأمر برده ، ثم قال : يا خبيث ! شربت الخمر ؟  
قال : لا ، قال : أفلم تقل : طبخت بنار الله - تعنى الشمس ؟ قال : لا ، والله  
ما عَنَيْتُ إِلَّا نَارَ اللَّهِ الْمُوقَدَةَ الَّتِي تَطْلَعُ عَلَى فُوَادِ الرَّبِيعِ ! فضحك المنصور ، وقال :  
خذها ياربيع ، ولا تماودِ التمرَّضَ لَهُ .

(١) الصهباء : الخمر (٢) النظف : ج نطفة ، وهى الخمر (٣) أقوتى : أصبح .



١٠٧ — ما ضرَّه لو أن ذنوبَ العالمين على ظهرى ؟!

قال أيوب المورياتى لأبى جعفر - وكان يشنأ<sup>(١)</sup> أبا دُلّامة : إن أبا دُلّامة معتكف على الحجر ، فما يحضرُ صلاة ولا مسجداً ؛ وقد أفسدَ فتیانَ المسكر ، فلو أمرته بالصلاة معك لآجرت<sup>(٢)</sup> فيه وفي غيره من فتیانِ عسكرِكَ بِقَطْمِهِ عنهم .  
فلما دخل عليه أبو دُلّامة قال له : ما هذا الجحون الذى يبلى عنك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما أنا والجحون ، وقد شارفتُ بابَ قبرى ! قال : دغنى من استكاتبك وتضرّعك ، وإياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر فى مسجدى ؛ فلئن فاتتاك لأحسِنَ أدبكَ ولا أُطيلنَ حبسك .  
فوقع فى شرِّه ، ولزم المسجد أياماً ، ثم كتب قصته ودفعها إلى المهدي فأوصلها إلى أبيه ، وكان فيها :

لم تعلمَا أن الخليفةَ لَزَنِي <sup>(٣)</sup>	بمسجده والقصرِ ، مالى وللقصرِ !
أصلّى به الأولى جميعاً وعصرَها	فويلى من الأولى وَوَيْلى من العصرِ !
أصليهما بالكره فى غير مسجدى	فما لى فى الأولى ولا العصر من أجرِ
لقد كان فى قومي مساجد حجة	ولم ينشرح يوماً لغشيانها صدرى <sup>(٤)</sup>
يكلفنى من بعد ما شئتُ خطّة <sup>(٥)</sup>	يحظ بها عنى الثقل من الوزرِ
وما ضرّه - والله يغفرُ ذنبه -	لو أن ذنوبَ العالمين على ظهرى !

\* تهذب الأغاني : ٩ : ٣٣ ، الأغاني : ١٠ - ٢٤٦ ، ذيل زهر الآداب : ٩١  
(١) يفضه ويكرهه (٢) نالك الأجر والثواب (٣) اللز : لزوم الشيء بالشيء والزامه به (٤) الذهاب إليها (٥) الحطة : الأمر .

فقال : قد أعفيناك من هذه الحال على أن تصلّي في مسجد قبيلتك ، ولكن على ألا تدع القيامَ معنا في ليالي شهر رمضان فقد أُظِلَّ<sup>(١)</sup> ؛ فقال : أفعل . قال : فإنك إن تأخرت لشرب الخمر علمتُ ذلك ، والله لئن فعلت لأحدنك<sup>(٢)</sup> . فقال أبو دُلّامة : البليّةُ في شهرٍ أخفُّ منها في طول الدهر ، سمعاً وطاعة !

فلما حضر شهرُ رمضان لزم المسجد ، وكان المهديُّ يبعثُ إليه في كل ليلة حَرَسِيًّا يجي به ، فشقَّ ذلك عليه ، وفزع إلى الخيزران ، وإلى أبي عبيد الله<sup>(٣)</sup> ، وإلى كلِّ من يلوذ بالمهدي ليشفعوا له في الإعفاء من القيام ، فلم يجبهم ، فقال له أبو عبيد الله : الدّالُّ على الخير كفاعله ، فكيف شكرك ؟ قال : آتمّ شكر ، قال : عليك بريطة<sup>(٤)</sup> فإنه لا يخالفها . قال : صدقت ، ثم رفع إليها رُفعةً يقول فيها :

أُبْلِغَا رِبِطَةَ أَنِي كُنتُ عَبْدًا لِأَيِّهَا  
فَضَى يَرْحُمُهُ اللهُ وَأَوْصَى بِي إِلَيْهَا  
وَأَرَاهَا نَسِيتَنِي مِثْلَ نَسِيَانِ أَخِيهَا  
جَاءَ شَهْرَ الصَّوْمِ بِمِشْيِ مِشِيَّةٍ مَا أَشْتَهِيهَا  
قَائِدًا لِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ رِكَاتِي أَبْتَغِيهَا  
وَلَقَدْ عَشْتُ زَمَانًا فِي فَيَافِيٍّ وَجِيهَا  
فِي لَيَالٍ مِنْ شِتَاءٍ كُنتُ شَيْخًا صَطْلِيهَا  
قَاعِدًا أَوْقَدَ نَارًا لِضِيَابٍ<sup>(٥)</sup> أَشْتَوِيهَا

(١) أظّل : قرب وأشرف (٢) حده : أقام عليه الحد (٣) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله كان من رجالات المنصور ثم المهدي (٤) ربيطة : هي ابنة الخليفة أبي العباس ، وزوج المهدي (٥) الضب : دويبة من الحشرات ، تحرس العرب على صيده وأكله ، وجمعه ضباب .

وَصَبُوحٍ وَغَبُوقٍ فِي عِلَابٍ <sup>(١)</sup> أَحْسَبُهَا  
مَا أَبَالِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَلَا تُسْمِعُنِيهَا  
فَاطْلُبِي لِي فَرْجًا مِنْهَا وَأَجْرِي لَكَ فِيهَا

فلما قرأت الرقعة ضحكت ، وأرسلت إليه : يصطبر حتى تمضي ليلة القدر  
فكتب إليها : إني لم أسألك أن تكلميه في أعفائي عاماً قابلاً ، وإذا مضت ليلة  
القدر فقد قني الشهر وكتب تحتها آياتاً

خَافِي إِلَهَكَ فِي نَفْسٍ قَدْ احْتَضَرَتْ قَامَتْ قِيَامَتَهَا بَيْنَ الْمُصَلِّينَا  
مَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ مِنْ هَمِّي فَاطْلُبَهَا إِنْ أَحَافُ الْمُنَايَا قَبْلَ عَشْرِينَا  
يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ قَدْ كَسَّرْتِ أَرْجُلَنَا يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ حَقًّا مَا تَمِينَا !  
لَا بَارِكُ اللَّهُ فِي خَيْرٍ أَوْمَلُهُ فِي لَيْلَةٍ بَعْدَ مَا قَمْنَا ثَلَاثِينَا

فلما قرأت الرقعة ضحكت ، ودخلت على المهدي ، فشفت له إليه ، وأنشدته  
الآيات ، فضحك حتى استلقى ، ودعا به وربطة معه في الحجلة <sup>(٢)</sup> ، فدخل فأخرج  
رأسه إليه وقال : قد شفعت ربطة فيك ، وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم .

فقال : أما شفاعة سيدتي في حتى أعفيتني فأعفاها الله من النار ، وأما السبعة  
الآلاف فإما أن تتمها بثلاثة آلاف فتصير عشرة ، أو تنقصني منها ألفين فتصير  
خمس آلاف ؛ فإني لا أحسن حساب السبعة . فقال : قد جعلتها خمسة ، فقال :  
أعيدك بالله أن تختار أدنى الحالين ، وأنت أنت ! ثم تكلمت فيه ربطة فأممها  
له عشرة آلاف درهم .

(١) جمع علة : وهي قدح ضخم من جلد الإبل أو من خشب يحلب فيه (٢) الحجلة : بيت  
يزين بالثياب والأسرة والستور .

١٠٨ — لو أن لي مُهْجَةً أُخْرَى مُجِدَّتْ بِهَا\*

قال أبو دُلّامة : أتى بي إلى المنصور وأنا سكران ؛ خلف ليخْرِجَنِي في  
بَعَثِ حَرْبَ ، فأخرجني مع رَوْحِ بنِ حاتم<sup>(١)</sup> المَهَلَّبِي لِقِتالِ الشُّرَاةِ<sup>(٢)</sup> . فلما التقى  
الجمعان ، قلت لروّح : أما والله لو أن نَحْتِي فرسك ، ومعى سلاحك لأثرت في عدوك  
اليوم أثراً ترتضيه .

فضحك وقال : والله لأدفعنّ ذلك إليك ، ولأخذنك بالوفاء بشرطك ؛ ونزل  
عن فرسه ، ونزع سلاحه . ودفعهما إلى ودعا بغيرهما .

فلما حصل ذلك في يدي ، وزالت عني حلاوة الطعم ، قلت له : أيها الأمير ،  
هذا مقام العائذ بك ، وقد قلتُ بيتين فاسمعهما . قال : هات ، فأنشدته :

إني استجرتك أن أقدّم في الوغى      لتطاعنٍ وتنازلٍ وضربِ  
فهبِ السيوفَ رأيتها مشهورةً      فتركتها ومضيتُ في الهُرابِ  
ماذا تقول لما يجيء وما يُرمى      من واردات الموت في النشابِ<sup>(٣)</sup> !  
فقال : دَعُ عنك هذا .

وبرز رجلٌ من الخوارج يدعو للبارزة . فقال : اخرج إليه يا أبا دُلّامة !  
فقلت : أنشدك الله أيها الأمير في دمي ! قال والله لتخْرُجَنَنَّ . فقلت : أيها الأمير ،

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن الهلب بن أبي صفرة ، ولي إفريقية والبصرة وغيرها ، وكان  
جليلاً شجاعاً (٢) الشُّرَاة : هم الخوارج ، وقد لزمهم هذا اللقب ، لأنهم زعموا أنهم شعروا  
دينام بالآخرة ، أي بأعوها (٣) النشاب : السهم .

فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ماشبعت منى جارحة من الجوع ، فمر لي بشيء آكله ثم أخرج .

فأمر لي برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزتُ عن الصَّف . فلما رأاني الشَّارِي<sup>(١)</sup> أقبل نحوي وعليه قرؤٌ قد أصابه المطر فابتلَّ ، وأصابته الشمس فاقفعل<sup>(٢)</sup> ، وعيناه تقدَّان ، فأسرع إلىَّ . فقلت له : على رِسْلِكَ<sup>(٣)</sup> يا هذا كما أنت ا فوقف .

فقلت : أتقتل من لا يُقاتلك ؟ قال لا . قلت : أتقتلُ رجلاً على دينك ؟ قال : لا . قلت : أفنستحلُّ ذلك قبل أن تدعو من تقاتله إلى دينك ؟ قال : لا ، قال : فاذهب عني إلى لعنة الله ! قلت : لا أفعل أو تسمع مني . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا فطء عداوةٌ أو ترة<sup>(٤)</sup> ؛ أو تعرفني بحال تُحفظك عليَّ<sup>(٥)</sup> ا أو تعلم بين أهلي وأهلك وثراً ؟ قال : لا ، والله . قلت : ولا أنا والله لك إلا على جميل الرأي ، وإني لأهواك ، وأنتحلُّ مذهبك ، وأدينُ دينك ، وأريدُ السوء لمن أرادك لك . قال : يا هذا ؛ جزاك الله خيراً فانصرفت .

قلت : إن معي زاداً أحبُّ أن آكله معك ، وأحبُّ مواكلك لتتأكد موودة بيننا ، ويرى أهلُ العسكر هوانهم علينا : قال : فافعل .

فتقدمت إليه حتى اختلقت أعناقُ دوابنا ، وجمعنا أرجلنا على معارفها ، والناس قد غلبوا ضحكاً ا فلما استوفينا ودعني . ثم قلت له : إن هذا الجاهل - إن أقمت على طلب المبارزة - ندبني إليك فتتعبني وتتعب . فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل - قال : قد فعلت . ثم انصرف وانصرفت .

(١) الخارجى (٢) اقفعل : تقبض (٣) تمهل (٤) ثار (٥) تفضك .

فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتك قرني ، فقل لغيري أن يكفيك قرنه كما  
كفيتك . فأمسك ! وخرج آخرُ يدعو إلى المبارزة فقال لي : اخرج إليه . فقلت :

إني أعوذ بروح أن يقدمني إلى البراز<sup>(١)</sup> فتخزي بي بنو أسد  
إن البراز إلى الأقران أعلمه  
قد حالفتك المنايا إذ صمدت لها  
مما يفرق بين الروح والجسد  
وأصبحت لجميع الخلق بالرصد  
وإن المهلب حب الموت أورثكم  
وما ورثت اختيار الموت عن أخذ  
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها  
لكنها خلقت فرداً فلم أجد  
فضحك وأعفاني .

١٠٩ — يهجو نفسه \*

دخل أبو دُلّامة على المهدي وعنده عيسى بن موسى ، والعبّاس بن محمد ،  
وجاعةٌ من بنى هاشم ، فقال المهديّ : يا أبا دُلّامة . قال : لبيك يا أمير المؤمنين !  
قال : لئن لم تهتجُ واحداً ممن في هذا المجلس لأقطعنّ لسانك . فنظر إلى القوم ،  
فكلّما نظر إلى واحدٍ منهم غمزه بأنّ عليه رضاه . فعلم أنه قد وقع ، وقال : أنا أحدُ  
مَنْ بالمجلس ثم أنشد :

الأبليغُ إليكَ أبا دُلّامةً      فليس من الكرام ولا كرامةً  
إذا لبسَ العمامةَ كان قرداً      وخنزيراً إذا نزعَ العمامةَ  
جمعتَ دمامةً وجمعتَ لؤماً      كذاك اللؤم تنبّه الدمامة  
فإن تكُ قد أصبتَ نعيمَ دُنْيَا      فلا تفرّحْ فقد دَنّتِ القيامةُ

فضحك المهديّ ومُرّ القومُ إذ لم يسئء إلى أحدٍ منهم ، ثم قال له المهديّ :  
تَمَنَّ . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ تأمر لي بكلب صَيِّد . فسبّه وقال : ما تصنعُ به ؟  
فقال : الحاجةُ لي أم لك ؛ فقال : صدّقت ؛ أعطوه كلباً . فأعطيه . فقال :  
يا أمير المؤمنين ؛ لا بد لهذا الكلب من كَلَّاب<sup>(١)</sup> . فأمر له بغلام مَمْلُوك ؛ فقال :  
يا أمير المؤمنين ، أو يتهيّأ لي أن أصيدَ راجلاً ؟ فقال : أعطوه دابةً . فقال : ومن  
يسوسُ الدّابةَ ؟ فقال : أعطوه غلاماً سائساً . فقال : ومن يَنَحْرُ الصيدَ ويُصلحه ؟

\* ذيل زهر الآداب : ٨٩ ، ٩٠ . هذب الأغاني : ٩ - ٢٠ ، المستطرف : ١ - ٨٦ ، المحاسن  
والساوي : ٢٨٧ ، طبع ليزج الأغاني : ١٠ - ٢٥٨  
(١) الكلاب : من يرعى الكلاب .

فقال : أعطوه طَبَّاحًا . فقال : ومن يأويهم ؟ فقال : أعطوه داراً .  
فبكى أبو دلامة وقال : ومن يمُون هؤلاء كلهم ؟ فقال : يُكتب له بمائة  
جَرِيب<sup>(١)</sup> عامرة ، ومائتي جريب عامرة . فقال : وما العامرة ؟ قال : التي لا نباتَ  
فيها . قال : فأبا أعطيك مائتي ألف جريب من فياني بنى أسد . فضحك وقال  
ما تريد ؟ قال : بيتَ المال . قال : على أن أُخرجَ المالَ منه . قال : بصيرُ حينئذ  
عامراً ، فاستفرغَ ضَحِكًا<sup>(٢)</sup> وقال : اذهب فقد جعلتها لك كلها عامرة . فقال :  
يا أمير المؤمنين ، انذرن لي أن أُقِيلَ يدك . قال : أمّا هذه فدعها . فقال : والله  
ما تمنعُ عيالي شيئاً أهونَ عليهم منها ! فناوله يدهُ فقبلها .

---

(١) الجريب : الزرعة (٢) بالغ في الضحك .



١١٠ — كلُّ امرئٍ يأكلُ زادَه \*

خرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصيد ، فسنحَ لهما <sup>(١)</sup> قطعاً من ظباء ، فأرسلت السكلابُ ، وأجريت الخيل ، فرمى المهدي سَهْمًا ، فصرع ظبيًا ، ورمى علي بن سليمان فأصاب كلبًا فقتله ؛ فقال في ذلك أبو دلامة :

قد رمى المهديُّ ظبيًا شكَّ بالسهم فؤادَه

وعليُّ بن سليمان رمى كلبًا فصادَه

فهيننا لهما كلُّ امرئٍ يأكلُ زادَه

فضحك المهدي حتى كاذ يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة ،

وأمر له بجائزة ، ولقّب علي بن سليمان بصائد الكلب ، فعلقَ اللقب به .

\* معاهد التنصيص : ١ - ٢١٤ ، الأغانى : ١٠ - ٢٥٨

(١) عرض لهما .

١١١ — حماد والمفضل \*

قال بعض الرواة :

كُنَّا فِي دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ بِعَيْسَابَاذَ<sup>(١)</sup> ، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا عِدَّةٌ مِنَ الرُّوَاةِ وَالْعُلَمَاءِ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَدَابِهَا وَأَشْمَارِهَا وَلُغَاتِهَا ، إِذْ خَرَجَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْحَاجِبِ ، فَدَعَا بِالْمَفْضَلِ الضَّبِّيِّ الرَّوَاةِ فَدَخَلَ ، فَكُتِبَ مَلِيًّا ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا وَمَعَهُ حَمَّادُ وَالْمَفْضَلُ<sup>(٢)</sup> جَمِيعًا ، وَقَدْ بَانَ فِي وَجْهِ حَمَّادٍ الْإِنْكَسَارُ وَالنَّمُ ، وَفِي وَجْهِ الْمَفْضَلِ السَّرُورُ وَالنَّشَاطُ .

ثُمَّ خَرَجَ حُسَيْنُ الْخَادِمِ بَعْدَهَا ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ مَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ؛ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُعَلِّمُكُمْ أَنَّهُ قَدْ وَصَلَ حَمَّادًا الشَّاعِرَ بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، لِحُودَةِ شَعْرِهِ ، وَأَبْطَلَ رِوَايَتَهُ لِزِيَادَتِهِ فِي أَشْعَارِ النَّاسِ مَا لَيْسَ مِنْهَا ، وَوَصَلَ الْمَفْضَلُ بِخَمْسِينَ أَلْفًا لَصِدْقِهِ وَصِحَّةِ رِوَايَتِهِ ؛ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ شِعْرًا جَيِّدًا مُحَدَّثًا فَلْيَسْمَعْ مِنْ حَمَّادٍ ، وَمَنْ أَرَادَ رِوَايَةً صَحِيحَةً فَلْيَأْخُذْهَا عَنِ الْمَفْضَلِ .

فَسَأَلْنَا عَنِ السَّبَبِ فَأَخْبَرْنَا أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَالَ لِلْمَفْضَلِ لِمَا دَعَا بِهِ وَحَدَّاهُ : إِنِّي رَأَيْتُ زُهَيْرَ بْنَ أَبِي سُلَيْمَى افْتَتَحَ قَصِيدَتَهُ بِأَنَّ قَالَ :

دَعَّ ذَا وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ<sup>(٣)</sup>

\* الأغانى : ٦ - ٩٠

(١) عيساباذ : عملة كانت شرقي بغداد ، بنى بها المهدي قصره الذي سماه قصر السلام .  
(٢) هو المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ؛ رواية عالم بالأدب من أهل الكوفة ، لزم المهدي ، وصنف له كتاب المفضليات ، توفي سنة ١٦٨ هـ (٣) هرم بن سنان : ممدوح زهير .

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذى أمر نفسه بتزكّيه ؟ فقال له المفضل : ماسمتُ  
يا أمير المؤمنين فى هذا شيئاً إلا أنى توهمتُه كان يفكر فى قولٍ يقوله ، أو يروى  
فى أن يقول شعراً ، فعدّل عنه إلى مدح هرم وقال : « دَعْ ذَا . . . » أو كان  
مفكراً فى شىء من شأنه فتركه وقال : « دَعْ ذَا . . . » أى دَعْ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْفِكْرِ  
وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ . فَأَمَسَكَ عَنْهُ .

ثم دعا حمّاداً فسأله عن مثل ما سأله عنه المفضل فقال : ليس هكذا قال زهير  
يا أمير المؤمنين ؛ قال : فكيف قال ؟ فأنشده :

لَمَنِ الدِّيَارُ بُقْنَةَ <sup>(١)</sup> الْحَجْرِ أَقْوِينَ <sup>(٢)</sup> مُذْ حَجَبَجٍ وَمُذْ دَهْرٍ  
قَفْرًا بِمِنْدَفَعِ النَّحَائِتِ مِنْ <sup>(٣)</sup> ضَفْوَى <sup>(٤)</sup> أُولَاتِ الضَّالِّ وَالسَّدْرِ <sup>(٥)</sup>  
دَعْ ذَا وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ خَيْرِ الْكُهُولِ وَسَيِّدِ الْخَضْرِ

فأطرق المهدي ساعة ، ثم أقبل على حمّادٍ فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك  
خبراً لا بُدَّ من استخلافك عليه ، ثم استخلفه بأيمان البيعة وكلَّ يمين مُحْرَجَةٍ  
ليصدّقته عن كل ما يسأله عنه ، فخلف له بما توثّق منه .

ثم قال له : اصدقنى عن حال هذه الأبياتِ وَمَنْ أضافها إلى زهير ؛ فأقرّ له  
حينئذ أنه قائلها ، فأمر فيه وفى المفضل بما أمر به من شهرة أمرها وكشفه .

---

(١) القنة : أعلى الجبل ، والحجر : موضع باليمامة  
موضع معين (٤) ضفوى : مكان دون المدينة  
(٢) أقفرن (٣) النحائت : آبار فى  
(٥) الضال والسدر : نوعان من الشجر  
(اللسان مادة نحت) .

١١٢ — في خِباء الأعرابي \*

خرج المهديُّ يَتَصَيَّدُ؛ ففَارَّ<sup>(١)</sup> به فرسهُ ، حتى وقع في خِباءِ أعرابي ، فقال :  
يا أعرابي ؛ هل من قِرَى ؟ فأخرج له قُرْص شعير فأكله ؛ ثم أخرج له فَضْلَةً من  
لبن فسقاه ، ثم أتاه ببنيذ في رِكَوَةِ<sup>(٢)</sup> فسقاه .

فلما شرب قال : أتدرى من أنا ؟ قال : لا ! قال : أنا من خَدَم أمير المؤمنين  
الخاصة . قال : بارك الله لك في موضعك ! ثم سقاه مرةً أخرى فشرِب ، فقال :  
يا أعرابي ؛ أتدرى مَنْ أنا ؟ قال : زعمتَ أنك من خَدَم أمير المؤمنين الخاصة .  
قال : لا ؛ أنا من قَوَاد أمير المؤمنين .

قال : رَحِبْتُ بلادك ، وطاب مُرادك ! ثم سقاه الثالثة ، فلما فرغ قال :  
يا أعرابي ؛ أتدرى مَنْ أنا ؟ قال : زعمتَ أنك من قَوَاد أمير المؤمنين . قال : لا ؛  
ولكنني أميرُ المؤمنين ! فأخذ الأعرابي الرِّكَوَةَ فأوكأها<sup>(٣)</sup> . وقال : إليك عني !  
فوالله لو شربتَ الرابعةَ لادَّعَيْتَ أنك رسولُ الله .

فضحك المهدي حتى غَشِيَ عليه . ثم أحاطت به الخليل ، ونزلت به الأسماء  
والأشرف ؛ فطار قلبُ الأعرابي ؛ فقال له : لا بأس عليك ، ولا خوف ! ثم أمر له  
بِكُسوةٍ ، ومالٍ جزيل .

\* المستطرف : ٢ - ٢٣٣

(١) فار : أتى النور ، وهو الملعش من الأرض (٢) الرِّكَوَةُ : إناء صغير من جلد يشرب  
فيه الماء (٣) أوكى على ما في سقائه : شدّه بالوكاء . والوكاء : ما يشد به رأس القربة ، والمراد  
ربطها وكف عن سقيه منها .

١١٣ — دَعَا بِفِرَاقٍ مِّنْ تَهْوَى أَبَانَ\*

قال أبان بن عبد الحميد : نزل في ظاهر البصرة قومٌ من أعراب قيس عيلان ، وكان فيهم بيان وفصاحة ، فكان بشار يأتهم ، ويُشدهم أشعاره التي يمدح بها قيساً ؛ فيجئونه لذلك ، ويعظمونه ، وكان نساوئن يجلسن معه ، ويتحدثن إليه ، وينشدهن أشعاره في الغزل . وكنتُ كثيراً ما آتى في ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم .

فأتيتهم يوماً فإذا هم قد ارتحلوا ، فغيتُ إلى بشار ؛ فقلت : يا أبا معاذ ؛ أعلمتَ أن القومَ قد ارتحلوا ؟ قال : لا . قلت : فأعلم ، قال : قد علمتُ لا علمت ! ومضيت .

فلما كان بعد ذلك بأيام سمعتُ الناس ينشدون :

دَعَا بِفِرَاقٍ مِّنْ تَهْوَى أَبَانُ      ففاض الدمعُ واحترق الجنانُ  
كَأَنَّ شَرَارَةً وَقَعَتْ بَقَلْبِي      لها في مقلتي ودَمِي اسْتِنَانٌ<sup>(١)</sup>  
إِذَا أُنشِدْتُ أَوْ نَسَمْتُ عَلَيْهَا      رياح الصيفِ هاجَ لها دخانُ

فعلمتُ أنها لبشار ؛ فأتيتها ، فقلت : يا أبا معاذ ؛ ما ذنبي إليك ! قال : ذنبي غراب البين . فقلت : هل ذكرتنى بغير هذا ؟ قال : لا . فقلت : أنشدك الله ألا تزيد ، فقال : امض لسأنك فقد تركتك .

\* عصر المأمون : ٢ - ٢٧٢

(١) استن الرجل : مضى على وجهه ، واستن السراب : اضطرب .

١١٤ — راوية أبي نواس والعتّابي \*

كان كلثوم العتّابي<sup>(١)</sup> يَضَعُ من قَدَرِ أبي نواس ، فقال له راوية أبي نواس يوماً : كيف تضع من قَدَرِ أبي نواس وهو الذي يقول :

إذا نحن أُنذِينَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ الَّذِي نُنْئِي وَقَوْقَ الَّذِي نُنْئِي  
وإن جَرَّتِ الأَلْفَاظُ مِنَّا بِمِدْحَةٍ لِفَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي  
قال العتّابي : هذا سَرَقَهُ ا قال : مِمَّنْ ؟ قال : من أبي دهبيل الجمحي  
حيث يقول :

وإذا يقال لبعضهم : نِعَمَ الفَتَى فَأَبْنُ المَغِيرَةِ ذلِكَ النِّعَمُ  
عَقَمَ النِّسَاءَ فلا يَجِئْنَ بِمِثْلِهِ إِنْ النِّسَاءُ بِمِثْلِهِ عُمُ  
قال : لقد أحسن في قوله :

فتمشّت في مفاصلهم كتمشّي البرء في السقم  
قال : سرقه أيضاً ! قال له : مِمَّنْ ؟ قال : من سوسة الفقعسيّ حيث يقول :  
إذا ما سَقِيمٌ حلَّ عَنْهَا وِكَاءُهَا تَصَعَّدَ فِيهِ بَرْدُهَا وَتَصَوَّبَا  
وإن خالطت منه الحشَى خِلَّتْ أَنَّهُ على سالفِ الأَيامِ لم يُبْقِ مُوَهَّبَا  
قال : فقد أحسن في قوله :

\* السمودي : ٢ - ٢٧٤

(١) هو الحسن بن هانئ ، رحل إلى بغداد ، واتصل فيها بالخلفاء من بني العباس ، وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضريّة ، وأخرجه من اللهجة البدوية ، توفي سنة ١٩٢ هـ .

وما خُلِقَتْ إِلَّا لِبَدْلِ أَكْفِهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ إِلَّا لِأَعْوَادٍ مِنْ بَرِّ  
قال : قد سَرَقَهُ أَيْضاً ، قال : مَمَّنْ ؟ قال : من مروان بن أبي حفصة  
حيث يقول :

وما خُلِقَتْ إِلَّا لِبَدْلِ أَكْفِهِمْ وَالسُّنْمِ إِلَّا لِتَجْبِيرِ مَنْطِقِ  
قال : فسكت الراوية ، ولو أتى بِشَعْرِهِ كُلِّهِ لَقَالَ : سَرَقَهُ ا

## ١١٥ - أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ \* ١

كان للمهلبى قبل اتصاله بالسلطان حالٌ ضعيفة ، فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث<sup>(١)</sup> ، وأهل الأدب إذ أنشده :

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ      فهذا العيش ما لا خير فيه

أَلَا رَحِمَ الْمُتَهَمِينَ نَفْسَ حُرٍّ      تصدَّقْ بالوفاةِ على أخيه

فرثى له رفيقه ، وأحضر له بدرهم ، وما أمسك رَمَقَهُ ، وحفظ البيتين وتفرقا .

ثم ترقى المهلبى إلى الوزارة ، وأخنى الدهر على ذلك الرجل ؛ فتوصل إلى إيصال

رقعة مكتوب فيها :

ألا قل للوزير - فدته نفسى -      مقالا ذا كراما ما قد نسيه

أتذكر إذ تقول لضحك عيش :      ألا موت يُباعُ فأشتريه ا

فلما قرأها تذكر ما كان ؛ وأمر له بسبعائة درهم ، ووقع تحت رقعته : ﴿ مَثَلُ

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ

سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴾ . ثم قلدهُ عملا يرتزقُ منه .

\* المستطرف : ٢ - ٦٠

(١) الحرث : الزرع .



١١٦ — قد وجدناك ممتعاً \*

قال الأصمعي<sup>(١)</sup> : تصرّفت بي الأسبابُ على باب الرشيد مؤملاً الظفرَ به ،  
والوصولَ إليه ؛ حتى إنى صرتُ لبعضِ حرّسِهِ خَدِينًا<sup>(٢)</sup> . فإني في ليلةٍ قد نثرتُ السعادةُ  
والتوفيقُ فيها الأرقَ بين أجفانِ الرشيدِ ، إذ خرجَ خادمٌ فقال : أمّا بالحضرةِ أحدُ  
يُحسِنُ الشعرَ ؟ فقلتُ : الله أكبرُ ! رَبُّ قَيْدٍ مُضَيِّقٌ قد حلّه التيسيرُ ! فقال لي  
الخدّام : ادخل ، فلعلها تكون ليلةٌ يُغرسُ في صباحها الفنى إن فزتَ بالخطوةِ  
عند أمير المؤمنين .

فدخلتُ فواجهتُ الرشيدُ في مجلسه ، والفضلُ بن يحيى إلى جانبه ؛ فوقف بي  
الخدّام حيث يسمعُ التسليمُ ؛ فسلمتُ فردّ عليّ السلام ، ثم قال : يا غلام ؛ أريحهُ  
ليُفرخَ رُوعه<sup>(٣)</sup> ! إن كان وجد للروعةِ حسّاً !

فدنوتُ قليلاً ثم قلتُ : يا أمير المؤمنين ؛ إضاءةُ مجدك وبهاءُ كرمك مُجبران  
لمن نظر إليك من اعتراضِ أذيةٍ ! فقال : ادنُ . فدنوتُ ، فقال : أشاعرُ أم  
راوية ؟ فقلتُ : راويةٌ ليكلُّ ذى جِدٍّ وهزلٍ ؛ بعد أن يكونَ محسناً ! فقال :  
تالله ما رأيتُ أدعاءَ أعظمَ من هذا ! فقلتُ : أنا على الميّدانِ ؛ فأطلقَ من عناني  
يا أمير المؤمنين !

\* خزائن الأدب : ٤ - ٣٤٦ ، أمالي المرتضى : ٣ - ٩٦

(١) الأصمعي : عبد الملك بن قريب راوية العرب ، كان كثير التلّواف في البوادي يقتبس علومها  
ويتلقى أخبارها ويتحف بها الخلفاء ، توفي سنة ٢١٦ هـ .

(٢) خليلاً وصديقاً (٣) يذهب خوفه .

فقال : أَنْصَفَ الْقَارَةَ<sup>(١)</sup> مِنْ رَمَاهَا . ثم قال : ما المعنى في هذه الكلمة بَدِينًا ؟ فقلت : القارة هي الحرّة من الأرض ؛ وزعمت الرواة أن القارة كانت رُمَاءً للتبابعة ، والملكُ إذ ذاك أبو حسان ، فوافق<sup>(٢)</sup> عسكرُهُ عسكر السُّفْدِ<sup>(٣)</sup> ، فخرج فارس من السُّفْدِ ، قد وضع سهمه في كبد قوسه فقال : أين رماءُ العرب ؟ فقالت العرب ؛ قد أنصف القارّة من رَمَاهَا . فقال لى الرشيد : أَصَبْتُ .

ثم قال : أتروى لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئاً ؟ فقلت : هما شاهدان لك بالقوافي وإن غُيِّبَا بالأشخاص ، فأخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال : أنشدنى :

\* أرتقى طارقُ همَّ طارقاً \*

فضيتُ فيها مضى الجواد في سنن ميدانه تَهْدِرُ بها أشدّاقى ، فلما صرتُ إلى مديحه لبني أمية ، ثبتتُ لسانى إلى امتداحه لأبى العباس في قوله :

\* قلتُ لزبيرٍ لم تَصِلْهُ مرَّيْمَةٌ \*

فلما رأنى قد عدلتُ من أرجوزة إلى غيرها قال : أعن حَيْرَةَ أم عن عمد ؟ قلت : عن عمد ، تركتُ كذبه إلى صِدْقِهِ فيما وصف به جدّك من مجده ! فقال

---

(١) في اللسان : زعموا أن رجلين التقيا ، أحدهما قارى ( والقارة قبيلة ) ، والآخر أسدى ، فقال : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سأبقتك ، وإن شئت راميتك ، فقال القارى : قد أنصفتنى وأنشد :

قد أنصف القارة من رامها إنا إذا ما فئتة نلقاها

فرد أولاهما على أخراها

(٢) الموافقة : أن تقف معه ويقف معك في حرب أو خصومه (٣) السفد : بساين ترهه وأماكن مشرقة بسرقتد .

الفضل : أحسنت ، بارك الله فيك ! مثلك يؤهل للمثل هذا المجلس ! فلما أتيتُ على آخرها قال لي الرشيد : أنزوى كلمة عدى بن الرقاع :

\* عَرَفَ الدِّيَّارَ تَوَهُّمًا فَاَعْتَادَهَا \*

قلت : نعم . قال : هات ! فضيت فيها حتى إذا صرت إلى وصف الجمل قال لي الفضل : ناشدتك الله أن لا تقطع علينا ما أمتعننا به من السهر في ليلتنا هذه بصفة جمل أجرب . فقال له الرشيد : اسكت فالإبل هي التي أخرجتك من دارك ، واستلبت تاج ملكك ، ثم ماتت وعملت جلودها سياتاً ضربت بها أنت وقومك !

فقال الفضل : لقد عوقبتُ على غير ذنب ، والحمد لله ! فقال الرشيد : أخطأت ، الحمد لله على النعم ، ولو قلت : أستغفر الله كنت مُصِيبًا . ثم قال لي : امض في أمرك ، فأنشدته ، حتى بلغتُ إلى قوله :

\* تَرْجِي أَعْنَ كَانَ إِبْرَةَ رَوْقِهِ <sup>(١)</sup> \*

استوى جالساً ثم قال : أنحفظ في هذا ذكراً ؟ قلت : نعم ذكرت الرواة أن الفرزدق قال : كنتُ في المجلس ، وجريير إلى جانبي ، فلما ابتداء عدى في قصيدته قلت لجريير مُسرّاً إليه : هلم نسخر من هذا الشامي ، فلما ذقنا كلامه يئسنا منه ، فلما قال :

\* تَرْجِي أَعْنَ كَانَ إِبْرَةَ رَوْقِهِ \*

(١) الروق : القرن ، والأعن من الغرلان : الذي في صوته غنة .

- وعدى كالمستريح - قال جرير : أما تراه يستلب بها مثلاً ؟ فقال الفرزدق :  
يالكع ، إنه يقول :

﴿ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا ﴾

فقال عدى : قلم أصاب من الدواة مدادها .

فقال جرير : أكان سمعك مخبوءاً في قلبه ؛ فقال له : اسكت ، شغلني سبك  
عن جيد الكلام ! فلما بلغت إلى قوله :

ولقد أراد الله إذ ولَّا كَهَا من أمةٍ إصلاحها ورشادها

قال الرشيد : ما تراه حين أنشده هذا البيت ؟ قلت : قال كذاك أراد الله .  
فقال الرشيد : ما كان في جلالة ليقولَ هذا ، أحسبه قال : ما شاء الله ! قلت : وكذا  
جاءت رواية ؛ فلما أتيت على آخرها قال : أتروى لذي الرُّمة شيئاً ؟ قلت : الأكثر ،  
قال : فما أراد بقوله :

مُمرٌّ أَمَرَّتْ فَتَلَهُ أَسَدِيَّةٌ ذِرَاعِيَّةٌ حَلَالَةٌ بِالْمَصَانِعِ

قلت : وصف حمار وحشٍ أَسْمَنَهُ بقل روضةٍ تَوَاشَجَتْ أصوله ، وتشابكت  
فروعه من مطر سحابة كانت بنوء الأسد ثم في الذراع من ذلك ، فقال الرشيد :  
أرخ ، فقد وجدناك مُتمتعا ، وعرفناك محسنا .

ثم قال : أَجِدُ مَلَالَةً - ونهض - فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في رجله -  
وكانت عربية - فقال الرشيد : عَمَرْتَنِي يَا غَلَامُ ! فقال الفضل : قاتل الله الأعاجم !  
أما إنها لو كانت سِنْدِيَّةً لما احتجت إلى هذه الكلفة ، فقال الرشيد : هذه نعل  
ونعل آبائي ، كم تعارضُ فلا تُترك من جواب ممض .

ثم قال : يا غلام ، يُؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا  
الرجل ، في ليلته هذه ، ولا يجيب في المستأنف ، فقال الفضل : لولا أنه مجلس  
أمير المؤمنين ، ولا يأمر فيه غيره ، لأمرت لك بمثل ما أمر لك ، وقد أمرتُ لك به  
إلا ألف درهم ، فتلق الخادم صباحاً .

قال الأصمعيّ : فما صلّيتُ من غدٍ إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف

درهم .

١١٧ — تَمَوَّدْتُ حَسَنَ الصَّبْرِ حَتَّى أَلْفَيْتُهُ \*

قال أبو العتاهية : حبسني الرشيد لتزكي الشعر ، وغُلِّقَتْ عَلَيَّ الأبواب ، فبقيت دَهْشًا كما يَدَهْشُ مثلُ لتلك الحال ؛ فنظرت فإذا رجلٌ جالسٌ في جانب السجن وهو مقيد ، فجعلتُ أنظرُ إليه ساعة ، فتمثلَ بقوله :

تَمَوَّدْتُ حَسَنَ الصَّبْرِ حَتَّى أَلْفَيْتُهُ      فَأَسْلَمَنِي حَسَنُ الْعِزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ  
وَصَيَّرَنِي يَا سَى مِنَ النَّاسِ رَاجِعًا      لِحَسَنِ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي

فقلت له : أَعِدْ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، فقال لي : ويليكَ يَا أبا العتاهية ! ما أسوأ أدبِكَ ! وَأَقْلَّ عَقْلِكَ ! دخلتَ عَلَيَّ السَّجْنَ فَمَا سَأَلْتَنِي تَسْلِيمَ الْمُسْلِمِ عَلَيَّ الْمُسْلِمِ ، وَلَا سَأَلْتَنِي مَسْأَلَةَ الْحُرِّ لِلْحُرِّ ، وَلَا تَوَجَّعْتَنِي تَوَجُّعَ الْمَبْتُوعِ الْمَبْتُوعِي ، حَتَّى إِذَا سَمِعْتَ بَيْتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ الَّذِي لَا فَضِيلَةَ فِيكَ سِوَاهُ لَمْ تَصْبِرْ عَنِ اسْتِعَادَتِهِمَا ، وَلَمْ تُقَدِّمْ قَبْلَ مَسْأَلَتِكَ عَنْهُمَا عُذْرًا لِنَفْسِكَ فِي طَلِبِهِمَا !

فقلت : يَا أَخِي ؛ إِنِّي دَهَيْتُ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ فَلَا تَعَذِّلْنِي وَاعْذُرْنِي مَتَفَضِّلًا ، فقال : أَنَا وَاللَّهِ بِاللَّهْشِ وَالْحَيْرَةِ أَوْلَى مِنْكَ ؛ لِأَنَّكَ حُدَيْتَ عَلَيَّ أَنْ تَقُولَ الشَّعْرَ الَّذِي بِهِ ارْتَفَعْتَ وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ ، وَإِذَا قَلَّتْهُ أَمِنْتَ ، وَأَنَا حُدَيْتُ عَلَيَّ أَنْ أَدْلَّ عَلَيَّ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ لِيُقْتَلَ أَوْ أُقْتَلَ دُونَهُ ، وَاللَّهِ لَا أَدْلُّ عَلَيْهِ أَبَدًا ، وَالسَّاعَةَ يُدْعَى بِي فَأُقْتَلَ ، فَأَيْنَا أَحَقُّ بِاللَّهْشِ ؟

فقلت : أنت والله أولى ، سلمك الله وكفاك ! ولو علمتُ أن هذه حالك  
ماسألتك ، فقال : إذَنْ لا أبجل عليك ، ثم أعادَ عليّ البيتين حتى حفظتهما ،  
وأجزتهما بقولي :

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما      تكرهتُ منه طالَ عتبي على الدهر  
ثم سألتُه عن اسمه ، فقال : أنا أبو حاضرة ، داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد .  
ولم نلبث إلا قليلاً حتى سمعنا صوتَ الأقفال ، فقام ، فسكَبَ عليه ماءً من جرّةٍ  
كانت عنده ، ولبس ثوباً نظيفاً ، ودخل الحرسُ ومعهم الشموع ، فأخرجونا جميعاً ،  
وقدّم قبلي إلى الرشيد ، فسأله عن أحمد بن عيسى ، فقال : لا تنسأ لني عنه ، وافعل  
ما بدالك ، فلو أنه تحت ثوبي ما كشفتُ عنه ؛ فأمر به فضرَبتُ عنقه . ثم قال  
لي : أظنك يا أبا إسماعيل ارتعت ، فقلت : دون مارأيته تسيلُ منه النفوس ا فقال :  
ردّوه إلى محبسه ، فردّوني .

١١٨ — مَلِّ كِتَابَهُ إِخْصَاءَ مَا يَهَبُ \*

خرج الفضل<sup>(١)</sup> بن يحيى للصيد والقنص، وبما هوى موكبه إذ رأى أعرابيا على ناقه قد أقبل من صدر البرية، يرکض في سيره، فقال: هذا يقصدني فلا يكلمه أحدٌ غيري.

فلما دنا الأعرابي، ورأى المضارب تضرّب، والخيام تُنصب، والعسكر الكثير والجَمّ الغفير، وسمع النوغاء والضجة، ظن أنه أمير المؤمنين؛ فنزل وعقل راحلته، وتقدّم إليه، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. قال: اخفِضْ عليك ماتقول. فقال: السلام عليك أيها الأمير، قال: الآن قاربت؛ اجلس، فجلس الأعرابي.

فقال له الفضل: من أين أقبلت يا أخا العرب؟ قال: من قِصَاعَة، قال: من أذناها أو من أقصاها؟ قال: من أقصاها. فقال: يا أخا العرب؛ مثلك من يقصد من ثمانمائة فرسخ لأى شيء؟ قال: قصدت هؤلاء الأماجد الأنجاد، الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد، قال: من هم؟ قال: البرامكة!

قال الفضل: يا أخا العرب؛ إن البرامكة خلق كثير، وفيهم جليل وخطير، ولكل منهم خاصة وعامة؛ فهل أفردت لنفسك منهم من اخترت وأتيتته

\* المختار من نوادر الأخبار - مخطوط .  
(١) وزير الرشيد، كان من أجود الناس، وله في هذا أخبار كثيرة، سجن في نكبة البرامكة، وتوفي في سجنه بالرقعة سنة ١٩٣ هـ .



لحاجتك؟ قال: أجل، أطولهم باعاً، وأسمحهم كفاً. قال: من هو؟ قال: الفضل ابن يحيى.

قال له الفضل: يا أخا العرب؛ إن الفضل جليل القدر عظيم الخطر، إذا جلس للناس مجلساً عاماً لم يحضر مجلسه إلا العلماء والفقهاء، والأدباء والشعراء، والكتّاب والمناظرون للعلم. أعلم أنت؟ قال: لا. قال: أفأديب أنت؟ قال: لا. قال: أفعارف أنت بأيام العرب وأشعارها؟ قال: لا. قال: ورَدت على الفضل بكتاب وسيلة؟ قال: لا. فقال: يا أخا العرب غرتك نفسك؛ مثلك يقصد الفضل بن يحيى، وهو ماعرتك عنه من الجلالة! بأى ذريمة أو وسيلة تقدم عليه؟

قال: والله يا أمير؛ ما قصدته إلا لإحسانه المعروف، وكرمه الموصوف، وبيتين من الشعر قلتهما فيه. فقال الفضل: يا أخا العرب؛ أنشدني البيتين، فإن كانا يصلحان أن تلقاه بهما أشرت عليك بلقائه، وإن كانا لا يصلحان أن تلقاه بهما بررتك بشيء من مالي، ورجعت إلى باديتك، وإن كنت لم تستحق بشعرك شيئاً. قال: أفتفعل أيها الأمير؟ قال: نعم. قال: فإني أقول:

ألم تر أن الجلود من عهد آدم      تحدّر حتى صار يمتصه الفضل  
ولو أن أمّا مسها جوع طفليها      غذته بإسم الفضل لا غتدأ الطفل  
قال: أحسنت يا أخا العرب، فإن قال لك: هذان البيتان قد مدحنا بهما  
شاعر، وأخذ الجائزة عليهما فأنشدني غيرهما فما تقول؟ قال: أقول:

قد كان آدم حين حان وفاته      أو صاك وهو يجود بالحوباء<sup>(١)</sup>  
ببنيه أن ترعاهم فرعتهم      وكفيت آدم عولة الأبناء

(١) الحوباء: النفس.

قال : أحسنت يا أبا العرب ؛ فإن قال لك الفضلُ - مُمتحنا : هذان البيتان  
أخذتَهُمَا من أفواه الناس ، فأشددني غيرهما ، فما تقولُ وقد رمقتك الأدباء بالأبصار ،  
وامتدَّت الأعناقُ إليك ، وأنت تحتاجُ أن تفاضلَ عن نفسك ؛ قال : إذن أقول :  
مَلَّتْ جَهَا بَدُ<sup>(١)</sup> فَضْلٍ وَزَنَ نَائِلِهِ وَمَلَّ كِتَابُهُ إِحْصَاءَ مَا يَهَبُ  
وَاللَّهِ لَوْلَاكَ لَمْ يُدْخِ بِمَكْرُمَةٍ خَلَقَ وَلَمْ يَرْتَفِعْ بِمَجْدٍ وَلَا حَسَبُ  
قال : أحسنت يا أبا العرب ! فإن قال لك الفضلُ : هذان البيتان مسروقان ،  
أشددني غيرهما ، فما تقول ؟ قال : إذن أقول :

ولو قيل للمعروف نادِ أبا العَلا لنادى بأعلى الصوت يافضلُ يافضلُ  
ولو أنفقت جدواك من رملِ عالج<sup>(٢)</sup> لأصبح من جدواك قد نفذ الرملُ  
قال : أحسنت يا أبا العرب ؛ فإن قال لك الفضلُ : هذان البيتان مسروقان  
أيضاً : أشددني غيرهما فما تقول ؟ قال : أقول :

وما الناس إلا أنسان صبُّ وبادلُ وإني لذاك الصبُّ ، والبادلُ الفضلُ  
على أن لي مثلاً إذا ذُكر الوريُّ وليسَ لفضلٍ في سماحته مثلُ  
قال : أحسنت يا أبا العرب ! فإن قال لك الفضلُ : أشددني غيرهما فما تقول ؟  
قال : أقول أيها الأمير :

حكى الفضلُ عن يحيى سماحة خالدٍ فقامتْ به التَّفوى وقام به العدلُ  
وقام به المعروفُ شرقاً ومغرباً ولم يكُ للمعروفِ بعدٌ ولا قبلُ  
قال : أحسنت ؛ فإن قال لك : قد ضجرتنا من الفاضل والمفضول ، أشددني  
بيتين على الكنية لا على الاسم ، فما تقول ؟ قال : إذن أقول :

(١) جها ب د جمع جهيد : وهو النقاد الحبير (٢) موضع به رمل .

ألا يا أبا العباس يا واحدَ الوَرَى      وَيَا مَلِكًا خَدَّ الْمَلُوكِ لَهُ نَعْلُ  
إِلَيْكَ تَسِيرُ النَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا      فَرَادَى وَأَزْوَاجًا كَانَتْهُمْ تَمَلُّ

قال : أحسنت يا أخا العرب ؛ فإن قال لك الفضل : أنشدنا غير الاسم والكنية .  
قال : والله لئن زادني الفضل ، وامتنعني بعد هذا لأقولن أربعة أبيات ما سبقتني  
إليها عربيٌّ ولا عجمي ، ولئن زادني بعدها لأجمعن قوائم ناقتي هذه وأجعلها في فيه ،  
ولأرجعن إلى قضاة خاسراً ولا أبالي .

فكس الفضل رأسه ، وقال للأعرابي : يا أخا العرب ؛ أسمعني الأبيات  
الأربعة ، قال : أقول :

ولائمةٍ لامتِك يا فضلُ في التَدَى      فقلت لها : هل يقدحُ اللومُ في البحرِ ؟  
أَتَهَيَّنَ فضلاً عن عطاياه للورى      فمن ذا الذى ينهى السحابَ عن القطرِ  
كانَ نوالَ الفضلِ في كلِّ بلدةٍ      تجدُّ ماءَ المزنِ في مَهْمِهِ قَفَرِ  
كانَ وفودَ الناسِ في كلِّ وِجْهَةٍ      إلى الفضلِ لا قوا عنده ليلةَ القَدَرِ

فأمسك الفضل ثم سقط على وجهه ضاحكاً ! ثم رفع رأسه وقال :  
يا أخا العرب ؛ أنا والله الفضل بن يحيى ، سل ما شئت ؛ فقال : سألتك بالله أيها  
الأمير إنك لهُوَ ا قال : نعم . قال له : فأقِلي ، قال : أقالك الله ، اذ كُر حاجتك .  
قال : عشرة آلاف درهم . قال الفضل : ازدريت بنا وبنفسك يا أخا العرب ،  
نُعطي عشرة آلاف في عشرة آلاف ، وأمر بدفع المال .

فلما صار المال إليه ، حسده بعض أتباع الفضل ، وقال : يامولاي ؛ هذا إسراف ،  
يأتيك حِلْفٌ من أجلاف العرب بأبياتٍ استرقها من أشعار العرب ، فتجزيه بهذا  
المال ! قال : استحقه بحضوره إلينا من أرض قضاة .

قال : أفسمتُ عليك إلا أخذتَ سَهْمًا من كِنَانَتِكَ ، ورَكِبْتَهُ في كَيْدِ قَوْسِكَ  
وأومأت به إلى الأعرابي ، فإن ردّ عن نفسه بيتٍ من الشعر ، وإلا كان له في  
بعضِ المالِ كفاية .

فأخذ الفضلُ سَهْمًا ، وركبه في كَيْدِ قَوْسِهِ ، وأومأ به إلى الأعرابي وقال له :  
وَدَّ سَهْمِي بَيْتٍ من الشعر ، فأنشأ يقول :

لقوسك قوسُ الجود والوترُ الندى      وسهْمك سهمُ العزِّ فارم به فقري  
فضحك الفضل ، وأنشأ يقول :

إذا مَلَكْتَ كَفِّي منالًا ولم أنلِ      فلا انبَسَطَتْ كَفِّي ولا نهضت رجلي  
على الله إخلافُ الذي قد بذلته      فلا يُبْقِي لي بُحْلِي ولا مُتَلَفِي بذلي  
أروني بخيلًا نال مجداً بيخله      وهاتوا كريمًا مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لتابعه : أعطِ الأعرابي مائة ألف درهم لقصدِهِ وشعره ، ومائة ألف  
ليكفينا شرَّ قوائم ناقته .

فأخذ الأعرابي المال وانصرف وهو يبكي ، فقال له الفضل : مم بكائك يا أعرابي ؟  
أستقللاً للمال الذي أعطيناك ؟ قال : لا ، ولكني أبكي على مثلك يأكله التراب  
وتواريه الأرض ، وتذكّرت قول الشاعر :

لعمرك ما الرزيةُ فقدُ مالٍ      ولا فرسٌ يموتُ ولا بعيرُ  
ولكنَّ الرزيةُ فقدُ حرَّ      يموتُ لموته خَلْقٌ كثيرُ

ثم انصرف الأعرابي .

١١٩ — اسمي مشتق من اسمك \*

قال عبد الله بن منصور: كنت يوماً في مجلس الفضل بن يحيى فأتاه الحاجب، فقال: إنَّ بالبَابِ رجلاً قد أُكْثِرَ في طَلَبِ الإِذْنِ، وزعم أن له يداً يَمْتُ بها، فقال: أَدْخِلْهُ.

فدخل رجل جميل رث الثياب، فسلم وأحسن؛ فأوماً الفضل إليه بالجلوس فجلس، فلما علم أنه قد انطلق وأمكنه الكلام، قال له: ما حاجتك؟ قال له: قد أعربت عنها رثاثة هَيْئَتِي، وَضَعْفُ طَاقَتِي! قال: أجل! فما الذي تمت به؟ قال: وِلَادَةُ تَقَرُّبٍ مِنْ وِلَادَتِكَ، وَجِوَارِ يَدِنُو مِنْ جِوَارِكَ، وَاسْمٌ مُشْتَقٌّ مِنْ اسْمِكَ!

قال: أما الجِوَارُ فقد يمكن أن يكون كما قلت، وقد يوافق الاسمُ الاسمَ، ولكن ما علمك بالولادة؟ قال: أَعْلَمْتَنِي أُمِّي أَنَّهَا لَمَّا وَضَعْتَنِي، قِيلَ: إِنَّهُ وَلَدُ اللَّيْلَةِ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدِ غَلَامٍ، وَسُمِّيَ الْفَضْلُ، فَسَمَّيْتُ فُضَيْلًا، إِعْظَامًا لِاسْمِكَ أَنْ تَلْحَقَنِي بِكَ؛ فَتَبَسَّمَ الْفَضْلُ، وَقَالَ: كَمْ أَتَى عَلَيْكَ مِنَ السَّنِينَ؟ قَالَ: خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ. قَالَ: صَدَقْتَ! هَذَا الْمَقْدَارُ الَّذِي أُتِيْتُ عَلَيْهِ، فَمَا فَعَلْتَ أُمَّكَ؟ قَالَ: تَوَفَّيْتُ، رَحِمَهَا اللَّهُ! قَالَ: فَمَا مَنَعَكَ عَنِ الْإِحْقَاقِ بِنَا فِيهَا مَضَى؟ قَالَ: لَمْ أَرْضَ نَفْسِي لِلْقَائِكَ فِي حَدَاثَةِ تَقْعُدَنِي عَنِ لِقَاءِ الْمَلُوكِ! قَالَ: يَا غَلَامُ! أَعْطَهُ لِكُلِّ عَامٍ مِنْ سَنِيهِ أَلْفًا، وَأَعْطَهُ مِنْ كُسُوتِنَا وَمِرَاكِبِنَا مَا يَصْلُحُ لَهُ!

١٢٠ — بديهة قينة \*

اعترض هارون الرشيد قينة ففتت :

ما نَقَمُوا من بنى أمية إلا أنهم يَحْمَلُونَ إن غَضِبُوا  
فلما ابتدأتُ به تَغَيَّرَ وجهُ الرشيد ، وعِلِمَت أنها قد غَلِطت ، وأنها إن مَرَّت  
فيه قَتَلت ، ففتت :

ما نَقَمُوا من بنى أمية إلا أنهم يَحْمَلُونَ إن غَضِبُوا  
وأنهم معدِنُ النِّفاقِ فما تَفَسَّدُ إلا عليهمُ العربُ<sup>(١)</sup>

فقال الرشيد ليحيى بن خالد - وكان حاضراً : أسمعيت يا أبا علي ؟ فقال :  
يا أمير المؤمنين ؛ تبتاع ، وتُسنى<sup>(٢)</sup> لها الجائزة ، ويمجّل لها الإذن ليسكن قلبها ؛  
قال : ذلك جزاؤها ، قومي فأنت منى بحيث تحبّين . فقال يحيى :

جُزيتَ أميرَ المؤمنينِ بأمنِها من الله جناتٍ تفوزُ بعدنِها

\* الأغانى : ٥ : ٨٥ .

(١) والشعر في الأصل :

ما نَقَمُوا من بنى أمية إلا أنهم يَحْمَلُونَ إن غَضِبُوا  
وأنهم سادة الملوك فما تصلح إلا عليهم العرب

(٢) تسنى الجائزة : تجزل حتى تكون سنية .

١٢١ — لا أذوق المدام إلا شميماً\*

حبس أبو نؤاس في شرب الخمر ، وكان للفضل بن الربيع خال يستعرض أهل السجون ويتعاهدهم ويتفقدهم ، ودخل في حبس الزنادقة ؛ فرأى فيه أبا نؤاس - ولم يكن يعرفه - فقال له : يا شاب ؛ أنت مع الزنادقة ! قال : معاذ الله ! قال : فلعلك ممن يعبد الكبش ؟ قال : أنا آكل الكبش بصوفه ! قال : فلعلك ممن يعبد الشمس ؛ قال : إني لأتجنب القمود فيها بُغضاً لها ! قال : فبأي جرم حبست ؟ قال : حبست بتهمة أنا منها برى ! قال : ليس إلا هذا ! قال : والله لقد صدقتك .

فجاء إلى الفضل فقال له : يا هذا ؛ أئحس الناس بالتهمة ! قال : وما ذاك ؟ فأخبره بما ادعى من جرمه . فتبسم الفضل ، ودخل على محمد الأمين فأخبره بذلك ، فدعا به ، وتقدم إليه أن يحتبب الخمر والسكر . فقال : نعم ، قيل له : فبعمد الله ! قال : نعم ! فأخرج .

فبعث إليه فتيان من قریش ، فقال لهم : إني لا أشرب . قالوا : وإن لم تشرب فأنا نسناً بحديثك . فأجاب ، فلما دارت الكأس بينهم قالوا : ألم ترنج لها ؟ قال : لا سبيل والله إلى شربها ، وأنشأ يقول :

أَيْهَا الرَّأْمَحَانَ بِاللَّوْمِ لَوْمًا      لَا أَذُوقُ الْمُدَامَ إِلَّا شَمِيمًا  
نَاثِنِي بِالْمَلَامِ فِيهَا إِمَامٌ      لَا أَرَى لِي خِلَافَهُ مُسْتَقِيمًا  
فَاصْرِفَاها إِلَى سِوَايَ فَإِنِّي      لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمًا  
كَبْرَ حَظِّي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ      أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشْمَّ النَّسِيمًا  
فَكَأَنِّي وَمَا أَحْسَنُ مِنْهَا      قَعْدِي <sup>(١)</sup> يَزِينُ التَّحْكِيمًا  
كَلَّ عَنْ حَمَلِهِ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ      بِفَاوْضَى الْمَطِيقِ إِلَّا يُقِيمًا

---

(١) القعدى من الجوارح : الذى يرى رأى القعدة الذين يرون التحكيم حقا ؛ غير أنهم قعدوا عن الجروج على الناس .



١٢٢ — إِنْ بَعَدَ الْعُسْرُ يَسْرًا\*

قال مسلم بن الوليد<sup>(١)</sup> : كنتُ جالساً عند خياط يإزاء منزلي ؛ فمرّ بي إنسانٌ أعرفه ، فقلتُ إليه وسلمت عليه ، وجئت به إلى منزلي لأُضيفه<sup>(٢)</sup> ، وليس معي درهم ، بل كان عندي زوج أخفاف فأرسلتهما مع جاريتين لبعض معارفي ، فباعهما بتسعة دراهم ، واشترى بهما الخبز واللحم .

فجلسنا نأكل ، وإذ بالباب يُطرق ، فنظرت من شقّ الباب ، وإذا بإنسان يسأل : هذا منزل فلان ؟ ففتحت الباب وخرجت ، فقال : أنت مسلم بن الوليد ؟ قلت : نعم ، فأخرج لي كتاباً ، وقال : هذا من الأمير<sup>(٣)</sup> ؛ فإذا فيه :

قد بعنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك ، وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لقدمك علينا .

فأدخَلتهُ إلى داري وزدت في الطعام ، واشتريتُ فاكهة ؛ وجلسنا فأكلنا ، ثم وهبتُ لضيفي شيئاً يشتري به هديةً لأهله .

وتوجهنا إلى الأمير بالرقّة<sup>(٤)</sup> ، فوجدناه في الحمام ، فلما خرج استؤذن لي عليه ، فدخلتُ فإذا هو جالس على كرمي ، ويده مشط ، يسرّح به لحيته ،

\* المستطرف : ٢ - ٧٠

(١) أحد الشعراء المبدعين ، اتصل بالرشيد ، وُعد من شعرائه ، ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه ثم قرّبه الفضل بن سهل ، ومات سنة ٢٠٨ هـ بمرجان (٢) أضاف الرجل : أنزله ضيفاً (٣) هو يزيد بن مزيد الشيباني قائد الرشيد (٤) الرقة : بلد على الفرات واسطة ديار ربيعة وبلد آخر غربي بغداد .

فسلمت عليه فردّ أحسن ردّ ، وقال : ما الذى أعمدك عنا ؟ قلت : قلة ذات اليد ،  
وأنشدته قصيدة مدحته بها . قال : أتدرى لم أحضرتك ؟ قلت : لا أدرى ،  
كنت عند الرشيد منذ ليل أحادثه ، فقال لى : يا يزيد ؛ من القائل فيك :

سَلَّ الخليفةُ سيفاً من بنى مُضَرٍّ يمضى فيخترقُ الأجسامَ والهَامَا (١)  
كالدهرِ لا يفتنى عماسيهمُ به قد أوسع الناس إنعاماً وإزغاماً

فقلت : والله لا أدرى يا أمير المؤمنين ! فقال : سبحان الله ! أيقال فيك مثل  
هذا ولا تدرى منّ قاله ؟ فسألت ؛ فقيل لى : هو مسلم بن الوليد !

فأرسلت إليك ، فانهض بنا إلى الرشيد . فسرنا إليه ، واستؤذن لنا ، فدخلنا  
عليه ، فقبلت الأرض بين يديه ، وسلمت فرد على السلام ، فأنشدته مالى فيه من شعر ،  
فأمر لى بمائتى ألف درهم ، وأمر لى يزيد بمائة وتسعين ألف درهم ، وقال : ما ينبغي  
أن أسأوى أمير المؤمنين فى العطاء .

---

(١) الهامة : الرأس ، والجمع هام .

١٢٣ — رَاوِيَةٌ مُسْلِمٌ بِنِ الْوَلِيدِ\*

كان داودُ بنُ يزيد بنِ حاتمِ المهلبى<sup>(١)</sup> يجلسُ للشعراءِ في السنةِ نجلساً واحداً ، فيقصدهونه لذلك اليوم ويُنشدونه ، فوجه إليه مسلمٌ رَاوِيَتَهُ بقصيدته التي أولها :  
لا تدعُ بي الشوقَ إني غيرُ معمودٍ نهى النهى عن هوى الهيفِ الرعايد<sup>(٢)</sup>  
فقدم عليه يومَ جلوسه للشعراء ولحقه عقب خروجِه عنه ، فتقدم إلى الحاجبِ  
وحسّرَ لثامه عن وجهه ، ثم قال : استأذن لي على الأمير ؛ قال : ومن أنت ؟ قال :  
شاعر ، قال : قد انصرمَ وقتك وانصرف الشعراء وهو على القيام .

فقال له : ويحك ! إني قد وفدتُ على الأميرِ بشعري ما قالت العربُ مثله ، وكان  
مع الحاجبِ أدبٌ يُفهمُ به ما يسمع ، فقال : هاتِ حتى أسمع ، فإن كان الأمرُ كما  
ذكرت أو صلتك إليه ؛ فأنشده بعضَ القصيدة ، فسمع شيئاً يقصرُ عنه الوصف ؛  
فدخل على داود فقال له : قدم على الأميرِ شاعرٌ يشعرُ ما قالت العربُ مثله ، فقال :  
أدخلِ قائله ! فلما مثل بين يديه سلم ، وقال : قدمتُ على الأميرِ - أعزّه الله - بمدحٍ  
يسمعه ، فيعلم تقدمي على غيري بمن امتدحه ؛ فقال : هات !

فلما افتتح القصيدة وقال : « لا تدعُ بي الشوق .. » استوى جالساً ، وأطرق حتى

\* عصر المأمون : ٢-٣٨١

(١) أمير من الشجمان العقلاء ولاة الرشيد السند فانسقت له أمورهما واستمر إلى أن توفي فيها سنة ٢٠٥ هـ (٢) أي لا تدعني مشتاقاً ، وسأله دعبيل عن معنى ذلك ، فقال : لا تدعني صريع الفواني ، فليست كذلك ، وكان لهذا اللقب كارهاً . والمعبود : المشغوف عشقاً . والهيف : الضامرات المحصور . وامرأة رعدبيدة : يترجح لخمها من نعمتها . وكذلك الرخصة الناعمة .

أنى الرجل على آخر الشعر ، ثم رفع رأسه إليه ، فقال : أهذا شعرك ؟ قال : نعم  
أيها الأمير ! قال : فى كم قلته يافتى ؟ قال : فى أربعة أشهر أبقاك الله . قال : لوقلته  
فى ثمانية أشهر لكنت محسناً ، وقد اتهمتك ، لجودة شعرك وخمول ذكرك ، فإن  
كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر فى مثله ، وأمرت بالإجراء عليك ،  
فإن جئنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم وإلا جرمتك .

فقال : أو الإقالة - أعز الله الأمير . قال : قد أفلتت ، قال : الشعر لمسلم بن  
الوليد وأنا راويته والوإفدُ عليك بشعره . فقال : أنا ابن حاتم ! إنك لما افتتحت  
شعره فقلت : « لا تدع بى الشوق إنى غير معمود<sup>(١)</sup> » سمعت كلام مسلم ينادى بى ،  
فأجبت نداه واستويتُ جالساً ، ثم قال : يا غلام ، أعطه عشرة آلاف درهم ،  
واحمل الساعة إلى مسلم مائة ألف درهم .

---

(١) انظر التصيدة فى عصر المأمون : ٢ : ٢٨٢

١٢٤ — لَبَاقَةٌ\*

قال محمد بن أيوب : كان بالبصرة رجلٌ من بني تميم ، وكان شاعراً ظريفاً ،  
خيثاً ما كَرَأً ، وكنتُ أنا والي البصرة ، آنَسَ به وأَسْتَحْلِيهِ<sup>(١)</sup> ، فأردت أن  
أخذه ؛ فقلتُ له : أنت شاعر ظريف ، وللمأمون أجودُ من السحابِ الحافلِ<sup>(٢)</sup>  
والريحِ العاصفِ ، فما يمنعك منه ؟

قال : ما عندي ما يِقْلِي<sup>(٣)</sup> . قلت : فأنا أعطيك نجيماً<sup>(٤)</sup> فارهاً ، ونفقةً  
سابقةً ، وتخرجُ إليه وقد امتدحتَه ، فإنك إن حظيتَ ببقائه صرْتَ إلى  
أمنيتك .

قال : والله أيها الأمير ، ما إخالك أبعدتَ ، فأعدِّ لي ما ذكرت . فدعوت له  
بِنَجِيبِ فَارِهِ ، وقلت له : شأنك به فامتطه ، قال : هذه إحدى الحسينين ، فما بال  
الأخرى ؟ فدعوتُ له بثلاثمائة درهم ، وقلت : هذه نفقتك ، قال . أَحْسَبُك أيها الأمير  
قَصَرْتَ في النفقة ، قلت : لا ، هي كافية إن قَصَرْتَ<sup>(٥)</sup> عن السرفِ ، قال : ومتى  
رأيتَ في أكبر سعدٍ سرفاً حتى تراه في أصاغرِها !

فأخذ النجيب والنفقة ، ثم عمل أرجوزةً ليست بالطويلة ، فأنشدَ فيها وحذف  
منها ذِكْرِي والثناء على ، وكان مارداً<sup>(٦)</sup> ، فقلت له : ما صنعتَ شيئاً ، قال .

\* الطبري : ١٠ : ٢٩٧

(١) أستحليه : أستغفه (٢) السحاب الحافل : كثير الماء (٣) أقله : حمله (٤) النجيب  
من الإبل : القوى الخفيف السريع ؛ فارهاً : نشيطاً حاداً قويا (٥) قصر عن السرف : امتنع  
عن الإسراف (٦) المارد من الرجال : العاقب الشديد .

وكيف؟ قلت: تأتي الخليفة ولا تُثني على أميرك! قال: أيها الأمير؛ أردت أن تجدني فوجدتني خداعاً! أما والله ما ليكرامتي حملتني على نجيبك، ولا جدت لي بمالك الذي ما رامه أحد قط إلا جعل الله خده الأسفل، ولكن لأذكرك في شعري، وأمدحك عند الخليفة.

قلت: قد صدقت؛ فقال: أما إذا أبديت ما في ضميرك، فقد ذكرتك وأثبت عليك؛ قلت: فأنشدني ما قلت، فأنشدني، فقلت: أحسنت، ثم ودعني وخرج.

وأتى الشام وإذا المأمون بسلموس.

قال: فأخبرني، قال: بينا أنا في غزاة قرمة، قد ركبت نجيبى ذاك، ولبست مقطعاتي<sup>(١)</sup>، وأنا أرموم العسكر، إذا أنا بكهليل على بغل فاره، ما يقره قراره، ولا تدرك خطاه؛ فتلقاني مكافحة<sup>(٢)</sup> ومواجهة، وأنا أردد نشيد أرجوزتى، فقال: سلام عليكم، بكلام جهوري ولسان بسيط؛ فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته! قال: قف إن شئت، فوقفت، فتضوعت منه رائحة العنبر واللسك الأذفر، فقال: ما أولك! قلت: رجل من مضر، قال: ونحن من مضر. قال: ثم ماذا؟ قلت: رجل من بني تميم. قال: وما بعد تميم؟ قلت: من بني سمد، قال: هيه! فما أقدّمك هذا البلد؟ قال: قصدت هذا الملك الذي ما سمعت بمثله أندى رائحة، ولا أوسع راحة، ولا أطول باعاً، ولا أمد يفاعاً<sup>(٣)</sup>!

(١) المنطعات: التصار من الثياب  
(٢) الكافحة: مصادفة الوجه بالوجه مفاجأة  
(٣) يفاع: المشرف من الأرض والجبل.

قال : فما الذى قصدته به ؟ قلت : شعرٌ طيبٌ يلذُّ على الأفواه ، وتقتفيه الرواة ، ويحلون فى آذان المستمعين ؛ قال : فأنشدنيهِ ، فغضبت وقلت : يا ريك (١) ! أخبرتك أنى قصدت الخليفة بشعرٍ قُلْتُهُ ، ومديحِ حَبْرَتِهِ ، تقول : أنشدنيهِ ! فتعافلِ واللهِ عنها ، وتطمئنِ لها .

قال : وما الذى تأمل منه ؟ قلت : إن كان على ما ذُكِرَ لى عنه فألفُ دينارٍ ، قال : فأنأ أعطيك ألفَ دينارٍ إن رأيتُ الشعرَ جيداً والكلامَ عذَباً ؛ وأضعُ عنك العناء ، وطولَ التردادِ ، ومتى تصل إلى الخليفة ، وبينك وبينه عشرةُ آلافِ رَامِحٍ ونَابِلٍ (٢) !

قلت : فلى الله عليك أن تفعل ! قال : نعم ، لك الله على أن أفعل ؛ قلت : ومعك الساعةَ مال ؟ قال : هذا بغلى ، وهو خير من ألفِ دينارٍ ، أنزل لك عن ظهْرِهِ .

فغضبتُ أيضاً ، وعارضنى نَزَقُ سَعْدٍ وخِيفَةُ أحلامها ، فقلت : ما يساوى هذا البغلُ النجيبَ ! قال : فدعْ عنك البغلَ ، ولك الله على أن أعطيك الساعةَ ألفَ دينارٍ ! فأنشدته :

مأمون إذا المن الشريفة	وصاحب المرتبة المنيفة (٣)
وقائد الكتبية (٤) الكثيفة	هل لك فى أرجوزة ظريفة ؟
أظرف من فقه أبى حنيفة	لا والذى أنت له خليفة
ماظلمت فى أرضنا ضعيفة	أميرنا مؤنته خفيفة

(١) الريك من الرجال : الضيف فى عقله ورأيه (٢) الرامح : ذو الرمح ، والنابل : صاحب النبل ، وهى السهام (٣) النيفة : العالية المرتفعة (٤) الكتبية : الجيش .

وما اجتبي شيئاً سوى الوظيفة فالذئبُ والنعجةُ في سقيفه  
\* واللصُّ والتاجرُ في قطيفة<sup>(١)</sup> \*

فوالله ما عدا أن أنشدته، فإذا زهأه<sup>(٢)</sup> عشرة آلاف فارس قد سدّوا الأفق،  
يقولون: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته! فأخذني أفكلك<sup>(٣)</sup>،  
ونظر إلى بتلك الحالة، فقال: لا بأس عليك أي أخي؛ قلت: يا أمير المؤمنين؛  
جعلني الله فداءك! أتعرف لغات العرب؟ قال: إى لعمر الله! قلت، فمن جعل  
الكاف منه مكان القاف<sup>(٤)</sup>؟ قال: هذه حمير؛ فقلت: لعننا الله ولعن من  
استعمل هذه اللّغة بعد اليوم!

فضحك المأمون وعلم ما أردت، والتفت إلى خادمٍ إلى جانبه، فقال: أعطه  
ما معك، فأخرج إلى كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار، فقال: هاك، ثم قال:  
السلام عليك ومضى، فكان آخر العهد به!

---

(١) أصل القطيفة: دثار مخمل (٢) زهأه: قدر (٣) أفكلك كأحد: رعدة وقشعريرة  
(٤) يشير إلى قوله له أولاً: ياركيك.



١٢٥ — لولا حمقه وحمق صاحبه لمت جوعاً\*

قال المأمون يوماً لأحمد بن أبي خالد<sup>(١)</sup> : اغدُ عليّ باكرًا لأخذ القمص التي عندك ، فإنها قد كثرت لقطع في أمور أصحابها ، فقد طال انتظارهم إياها .  
فبكر ، وقعد له المأمون ، فجعل يمرضها عليه ويوقع عليها ، إلى أن مرَّ بقصة رجل من يزيديين يقال له فلان اليزيدي؛ فصَحَّف<sup>(٢)</sup> وكان جائعاً فقال : الثريدُ؛ فضحك المأمون ، وقال يا غلام ، تريدُ ضخمةً لأبي العباس ، فإنه أصبح جائعاً ! فضجّل أحمد ، وقال : ما أنا بجائع يا أمير المؤمنين ، ولكنَّ صاحبَ هذه القصة أحمقُ ، وضع فوق نسيبته ثلاث نقط ، قال : دَعُ هذا عنك ، فالجوعُ أضربك حتى ذكرت الثريدُ ؛ فجاءوه بصحفة عظيمة ، كثيرة العروق والودك<sup>(٣)</sup> ؛ فاحتشم أحمد ، فقال المأمون : بحياتي عليك ، لما عدلتَ نحوها . فوضع القمص ومال إلى الثريد ، فأكل حتى انتهى والمأمون يظفر إليه ، فلما فرغ دعا بطستٍ فغسل يده ، ورجع إلى القمص ، فترت به قصة فلان الحمصي فقال : فلان الخبيص ، فضحك المأمون وقال : يا غلام ، جاماً<sup>(٤)</sup> فيه خبيص ، فإن غذاء أبي العباس كان مبتوراً<sup>(٥)</sup>

\* عصر المأمون : ١ - ٣٠٦

(١) أحمد بن أبي خالد وزير المأمون بعد الفضل بن سهل وكان شرها (٢) المصحف : الذي يروى الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف - مولدة (٣) الودك : الدسم ، والمراد جمع عرق : وهو القطعة من اللحم (٤) الجام : لئاء من فضة . الخبيص : المعمول من التمر والسن (٥) بتره : قطعه قبل الإتمام .

فنجبل أحمد وقال : يا أمير المؤمنين ؛ صاحبُ هذه القصة أحق ، فتح الميم فصارت كأنها ستنان ، قال : دَعَّ عنك هذا ، فلولا حقه وحقُّ صاحبه لمتَّ جوعاً ، فجاءوه بجام حَبِيب ، فنجل ، فقال له المأمون : بجيأتى عليك إلامتَ إليها ! فانحرف فانثنى عليه ، وغسل يده ، ثم عاد إلى القصص ، فأسقط حرفاً حتى أتى على آخرها .

١٢٦ — إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ

نصيبٌ ولا حظٌ تمني زوالها\*

أشرف المأمون يوماً على قصره فرأى رجلاً يكتب بفحمةٍ على حائط قصره . فقال المأمون لبعض خدَمِهِ : اذهب إلى ذلك الرجل ، فانظر ما كتب وأنتنى به - فبادر الخادم إلى الرجل مسرعاً ، وقبض عليه ، وقال له : ما كتبت ؟ فإذا هو قد كتب هذا البيت :

يا قصرُ جُمعَ فيك الشؤمُ واللؤمُ متى يُعشَّشُ في أركانك البؤمُ !

ثم إن الخادم قال له : أجب أمير المؤمنين . فقال الرجل : سألتك بالله لا تذهب بي إليه ، فقال الخادم : لا بد من ذلك ، ثم ذهب به .

فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين ، وأُعلم بما كتب ، قال له المأمون : ويحك ! ما حملك على هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه لا يخفى عليك ما حوَّاه قصرُك هذا ؛

من خزائن الأموال والحلى والحلل ، والطعام والشراب والقرش والأواني ، والأمتعة  
والجوارى ، والخدم وغير ذلك ، مما يقصُرُ عنه وصفي ، ويعجزُ عنه فهمي . وإني  
قد مررتُ عليه الآن وأنا في غاية من الجوع والفاقة ؛ فوقفْتُ مُفكرًا في أمري ،  
وقلتُ في نفسي : هذا القصر عامر عال ، وأنا جائع ، ولا فائدة لي فيه فلو كان خرابًا  
ومررت به لم أعدم رُخامةً أو خشبةً أو مسارًا أبيعُه وأتقوتُ بشمنه ؛ أو ما علمَ أميرُ  
المؤمنين رعاه الله قولَ الشاعر :

إذا لم يكنْ للمرءِ في دولةِ امرئِ نصيبٌ ولا حظٌ تمنى زوالها  
وما ذاك من بُغضٍ لها غيرَ أنه يُرجى سواها ، فهو يهوى انتقالها  
فقال المأمون : يا غلام ؛ أعطه ألفَ درهم . ثم قال : هي لك في كل سنة ،  
مادام قصرُنا عامرًا بأهله مسرورًا بدولته .

١٢٧ — خُلِقَ دِعْبِلُ \*

قال محمد بن موسى الضَّبِّي ، وكان نديماً لعبد الله بن طاهر : بينا نحن عند عبد الله بن طاهر ذات ليلة ، يُذاكرنا بالأدب وأهله ، وشعراء الجاهلية ، إذ بلغ إلى ذكر المحدثين حتى انتهى إلى ذِكْرِ دِعْبِلِ (١) فقال : وَيَنَحَّكَ يَاضِبِي ! إني أريد أن أحدثك بشيء على أن تسترّه طولَ حياتي ؛ فقلت له : أصلحك الله ، أنا عندك في موضع ظَنَّةٍ ؟ قال : لا ، ولكن أَطِيبُ لِنَفْسِي أن توثق لي بالآيمان ؛ لأركن إليها ، ويسكن قلبي عندها ، فأحدثك حينئذ .

قلت : إن كنتُ عند الأمير في هذه الحال فلا حاجةَ به إلى إفشاء سره إلى ، واستعفيته سراراً فلم يعفني ؛ فاستحييتُ من مراجعته ، وقلت : فليدّر الأميرُ رأيه ؛ فقال لي : يَاضِبِي ؛ قل : والله ، قلت : والله ، فأمرها عليّ غموساً (٢) مؤكدةً بالبيعة والطلاق وكلُّ ما يَخْلِفُ به مسلم .

ثم قال : أشعرت أن دِعْبِلًا مَدْخُولُ النَّسَبِ ؟ وأمسك ، فقلت : أعزّ الله الأمير ، أفي هذا أخذتَ اليهود والموثيق ومغلطَ الآيمان ! قال : إى والله ، فقلتُ : ولم ؟ قال : لأنني رجلٌ لي في نفسي حاجة ، ودعبل رجلٌ قد حَمَلَ نفسه على المهالك ، وحمل جِدْعَهُ على عنقه ، فليس يجد مَنْ يَصْلُبُهُ عليه ، وأخاف إن بلغه أن يقول

\* الأغاني : ١٧ - ٥٦ .

(١) هو دعبل بن علي بن رزين ؛ شاعر مطبوع هجاء ، لم يسلم من لسانه أحد من طاصره من الخلفاء والوزراء والولاة ، ولا ذى نباهة ، أحسن إليه أو لم يحسن ، توفي سنة ٢٤٦ هـ .  
(٢) اليمين الغموس : التي تغمس صاحبها في الإثم .

فِي مَا بَقِيَ عَلَى عَارِهِ عَلَى الدَّهْرِ ، وَقَصَّارَايَ إِنْ ظَفَرْتُ بِهِ ، وَأَسْلَمْتَهُ الْيَمِينَ - وَمَا  
أَرَاهَا تَفْعَلُ ؛ لِأَنَّهُ الْيَوْمَ شَاعِرُهَا ، وَالذَّابُّ عَنْهَا ، وَالْحَامِي لَهَا دُونَهَا - أَنْ أَضْرِبَهُ  
مِائَةَ سَوْطٍ ، وَأَتَقْلَهُ حَدِيدًا ؛ وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ عِوَضٌ عَلَى مِمَّا سَارَ فِيهِ مِنَ الْهَجَاءِ وَفِي  
عَقِيبي مِنْ بَعْدِي .

قُلْتُ : مَا أَرَاهُ يَفْعَلُ وَيُقَدِّمُ عَلَيْكَ ، فَسَالَ لِي : يَا عَاجِزُ ؛ أَرَأَاهُ أَقْدَمَ عَلَى  
الرَّشِيدِ وَالْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ وَعَلَى أَبِي وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى - قُلْتُ : فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ  
فَقَدْ وَفَّقَ الْأَمِيرُ فِيمَا أَخَذَهُ عَلَى .

وَكَانَ دَعْبِلُ صَدِيقًا لِي ، قُلْتُ : هَذَا شَيْءٌ قَدْ عَرَفْتَهُ ، فَمَنْ أَيْنَ قَالَ الْأَمِيرُ  
إِنَّهُ مَدْخُولُ النَّسَبِ ، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مِنْ خُرَازْمِةٍ ؟ فَقَالَ : اسْمِعْ ، إِنَّهُ كَانَ أَيَّامَ  
تَرْغَرِخَ خَامِلًا لَا يُؤْتِيهِ لَهُ ، وَكَانَ يَنَامُ هُوَ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي إِزَارٍ وَاحِدٍ لَا يَمْلِكُكَانَ  
غَيْرَهُ ، وَمُسْلِمُ أَسْتَاذُهُ ، وَهُوَ غَلَامُهُ يَخْدُمُهُ ، وَدَعْبِلُ حِينَئِذٍ لَا يَقُولُ شِعْرًا يَفْكَرُ فِيهِ ،  
حَتَّى قَالَ :

لَا تَعْجِبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبَ بِرَأْسِهِ فَبَكَى  
وَعَنَى فِيهِ بَعْضُ الْمُنْفِينِ وَشَاعَ ، فَفَعَّنِي بِهِ بَيْنَ يَدَيْ الرَّشِيدِ ، فَطَرَبَ ، وَسَأَلَ  
عَنْ قَائِلِ الشَّعْرِ ، فَقِيلَ لَهُ : دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَهُوَ غَلَامٌ نَشَأَ مِنْ خُرَازْمِةٍ ، فَأَمَرَ  
بِاحْتِضَارِ عَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ وَخِلْعَةٍ مِنْ ثِيَابِهِ ، فَأَحْضَرَ ذَلِكَ ، فَدَفَعَهُ مَعَ خَادِمٍ مِنْ  
خَاصَتِهِ ، وَقَالَ لَهُ : إِذْهَبْ بِهَذَا إِلَى خُرَازْمِةٍ ، فَاسْأَلْ عَنِ دَعْبِلِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَإِذَا  
دُلَّتْ عَلَيْهِ فَأَعْطِهِ هَذَا ، وَقُلْ لَهُ : لِيَحْضُرَ إِنْ شَاءَ ، وَإِنْ لَمْ يُحِبَّ ذَلِكَ فَدَعِهِ ،  
وَأَمَرَ لِلْمَغْنَى بِجَائِزَةٍ .

فسار الغلام إلى دُغبل ، وأعطاه الجائزة ، وأشار عليه بالمسير إليه . فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس فجلس ، واستنشد الشعر فأنشده إياه فاستحسنه ، وأمره بملازمته ، وأجرى عليه رزقاً سنياً ، فكان أولَ مَنْ حرَّضَهُ على قول الشعر ؛ فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله من العطاء السنِّيِّ ، والغنى بعد الفقر ، والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة ، وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت وهجا الرشيد :

ليس حتى <sup>١</sup> من الأحياء نعلمه	من ذى يمان ومن بكرٍ ومن مُضَرِّ
إلا وهم شركاء في دماهم	كما تشارك أيسار <sup>(١)</sup> على جزر <sup>(٢)</sup>
قتل <sup>٣</sup> وأسر <sup>٤</sup> وتحريق <sup>٥</sup> ومنهبة <sup>٦</sup>	فعل الفزاة بأرض الروم وانحزب <sup>(٣)</sup>
أرى أمية معذورين إن قتلوا	ولا أرى لبنى العباس من عُذُرِ
اربع بطوس على قبر الزكي <sup>٧</sup> إذا	ما كنت ترابع <sup>(٣)</sup> من دين على وطر <sup>(٣)</sup>
قبران في طوس : خيرُ الناس كلهم	وقبرُ شرهم <sup>٨</sup> ؛ هذا من الدبرِ ا
ما ينفع الرّجس من قرب الزكي <sup>٩</sup> ولا	على الزكي بقرب الرّجس من صرر
هيات كل امرئ رهن بما كسبت	له يداه فخذ ما شئت أو فذّر

فهذه واحدة ، وأما الثانية فإنّ اللّامون لم يزل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى

دس إليه قوله :

(١) أيسار : جمع ياسر ، وهو الذي يلي قسمة الجزور ، والجزر : نوق تذبح وتقسّم أقساماً للفقارة (٢) الحزر : جبل من الترك ، بلادهم شمال فارس . (٣) طوس : مدينة عظيمة بخراسان تعرف الآن بمشهد ، دفن بها الرشيد وعلي بن موسى الرضا . واربع : أقم . والوطر : الحاجة .

أَنَّى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ يَرِثُ الْخِلَافَةَ فَاسِقٌ عَنْ فَاسِقٍ  
إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ <sup>(١)</sup> مُضْطَلَعًا بِهَا فَلتَصْلَحَنَّ مِنْ بَعْدِهِ لِمُخَارِقِ <sup>(٢)</sup>

فلما قرأها للأمون ضحك وقال : قد صفتُ عن كل ما هجانا به ؛ إذ قرن  
إبراهيم بمخارق في الخلافة ، وولاه عهده وكتب إلى أبي أن يكتبه بالأمان ،  
ويحمل إليه مالا ، وإب شاء أن يقيمَ عنده أو بصيرَ إلى حيث شاء فليفعل .  
فكتب إليه أبي بذلك ، وكان واقفاً به ، فصار إليه ، فحمله وخلع عليه ، وأجازه  
وأعطاه المال ، وأشار عليه بقصد الأمون ففعل ، فلما دخل وسلم عليه تبسم في وجهه ،  
ثم قال : أنشدني <sup>(٣)</sup> :

مدارسُ آياتِ خلتَ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مُفْرِ العَرَصَاتِ <sup>(٤)</sup>  
فجَزِعَ ، فقال له : لك الأمان فلا تخف ، وقد رويتها ولكني أحب سماعها  
من فيك ، فأنشده :

مدارسُ آياتِ خلتَ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مُفْرِ العَرَصَاتِ  
لآلِ رسولِ اللهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنِيَّ وبالركنِ والتعريفِ والجَمَرَاتِ <sup>(٥)</sup>  
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرِ وحَمْرَةَ والسَّجَّادِ ذِي الثَّنَائَاتِ <sup>(٦)</sup>  
ديارُ عفاها <sup>(٧)</sup> كلُّ جَوْنٍ مُبَادِرِ <sup>(٨)</sup> ولم تَعْفُ لِلآيَامِ والسَّنَوَاتِ

(١) يريد إبراهيم بن المهدي ، وهو عم الأمون ، وقد اشتهر بالفناء وأتقص من قدره .  
(٢) مخارق : مغم من معروف (٣) من القصائد المشهورة في مدح آل البيت (٤) المففر :  
الحالي من الناس ، والعروضات : ساحات الدار (٥) أسماء مواضع بمكة (٦) الثفنة : الركبة  
وجتمع الساق والفتخ ، والسجاد ذو الثفات : علي بن الحسين لأن طول السجود أثر في ثفناته  
(٧) عفاها : محاما (٨) الجون المبادر : السحاب الماطر .

تفانسأل الدار التي خفت أهلها متى عهدُها بالصوم والصلواتِ !  
وأين الألى شطت بهم غربة النوى أفانين<sup>(١)</sup> في الآفاق مُفترقاتِ  
وما الناسُ إلا حاسدٌ ومكذبٌ ومُضطَّعِنٌ<sup>(٢)</sup> ذو إحنةٍ وتراتِ  
ومضى فيها حتى أتى على آخرها .

والمأمون يبكي حتى اخضلت لحيته بدمعه . فوالله ما شعرنا به إلا وقد شاعت له  
آياتٌ يهجو بها المأمون بعد إحسانه إليه وأنسه به ، حتى كان أول داخل وآخر  
خارج من عنده<sup>(٣)</sup> .

---

(١) الأفانين : الأنواع أو الأحوال (٢) مضطعن : حائد ، والإحنة : العداوة والحقد ،  
والترات : جمع ترة : الثأر (٣) كان مما قاله في المأمون :

أيسومني المأمون خطة جاهل أو ما رأى بالأمس رأس مجد  
لاني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد  
شادوا بذكرك بعد طول غوله واستنقذك من الحضيض الأوهد

وكان المأمون إذا أنشد هذه الأبيات يقول :

فبح الله دعبلًا ، فما أوقعه ! كيف يقول عنى هذا ، وقد ولدت في حجر الخلافة ، ورضعت  
نديها ، وربيت في مهدها .



١٢٨ -- دِيكُ دِعْبِلُ \*

قال أحمد بن خالد : كنا يوماً بدار صالح بن علي ببغداد ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على سطح البيت ديك طار من بيت دِعْبِل ، فلما رأيناه قلنا : هذا صيدنا ، فأخذناه .

فقال صالح : ما نصنع به ؟ قلنا : نذبحه ، فذبحناه وشويناَه . وخرج دعبيل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح ، فطلبه منا فجدناه ؛ وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دعبيل ، فصلى الغداة ، ثم جلس في المسجد ، وكان ذلك المسجد يجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء ، وينتابهم الناس . وقال :

أَسْرَ الْمُؤَذِّنَ صَالِحٌ وَضِيوفُهُ      أَسْرَ الْكَمِيِّ هَفَا خِلَالَ الْمَأْقِطِ <sup>(١)</sup>

بَعَثُوا إِلَيْهِ بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ      مِنْ بَيْنِ نَاتِفَةٍ وَأَخْرَسَامِطِ <sup>(٢)</sup>

يَتَنَازَعُونَ كَأَنَّهُمْ قَدِ أوثَقُوا      خَاقَانَ وَهَزَمُوا قِبَائِلَ نَاعِطِ <sup>(٣)</sup>

نَهَشُوهُ فَانْتَزَعَتْ لَهُ أَسْنَانَهُمْ      وَتَهَشَّمَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْحَائِطِ

فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لي أبي - وقد رجع إلى البيت - ويحكم ! ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبيل ، ثم أنشد الشعر وقال : لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته ، وبعثت به إليه وإلا وقعنا في لسانه ، ففعلت ذلك !

\* مهذب الأغانى ٢ : ٢٥٥

(١) المأقط : موضع القتال ، والكمي : الشجاع

(٢) سمطه : قناه مما عليه من الريش .

(٣) ناعط : قبيلة من همدان .

١٢٩ — بين البادية والحضر\* !

قدم على بن الجهم<sup>(١)</sup> على المتوكل - وكان بدويًا جافياً - فأنشده قصيدة قال فيها :

أنت كالكلب في حفاظك للودِّ وكالتيس في قرع الخطوب  
أنت كالذلول لا عدمنك دلولاً من كبار الدلا كثير الذنوب<sup>(٢)</sup>

فعرف المتوكل قوته ، ورقة مقصده ، وخشونة لفظه ، وأنه ما رأى سوى ماشبه به لعدم المخالطة وملازمة البادية ، فأمر له بدارٍ حسنة على شاطئ دجلة ، فيها بستان حسن ، يتخلله نسيم لطيف يفسد الأرواح ، والجسر قريب منه ، فيخرج إلى محلات بغداد ، فيرى حركة الناس ومظاهر مدينتهم ويرجع إلى بيته .

فأقام ستة أشهر على ذلك ، والأدباء والفضلاء يتعاهدون مجالسته ومحاضرتيه ، ثم استدعاه الخليفة بعد مدة لينشده ؛ فحضر وأنشد :

عيون المها بين الرصافة<sup>(٣)</sup> والجسر جالبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

فقال المتوكل : لقد خشيتُ عليه أن يذوب رقةً ولطافة .

\* محاضرات الأبرار : ٢ - ٣

(١) هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع ، خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ، ثم أبغضه بعد ذلك ونفاه إلى خراسان بعد أن حبسه مدة ، وذلك لكثرة سعايته بندمائه ، مات سنة ٢٤٩ هـ .

(٢) يطلق الذنوب على ما في الدلو من الماء (٣) الرصافة : محلة ببغداد .

١٣٠ — الجاحظ في مرضه \*

قال بعض البرامكة : كنت أتقلد السند ؛ فاتصل بي أن صُرِفْتُ عنها وكنت  
كسبتُ ثلاثين ألف دينار ؛ فحِقتُ أن يفجأ بي الصارف ، ويسعى إليه بالمال ؛  
فصنَّته عشرة آلاف إهليلجة<sup>(١)</sup> ، في كل أهليلجة ثلاثة مئاقيل ، وجعلتها في  
رَحْلِي ، ولم أبعدها أن جاء الصارف ؛ فركبتُ البحر ، وانحدرتُ إلى البصرة ،  
فخبرتُ أن بها الجاحظ<sup>(٢)</sup> وأنه عليل .

فأحببتُ أن أراه قبل وفاته ، فصرتُ إليه ، فأضيتُ إلى باب دار لطيف  
فقرعته ؛ فخرجتُ إلى خادم صفراء ؛ فقالت : من أنت ؟ قلت : رجل غريب ،  
يحبُّ أن يدخلَ إلى الشيخ ، فيسرى بالنظر إليه !

فأدتُ ما قلت - وكانت المسافة قريبةً لصغر الدهليز والحجرة - فسمعتُه يقول :  
قولي له : وما تصنع بشقي مائل ، ولعاب سائل ، ولون حائل<sup>(٣)</sup> ! فأخبرتني ،  
قلت : لا بدّ من الوصول إليه . فقال : هذا رجل قد اجتازَ البصرة ؛ فسمع بي  
وبلتي ؛ فقال : أراه قبل موته ؛ ليقول قد رأيت الجاحظ !

ثم دخلتُ فسلمتُ ؛ فردّ ردًّا جميلاً ، واستدناني ، وقال : من تكون أعزك  
الله ! فانتسبت له ، فقال : رحم الله أباك وقومك الأسخياء الأجواد الكرام الأتجاد

\* زهر الآداب : ٢ - ١٨٦ ، ذيل زهر الآداب : ١٦٥  
(١) الإهليلج : ثمر ، والواحدة بهاء ، ويظهر أنه صاغها على شكل هذا الثمر (٢) هو عمرو بن  
بحر ، والجاحظ لقبه ، كبير أئمة الأدب ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، ألف كثيراً ، وعاش  
طويلاً ، وتوفى سنة ٢٥٥ هـ (٣) حال لونه : تغير .

فقد كانت أيامهم رَوْضَ الأزمنة ، ولقد انجبرَ بهم قوم كثير ، فسقيًا لهم ورعيًا <sup>(١)</sup> ! فدعوت له ، وقلت : أنا أسأل الشيخ أن ينشدني شيئًا من الشعر ؛ أذكره به ، فأشدني :

لئن قُدِّمتُ قبلي رجالٌ فظالما      مشيت على رِسلي فكنت المقدَّمًا <sup>(٢)</sup>  
ولكنَّ هذا الدهر تَأْتِي صروفه      فتَبْرِمُ منقوضًا وتَنْقُضُ مُبرِّمًا  
ثم نهضت ، فلما قاربت الدهليز صاح بي فقال : يا فتى ؛ أرايت مفولجًا ينفعه الإهليلج ؟ فقلت : لا ! قال : فأنا ينفعني الإهليلج الذي معك ! فأهد لنا منه ، فقلت : السمع والطاعة .

وخرجت مُفْرِطَ التعجب من وقوعه على خبري ، حتى كان بعض أحبائي كاتبه بخبري حين صغته ، وأنفذتُ إليه مائة إهليلجة .

(١) سقيا لهم ورعيًا : دعاء لهم بالخير (٢) رسلي : مهلي .

١٣١ — ظبي مذبوح ، ورجل ميت جريح ، وقتاة ميتة \*

قال موسى بن هارون : كنت عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد جاءه الزبير بن بكار<sup>(١)</sup> فأعلمه أن المعتز بعث إلى أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء . فقال له الزبير بن بكار : قد بلغت هذه السن وأتوتى القضاء ! أو بعد ما رويت أن من ولى القضاء فقد ذبح بنيرسكين ! فقال له : فتلق بأمير المؤمنين بسر من رأى ، فقال له : أفعل .

فأمر له بمال يُنفقه ، وبظهرٍ يحمله ويحمل ثقله . ثم قال له : إن رأيت يا أبا عبد الله أن تُفيدنا شيئاً قبل أن نفترق ؟ قال : نعم ! انصرفت من عمرة المحرم ، فبينما أنا بأثاية العرج ، إذا أنا بجاعةٍ مجتمعة ، فأقبلت إليهم وإذا رجل كان يقنص الظباء ، وقد وقع ظبي في حبالته فذبحه ، فانتفض في يده فضرب بقرنه صدره ، فنسب القرن فيه فمات . وأقبلت فتاة كالمهاة ، فلما رأت زوجها ميتاً شهقت ثم قالت :

يا حُسنُ لو بطلٌ لكنه أجلٌ      على الأثاية ما أودى به البطلُ  
يا حُسنُ جمع أحشائي وأقلقها      وذاك يا حُسنُ لولا غيره جَلُّ

\* الأغانى ٩ - ٤٢ ، معجم الأدباء : ١١ - ١٦٢  
(١) الزبير بن بكار ، كان علامة نسابة إخبارياً ، ثقة ، توفي سنة ٢٥٦ هـ  
(٢) جمع أحشائي : جعلها منضمة إلى بعضها ، وجلل : سير ، إذ المراد أن الأمر الذى كان يسير لولا غيره مما هو مترتب عليه من الظالم .

أضحت فتاة بني نهدٍ علانيةً<sup>(١)</sup> وبعلمها بين أيدي القوم محتَمَلُ  
ثم شهقت فانت ، فما رأيتُ أعجبَ من الثلاثة : الطي مذبوح ، والرجل  
جريح ميت والفتاة ميتةٌ .

فأمره عبيد الله ببال آخر . ثم أقبل إلى أخيه محمد بن عبد الله بعد خروج  
الزبير ، فقال : إن الذي أخذناه من الفائدة في خبره أكثرُ عندي مما أعطينا من  
الحبَاء<sup>(٢)</sup> والصلة .

---

(١) علانية : ظاهرة (٢) الحباء : العطاء .

١٣٢ — جوائز الصلّاة \*

كان ابن المدبر إذا مدحه شاعر فلم يرضَ شعره قال لغلامه : امض به إلى المسجد الجامع ، فلا تفارقه حتى يصلّى مائة ركعة ! ثم خلّه .  
فتحمامه الشعراء إلا الأفراد الجيدين ، فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري ، فاستأذنه في النشيد ، فقال : قد عرفت الشرط ؟ قال : نعم ! وأنشده :

أردنا في أبي حسنٍ مديحاً      كما بالمدح يُنتجع الولايةُ  
فقلنا : أكرمُ الثقلين طراً      ومن كفاه دجلةُ والفراتُ<sup>(٢)</sup>  
فقللوا : يَقْبَلُ المدحَاتِ لکن      جوائزُهُ عليهن الصَّلَاةُ  
فقلتُ لهم : وما تُفني صلاتي      عيالي ، إنما الشأنُ الزكاةُ  
فيأمر لي بكسر الصاد منها      فتصبح لي الصَّلَاةُ هي الصَّلَاتُ

فضحك واستظرفه ، وقال : من أين أخذت هذا ؟ قال . من قول أبي تمام الطائي :

هذا الحمام فإن كسرت عيافة<sup>(٣)</sup>      من حائهن فإيهن حِمام<sup>(٤)</sup>

فأحسن صلته .

\* زهر الآداب : ٢ - ١٨١

(١) انتجع فلاناً : أتاه يطلب معروفه (٢) الثقلين : الإنس والجن (٣) عفت الطير عيافة : زجرتها ، وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فتتسعد أو تتشامم . (٤) الحمام : الموت .

١٣٣ — مامعى إلا قفأى\*

كان رجل ببغداد يعرف بابن المغازلى يتكلم على الطريق ، ويقصُّ على الناس أخباراً ونوادِر ومضحك ، وكان فى نهاية الحدِّق لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه إلا يضحك .

قال : وقت يوماً فى خلافة المعتضد<sup>(١)</sup> على باب الخاصة ، فحضر حلقتى بعضُ خدم المعتضد ، فأخذت فى حكاية الخدم ، فأعجب خادم بحكايتى وشُغِف بنوادرى ثم انصرف عنى .

فلم يلبث أن عاد إلى وأخذ بيدي ، وقال : إني لما انصرفت عن حلقتك دخلت : فوقفتُ بين يدي المعتضد أمير المؤمنين ، فذكرت حكايتك ، وما جرى من نوادرِكَ فاستضحكت ، فرآنى أمير المؤمنين ، فأنكر ذلك منى ، وقال : ويلك ، مالك ا فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ على الباب رجل يعرف بابن المغازلى يضحك ويحاكى ، ولا يدع حكاية أعرابى وتركى ومسكى ونحوى وزنجى وخادم إلا حكاها ، ويخلط ذلك بنوادِر تضحك التآكل وتُصبي الحليم ، وقد أمرنى بإحضارك ، ولى نصف جائزتك . فقلت له ، وقد طمعت فى الجائزة السنوية : يا سيدى ؛ أنا ضعيف وفقير ، وقد منَّ الله على بك ، فما عليك إن أخذت بعضها ؛

\* السمردى : ٢ - ٢٤٤

(١) بوبع بالخلافة بعد وفاة عمه المعتضد سنة ٢٧٩ هـ ، وظهر بمظهر الخفاء العالمين ، وكان عارفاً بالأدب موصوفاً بالحلم ، توفى سنة ٢٨٩ هـ .



سُدَّسَهَا أَوْ رُبَعَهَا ، فَأَبَى إِلَّا نَصْفَهَا ، فَطَمَعْتُ فِي النِّصْفِ ، وَقَنَعْتُ بِهِ .  
فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَدْخَلَنِي عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ وَأَحْسَنْتُ ، وَوَقَفْتُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أُوقِفْتُ  
فِيهِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، وَقَدْ كَانَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ فِي أَكْثَرِهِ أَطْبَقَهُ ،  
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ ، وَقَالَ : أَنْتَ ابْنُ الْمَازَلِيِّ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ :  
قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَحْكِي وَتُضْحِكُ ، تَأْتِي بِحِكَايَاتٍ مَعْجِبِيَّةٍ وَنَوَادِرٍ ظَرِيفَةٍ ، قُلْتُ : نَعَمْ  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ الْحَاجَةُ تَفْتَقُ الْحِيلَةَ ؛ أَجْمَعُ بِهَا النَّاسَ ، وَأَتَقَرَّبُ إِلَى قُلُوبِهِمْ  
بِحِكَايَتِهَا أَلْتَمِسُ بِرَّهْمٍ ، وَأَعِيشُ بِمَا أَنَالُهُ مِنْهُمْ ، قَالَ : فَهَاتِ مَاعِنْدَكَ ، وَخُذْ فِي  
فَنِّكَ ، فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجْرَتُكَ بِخِصْمَانَةِ دَرَاهِمٍ ، وَإِنْ لَمْ أَضْحَكْ فَمَا لِي عَلَيْكَ ؟  
قُلْتُ : مَا مَعِيَ إِلَّا قَفَايَ ، فَاصْفَعُهُ مَا أَحْبَبْتَ ، وَكَمْ سَنَتْ وَبِمَا سَنَتْ ! فَقَالَ لِي :  
قَدْ أَنْصَفْتَ ؛ إِنْ ضَحَّيْتُ فَلَكَ مَا ضَمَنْتَ ، وَإِنْ أَنَا لَمْ أَضْحَكْ صَفَعْتُكَ بِهَذَا  
الْجِرَابِ عَشْرَ صَفَعَاتٍ .

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَلِكٌ لَا يَصْفَعُ إِلَّا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ خَفِيفٍ هِينٍ ؛ ثُمَّ التَفْتُ ، وَإِذَا  
أَنَا بِجِرَابٍ أَدَمٍ نَاعِمٍ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ قَلْتُ فِي نَفْسِي : مَا أَخْطَأَ حَزْرِي (١) وَلَا أَخْلَفَ  
ظَنِّي ، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ جِرَابٍ فِيهِ رِيحٌ ! إِنْ أَضْحَكْتَهُ رَجَحْتُ ، وَإِنْ أَنَا لَمْ  
أَضْحَكْ فَأَمْرٌ عَشْرَ صَفَعَاتٍ بِجِرَابٍ مَنْفُوخٍ هِينٍ .

ثُمَّ أَخَذْتُ فِي النُّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ ، فَلَمْ أَدْعُ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ  
وَلَا قَاضٍ ، وَلَا عِبَارَةَ وَلَا نَادِرَةَ ، وَلَا حِكَايَةَ ، إِلَّا أَحْضَرْتُهَا ، وَأَتَيْتُ بِهَا حَتَّى تَفِدَّ  
جَمِيعُ مَاعِنْدِي ، وَتَصْدَعُ رَأْسِي ، وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ إِلَّا هَرَبَ ، وَلَا غَلَامٌ إِلَّا  
ذَهَبَ لَمَّا اسْتَفْرَزَهُمُ الضَّحْكُ .

(١) الحزر : التقدير والظن .

فقلت : قد نَفِدَ - والله يا أمير المؤمنين - مامعى ، وتصدَع رأسى ، وذهب معاشى ، وما رأيتُ قطَ مثلك ، وما بقيت لى إلا نادرة واحدة ، فقال : هاها انقلت : يا أمير المؤمنين ؛ وعدتُ تنى أن تصفنى عشراً ، وجعلتها مكان الجائزة ؛ فأسألك أن تضعف الجائزة ، وتضيف إليها عشراً ؛ فأراد أن يضحك ، فاستمسك ، ثم قال : نفعل . يا غلام ؛ خذ بيده ، فأخذ ييدى ، ومددتُ قفاى ؛ فصنعت بالجراب صنعة ، فكأنا سقط على قفاى قلعة ، وإذا فيه حصى مدور ، كأنه صنجات ، فصنعت به عشراً ، كادت أن تنفعل رقبتي ، وينكسر عنقى ، وطنتُ أذناى ، وقدح الشعاع من عيني .

فلما استوفيت العشرة صِحتُ : ياسيدى ؛ نصيحة ، فرفع الصنع عنى ، فقال : مانصيحتك؟ قلت : ياسيدى ؛ إنه ليس فى الدنيا أحسنُ من الأمانة ، ولا أقبحُ من الخيانة ، وقد ضمنى للخادم الذى أدخلنى عليك نصفَ هذه الجائزة على قلتها أو كثرتها . وأميرُ المؤمنين - أطال الله بقاءه - بفضله وكرمه قد أضَمَمها ؛ وقد استوفيتَ نصفها ، وبقى لخادمك نصفها .

فضحك حتى استلقى ، واستفرَّه ما كان قد سمعه منى أولاً ، وتحامل له ، وصبر عليه ؛ فسا زال يضرب برجليه ، ويمسك بمرأى<sup>(١)</sup> بطنه ، حتى إذا سكن ضحكُه ، ورجعت إليه نفسه قال : على بفلان الخادم ، فأتى به - وكان طوَّالاً - فأمر بصنعة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أى شىء قضيتى ؟ وأى جناية جنيتى ؟ فقلت له : هذه جائزتى ، وأنت شريكى ، وقد استوفيت نصفها ، وبقى نصيبك منها ، فلما أخذه

(١) المراق : مارق من أسفل البطن ولان ، ولا واحد لها ، أو جم مرق .

الصَّفْع ، وطرق قَفَاه الصافع أقبلت عليه أقول له : أقول لك : إني ضعيف فقير ،  
وشكوتُ إليك الحاجةَ والمسكنة ، وقلت لك : ياسيدي ؛ لا تأخذ نصفها ، لك  
سدسها ، لك ربعها ، وأنت تقول : ما آخذ إلا نصفها ، ولو علمت أن أمير المؤمنين -  
أطال الله بقاءه - جوائزُه صَفْعٌ ، وهَبْتُها لك كلها ؛ فعاد إلى الضحك .

فلما استوفى صَفْعَه ، وسكن أميرُ المؤمنين من ضحكه أخرج صُرَّةً كان قد أعدّها  
فيها خمسمائة درهم ، ثم قال له - وقد أراد الانصراف - قِفْ ، هذه كنتُ أعددتُها  
لك ، فلم يدعك فضولك حتى أحضرتَ لك شريكاً فيها ، فقلت : يا أمير المؤمنين ،  
وَأين الأمانة ؟ وددتُ أنك تدفعها كلها إليه وتصفعه مع العشرة عشرة أخرى ،  
وتدفع له الخمسمائة الدرهم . فقسم الدراهم بيننا وانصرفنا .

١٣٤ — قد شفى منه صدورنا\*

قال أبو علي الحاتمي<sup>(١)</sup> : كان أبو الطيب المتنبي<sup>(٢)</sup> عند وروده مدينة السلام  
التحف رداء الكبر ، وأذال<sup>(٣)</sup> ذيول التيه ، وصعر خده ، ونأى بجانبه ؛ وكان  
لا يلقي أحداً إلا نافضاً<sup>(٤)</sup> مذرّونه ، رافلا من التيه في برّديه . يخيل إليه أن  
العلم مقصور عليه ، وأن الشعر بحر لم يفترق نيمر مائه غيره ، وروض لم يزع  
نوّاره سواه ، فدلّ بذلك مديدة أجرته رسن<sup>(٥)</sup> الجهل فيها ، فظل يمرح في  
تذنيه . حتى تخيل أنه القريع<sup>(٦)</sup> الذي لا يقارع ، والزرع<sup>(٧)</sup> الذي لا يجارم ولا  
ينازع ، وأنه ربّ القلب وما لك القصب ، وثقلت وطأته على أهل الأدب  
بمدينة السلام .

فطأ كثيراً منهم رأسه ، وخفض جناحه ، وطمأن على التسليم له جأشه<sup>(٨)</sup> ،  
وتخيل أبو محمد المهلبى أن أحداً لا يقدر على مساجلته ومجاراته ، ولا يقوم  
لتتبعه بشيء من مطاعنه ، وساء معز الدولة أن يرده عن حضرة عدوه رجل ،

\* معجم الأدياء : ١٨ - ١٥٩

(١) هو محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي من أهل اللغة والأدب . مات سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة  
(٢) هو أحمد بن الحسين ، أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعاني الدقيقة والمخترة ،  
ولد بالكوفة ونشأ بها ، وتأدب بفصاحة أهل البدو ، ومدح سيف الدولة من أهل الشام ، ومدح  
كافوراً بمصر ، ومدح عضد الدولة أعظم ملوك بني بويه ووزيره ابن العميد ، وقتل قرب بغداد  
سنة ٣٥٤ هـ (٣) أذال : تخرت ، وجر ذيله على الأرض تيهياً (٤) نافضاً : محركا ،  
والمذروان : ناحيتا الرأس (٥) الرسن : الجبل (٦) القريع : الذي يقارعك ، والمفارقة :  
المضاربة بالسيف (٧) الزرع : الشريف من القوم الذي نزع إلى عرق كرم (٨) الجأش :

النفس ، وقيل القلب .

فلا يكون في مملكته أحدٌ يماثلُهُ في صناعته ، ويُساويه في منزِلته .

فنهَدتُ<sup>(١)</sup> حينئذٍ مُتَّبِعًا عُوَارَه ، ومتعقبًا آثارَه ، ومُطْفِئًا نارَه ، ومُهتِكًا أَسْتارَه ، ومقلماً أظْفارَه ، وناشراً مطاويَه ، وممزقاً جلابَ مساويَه ، متحِينًا أنْ تَجْمَعنا دارٌ ، فأجرى أنا وهو في مِضْمَارٍ يُرْفُ فيه السابِقُ من المسبوق ؛ حتى إذا لم أجد ذلك قصدتُ موضعه الذي كان يُحُلُّهُ في رَبَضِ حُمَيْدٍ<sup>(٢)</sup> .

فوافقَ مَصِيرِي إليه حضورَ جماعةٍ تقرأ شيئًا من شعره عليه ، فحين أُوذِنَ بحضوري ؛ واستوُذِنَ عليه لدخولي نهضَ عن مجلسه مُسرِّعًا ، ووارى شخصه عني مُسْتَخْفِيًا ؛ فنزلتُ عن بغلَةٍ كانت تحتي ، وهو يراني نازلًا عنها ؛ لاتبأني بها إلى أن حاذَيْتُهُ ، فجلستُ في موضعه ، وإذا تحته قطعة من « زيلو »<sup>(٣)</sup> مُخْلَقَةٌ ، قد أكلتها الأيامُ ، وتعاوَرَتْهَا السنون ؛ فهي رسومٌ خافية ، وسلوكٌ<sup>(٤)</sup> بادية ، حتى إذا خرج إلى نهضتُ إليه فوفيته حق السلامِ ، غير مُشَاحٍ<sup>(٥)</sup> له في القيام ؛ لأنه إنما اعتمدَ بنهوضه ألا ينهض لي عند مُوافقاني .

وإذا هو قد لبس سبعة أقبية ؛ كلَّ قَبَاءٍ<sup>(٦)</sup> منها لون ، وكان الوقتُ آخر أيام الصيف ، وأخْلَقَهَا بتخفيف اللبس ؛ فجلستُ وجلس ، وأعرَضَ عني ساعة لا يُعِيرُنِي فيها طَرْفَه ، ولا يسألُنِي عما قصدتُ له ، وقد كِدْتُ أُمَيِّرُ<sup>(٧)</sup> غِيظًا ، وأقبلتُ أسخفُ رأْيِي في قَصْدِهِ ، وأفندُ نفسي في التوجُّهِ نحوَ مثله ، ولَوَيْ عِدَارَه عني مقبلًا على تلك الزُّعْفَةِ<sup>(٨)</sup> التي بين يديه ، كلَّ واحدٍ يومي إليه ، ويوحى

(١) نهد : نهض ، وعواره : عيبه (٢) ربض حميد : موضع (٣) زيلو : معناها لحاف بالفارسية .  
(٤) السلوك : جمع جمع لسلكة ، وهي الحيط الذي يحاط به الثوب (٥) منازع (٦) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب (٧) أُمَيِّرُ : أقطع (٨) الزعفة : الطائفة من القبيلة تنفرد أو تنضم لى غيرها ، وكل جماعة ليس أصلهم واحدًا .

بطرفه ، ويشير إلى مكاني بيده ، ويوقظه من سِنَّةٍ جهله ؛ وهو يأبى إلا ازوراراً  
ونقاراً ، وجرياً على شاكلةٍ خَلَقَهُ المشكلة .

ثم رأى أن يثني رأسه إلى ؛ فوالله ما زادني على أن قال : أى شيء خبرك ؟  
قلت : أنا بخير ، لولا ما جنيتُ على نفسي من قَصْدِكَ ، وكَلَفْتُ قَدَمِي في المصير  
إلى مثلك ؛ ثم تحدّرتُ عليه تحدُّرَ السيلِ إلى القَرَارِ ، وقلتُ له : أبن لي -  
عفاك الله - مَ تِهَكَ وخَيْلاؤُكَ وعُجْبُكَ ؟ وما الذى يوجبُ ما أنتَ عليه من  
التجَبُّرِ والتَّمَرُّ (١) ؟ أنسبُ فرَعَتِ سماءِ المجدِ به أم عِلْمُ أصبحتَ علماً يقعُ الإيماءُ  
إليك فيه ! هل أنتَ إلا وَتِدٌ بِقَاعٍ (٢) في شرِّ البقاع ؟ وجفَاء (٣) سيلٍ دَفَاعٍ !  
يا لله ! استنَّتِ الفِصَالُ حتى القرعى (٤) ؛ وإني لأسمعُ جَعَجَعَةً (٥) ولا  
أرى طِحْنًا .

فامتقعَ لونه عند سماعِ كلامي ، وعَصِبَ (٦) ريقه ، وجَحَظَتِ عيناه ، وسُقِطَ  
في يده ، وجعل يلينُ في الاعتذارِ لينا ، كاد يَعْطِفُ عليه عِظْفَ صَفْحِي عنه .

ثم قلت : يا هذا ؛ إن جاءك رجلٌ شريفٌ في نسبه تجاهلتَ نسبه ، أو عظيمٌ  
في أدبه صغرتَ أدبه ، أو مُتَقَدِّمٌ عند سلطانِه لم تعرِّفَ موضعه ؛ فهل العِزُّ تُرَاثٌ  
لك دون غيرك ؟ كلا والله ؛ لكنك مددتَ الكِبْرَ سِترًا على نَقْصِكَ وضربتهُ  
رِوَاقًا دون جَهْلِكَ .

فعاد إلى الاعتذارِ ، وأخذتِ الجماعةُ في تليينِ جانبي ، والرغبةِ إلى في قبولِ

(١) التمر : التشبه بالتمر ، والتمر لا يلقى إلا متكرراً غضبان (٢) القاع : أرض سهلة مطمئنة  
(٣) ما فناه السيل من الزيد (٤) مثل يضرب للرجل يدخل نفسه في قوم ليس منهم ، والقرعى  
من الفصال : الذى أصابها قرع ، وهو بر ، والاستنان : النشاط (٥) مثل يضرب للذى يكتر  
الكلام ولا يعمل ، ولذى يمد ولا ينى ، والجمجمة : صوت الرحي ونحوها ، والطحن : الدقيق -  
(٦) عصب : جف .

عُذْره ، واعتماد مُيَاسِرَتِهِ ، وأنا آبَى إِلا اسْتِشْرَاءً<sup>(١)</sup> واجْتِزَاءً ، وهو يُوَكِّدُ الأقسام ويواصلها أنه لم يعرفني ؛ فأقول له : يا هذا ؛ أَلَمْ يُسْتَأْذَنْ لِي عَلَيْكَ بِاسْمِي وَنَسْبِي ! أَمَا فِي هَذِهِ العِصَابَةِ مَنْ يُعْرِفُكَ بِي لَوْ كُنْتَ جِهَلْتَنِي ! وَهَبْ ذَلِكَ كَذَلِكَ ؛ أَلَمْ تَرِنِي مُتَمَطِّيًّا بَغْلَةً رَائِعَةً يَعْلُوها مَرْكَبٌ ثَقِيلٌ ، وَبَيْنَ يَدَيَّ عِدَّةٌ مِنَ العِلمَانِ ؟ أَمَا شَاهَدْتَ لِبَاسِي ؟ أَمَا شَمِمْتَ نَشْرَ عَطْرِي ؟ أَمَا رَاعَكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي أَمْتَمِزُ بِهِ فِي نَفْسِكَ عَنْ غَيْرِي ؟ وَهُوَ فِي أَثْنَاءِ مَا أَكَلَهُ يَقُولُ : خَفَضَ عَلَيْكَ ، اِرْفُقْ ، اسْتَأْنِ<sup>(٢)</sup> ؛ فَأُصْحَبَ<sup>(٣)</sup> جَانِبِي بَعْضَ الإِصْحَابِ ، وَلَانَ شِمَاسِي<sup>(٤)</sup> بَعْضَ اللَّيَّانِ ؛ وَأَقْبِلْ عَلَيَّ ، وَأَقْبِلْتُ عَلَيْهِ سَاعَةً .

ثم قلت : أشياء تختلجُ في صدري من شعرك أحبُّ أن أراجمك فيها ، قال :  
وما هي ؟ قلت : خبرني عن قولك :

فإن كان بعضُ الناس سيفًا للدولةِ  
ففي الناسِ بوقات لها وطبُولُ  
أهكذا يمدحُ الملوكُ ! وعن قولك :

ولا من في جنازِها تجارُ  
يكون وداعها نفضُ النعالِ  
أهكذا تُؤبِّنُ أخوات الملوكِ<sup>(٥)</sup> ! والله لو كان هذا في أذني عبدها لكان قبيحًا .  
وأخبرني عن قولك :

خَفَّ اللهُ وَاسْتَرُ ذَا الْجَمَالِ بِبُرْقِعِ  
فإن لَحْتَ ذَابَتْ فِي الخُدُورِ العِوَاتِقُ<sup>(٦)</sup>

(١) استشراء : لجاجة وعنادا (٢) استأن : لا تعجل (٣) أصحب جاني : انقاد  
(٤) شماسي : امتناعي وإبانئي (٥) المعروف أن هذا البيت من قصيدة المتنبي في رثاء والده  
سيف الدولة وأولها :

نعد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال

(٦) العواتق ، جمع عاتقة : الجارية أول ما أدركت ، والخدور : الستور .

أهكذا تنسبُ بالحبوبين ! وعن قولك :

وإذا أشار محدثاً فكانه قِرْدٌ يُقَهِّقُهُ أو عجوزٌ تَلْطِمُ

أما كان لك في أفانين الهجاء التي تصرفت فيها الشعراء مندوحة عن هذا الكلام الرذال الذي ينفر عنه كل طبع ، ويمجّه كل سمع ! وعن قولك :

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً  
أفعلم مرثياً يتناوله النظر لا يقع عليه اسم شيء ! وما أراك نظرت إلا إلى  
قول جرير :

مازلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكره عليهم ورجالاً

فأحلت المعنى عن جهته ، وعبرت عنه بغير عبارته ؛ وعن قولك :

أليس عجيباً أن وصفك معجز وأن ظنوني في معاليك بظلم<sup>(١)</sup>

فاستعرت الظلم لظنونك ، وهي استعارة قبيحة ! وتمجبت من غير متمجّب ،  
لأن من أعجز وصفه لم يستنكر قصور الظنون وتحيرها في معاليه ، وإنما نقلته  
وأنشدته من قول أبي تمام :

ترقت مناه طود عزي لو ارتقت به الريح فترا<sup>(٢)</sup> لائنت وهي ظالم

وعن قولك تمدح كافوراً :

فإن نلت ما أملت منك فربما شربت بماء يُعجزُ الطير ورده  
إنها مدح أو ذم ! قال : مدح ! قلت : إنك جعلته بخيلاً لا يوصلك إلى خيره  
من جهته ، وشبهت نفسك في وصولك إلى ما وصلت إليه منه بشربك من ماء  
يُعجزُ الطير ورده لبعده وتراحي موضعه .

(١) الظلم : الغمز في المشي (٢) الفتر : ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة .



وأخبرني أيضا عن قولك في صفة كلبٍ وظبي :

وصارَ ما في جلدهِ في المرَجَلِ فلم يَضْرُنا معه فَقَدُ الأجدلِ (١)

فأى شيء أعجبك من هذا الوصف؟ أعذوبة عبارته؟ أم لطف معناه؟ أما قرأت رَجَز (٢) ابن هاني وطَرَد (٣) ابن المعتز؟ أما كان هناك من المعاني التي ابتدعها هذا الشاعران وغرر المعاني التي اقتنصاها ما تتشاغلُ به عن بُنيات صدرِك هذه؟ وألا اقتصرت على ما في أرجوزتك هذه من الكلام السليم، ولم تُسِف إلى هذه الألفاظ القلقة والأوصاف المختلفة!

فأقبل على، ثم قال: أين أنت من قولي:

كان الهام (٤) في الهيجا عيونٌ وقد طبعت سيفك من رقاد  
وقد صفت الأسننة من هومٍ فما يخطرُن إلا في الفؤاد

وأين أنت من قولي في صفة جيش:

في فيلتي (٥) من حديد لو رميت به صرفَ الزمانِ لما دارت دوائرُهُ  
وأين أنت من قولي:

لو تعقلُ الشجرُ التي قابلتها مدت محييةً إليك الأغصنا

وأين أنت من قولي:

---

(١) الضمير في جلده للظبي، والمرجل: القدر من النحاس، والضمير في معه للكلب، والأجدل: الصقر (٢) الرجز: ضرب من الشعر ووزنه مستعملن ست مرات (٣) الطرد: مزاولة الصيد، وهو يريد ما قيل فيه من الشعر (٤) الهام: جمع هامة، والهيجاء من أسماء الحرب، وطبع السيف: طرقة (٥) الفيلق: الجيش. وجملة من حديد لكثرة ما عليه من الدروع، وصرف الزمان: حدثانه ..

أَيَدْحُ<sup>(١)</sup> فِي الْخِيَمَةِ الْعَدْلُ وَتَشْمَلُ مِنْ دَهْرَهَا يَشْمَلُ !  
وَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا<sup>(٢)</sup> وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفَعَّلُ

وَفِيهَا أَصِفُ كِتَابَةً :

وَمَلَمُومَةٌ<sup>(٣)</sup> زَرَدٌ ثَوْبُهَا وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَا مُحْمَلٌ

وَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ قَوْلِي :

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ وَالدهرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ  
وَالجودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاطِرُهَا وَالبأسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ

أَمَّا يُبْلِيهِكَ إِحْسَانِي فِي هَذِهِ عَنْ إِسَاءَتِي فِي تِلْكَ !

قلت : ما أعرفُ لك إِحْسَانًا فِي جَمِيعِ مَا ذَكَرْتَهُ ؛ إِنَّمَا أَنْتَ سَارِقٌ مُتَّبِعٌ ،  
وَأَخَذْتُ مَقْصَرٌ ، وَفِيمَا تَقْدَمُ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي ابْتَكَّرَهَا أَصْحَابُهَا مَنْدُوحَةٌ عَنْ  
التَّشَاغُلِ بِقَوْلِكَ . فَأَمَّا قَوْلِكَ :

كَانَ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عَيُونٌَ وَقَدْ طُبِعَتَ سَيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ

فَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ بَيْتِ مَنْصُورِ النَّمِيرِيِّ :

فَكَأَنَّمَا وَقَعُ الْخُطَامُ بِهَامِهِ خَدَرَ الْمَنِيَّةِ أَوْ نُعَاسُ الْهَاجِمِ

وَأَمَّا قَوْلِكَ :

فِي فَيْلَقِي مِنْ حَدِيدٍ لَوْ رَمَيْتَ بِهِ صَرَفَ الزَّمَانِ لِمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ

فَنَقَلْتَهُ نَقْلًا لَمْ تُحَسِّنْ فِيهِ ، مِنْ قَوْلِ النَّاجِمِ :

(١) ضربت خيمة لسيف الدولة فسقطت من ريع هبت (٢) تقويضها : هدمها ، واعتد  
الأمر : قصده (٣) ملومة : مجموعة مضمونة . والمحمل : ما جعل له خل ، وهو هذب التغطية ونحوها .

ولى فى حامدٍ أملٌ بعيدٌ ومدحٌ قد مدحتُ به طريفٌ  
مدحٌ لو مدحتُ به الليالى لما دارتُ على لها صروفٌ

والناجمُ إنما نظمه من قول أرسطاليس ، قد تكلمت بكلام لو مدحتُ به الدهر  
لما دارتُ على صروفه :

وأما قولك :

لو تعقلُ الشجرُ التى قابلتها مدتُ محييةً إليك الأعضنا  
فهذا معنى متداول ، تساجلته<sup>(١)</sup> الشعراء ، وأكثرتُ فيه ؛ فمن ذلك قول  
القرزوق :

يكاد يُمسكه عرفان راحته ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ  
ثم تكرَّرَ فى أفواه الشعراء ، إلى أن قال أبو تمام :  
لو سعتُ بقعةً لإعظامٍ أخرى لَسَعَى نحوها المكانُ الجديبُ  
وأخذهُ البحتريُّ فقال :

لو أن مُشتاقاً تكلفَ فوق ما فى وسعهِ لمشى إليك المنبرُ  
وأما قولك :

وما اعتمد الله تقويضها وإلكن أشار بما تفعلُ  
فقد نظرتُ فيه إلى قول رجلٍ مدح بعض الأسماء بالموصل ، وقد كان عزم على  
السَّيرِ فاندقَ لواءه ، فقال :

ما كان مُندقَ اللواءِ لريبةٍ تُخشى ولا أمرٍ يكون مزيبلاً<sup>(٢)</sup>

(١) تساجلته : تبارت فيه (٢) زيله : فرقه .

لكن لأن العود ضعف متنه صغر الولاية فاستقل الموصلاً  
وأما قولك :

ومدومة زرد ثوبها ولكنه بالقنا مخمل  
فمن قول أبي نواس :

أمام خيس<sup>(١)</sup> أرجوان كانه قيص محوك من قنا وجياد<sup>(٢)</sup>  
وأما قولك :

الناس مالم يروك أشباه والدهر لفظ وأنت معناه  
فمن قول علي بن نصر بن بسام في عبيد الله بن سليمان يرثيه :

قد استوى الناس ومات الكمال وصاح صرف الدهر : أين الرجال !  
هذا أبو القاسم في نعتيه قوموا انظروا كيف تزول الجبال !

فقوله : « قد استوى الناس ومات الكمال » هو قولك : « الناس مالم يروك

أشباه » .

فقال بعض الحاضرين : ما أحسن قوله ! « قوموا وانظروا كيف تزول الجبال ! »

فقال أبو الطيب : اسكت ؛ ما فيه من حسن ، ألم يسرقه من قول

الناطقة الذيباني :

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن الجبال جنوحاً

قال الحاتمي : فقلت : قد سرقه الناطقة من أوس حين قال :

ألم تكسف الشمس شمسها رِ والبدر للقمر الواجب<sup>(٣)</sup>

• (٣) الواجب : الغائب .

(٢) جمع جيد : المدرعة الصغيرة

(١) الخيس : الجيب

لَقَدْ فَضَالَةٌ لَا يَسْتَوِي أَلَّا قَعُودُ وَلَا خَلَّةُ الذَّاهِبِ  
ثم قلت : والله لئن كان أخذه فقد أحسن ، وأخفى الأخذ .

فقال الرجل : أجل ، فقال المتنبي : يَا مُحَسَّدُ ؛ خذ بيده ، وأخرجْه - يريد  
بمحسّد ابنه - فراجعته إلى أن ترّكّه ، ثم قلت له : وأما قولك : « والدهرُ لفظٌ  
وأنتَ معناه » فمتقول من قول الأخطل - إن كان البيت له - في عبد الملك بن مروان :  
وإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهرِ ، لا عارٌ بما فعل الدهرُ  
وقد قال جريرٌ :

أنا الدهرُ يفنى الموتُ والدهرُ خالد  
فجئني بمثل الدهر شيئاً تطاوله  
حين قال له الفرزدق :

فإني أنا الموتُ الذي هو نازلٌ بنفسك فانظرْ كيف أنت تحاوله  
أفتري أن جريراً أخذ قوله : « يفنى الموت » من أحدٍ ؟ وأن أحداً شمركه  
في إفناء الموت ؟ ففكر طويلاً ، ثم قال : لا ! قلت : بلى ، عمران بن حيطان  
حيث يقول :

لن يُعجز الموتَ شيءٌ دون خالقه والموتُ فإن إذا ما ناله الأجلُ  
وكلُّ كَرَبٍ أمامَ الموتِ مُتَضِعٌ بالموتِ والموتُ فيما بعده مجلّسٌ  
فأمات الموت ، وأحياه ، وما سبقه إلى ذلك أحد .

ثم قلت له : أترى أن البيت المتقدم ، الذي يقول فيه :

وإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهرِ لا عارٌ بما فعل الدهرُ  
ماخوذٌ من أحدٍ ؟ فأطرق هنيئاً ، ثم قال : وما تصنع بهذا ؟ قلت : يُستدلُّ

على موضعك ، ومواقع أمثالك من سرقة الشعر ! فقال : الله المستعان ؛ أساء سمعاً  
فأساء إجابة ! ما أردتُ ما ذهبتَ إليه . قلت : فإنه أخذه من قول النابغة ، وهو  
أول من ابتكره :

وَعَيَّرَنِي بِنُو ذُبْيَانَ خَشِيَّتَهُ      وما على بأن أخشاك من عار  
ثم أخذه أبو تمام فأحسنَ بقوله :

خشعوا لَصَوْلَتِكَ التي هي فيهمُ      كالموتِ يأتي ليس فيه يُعَار  
قال : ومن أبو تمام ؟ قلت : الذي سرقتَ شعره ، فأنشدته . قال : هذه  
خلائقُ السفهاء ، لا خلائقُ العلماء . قلت : أجل ، أنت سفهتَ رأيي ولم يكن  
سفيهاً ، ألسنتُ القائل :

ذِي الْعَالِي فَلْيَمْلُونُ مَنْ تَعَالَى      هكذا هكذا وإلا فلا  
شرفٌ ينطحُ الثريا بِرَوْقِيهِ <sup>(١)</sup>      وخرُّ يُقلقلُ الأجيالاً  
قال : بلى ، قلت : فإنك أخذتَ البيتَ الأولَ من بيت بكرِ بن النطاح :  
يتلقى الندى بوجهِ حبي      وصدورَ القنأ بوجه وقاح  
هكذا هكذا تكون المعالي      طرُقُ الجدِّ غيرُ طرُقِ المزاح  
وأخذتَ البيتَ فأنشدته من قول أبي تمام :

هَمَّةٌ تنطحُ الثريا وَجَدُّ      آلفٌ للحضيضِ فهو حضيضُ  
قال : وبأي شيء أفسدته ؟ قلت : بأن جملتَ للشرفِ قرناً . قال : وأتى لك  
بذلك ؛ قلت : ألم تقل : ينطحُ السماء بِرَوْقِيهِ ، والروقان : القرنان ؟ قال : أجل !  
إنما هي استعارة . قلت : نعم ، هي استعارة خبيثة .

قال : أقسمتُ غيرُ مُخْرَجٍ في قسَمي إنني لم أقرأ شعراً قطُّ لأبي تمامكم هذا !  
قلت : هذه سوءةٌ لو سترتها كان أولى ا قال : السوءةُ قراءةُ شعرٍ مثله ؛  
أليس هو القائلُ :

خَشِنْتُ عَلَيْهِ أختَ بني خُشَيْنِ وَأُنَجِّحُ فِيكَ قولُ العاذِلَيْنِ  
والذي يقول :

لمعري ، لقد حرَّرتُ يومَ لَقِيتهُ لو أنَ القضاءَ وحدَه لم يُرَدِّدِ  
والذي يقول :

تَكَادُ عطاياهُ يَمُنُّ جُنُونُهَا إذا لم يَمُودَّهَا (١) بِنِعْمَةِ طَالِبِ  
والذي يقول :

تسعون ألفاً كآسادِ الشَّرَى (٢) نَضِجَتْ أعمارُهُم قَبْلَ نُضْجِ التَّيْبِ والعَنَبِ  
والذي يقول :

ولَّى ولم يَظْلَمْ وهل ظَلَمَ امرؤٌ حثَّ النَّجَاءَ (٣) وخَلَفَهُ التَّنِينُ  
والذي يقول :

كانوا رِداءَ زمانِهِم فتصدَّعوا فكأنما لَبَسَ الزمانُ الصُّوفاً  
والذي يقول :

أقول لَمَرَّ حَانَ مِنَ البَيْنِ لم يُصِبْ رَسِيسَ (٤) الهوى بين الحشا والترائب  
ما قَرَّحَانَ البَيْنِ ؟ أحرَمَ اللهُ لِسَانَهُ ! فأحفظني (٥) ذلك وقلت : يا هذا ؛ مِنْ

(١) يمودها : يحفظها (٢) الشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل (٣) النجاء :

السرعة في المشي (٤) رسيس الهوى : بقيته وأثره (٥) فأحفظني : فأغضبني .

أَدَلَّ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّكَ قَرَأْتَ شِعْرَ هَذَا الرَّجُلِ تَتَبَّمُكَ مَسَاوِيهِ ؛ فَهَلْ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى  
اِخْتِلَاقِكَ إِسْكَارَهُ أَوْضَحُ مِمَّا ذَكَرْتَهُ ؟ وَهَلْ يَصِمُ أَبَاتِمًا أَوْ يَسِمُهُ بِمِيسَمِ  
النَّقِيسَةِ مَا عَدَدْتَهُ مِنْ سَقَطَاتِهِ ، وَتَحْوَنَتَهُ <sup>(١)</sup> مِنْ أَبْيَاتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي  
النُّونِيَةِ :

نَوَالِكُ رَدِّ حُسَادِي فُلُؤْلَاءَ وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَبِي وَبَيْنِي  
فَهَلَّا اغْتَفَرْتَ الْأَوَّلَ لِهَذَا الْبَيْتِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ !  
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرِيِّ نَضِجَتْ أَعْمَارُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ التِّينِ وَالْعَنْبِ <sup>(٢)</sup>  
فَلِهَذَا الْبَيْتِ خَبْرٌ لَوْ اسْتَفْرَيْتَ صُحُفَهُ لِأَقْصَرْتَ عَمَّا تَنَاوَلْتَهُ بِالطَّعْنِ فِيهِ .  
ثُمَّ قَصَصْتُ الْخَبْرَ ، وَقُلْتُ : فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْ مُتَقَدِّمِي  
الشُّعْرَاءِ وَأَمْرَاءِ الْكَلَامِ وَأَرْبَابِ الصَّنَاعَةِ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ .

قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قُلْتُ : لَوْ قَالَ قَائِلُ : إِنْ أَحَدًا لَمْ يَبْتَدِئْ بِأَوْجَزٍ وَلَا أَحْسَنَ  
وَلَا أَخْصَرَ مِنْ قَوْلِهِ :

السِّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حُدِّهِ الْهَدْيُ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ  
لَمَّا عَنَّ فِي ذَلِكَ ، وَفِيهَا يَقُولُ :

---

(١) تحوته : تنقصته (٢) أى أن جيش العدو كان تسعين ألفاً حل أجلمهم قبل أن ينضج  
التين والعنب ، وفي هذا تهكم بالمنجمين والبيت من قصيدته التي ابتدأها بقوله :  
السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب  
وقد حكوا أن المنجمين كانوا حنبروا المتصم فتح عمورية في هذا الأوان ، وقالوا : لانا نجد في  
الكتب أنها لا تفتح إلا في وقت نضج التين والعنب فلم يسمع المتصم لقولهم ، وسار بجيشه  
ففتحها .



رمى بك الله بُرْجِيهَا فهدمها ولورمى بك غيرُ الله لم يُصِب  
وفيها يقول :

فتحُ تفتحُ أبوابُ السماء له وتبرزُ الأرضُ في أنوابها التُّسْبِ  
وفيها يقول :

بِكْرُوما افتَرَعْتَهَا كفتُ حادثةٍ ولا ترقُتُ إليها همةُ التُّوبِ  
وفيها يقول :

غادرتُ فيها بهيمَ الليلِ وهو ضُحَى يشله (١) وسَطَهَا صُبْحُ من اللَّهَبِ  
حتى كان جلايبَ الدُّجَى رَغَبْتُ عن لونها ، وكانَ الشمسِ لم تَفِ  
وفيها يقول :

أجبتُهُ (٢) مُعَلِنًا بالسيفِ مُنْصَلِتًا ولو أجبتَ بغيرِ السيفِ لم تجب  
وأما قوله :

أقول لقرحانٍ من البين... فإنه يريد رجلاً لم يَقْطَعه أحبابه ، ولم يبينوا  
عنه قبل ذلك ، إذا كانت حاله كذلك كان موقعُ البين أشدَّ عليه ، وأفتَ في  
عضده ، والأصلُ في هذا : أن القُرْحَانَ الذي لم يُجَدَّرْ (٣) قط ، وقد  
قال جرير :

\* وكنتُ من زَقَرَاتِ البينِ قُرْحَانًا \*

وفي هذه القصيدة من المعاني الرائعة ، والتشبيهات الواقعة ، والاستعارات

(١) يشله : يطرده ، يقول : إن الليل المظلم صار نهاراً باشتعال النيران التي كانت تطارد الظلام

(٢) المراد صوت المرأة التي استغاثت به (٣) يجدر : يصب بالجدري .

البارعة ما يفتنرُ معه هذا البيتُ وأمثاله . على أنا أبتأ عن صحة معناه وعن أمثاله ،  
فمن ذلك :

إذا العيسُ لاقَتْ بي أبا دُكْفٍ فقد      تقطَّعَ ما بيني وبينَ التَّوائبِ  
يرى أقبَحَ الأشياءِ أُوْبَةَ آمِلٍ      كَسَبَهُ يَدُ المَأْمُولِ حُلَّةَ خَائِبِ  
وأحسنُ من نُورٍ يفتِّحُه النَّدى      يياضُ العطايا في سَوادِ المِطالِبِ  
ولو كان يَفْنَى الشَّعْرُ أفناه ما فَرَّتْ<sup>(١)</sup>      حياضُكُ منه في المِصْورِ النَّواهِبِ  
ولكنه فيضُ العُقُولِ إذا انجَلَّتْ      سحائبُ جُودٍ أُعْقِبَتْ بسحائبِ

فبهره ما أوردته وقصرَ عِنانَ عبارته ، وحبسَ بُنياتِ صدره ، وعقلَ عن  
الإجابة لسانه ، وكاد يشغبُ<sup>(٢)</sup> لولا ماخوفهُ من عاقبةِ شغبِهِ ، وما عرفهُ من  
مكاني في تلك الأيام ، وأن ذلك لا يتمُّ له ، فإزاد على أن قال : قد أكرتَ في  
أبي تمام ، لا قدسَ اللهُ أبا تمام وذوويه !

قلت : ولا قدسَ السارقَ منه والواقعَ فيه ! ثم قلت له : ما الفرقُ في كلام  
العرب بين التقدّيسِ والقدّاسِ والقدّاسِ والقادسِ ؟ فقال : وأى شيءٍ غرضك في  
هذا ؟ قلت : المذاكرة . فقال : بل المهارة<sup>(٣)</sup> ! ثم قال : التقدّيسُ : التطهيرُ في  
كلام العرب ؛ ولذلك سُمِّيَ القُدُسُ قُدْسًا ، لأنه يشتمل على الذي به الطهور ، وكل  
هذه الأحرف تؤول إليه .

قلت : ما أحسبك أنمتَ النظرَ في شيءٍ من علوم العرب ، ولو تقدّمتْ  
منك مطالعةٌ لها لما استجَزتَ أن تجمعَ بين معاني هذه الكلمات مع تباينها ،

(١) ما فرت : ماجت (٢) يشغب : يهيج الشعر (٣) المهارة : المسابة بالبيع من القول .

وذلك لأن «القدّاس» بتشديد الدال : حجرٌ يُلقى في البئر ليُعلمَ به غزارةُ ماؤها من حلتِه ، حكى ذلك ابنُ الأعرابي . والقدّاس ، الجمانُ ، حكى ذلك الخليل ، و « القادس » : السفينة ، قال الشاعر يصف ناقه :

وتَهْفُو بِهَا دِلْهَا مُتَلِعٍ <sup>(١)</sup> كَمَا اقْتَحَمَ الْقَادِسَ الْأَرْدَمُونَ <sup>(٢)</sup>  
فلما علوته بالكلام قال : يا هذا ، مسلمةٌ إليك اللّغة . قلت : وكيف تسلّمها ، وأنت أبو عذرها <sup>(٣)</sup> وأولى الناس بالتحقّق بها والتوشّع في اشتقاقها ، والكلام على أفانينها ! وما أحدٌ أولى بأن يُسأل عن لغته منك . فشرّعت الجماعة الحاضرة في إعفائه وقبولِ عذره ، والتواطؤ <sup>(٤)</sup> له ، وقال كلٌّ منهم : أنت أولى بالمراجعة والمياسرة لمثل هذا الرجل من كل أحد .

وكنتُ قد بلغتُ شفاءَ نفسي ، وعلمتُ أن الزيادة على الحدّ الذي انتهيتُ إليه ضربٌ من البغى لا أراه في مذهبي ، ورأيت له حقّ القدمة <sup>(٥)</sup> في صناعته ، فطأطأت له كتفي ، واستأنفتُ جميلاً من وصفه ، ونهضتُ .

فنهض لي مشيماً إلى الباب ، حتى ركبت ، وأقسمتُ عليه أن يعودَ إلى مكانه ، وتشاغلّت ببقية يومٍ بشغلٍ عنّي لي ، تأخرتُ معه عن حضرةِ المهلب ، وانتهى إليه الخبرُ ، وأتنتني رسله ليلاً ، فأتيتُه ، فأخبرتهُ بالقصة ؛ فكان من سروره وابتهاجه بما جرى ما بعثه على مباركةٍ مُعزِّ الدولة ، قائلاً له : أعلمتَ ما كان من فلان والمتنبّي ؟ قال : نعم ، قد شفّيتُ منه صدورنا !

(١) من أطلع فلان : مد عنقه متطاولاً  
(٢) الأردمون . جمع أردم : وهو الملاح الحافق  
(٣) أبو عذرها : يريد مهاد سبيلها  
(٤) أي موافقته (٥) القدمة : التقيم .

١٣٦ — نقد شعر امرئ القيس \*

وصل إلى حَصْرَةَ سيف الدولة رجل من أهل بغداد ، وكان يَنْقُرُ<sup>(١)</sup> العلماء  
والشعراء بما لم يذفعه . ولا ينكره الوهم .

فتلقاه سيفُ الدولة باليمن ، وأُعجِبَ به إعجاباً شديداً ، فقال يوماً : أخطأ  
لمرؤ القيس في قوله :

كأني لم أركبَ جَوَاداً للذة ولم أتبطنَ كاعباً<sup>(٢)</sup> ذاتَ خَلخال  
ولم أَسْبَأَ<sup>(٣)</sup> الزَّقَّ<sup>(٤)</sup> الرويَّ<sup>(٥)</sup> ولم أقل خَليلِي كَرْمِي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ<sup>(٦)</sup>  
وهذا معدول عن وجهه ، ولا شك فيه .

ف قيل : وكيف ذلك ؟ إنما سبيله أن يقول :

كأني لم أركبَ جَوَاداً ولم أقل خَليلِي كَرْمِي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ  
ولم أَسْبَأَ الزَّقَّ الرويَّ للذة ولم أتبطنَ كاعباً ذاتَ خَلخال  
فيقتن ذكر الخليل بما يشاكلها في البيت كله ، ويقتن ذكر الشراب واللهو  
بالنساء ، ويكون قوله : « للذة » في الشراب أطبع منه في الركوب .

فبُهِتَ الحاضرون ، واهتز سيف الدولة ، وقال : هذا التَهْدِيُّ وحقّ أبي ا  
فقال له بعض الحاضرين من العلماء : أنت أخطأت وطعنت في القرآن إن  
كفتَ تَعَمَّدت .

\* ذيل زهر الآداب : ٢٥٩ .

(١) قمر الرجل : عابه (٢) الكاعب : من نهد نديها (٣) سبأ الخمر : شراها  
(٤) الزق : السقاء (٥) الروي : المروي (٦) أجفل : أسرع وذهب .

فقال سيف الدولة : وكيف ذلك ؟ فقال : قال الله تعالى : ﴿ إِنْ لَكَ إِلَّا  
تَجْمُوعٌ فِيهَا وَلَا تَعْمَى ، وَأَنْتَ لَا تَنْظُمُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ ، وعلى قياسه يجب أن  
يكون : وإن لك ألا تجمّع فيها ولا تنظّم ، ولا تعمرى فيها ولا تضحى ! وإنما عطفه  
امرؤ القيس بالواو التي لا تُوجب تعقيماً ، ولا ترتّبُ ترتيباً <sup>(١)</sup> .  
فجبل وانقطع !

---

(١) روى مثل هذا عن النبي مع سيف الدولة إذ أنشده قصيدته التي مطلعها :  
على قدر أهل العزم تأتي العزائم      وتأتي على قدر الكرام المكارم  
إلى أن قال :

وقفت وماق الموت شك لواقف      كأنك في جفن الردى وهو نائم  
تمر بك الأبطال كلّى هزيمة      ووجهك وضاح وترفك باسم  
فأنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزيهما على صدريهما ، وقال : ينبغي أن تطبق عجز الثانى على  
الأول ، وعجز الأول على الثانى ، وأنت فى ذلك مثل امرئ القيس فى قوله :  
كأنى لم أركب . . . . . الخ

فقال له أبو الطيب : أدام الله عز مولانا ! إن صح أن الذى استدرك هذا على شعر امرئ القيس  
أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس ، وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن البراز لا يعرف الثوب  
معرفة الحائك . . . وإعسا قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن الساحة فى  
شراء الحجر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته  
بذكر الردى ليجانسه ، ولما كان وجه المهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون  
باكية قلت : « ووجهك وضاح » ؛ لأجم بين الأضداد فى المعنى . فأعجب سيف الدولة ووصله  
بمخسائة دينار .

١٣٥ — لا وصل إلا أن يشاء ابن معمر \*

قال الرياشي : اشترى بصرى جاريةً على أرفع ماتكون من الجمال والصباحة ،  
فكلف بها - وكان مثيرياً - فأفق عليها ما في يده حتى أملك<sup>(١)</sup> ؛ فأشارت عليه  
ببيعها شفقةً عليه .

فلما حضرَ بها السوق أخذت إلى ابن معمر - وكان عاملاً على البصرة -  
فاشترها بمائة ألف درهم ، فلما قبض المال وهمَّ بالانصراف أنشدت :

هنيئاً لك المالُ الذي قد حوتَه      ولم يبق في كفيِّ غيرُ التذكُرِ  
أقولُ لنفسي وهيَ في غشيِّ كُرْبَةٍ      أقلُّ فقدَ بانَ الحبيبُ أو اكثري  
إذا لم يكن للأمرِ عندى حيلةٌ      ولم تجدى شيئاً سوى الصبرِ فاصبري  
فاشئتُ بكاء مولاها ، وأنشد :

فلولا تعودُ الدهرِ بي عنك لم يكنْ      يفرقنا شيءٌ سوى الموتِ فاصبري  
أروحُ بهمَّ في الفوائدِ مبرِّح      أناجى به قلباً طويلَ التفكيرِ  
عليك سلامٌ لا زيارةَ بيننا      ولا وصلَ إلا أن يشاء ابنُ معمرِ

قال ابن معمر : قد شئت ، خذها ولك المال ، فانصبري فإراشدين ، فوالله

لا كنتُ سبياً لفرقةٍ محبينِ !

\* تزيين الأسواق : ١٣١

(١) أملك : افتقر .

١٣٦ - الشعر بضاعة تجدى \*

قال إبراهيم السويقي مولي المهالبة : تنابت علي سنون ضيقة ، وأح علي العُسرُ وكثرة العيال وقلة ذات اليد ؛ وكنت مُشتهراً بالشعر أقصدُ به الإخوان وأهل الأقدار وغيرهم ، حتى جفاني كلُّ صديق ؛ وملتي من كنت أقصدُه ، فأضرتني ذلك جدا .

فبينما أنا جالس مع امرأتى في يوم شديد البرد ، إذ قالت : يا هذا ؛ قد طال علينا الفقرُ ، وأضرت بنا الجهد<sup>(١)</sup> ، وقد بقيت في بيتي كأنك زمن<sup>(٢)</sup> ؛ هذا مع كثرة الولد ؛ فأخرج عنى واكفني نفسك ، ودعنى مع هؤلاء الصبيان ، أقوم بهم مرّة ، وأقعد بهم أخرى ؛ ثم ألت علي في الخصومة ، وقالت : يا مشنوم تعلمت صناعة لا تجدى عليك شيئاً .

قال : فضجرت منها ومن قولها ، وخرجتُ علي وجهى في ذلك البرد والريح ، وليس علي إلا فروٌ وخلق ، ليس فوقه دينار ، ولا تحته شعار ، وعلى عنفى إزار ، لو قد جاءت ريح شديدة ذهب به من بلاه وكثرة رقاعه ؛ فخرجت متحيراً لا أدرى أين أقصد ، ولا حيث أذهب .

فبينما أنا أجيل الفكرة إذ أخذتني سماء بقطر متدارك ، فدفعت<sup>(٣)</sup> إلى دار

\* المقعد الفريد : ٤ - •

(١) الجهد : المشقة (٢) الزمن : البتلى (٣) دفعت إلى مكان كذا : انتهت إليه .

على بابها رَوْشَنٌ<sup>(١)</sup> مُطَّلٌّ ، ودكان<sup>(٢)</sup> لطيف ، وليس عليه أحد ، فقلت : أَسْتَتِرُ  
بالرَوْشَنِ إلى أن يسكن المطر .

فقصدت قَصَدَ الدار فإذا بجارية قاعدة ، قد جلست على باب الدار كالحافظة  
عليه ، فقالت لي : إليك يا شيخُ عن بابنا ، فقلت : أنا - ويحك ! لستُ بسائلٌ ،  
ولا أنا بمن تَتَخَوَّفُ نَاحِيَتَهُ . فجلست على الدارُ كان ، فلما سكنتُ نفسي سمعت  
نعمة رخيمة من وراء الباب تدلُّ على نعمة امرأة فأصغيتُ ، فإذا بكلام يدلُّ على  
عتاب ، ثم سمعت نعمة أخرى مثل ذلك وهي تقول : فعلتِ وفعلتِ ، والأخرى  
تقول : بل أنت فعلتِ وفعلتِ ، إلى أن قالت إحداها : أنا - جعلت فداك - إن  
كنت أسأت فاعفري ، واحفظي بيتين لمولانا إبراهيم السويقي ، فقالت الأخرى :  
وما قال ؟ فإنه يبلغني عنه أشعارٌ ظريفة ، فأنشدتها تقول :

هيبنى يا معذِّبتي أسأتُ وبالهجْرانِ قبلكم بدأتُ  
فأين الفضلُ منك ، فدتكِ نفسي على إذا أسأتِ كما أسأتُ !  
فقلت : ظَرَفَ والله وأحسن .

قال إبراهيم : فلما سمعتُ ذكرى ، وذكر مولانا ، علتُ أنهما من بعض نساء  
المهالبة ، فلم أتمالك أن دفعت الباب ، وهجمتُ عليهما فصاحتا : وراءك يا شيخ عنا  
حتى نستتر . وتوهمتا أنى من أهل الدار ، فقلت لهما : جعلتُ فداكما ! لا تحتشما  
منى ، فإنى أنا إبراهيم السويقي ، ثم قلت لإحداها : بحقِ حرمتي إلا شفقتني فيها ،  
ووهبت لي ذنبها ، واسمى منى ، فأنا الذى أقول :

(١) الروشن : الرف ، والمراد الظلة (٢) الدكان : الدكة المبنية للجلوس عليها .



خذى بيدي من الحزن<sup>(١)</sup> الطويل فقد يعمو الخليل عن الخليل

قالت : قد فعلتُ ، وصفحْتُ عن زلتها ؛ ثم قالت : يا أبا إسحاق ؛ ما لي  
أراك بهذه الهيئة الرثة ، والبزّة الخلق<sup>(٢)</sup> ! فقلت : يا مولاتي ، تعدى على الدهر ،  
ولم ينصفني الزمان ، وجفاني الإخوان ، وكسدت بضاعتي ، فقالت : عزّ على ذلك !  
وأومأت إلى الأخرى ، فضربت بيدها على كُمها ، فسلت دُمُججاً<sup>(٣)</sup> من ساعدها ،  
ثم ثنت باليد الأخرى فسلت منها دُمُججاً آخر ، فقالت : يا أبا إسحاق ؛ خذ هذا ،  
واقعد على الباب مكانك وانتظر الجارية حتى تأتيك ، ثم قالت : يا جارية ، سكن  
المطر ؟ قالت : نعم ، فقامتا .

وخرجتُ وقعدتُ مكاني ، فما شعرت إلا والجارية قد وافت بمديل فيه خمسة  
أثواب ، وصرّة فيها ألف درهم ، وقالت : تقول لك مولاتي : أنفق هذه فإذا احتجت  
فصرّ إلينا حتى نزيدك إن شاء الله .

فأخذت ذلك وقت ، وقلت في نفسي : إن ذهبت بالله ملججين إلى امرأتي  
قالت : هذا لبناتي وكأثرنتي<sup>(٤)</sup> عليهما ، فدخلت السوق ، فبعتهما بخمسين ديناراً ،  
وأقبلت .

فلما فتحت الباب صاحت امرأتي وقالت : قد جئت أيضاً بشوئمك ، فطرح  
الدنانير والدرهم بين يديها والثياب ، فقالت : من أين لك هذا ؟ قلت : من الذي  
تشاءمت به ، وزعت أنه بضاعتي التي لا تجدي ، فقالت : قد كانت عندي في غاية  
الشؤم ، وهي اليوم في غاية البركة !

(١) الحزن : ضد السرور (٢) يستوى فيه المذكر والمؤنث (٣) الدمجج : ما طلى الساعد  
من الحل (٤) كائنه : غلبه بالكثرة .

١٣٧ - حديث جويرية\*

قال متم العبدى : خرجتُ من مكة زائراً قبر النبي صلى الله عليه وسلم  
فإني لبسوق الجحفة<sup>(١)</sup> إذا جويرية<sup>(٢)</sup> تسوق بعيراً ، وتترنم بصوتٍ مليح طيب  
حلو في هذا الشعر :

ألا أيها البيتُ الذي حيلَ دونه بنا أنت من بيتٍ وأهلك من أهل  
بنا أنت من بيتٍ وحولك لذّة وظلك لو يسطاع بالبارد السهل  
ثلاثة آياتٍ : فبيتٌ أجبهُ ، وبيتان ليساً من هواى ولا شكلي  
فقلت : لمن هذا الشعر يا جويرية ؟ قالت : أما ترى تلك الكوة الموقاة  
بالكلّة<sup>(٣)</sup> الحمراء ! قلت : أراها ، قالت : من هناك نهض هذا الشعر ؛ قلت :  
أو قائله في الأحياء ؟ قالت : هيهات ! لو أن لميت أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك ؛  
فأمجبنى فصاحةً لسانها ، ورقّة ألفاظها : فقلت لها : ألك أبوان ؟ فقالت : فقدتُ  
خبرهما وأجلهما . ولى أمّ ، قلت : وأين أمك ؟ قالت : منك بمرأى ومسمع .  
فنظرتُ فإذا امرأة تبيعُ الخرز على ظهر الطريق بالجحفة ، فأتيتها فقلت :  
يا أمّاه ، استمعى منى ، فقالت لها : يا أمّاه ، فاستمعى من عمى ما يلقيه إليك ،  
فقلت : حيّاك الله اهيهِ ، هل من خبر ؟ قلت : أهذه ابنتك ؟ قالت :  
كذا كان يقول أبوها ، قلت : أفترزجينا لى ؟ قالت : ألعلة رغبتَ فيها ! والله  
ما عندها جمال ولا لها مال ، قلت : لحلاوة لسانها ، وحسن عقلها ، فقالت :

\* الأغانى : ٢٠ - ٦

(١) الجحفة : قرية على اثنين وعشرين ميلاً من مكة (٢) جويرية : تصغير جارية (٣) الكلة :  
السر الرقيق .

أيتنا أملكُ بها ، أنا أم هي بنفسها ؟ قلت : بل هي بنفسها . قالت : فإيّاها فخطاب ،  
قلت : لعلها أن تستحي من الجواب في مثل هذا ! فقالت : ما ذاك عندها ،  
أنا أخبرُ بها . قلت : يا جارية ، أما تستمعين ما تقول أمك ؟ قالت : قد سمعت .  
قلت : فما عندك ؟ قالت : أو ليس حسبك أن قلت : إني أستحي من الجواب في  
مثل هذا ؟ فإن كنت أستحي من شيء فلم أفعله ؟ أتريد أن يكون سلطانك على ؟  
لا والله ، لا يشدّ على رجل حواء<sup>(١)</sup> وأنا أجد مذقة<sup>(٢)</sup> لبن أو بقلّة اللبن  
بها معاً .

فورد على والله أعجبُ كلام على وجه الأرض ، قلت : أتزوّجك والإذنُ  
فيه إليك ؛ وأعطى الله عهداً ألا أصدر في أمرك شيئاً إلا عن إرادتك ، قالت :  
إذن والله لا تكون لي في هذا إرادةٌ أبداً ولا بعد الأبد إن كان بعده بعد ! قلت :  
فقد رضيت بذلك ، وتزوجتها وحمّلها وأمها معي إلى العراق . وأقامت معي حتى  
قارقت الدنيا .

(١) الحواء اسم المكان الذي يحوى الشيء ويجمعه (٢) مذقة اللبن : خلطه ، والمذقة : الطائفة  
من اللبن المذوق .

١٣٨ — أحلف وأنا في هذه السنّ ! \*

باع مزيد الديني دابةً ، فلما كان من الغد أتاه النخاسون <sup>(١)</sup> طمعاً ، فلما نظر إليهم قد أقبلوا نحوه قام يصلي ، فأطال الصلاة ، فقالوا له ؛ وهم لا يعرفونه : يا عبد الله ؛ قد ذهب يؤمنا - وأطمعهم طول قيامه ، وكان أحسن الناس سمناً ، وأظهرهم هدياً - فانفتل <sup>(٢)</sup> عن صلاته ، وقال : ما بالكم ؟ قد قطعتم على صلاتي !

فقالوا له : قد ظهر بالدابة عيب ، قال : وما عيبه <sup>(٣)</sup> ؟ قالوا : يخلع الرسن <sup>(٤)</sup> ! قال : لا أعرفه بهذه الصفة ؛ فماذا تريدون ؟ قالوا : خصلة من ثلاث : إما الحطيطة <sup>(٥)</sup> ، وإما رد الثمن وأخذ الدابة ، وإما اليمين بالله إنك ما تعرف هذا فيه .

قال : أما الثمن فقد فرقناه ، وأما الحطيطة فما تمكنا ، وأما اليمين فإني ما حلفت قط على حق ولا على باطل ؛ فأعفوني منها ، فإنها أصعب الخلط <sup>(٦)</sup> عندي . قالوا : ما من ذلك بد ؛ فانطلق بنا إلى الوالي .

فقام معهم ، فلما بصر به الوالي ضحك ، وقال : ما جاء بك يا أبا إسحاق ؟ قصص عليه القصة ، فقال : قد أنصفتك القوم : فقال : أعز الله الأمير ، أحلف وأنا في هذه السن

\* ذيل زهر الآداب : ١٥٧

(١) النخاس : بائع الدواب (٢) انفتل عن صلاته : انصرف (٣) الدابة تقع على المذكر أيضاً (٤) الرسن : الحبل ، وما كان من زمام على أقب (٥) الحطيطة : ما يحط من الثمن (٦) الخطة : الطريقة .

السن ! وضرب يده على لحيته وبكى ! وقال : ما حلفت على حق ولا على باطل والتوى <sup>(١)</sup> .

قال : لا بد ! فالتوى ساعة ، ثم قال ، أصلح الله الأمير ؛ فإن حملتُ نفسي على اليمين وحلفتُ وأَعْتَوْنِي <sup>(٢)</sup> بعد ! قال : أوجعهم ضرباً وأجسهم !  
فلما سمع ذلك استقبل القبلة ، وأقسم بأغلظ الأيمان . وقال : لقد كان عندي دواب كلها تَحْلَعُ أَرْسَانَهَا ، فكان الحمار يقوم فيعيدها عليها ، ويصلحها بضمه قليلاً قليلاً ؛ فضحك الوالى حتى فَحَصَ الأرض برجليه ، وبُهِتَ الناخسون وعجبوا منه ؛ وانصرفوا عنه !

---

(١) التوى : تناقل ولم يفعل (٢) الإعانت : تكليف غير الطاقة .

١٣٩ - ضربتان \*

تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة ، فكانت جارية الجديدة تمر على  
بيت القديمة ، فتقول :

وما يستوى الرجلان رجلٌ صحيحٌ وأخرى رعى فيها الزمان فشلت  
ثم تعود فتقول :

وما يستوى الثوبان ثوبٌ به البلى وثوبٌ بأيدي البائعين جديد  
فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوماً وقالت :

قل فؤادك ما استطعت من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأول  
كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى وحينئذٍ أبدأ لأول منزلٍ أ

١٤٠ - من كذب الأعراب \*

تكاذب أعرابيان ؛ فقال أحدهما : خرجت مرة على فرس لي ، فإذا بظلمة  
شديدة فيمْتَنِبُهَا<sup>(١)</sup> حتى وصلت إليها ، فإذا قطعة من الليل لم تَدْتَبِهْ<sup>(٢)</sup> ، فإزالتُ  
أحمل بفرسي عليها حتى أُنْبَهَتْهَا ؛ فأنجابت<sup>(٣)</sup> .

فقال الآخر : لقد رميتُ ظبياً مرةً بسهمٍ ، فعدل الظبيُ يَمْنَةً ، فعدل السهمُ  
خَلْفَهُ فتياسر<sup>(٤)</sup> الظبيُ ، فتياسر السهمُ خَلْفَهُ ، ثم علا ، فعلا السهم خلفه ، وانحدر  
فانحدرَ خلفه ، حتى أخذه !

\* الكامل : ١ - ٣٥٧

(١) قصدها (٢) لم تستبقظ (٣) انجابت : انكشفت (٤) تياسر : سار يساراً .

١٤١ — قَسَمَ فَأَحْسَنَ الْقِسْمَةَ\*

حَدَّثَ أَعْرَابِيٌّ أَنَّهُ يَنْزِلُ بِالْبَصْرَةِ قَالَ : قَدِمَ أَعْرَابِيٌّ مِنَ الْبَادِيَةِ ، فَأَنْزَلْتَهُ  
وَكَانَ عِنْدِي دَجَاجٌ كَثِيرٌ ، وَوَلِي امْرَأَةً وَابْنَانِ وَابْنَتَانِ مِنْهَا ، فَقُلْتُ لَامْرَأَتِي : يَا دَرِي  
وَاشْوِي لَنَا دَجَاجَةً وَقَدِّمِيهَا إِلَيْنَا نَتَغَدَّى .

فَلَمَّا حَضَرَ الْغَدَاءَ جَلَسْنَا جَمِيعًا أَنَا وَامْرَأَتِي وَابْنَايَ وَابْنَتَايَ وَالْأَعْرَابِيَّ فَدَفَعْنَا  
إِلَيْهِ الدَّجَاجَةَ ، وَقُلْنَا لَهُ : اقْسِمْنَا بَيْنَنَا - نَرِيدُ أَنْ نَضْحَكَ مِنْهُ - فَقَالَ : لَا أَحْسِنُ  
الْقِسْمَةَ ؛ فَإِنْ رَضِيتُمْ بِقِسْمَتِي قَسَمْتُهَا بَيْنَكُمْ ، قُلْنَا : فَإِنَّا نَرْضَى ، فَأَخَذَ رَأْسَ الدَّجَاجَةِ  
فَقَطَعَهَا فَنَاقَ وَنَلِيهِ ، وَقَالَ : الرَّأْسُ لِلرَّأْسِ - وَقَطَعَ الْجَنَاحَيْنِ - وَقَالَ : الْجَنَاحَانِ  
لِلْأَبْنَيْنِ - ثُمَّ قَطَعَ السَّاقَيْنِ - فَقَالَ : السَّاقَانِ لِلْأَبْنَتَيْنِ ، ثُمَّ قَطَعَ الزَّمَكِيَّ<sup>(١)</sup> وَقَالَ :  
الْعَجْزُ لِلْعَجُوزِ ؛ وَقَالَ : الزُّورُ لِلزَّائِرِ ، وَأَخَذَ الدَّجَاجَةَ بِأَمْرِهَا وَسَخَّرَ بِنَا .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قُلْتُ لَامْرَأَتِي : اشْوِي لَنَا خَمْسَ دَجَاجَاتٍ ، فَلَمَّا حَضَرَ الْغَدَاءَ  
قُلْتُ : اقْسِمِ بَيْنَنَا . قَالَ : إِنِّي أَظُنُّ أَنَّكُمْ وَجَدْتُمْ<sup>(٢)</sup> فِي أَنْفُسِكُمْ ، قُلْنَا : لَا ، لَمْ نَجِدْ  
فِي أَنْفُسِنَا ؛ فَاقْسِمِ ! قَالَ : اقْسِمِ شَفْعًا أَوْ وَثْرًا<sup>(٣)</sup> ؟ قُلْنَا : اقْسِمِ وَثْرًا ، قَالَ : أَنْتِ  
وَامْرَأَتُكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ ، وَرَمِي إِلَيْنَا بِدَجَاجَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَابْنَاكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ ،  
وَرَمِي إِلَيْهِمَا بِدَجَاجَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَابْنَتَاكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ ، وَرَمِي إِلَيْهِمَا بِدَجَاجَةٍ ، ثُمَّ  
قَالَ : أَنَا وَدَجَاجَتَانِ ثَلَاثَةٌ ، وَأَخَذَ دَجَاجَتَيْنِ ، وَسَخَّرَ بِنَا !

\* نهاية الأرب : ١ - ١٧ ، الحيوان : ٢ - ١٣٠

(١) الزمكي : ذنب الطائر (٢) وجد : جزن (٣) الوتر : الفرد ، والشفع ضده .



ثم رأنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه ؛ فقال : ما تنظرون ؟ لعلكم كرهتم قسمة  
الوتر ، لا يجيء إلا هكذا ؛ فهل لكم في قسمة للشنع ؟ قلنا : نعم ؛ فضمن إليه  
ثم قال : أنت وابنك ودجاجة أربعة ، ورمى إلينا بدجاجة ، ثم قال : والمعجوز  
وابنتها ودجاجة أربعة ، ورمى إليهن بدجاجة ، ثم قال : أنا وثلاث دجاجات  
أربعة ، وضم إليه الثلاث ، ورفع يديه إلى السماء وقال : اللهم لك الحمد أنت  
فهمتنيها !

١٤٢ — زهد وأدب \*

قال محدث : قصدت منزل ابن بكّار المرّوانى فى أشبونة<sup>(١)</sup> ونفرت الباب، ففادى : من هذا ؟ فقلت : رجلٌ ممن يتوسّلُ لرؤياك بقراءة ، فقال : لا قرابة إلا بالتقى ؛ فإن كنت من أهله فادخل ، وإلا فتنح عني .

فقلت : أرجو فى الاجتماع بك والافتباس منك أن أكون من أهل التّقى ، فقال : ادخل ، فدخلت عليه ، فإذا به فى مُصَلَّاه ، وسُجَّحَةٌ أمامه ، وهو يعدُّ حبوبها ويسبح ، فقال لى : أمهلنى حتى أتمّ وظيفتى من هذا التسبيح ، ثم أفضى حثك ؛ فقدمت إلى أن فرغ .

فلما قضى شغله عطف علىّ ، وقال : ما القرابة التى بينى وبينك ؟ فانتسبت له فعرف أبى ، وترحم عليه ، وقال لى : لقد كان نعم الرجل ، وكان لديه أدبٌ ومعرفة ، فهل لديك أنت مما كان لديه شىء ؟ فقلت له : إنه كان يأخذنى بالقراءة وتعلم الأدب ، وقد تعلقتُ من ذلك بما أتميزُ به ، فقال لى : هل تنظم شيئاً ؟ قلت : نعم ! وقد أُلجأتى الدهر إلى أن أرتزق به . فقال : يا ولدى ، إنه بئسما يُرْتزق به ، ونعم ما يتحلّى به إذا كان على غير هذا الوجه ، ولكن تحلّ الميئة عند الضرورة ! فأنشدنى - أصلحك الله - مما على ذكرك من شعرك .

\* فصح الطيب : ٢ : ١١٢

(١) أشبونة : بلد بالمغرب .

فطلبتُ بخاطري شيئاً أقابله به مما يوافق حاله ، فواقع لي إلا فيما لا يوافقه من مجون ووصف خمر وما أشبه ذلك . فأطرتُ قليلاً ، فقال : لعلك تنظم ! فقلتُ : لا ، ولكني أفكر فيما أقابلُك به ، فقوِّلي أكثره فيما حملني عليه الصِّبا والشُّخف ، وهو غيرُ لائقٍ بمجلسك .

فقال : أنشدني ما وقع لك غيرَ متكافٍ ، فلم يدتني خاطري إلا بشعر أئجُن (١) فيه ، فقال : أما كان في نظمك أظهُرُ من هذا ؟ فقلت له : ما وقَّفتُ لغيره (٢) ، فقال : لا بأسَ عليك ، فأنشدني غيره ، ففكرت إلى أن أنشدته قولي :

ولما وقفتُ على رَبِّهمْ      تَجَرَّعتُ وَجِدِي بالأَجْرِعِ (٣)  
وأرسلَ دَمِي شِرَارَ الدَّمُوعِ      لِنَارٍ تَأَجَّجُ في الأَضْلَعِ  
فقامَ عذولي لَمَّا رَأَى      بكائي وَقَفًّا على الأَدْمَعِ  
فقلت له : هذه سَنَةٌ      لمن حفظَ العهدَ في الأَرْبَعِ (٤)

فرايت الشيخ قد اختلط ، وجعل يحىء ويذهب ؛ ثم أفاق ، وقال : أعِدُّ بحقِّ آبائك الكرام . فأعدتُ فأعاد ما كان فيه ، وجعل يردِّد . فقلت له : لو علمتُ أن هذا يحرِّكك ما أنشدتُك إياه ، فقال : وهل حرَّك مني إلا خيراً وعِظَةً يا بُنِي ؛ إن هذه القلوبُ الحَلَّاةُ لله كالأوراقِ التي جَفَّتْ ، وهي مستعدَّةٌ لهبوبِ الرياحِ ، فإن هبَّ عليها أفلُّ ريحٍ لعب بها كيف شاء ، وصادف منها طوعه .

(١) أئجُن من باب قعد : هزل .

(٢) راجع هذا الشعر في صفحة ١١٢ من الجزء الثاني من نفع الطيب ، وقد حذفناه لما فيه من الجون (٣) الأجرع : الأرض ذات المزونة تشاكل الرمل (٤) الأربع ، جمع ربيع : الدار بينها .

فأعجبني مَنزعه ، وتأنستُ به ، ولم أر عنده ما يُعتادُ من هؤلاء المتدينين  
من الانكماش ؛ بل مازال يحدّثني بأخبارٍ فيها هزلٌ ، ويذكر لي من تاريخ بني  
أمية وملوكها ما ارتاحُ له ، ولا أعلم أكثره .

فلما كثرتْ تأنسي به ، أهويتُ إلى يده كي أقبلها ، فضمها بسرعة ، وقال :  
ما شأنك ؟ فقلت : أرغب في أن تنشدني شيئاً من نظمك ؛ فقال : أمّا نظمي في  
زمان الصبا فكان له وقتٌ ذهب ، ويجب للنظم أن يذهبَ معه ، وأمّا نظمي في  
هذا الوقت فهو فيما أنا بسبيله ؛ وهو يثقل عليك ، فقلت له : إن أنصفَ سيدي  
أنشدني من نظمِ صباه ، ومن نظمِ شيخوخته ، فيأخذُ كلانا بمحطه . فضحك ، وقال :  
ما أعصيك وأنت ضيفٌ ، ولك حرمة أدب ، ووسيلةٌ قصد ، ثم أنشدني وقد بدا  
عليه الخشوع وخففتُ العبرة :

ثق بالذي سواك من	عدمٍ فإياك من عدمٍ
وانظر لنفسك قبل قر	ع السن من فرطِ الندم
واحذر- وقيت- من الورى	واصحبهم أعمى أصم
قد كنتُ في تيهٍ إلى	أن لاح لي أهدى علم
فأفقدتُ نحو ضيائه	حتى خرجتُ من الظلم
لكن قناديلُ الهوى	في نور رشدي كالحم (١)

فوالله لقد أدركني فوق ما أدركه ، وغلب على خاطري بما سمعت من هذه  
الآيات ، وفعلتُ بي من الموعظة غاية لم أجد منها التخلص إلا بعد حين ، فقال لي  
الشيخ : إن هذه يقظة يرجى معها خيرك ، والله مرشدك ومنقذك ، ثم قال لي :

(١) الحم : الرماض والنعم ، وكل ما احترق من النار .

يَابَنِي؛ هَذَا مَا مَحَنُ بِسَبِيلِهِ الْآنَ ، فَاسْمَعْ مَا قَلْتَهُ فَيَا مَضَى ، وَاللَّهِ وَلِيُّ الْمَغْفِرَةِ ،  
وَأَشَدُّ :

أَطَلَّ عِدَارًا عَلَى خَدِّهِ فَظَنُوا سُؤْيَ عَنِ مَذْهَبِي  
وَقَالُوا : غَرَابُ لَوْشِكِ النَّوَى قُلْتُ : اكَتَسَى الْبَدْرُ بِالغَيْهَبِ (١)  
وَنَادَيْتُ قَلْبِي : أَيْنَ الْمَسِيرُ وَبَدْرُ الدُّجَى حَلَّ بِالْمَقْرَبِ (٢)  
فَقَالَ : وَلَوْ رُمْتُ عَنْ حَبِّهِ رَحِيلًا عَصَيْتُ وَلَمْ أَذْهَبِ

فسمعت منه ما يقصر عنه صدور الشعراء ، وشهدت له بالتقدم ، وقلت له :  
لم أر أحسن من نظمك في جدِّ ولا هزل . ثم قلت له : أأرويه عنك ؟ فقال : نعم ؛  
ما أرى فيه بأساً بعد اطلاع من يعلم السرائر على ما في الضمائر ، فقلت له : فإز  
أسبغت على النعمة بزيادة شيء من هذا الفن فملت ما تملك به قلبي آخر الدهر .  
فقال يابني ؛ لا مَلَكَ قلبك غيرُ حبِّ الله تعالى ، ثم قال : ولا أجمع عليك رَدَّ قول  
ومنعاً ، ثم أشد :

أَيُّهَا الشَادِنُ الَّذِي حُسْنُهُ فِي الْوَرَى غَرِيبُ  
لِحَطِّ ذَاكَ الْجَمَالِ يُطُ فِي مَا بِي مِنَ الْهَيْبِ  
وَعَلَيْهِ أَحُومُ دَهْ رِي وَلَكِنِّي أَخِيبُ  
كَلَّا رُمْتُ زَوْرَةَ قَيْضِ اللَّهِ لِي رَقِيبُ

فما زَجَّ قلبي من الرقة واللطافة لهذا الشعر ما أعجزُ عن التعبير عنه ، فقلت له :  
زدني زادك الله خيراً ، فأشدني :

مَا كَانَ قَلْبِي يَدْرِي قَدَرَ حُبِّكُمْ حَتَّى بَعْدْتُمْ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْجَلْدِ

(١) الغيب : الظلمة (٢) المقرب : برج في السماء

وكنت أحسب أنى لا أضيّق به ذرعاً فما حان حتى فتّ في عضدى  
 ثم استمرت على كرهٍ مريرته<sup>(١)</sup> فكاد يفرق بين الروح والجسد  
 صاكم أن تلافوا باللّقا رمقي فليس لى مهجة تقوى على الكمد

ثم قال : حسبك ، وإن كلفتني زيادة ، فالله حسبك ، فقلت له : قد وكّلتني  
 إلى كريم غفور ، فبالله إلا ما زدتنى ؛ وأكّبتُ لأقبلَ رجليه ، فضمّهما وأنشدني  
 شعراً رقيقاً ؛ ملا سمعى عجائب ، وبسط أنسى ، وكتبت كل ما أنشدني ، ثم قلت  
 له : لولا خوفاً من التثقيّل عليك لم أزل أستدعى منك الإنشاد حتى لا تجد  
 ما تنشده . فقال : إن عدت إلى هنا تذكّرت وأنشدتك ، فما عندي مما أضيفك به  
 غير ما سمعته وما تراه .

ثم قام وجاء من بيت آخر في داره بصحفة فيها حساً<sup>(٢)</sup> من دقيق وكسور  
 باردة ، فجعل يفتّ فيها ، ثم أشار إلى أن أشرب ، فشربت ، ثم شرب إلى أن  
 أتينا على آخرها ، ثم قال : هذا غداء عمك نهاره ، وإنه لنعمة من الله تعالى ، أستديم  
 بشكرها اتصالها .

فقلت له : يا عم ؛ ومن أين عيشك ؟ فقال : يا بني ؛ عيشتي بتلك الشبكة أصطادُ  
 بها في سواحل البحر ما أقتاتُ به ، ولى زوجة وبنيت يعود من غزّ لها مع ذلك ما نجد  
 به معونة ؛ وهذا مع العافية والاستغناء عن الناس خيرٌ كثير .

فتركته ، وفي نيتي أن أعودَ إلى زيارته بعد أيام خوف التثقيّل ، فعدتُ إليه  
 بعد ثلاثة أيام ، ففقرتُ الباب ، فكلمتني المرأة بلسان عليه أثر الحزن ، وقالت :  
 إن الشيخ قد خرج إلى الغزو ، وذلك بعد انفصالك عنه بيوم ، ناله كالجنون ،

(١) المريرة : القوة (٢) الحسا : الرق .

فقلت له : ما شأنك ؟ فقال : إني أريد أن أموت شهيداً وهؤلاء جيران لي قد عزموا على الغزو ، وأنا ماضٍ معهم ! ثم احتال في سيف ورمح ، وتوجه معهم ، وقال : نفسى هي التي قتلتني بهواها ، أفلا أقتصُّ منها فأقتلها ! فقلت لها : من خَلَّفَ للنظر في شأنكم ؟ فقلت : ليس ذلك لك ؛ فالذى خلفنا له لا نحتاج معه إلى غيره ، فأدركني من جوابها روعة ، وعلمتُ أنها مثله زهداً وصلاحاً .

فقلت : إني قريبه ، ويجب عليّ أن أنظرَ في حالكم بعده ؛ فقلت : يا هذا ؛ إنك لستَ بذي مَحْرَمٍ ، ولنا من العجائز من ينظرُ لنا ، ويبيع غزَلنا ، ويتفقد أحوالنا ؛ فجزاك الله عنا خيراً . انصرف عنا مشكوراً !

فقلت لها : هذه دراهم خذوها لتستعينوا بها ، فقلت : ما اعتدنا أن نأخذ من غير الله ، وما كان لنا أن نخلّ بالعادة .

فانصرفت نادماً على ما فاتني من الاستكثار من شعر الشيخ . ثم عدت بعد ذلك لداره سائلاً عنه ، فقلت لى المرأة : إنه قد قبله الله تعالى ؛ فعلت أنه قتل ؛ فقلت لها : أقتل ؟ فقرأت : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

فانصرفتُ معتبراً من حاله .

١٤٣ — تشابه خاطرين\*

قال ابنُ ظافر : صِرْنَا فِي بَعْضِ الْعَشَايَا عَلَى الْبَسَاتِينِ ، فَرَأَيْنَا فِيهَا بَثْرًا سَلِيمًا  
دَوْلَابَانَ مَتَحَازِيَانِ ، وَهِيَ يَنْفَانُ أَنْبِنَ الْأَشْوَاقِ ، وَيَفِيضَانُ مَاءً أَغْزَرَ مِنْ دَمُوعِ  
الْعُشَاقِ ، وَالرُّوْضُ قَدْ جَلَا لِلْأَعْيُنِ زَبْرَجَدَهُ ، وَالْأَصِيلُ قَدْ رَاقَهُ حَسَنُهُ ، فَثَرَّ عَلَيْهِ  
عَسَجَدَهُ ، وَالزَّهْرُ قَدْ نَظَّمَ جَوَاهِرَهُ فِي أَحْيَادِ الْعَصُونِ ، وَالسَّوَاقِ قَدْ أَزَالَتْ مِنْ  
سَلْسَلِ فِصَّتِهَا كُلَّ مَصُونٍ ، وَالنَّبَاتُ قَدْ اخْضَرَ شَارِبُهُ وَعَارِضُهُ ، وَطَرَفُ النَّسِيمِ  
قَدْ رَكَّضَهُ فِي مِيَادِينِ الزَّهْرِ رَاكِضُهُ ، وَرُضَابُ الْغَيْثِ قَدْ اسْتَقَرَّتْ مِنَ الطَّيْنِ فِي  
لَمَى ، وَحَيَاتِ الْمَجَارَى حَائِثَةٌ تَخَافُ مِنْ زَمْرَدِ النَّبَاتِ أَنْ يَدْرِكَهَا الْعَمَى ، وَالْبَحْرُ قَدْ  
صَفَلَ النَّسِيمُ دِرْعَهُ ، وَزَعَقَرَانَ الْعَشَى قَدْ أَلْقَى فِي ذَيْلِ الْجَوْ دِرْعَهُ ؛ فَأَوْسَعَ ذَلِكَ  
الْمَكَانَ قُلُوبِنَا اسْتِحْوَاذًا ، وَمَلَأَ أَبْصَارِنَا وَأَسْمَاعِنَا مَسْرَّةً وَالتَّذَاذًا ، وَجَلَسْنَا تَتَذَاكِرُ  
مَا فِي تَرْكِيْبِ الدَّوَالِيْبِ مِنَ الْأَعَاجِيْبِ ، وَنَتَنَاشِدُ مَا وُصِفَتْ بِهِ مِنَ الْأَشْعَارِ الْغَالِيَةِ  
الْأَسْعَارِ ، فَأَفْضَى بِنَا الْحَدِيثَ الَّذِي هُوَ ذُو شَجُونٍ إِلَى ذِكْرِ قَوْلِ الْأَعْمَى <sup>(١)</sup> الطَّلِيْطَلِيَّ  
فِي أَسَدٍ نَحْمَاسٍ يَقْذِفُ الْمَاءَ :

أَسَدٌ وَلَوْ أَتَى أَنَا قَشَهُ الْحِسَابِ لَقَلْتُ : صَخْرَهُ  
فَكَأَنَّهُ أَسَدُ السَّمَاءِ يَمِجُّ مِنْ فِيهِ الْمَجْرَةُ

\* نفتح الطيب : ٢ - ٢٩٢

(١) هو أبو جعفر الأعمى الطليطلي ، وقال عنه في مطمح الأنفس : له ذهن يكشف الغامض الذي يخفى ، ويعرف رسم المشكل ، وإن كان قد عفا ، . . . ص ٢٨٥ من مطمح الأنفس .



فقال القاضي أبو الحسن علي بن المؤيد : يتولد من هذا في الدولاب معنى يأخذ بمجامع السامع ويُطربُ الرائي والسامع ؛ فتأملت ما قاله بعين بصيرتي البصيرة ، واستمددت مادة غرِبتِي الغزيرة ؛ فظهر لي معني ملائي إطراباً ، وأوسعني إعجاباً ؛ وأطرق كلُّ منا ينظّم ما جاش به مدُّ محره ، وأنباه به شيطان فكره ، فلم يكن إلا كنفرة العصفور ، الخائف من الناطور<sup>(١)</sup> ، حتى كمل ما أردناه من غير أن يقف واحدٌ منا على ما صنعه الآخرُ ، فكان الذي قال :

حَبِّذا ساعة العشاء والدُّو      لَابٌ يُهْدِي إلى النفوسِ المسرَّة  
أدْهَمٌ لا يزال يعدو ولكن      ليس يعدو مكانه قدر ذرَّة  
ذو عيونٍ من القوادين يبكي      كلَّ عين من فائضِ الدَّمعِ ثرَّة  
فَلَكٌ دائرٌ يُرينا نجومًا      كلُّ نجم يُبدي لنا الحجرَّة  
وكان الذي قلت :

ودولابٍ يئنُّ أنينَ نَكَلِي      ولا فقداً شكاه ولا مَضْرَّة  
تري الأزهارَ في ضحكٍ إذا ما      بكي بدموعِ عينٍ منه ثرَّة  
حكى فَلَكا تدورُ به نجومٌ      تؤثرُ في سرائرنا المسرَّة  
يظلُّ النجمُ يُشرقُ بعدَ نجم      ويضربُ بعدَ ما جرى الحجرَّة  
فعبجنا من اتفاقنا ، وقضى العجبَ منه سائرُ رفاقنا .

(١) الناطور : حافظ الكرم .

١٤٤ — إنما توجد في قعر البحار الفصوص \*

ألف أبو العلاء صاعد<sup>١</sup> كتاب الفصوص ، واتفق أن أبا العلاء دفعه - حين  
كَمَل - لعلام له يحمله بين يديه ، وعبر النهر - نهر قرطبة - فخانَت الغلامَ رجلُه ؛  
فسقط في النهر هو والكتاب !

فقال في ذلك بعضُ الشعراء بيتاً بحضرة المنصور هو :  
قد غاص في البحر كتاب الفصوص<sup>٢</sup> وهكذا كل ثقيـلٍ يغوص<sup>٣</sup>  
فضحك المنصور والحاضرون .

فلم يرُغ ذلك صاعداً ، ولا هاله ، وقال مرتجلاً مجيباً :  
عاد إلى معدنه إنما توجد في قعر البحار الفصوص !

## البَابُ الرَّابِعُ

في القصص التي تُوَرِّخُ مذكور أيامهم وتفصّلُ مشهور  
وقائعهم، ومقتل كبرائهم، وتصف الحروب والمنازعات التي  
كانت تدور بين قبائلهم أخذاً بالثار، أو حماية للذمار.

[ اقتصرنا في هذا الباب على القصص الأدبي ، أما تفصيل الأيام وتاريخها فقد  
أفردنا لها كتابي « أيام العرب في الجاهلية » و « أيام العرب في الإسلام » ]

١٤٥ — كأن لم يكن بين الحُجُونِ إلى الصِّفَا

أُنَيْسٌ ولم يَسْرُ بِمَكَّةِ سَامِرٌ\*

حدث بعض أهل العلم ، أن سَيْلًا جاء فدخلَ البيتَ فَانْهَدَمَ ، فأعادته جُرْهُمُ  
على بناء إبراهيم ، ثم استخفت جرم بحق البيت ، وارتكبوا فيه أموراً عظيماً ،  
وأحدثوا فيه أحداثاً قبيحة ، وكانت للبيت خِزَانَةٌ ، وهي بئر في بطنه يلقي فيها المتاع  
الذي يُهدى له ، وهو يومئذ لا سَقْفَ عليه ، فتواعد خمسة من جُرْهُمٍ أن يسرقوا  
كلَّ ما فيها ، فقام على كل زاوية من البيت رجلٌ منهم ، واقتمح الخامس ، فجعل  
الله عزَّ وجلَّ أعلاه أسفله ، وسقط منكسّاً فهلك ، وفرَّ الأربعة الآخرون .

فلما كثر بُغْيُ جُرْهُمٍ بِمَكَّةِ قام فيهم مُضاض بن عمرو فقال : يا قوم ؛ احذروا  
البغْيَ فَإِنَّهُ لا بقاء لأهله ، وقد رأيتم من كان قبلكم من العاليق استخفوا بالحرم ،  
ولم يمعظموه ، وتنازعوا بينهم ، واختلفوا حتى سلطكم الله عليهم فاجتحمتموهم ، فتنفروا  
في البلاد ، فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله ، ولا تظلموا من دخله ، وجاءه  
معظماً لحرُماته ، أو خائفاً ورغب في جواره ، فإنكم إن فعلتم ذلكم تخوفت أن  
تخرجوا منه خروج دُلٍّ وصغار ، حتى لا يقدر أحدٌ منكم أن يصل إلى الحرم ، ولا  
إلى زيارة البيت الذي هو لكم حِرْزٌ وأمن ، والطيرُ تأمن فيه .

فقال قائل منهم : ومن الذى يُخرجنا منه ؟ ألسنا أعزّ العرب وأكث مالا  
وسلاحاً ! فقال مُضاض : إذا جاء الأمر بطل ما تذكرون ، فقد رأيتم ما صنع الله  
بالماليق ... بفتّ في الحرم فسَلَطَ اللهُ عليهم الذرّ<sup>(١)</sup> فأخرجهم منه ، ثم رمّوا  
بالجدب من خلفهم حتى ردهم الله إلى مساقط رهوسهم . ثم أرسل عليهم  
الطوفان .

فما رأى مُضاض بن عمرو بغيّهم ومقامهم عليه عمد إلى كنوز السكبة وهى  
غزّ الآن من ذهب ، وأسياف قلعية<sup>(٢)</sup> فخر لها ليلاً في موضع زمزم ودقها .

فبيناهم على ذلك إذ سارت القبائل من أهل مأرب ، وعابهم مُزيقياء ، وهو  
عمرو بن عاصم ، فلما انتهوا إلى مكة وأهلها أرسل إليهم ابنته ثعلبة فقالت لهم :  
يا قوم ؛ إنا قد خرجنا من بلادنا ، فلم نزل بلدة إلا أنسح أهلها لنا ، فقيم معهم  
حتى نرسل رؤّاداً فيرتادوا لنا بلدأ يحملنا . فأفسحوا لنا في بلادكم حتى تقيم قدر  
ما نستريح ، ورسّل رؤّاداً إلى الشام وإلى الشرق فحيما بلغنا أنه أمثل لحقنا به ،  
وأرجو أن يكون مقامنا معكم سيراً .

فأبت ذلك جرّهم إباء شديداً ؛ واستكبروا في أنفسهم ، وقالوا : لا والله ،  
ما نحبّ أن ينزلوا فيضيّقوا علينا سرابعنا ومواردنا ، فارتحلوا عنا حيث أحببتهم ،  
فلا حاجة لنا بجواركم .

فأرسل إليهم : أنه لا بد من المقام بهذا البلد حولاً حتى ترجع إلى رُسُلِي التى

(١) الدرّ : صغار النمل (٢) قلعية : نسبة إلى قلعة ، وهى بلد بالهند ، إليها ينسب الرصاص  
والسيوف .

أرسلت ، فإن أنزلتموني طَوْعًا نزلت وحمدتكم وآسيتكم<sup>(١)</sup> في الرغى والماء ، وإن آيبتُم أقت على كُرْهِكم ، ثم لم ترتعوا معي إلا فضلًا ، ولا تشربوا إلا رَنَقًا<sup>(٢)</sup> ، وإن قاتلتموني قاتلتكم ، ثم إن ظهرتُ عليكم سببتُ النساء ، وقتلتُ الرجال ، ولم أترك منكم أحدًا ينزل الحرم أبدًا .

فَأَبَتْ جُرْهم أن تُنزلَه طَوْعًا ، وتَهَيَّأتْ لقتاله ، فاقتتلوا ثلاثة أيام أفرغ عليهم فيها الصبر ، ومُنِعُوا النصر ، ثم انهزمت جُرْهم ، فلم يُقتل منهم إلا الشديد ، وكان مُضَاض بن عمرو قد اعتزل حربهم ، ولم يعضم في ذلك وقال : قد كنت أحذركم هذا .

ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قنوني<sup>(٣)</sup> وما حوله .

فلما حازت خُزاعة أمر مكة ، وصاروا أهلها جاءهم بنو إسماعيل - وقد كانوا اعتزلوا حرب جُرْهم وخُزاعة ، فلم يدخلوا في ذلك - فسألوهم الشكوى معهم وحوهم ، فأذِنوا لهم ، فلما رأى ذلك مُضَاض - وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة أمر عظيم - أرسل إلى خُزاعة يَسْتَأْمِنُها ، ومَتَّ إليهم برأيه وتَوْرِيعه<sup>(٤)</sup> قومَه عن القتال ، وسوء العِشرة في الحرم ، واعتزله الحرب ، فَأَبَتْ خُزاعة أن يُقِرُّوهم ونفُوهم عن الحرم وقالوا : مَنْ دخله منهم فدمُه هَدْر<sup>(٥)</sup> .

فنزعت بل لمضاض من قنوني تريد مكة ، فخرج في طلبها حتى وجدها قد دخلت مكة ، فضى إلى الجبال نحو أجباد حتى ظهر على أبي قُبَيْس يتبصر

(١) آسيتكم : شاركتكم  
في البحر في أوائل أرض اليمن  
فيه قود .  
(٢) الرنق : الكدر من الماء (٣) قنوني : واد يصب  
(٤) التوريع : الكف عن الشيء (٥) أى باطل ليس

الإبل في بطن وادي مكة ، فأبصر الإبل تُنَحَّر وتوكل لا سبيل له إليها ، فخاف إن هبط الوادي أن يُقتل ، فوَلَّى منصرفاً إلى أهله وأنشأ يقول :

كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّفَا      أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ  
وَلَمْ يَتَرَبَّعْ وَاسِطًا فِجْـوَبَهُ      إِلَى الْمَفْحَى مِنْ ذِي الْأَرَاكَةِ حَاضِرُ  
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا      صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ<sup>(١)</sup> الْعَوَائِرُ  
وَأَبْدَلْنَا رَبِّي بِهَا دَارَ غُرَبِيَّةٍ      بِهَا الذُّئْبُ يَعْوِي وَالْعَدُوُّ الْمُخَامِرُ  
أَقُولُ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ أُمَّمْ      أَذَّا الْعَرْشِ لَا يَبْعُدُ سَهِيلٌ وَعَامِرُ<sup>(٢)</sup>  
وَبُدِّلْتُ مِنْهُمْ أَوْجَهَا لَا أُرِيدُهَا      وَحَيْرٌ قَدْ بَدَّلَتْهَا وَالْيَحَابِرُ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

فهل فرج آتٍ بشيءٍ تحبُّه      وهل جزع منجيك مما تحاذرُ !

(١) الجدود : المظوظ (٢) أذا العرش : أى ياذا العرش (٣) يحابر : اسم قبيلة .

١٤٦ -- ألا من يشتري سَهراً بنوم \*

تفرقت حمير على ملكها حسان ، وخالفت أمره ؛ لسوء سيرته فيهم ، ومألوا إلى أخيه عمرو ، وحلوه على قتل حسان ، وأشاروا عليه بذلك ، ورغبوه في الملك ، ووعدوه حسن الطاعة والمؤازرة ، فنهاه ذورُعَيْن من بين حمير عن قتل أخيه ، وعلم أنه إن قتل أخاه نديم ونفر عنه النوم ، وانتقضت عليه أموره ، وأنه سيعاقب الذي أشار عليه بذلك ، ويعرف غشهم له .

فلما رأى ذورُعَيْن أنه لا يقبل ذلك منه ، وخشى العواقب قال :

ألا من يشتري سَهراً بنومٍ سعيدٌ من بيت قرير عَيْن  
فإباً حميرٌ غدرت وخانتُ فمذرةُ الإله لذي رُعَيْنِ

ثم كتب البيتين في صحيفة ، وختم عليها بخاتم عمرو ، وقال : هذه وديعة لي عندك إلى أن أطلبها منك ؛ فأخذها عمرو ودفعها إلى خازنه ، وأمره برفعها إلى الخزانة ، والاحتفاظ بها إلى أن يسأل عنها :

فلما قتل أخاه ، وجلس مكانه في الملك مُنِع منه النوم ، وسلط عليه السهر ؛ فلما اشتد ذلك عليه ، لم يدع باليمن طبيباً ولا كاهناً ، ولا مُنَجِّماً ، ولا عرافاً ، ولا عاتقاً ، إلا جمعهم ، ثم أخبرهم بقصته ، وشكا إليهم ما به . فقالوا له : ما قتل رجل أخاه أو ذا رحم منه على نحو ما قتلت أخاك إلا أصابه السهر ، ومُنِع منه النوم !



فلما قالوا له ذلك أقبل على مَنْ كان أشار عليه بقتل أخيه وساعده عليه من أقبالِ حَمِيرٍ ، فقتلهم وأفتأهم .

فلما وصل إلى ذى رُعَيْن قال له : أيُّها الملك ؛ إنَّ لى عندك براءة مما تريد أن تصنعَ بى . قال : وما براءتُك وأمانك ؟ قال : مُرْ خازِنَكَ أن يُخرجَ الصحيفةَ التى استودعتكها يوم كذا وكذا .

فأمر خازِنَه فأخرجها ، فنظر إلى خاتمه عليها ثم فضَّها ، فإذا فيها البيتان :

\* ألا من يشتري سهرأ بنوم <sup>(١)</sup> \*

ثم قال له : أيُّها الملك ؛ قد نهيتك عن قتل أخيك ، وعلمتُ أنك إن فعلتَ ذلك أصابك الذى قد أصابك ، فكتبتُ هذين البيتين براءةً لى عندك مما علمتُ أنك تصنع بمن أشار عليك بقتل أخيك !

فقبل ذلك منه وعفا عنه ، وأحسَنَ جائزته .

(١) ذهب مثلاً ، ويضرب لمن غمط النعمة وكره العافية .

١٤٧ — غثك خيرٌ من سمين غيرك \*

كانت بين مذحج وحي من أحياء العرب حربٌ شديدة ، فرَّ مَعْنُ بن عطية المذحجي في حَمَلَةٍ حملها برجل من أعدائهم صريعاً ؛ فاستغاثه وقال :  
امنن عليَّ كَفَيْتَ البلاء ! فأقامه مَعْن ، وسار به حتى بلغ مَأْمَنَه ، ثم عطف  
أولئك القوم على مَذْحِج فهِزَمُوهم وَأَمَرُوا مَعْنًا وَأَخًا له يقال له : روق ، وكان  
يُضَعَفُ وَيُحْمَقُ (١) .

فلما انصرفوا إذا صاحبُ مَعْن الذي نَجَّاه أخو رئيس القوم ، فناداه  
معن وقال :

يا خَيْرَ جازٍ بِيَدٍ أوليتها نَجِّ مُنْجِيكَ  
هل من جزاء عندك اليوم لمن ردَّ عواديك

فعرفه صاحبه ، فقال لأخيه : هذا المانُّ عليَّ ، ومُنْقِذِي بعد ما أشرفتُ على  
الموت فهبني لي ، فوهبه له : فخلني سبيله ، وقال : إني أحبُّ أن أضعف لك  
الجزاء ، فاخترتُ أسيراً آخر ؛ فاختر مَعْنُ أخاه رَوْقًا ، ولم يلتفت إلى سَيِّدِ مَذْحِج  
وهو في الأسارى .

ثم انطلق مَعْن وأخوه راجعين ، فرَّ بأسارى قومهما ، فسألوا معنًا عن حال

\* بجمع الأمثال : ٢ - ٤

(١) حمقه : نسبه إلى الحمق . وضعفه : عده ضعيفاً .

سيدهم ، فأخبرهم الخبر ، فقالوا لمن : قبحك الله تدعُ سيدَ قومك وشاعرهم  
لا تفكّه ، وتفكّ أخاك هذا الأنوك<sup>(١)</sup> الفسل<sup>(٢)</sup> الرذل<sup>(٣)</sup> . فوالله ما نكأ جرّحاً  
ولا أعمل رحماً ، ولا ذعر سرحاً<sup>(٤)</sup> ؛ وإنه لقبيحُ المنظر سيّئُ الخبر ، لئيم : فقال  
معن : « غنكُ خيرٌ من سمينِ غيرك<sup>(٥)</sup> » .

---

(١) الأنوك : الأحمق (٢) الفسل : الرذل الذي لا مروءة له (٣) الرذل : الدون  
الحسيس . (٤) السرح : المال السائم (٥) ذهب مثلاً .

١٤٨ — مقتل كليب \*

كان كليب<sup>(١)</sup> قد عزَّ وساد في ربيعة ؛ فبغى نغيًّا شديدًا ، وكان هو الذي ينزلهم منازلهم ويرحلهم ، ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره ؛ فضرب به المثل في العزِّ ؛ فقيل : أعزُّ من كليب وائل ! وكان لا يُجير أحدٌ من بكر وتغلب إلا بإذنه ، ولا يُحمي حمى إلا بأمره ، وكان إذا حمى حمى لا يُقرب .

وكان لمرّة بن ذهل بن شيبان عشرة بنين ، جساس أصغرهم ، وكانت أختهم عند كليب .

وكان لجساس<sup>(٢)</sup> خالة تُعرف بالبسوس ؛ فجاءت فنزلت على ابن أختها جساس ، فكانت جارةً لبني مرة ، ومعها ابن لها ، ولها ناقة خوّارة<sup>(٣)</sup> ، ومعها فصّيل ، فرأى كليب الناقة فأنكرها ، فقال : لمن هذه ؟ قالوا : لخالة جساس ، قال : أو قد بلغ من أمر ابن السعدية أن يُجير على بغير إذنى الرّم ضرعها يا غلام ، فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة ، فاختلط دمها بلبنها .

وراحت الرعاة على جساس فأخبروه بالأمر ، فقال : احلبوا لها مكيالي لبن ، ولا تذكروا لها من هذا شيئًا .

\* الأغاني : ٥ - ٣٤ ، الأمثال : ١ - ٣٤١ ، العقد الفرید : ٣ - ٣٤٨ ، نهاية الأرب : ٥ - ٢١٤ ، الكامل لابن الأثير : ١ - ٣١٢  
(١) كليب بن ربيعة ، سيد الحيين : بكر وتغلب في الجاهلية ، ومن الشجعان الأبطال وقتل نحو سنة ١٣٥ ق . هـ (٢) جساس بن مرة من بني بكر بن وائل ، شجاع شاعر من أمراء العرب في الجاهلية ، وقتل في أواخر الحرب نحو ٨٥ ق . هـ (٣) ناقة خوّارة : رقيقة حسنة .

وسكت جَسَّاسٌ ثم مرَّتْ بَكَرُّهُ عَلَى نَهْيِ<sup>(١)</sup> يقال له : شَبَّيْتُ ، فنفاهم كليب  
عنه ، وقال : لا يذوقون منه قطرة . ثم مروا على نَهْيِ آخِرٍ يقال له : الأَحْصَى ، فنفاهم  
عنه ، ثم مروا على نَظْنِ الجُرَيْبِ<sup>(٢)</sup> فمنعهم إياه ، حتى نزلوا الذَّنَّابِ<sup>(٣)</sup> ، وتبعهم كليبٌ  
وحيه حتى نزلوا عليه

ثم مرَّ عليه جَسَّاسٌ وهو واقف على غدير الذَّنَّابِ ، فقال : طردت أهلنا عن  
المياه حتى كِدَّتْ تَقْتَلُهُمْ عَطْشًا ! فقال كليب : ما منعناهم من ماء إلا ونحن له  
شاغلون . فقال له جَسَّاسٌ : هذا كفعلك بناقة خالتي ! فقال له : أَوْقَدْ ذِكْرَتَهَا !  
أما إني لو وجدتها في غير إبل مُرَّةٍ لاستحللتُ تلك الإبل بها !

فعطف عليه جَسَّاسٌ فرسه ، فطعنه برُمُحٍ فَأَنْمَدَ حِضْنِيهِ<sup>(٤)</sup> ، فلما تَدَاءَمَهُ<sup>(٥)</sup>  
الموتُ قال : يا جَسَّاسُ ؛ اسقني من الماء ، قال : ما عَقَلْتَ اسدءماءك الماء منذ وَلَدْتِكَ  
أُمُّكَ إلا ساعتك هذه ! ثم أمَّالَ يَدَهُ بالفرس حتى انتهى إلى أهله .

فقالَتْ أختُه — حين رَأَتْهُ — لأبيها : إن ذا جَسَّاسٍ ؛ أُنِي خَارِجَةٌ رُكْبَتَاهُ ، قال :  
والله ما خَرَجَتْ رُكْبَتَاهُ إلا لأمرٍ عظيم .

فلما جاء قول : ماوراءك يابني ؟ قال : ورائي أُنِي قد طعنتُ طَعْنَةً تُشْفَلِنُ بِهَا  
شيوخُ وائلِ زمانًا ؟ قال : أَقْتَلْتَ كَلْبِيًّا ؟ قال : نعم ! قال : ووددتُ أنكَ وإخوتكَ  
كُتِمْتُمْ قَبْلَ هَذَا ، ما نِي إِلا أَنْ تَدَشَّاءَ بِي أَبْناءُ وائلِ ا فقال جَسَّاسٌ :  
تاهبُ عنكَ أَهْبَةٌ ذِي امْتِناعِ فَإِنَّ الأَمْرَ جَلَّ عَنِ التَّلَاحِي<sup>(٦)</sup>

(١) النهي : الغدير (٢) الجريب : واد عظيم (٣) الذنَّاب : موضع بنجد (٤) الحِضْنُ :  
مادون الإبط إلى الكشح (٥) تَدَاءَمَهُ : تراكم عليه (٦) التلاحى : المنازعة .

فإني قد جنيتُ عليك حرباً تُفصّر الشيخ بالماء القراح  
فأجابه أبوه :

فإن تكُ قد جنيتَ عليَّ حرباً فلا وانٍ ولا رث السلاح  
سألِسُ ثوبها وأذُبُ عني بها يوم المذلة والفضاح<sup>(١)</sup>

وكان همام<sup>(٢)</sup> بن مُرّة آخى مهلهلاً<sup>(٣)</sup> وعاقده ألا يكتبه شيئاً ، فجاءت  
أمة له فأسرّت إليه قتلَ جساس كليياً ، فقال له مهلهل : ما قالت ؟ فلم يجبره ، فذكره  
العهد بينهما ، فقال : أخبرتنى أن جساساً قتلَ كليياً ، فلم يصدق مهلهل الخبر .

واجتمع نساء الحى للماتم ، فقلن لأخت كليب : رحّلى جلييلة - زوج كليب وأخت  
جساس - عن مأمك ؛ فإن قيامها فيه شماتةٌ وعارٌ علينا عند العرب ، فقالت لها : يا هذه ؛  
اخرجى عن مأمنا ؛ فأنتِ أختُ وارتنا وشقيقةُ قاتلنا . فخرجت وهي تجرُّ أعطافها ،  
فلقبها أبوها مُرّة فقال : ما وراءك يا جلييلة ؟ فقالت تُكلُّ العدد وحزنُ الأبد ،  
وقد خليل ، وقتل أخٍ عن قليل ، وبين ذين غرسُ الأحقاد ، وتفتت الأكباد .  
فقال لها : أو يكفُ ذلك كرمُ الصفح وإغلاهِ الدّيات ؟ فقالت جلييلة : أمانة  
مخدوع ورب الكعبة ! أبا البدن<sup>(٤)</sup> تدعُ لك تغلُّ دمَ رها ! .

ولما رحلت جلييلة قالت أخت كليب : رحّلة المعتدى ، وفراق الشامت ! ويلٌ  
غداً لآل مرّة ، من الكرّة بعد الكرّة . فبلغ قولها جلييلة ، فقالت : وكيف تسمت  
الحرّة بهتِكِ سترها وترقّب وترها ! أسعد الله جدّ أختي ، أفلا قالت : نفرة الحياه ،  
وخوف الاعتداء ! ثم أنشأت تقول :

(١) فضحه : كشف مساوئه ، والاسم الفضح ، وفي الاغانى : إن هذا الشعر لأخيه نضلة  
(٢) همام : أخو جساس (٣) مهلهل : أخو كليب (٤) المراد الإبل .

يا ابنة الأقبوام إن شئتِ فلا  
فإذا أنت تَبَيَّنْتَ الذي  
إن تكن أختُ امرئٍ لِيَمَّتْ عَلَيَّ  
جَلَّ عِنْدِي فَعَلُ جَسَّاسٍ فِيا  
فَعَلُ جَسَّاسٍ عَلَيَّ وَجَدِي بِهِ  
لو بَعِينٍ فُقِئْتُ عَيْنِي سِوَى  
تَحْمَلُ الْعَيْنُ قَدَى الْعَيْنِ كَمَا  
يا قَتِيلًا قَوْضَ الدَّهْرُ بِهِ  
هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ  
وَرَمَانِي قَتَلَهُ مِنْ كَثَبٍ (٢)  
يا نَسَائِي دُونَكَ الْيَوْمَ قَدْ  
خَصَّنِي قَتْلُ كَلِيبٍ بِلِظِّي  
لَيْسَ مَنْ يَبْكِي لِيَوْمِينَ كَمَنْ  
يَشْتَفِي الْمَدْرِكُ بِالنَّارِ وَفِي  
لَيْتَهُ كَانَ دَمِي فَاحْتَلِبُوا  
إِنِّي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ

تَعَجَّبَ لِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي  
يُوجِبُ اللَّوْمَ فَلَوْ مَيَّ وَاَعْدُلِي  
شَفَقَ مِنْهَا عَلَيَّ فَافْعَلِي  
حَسْرَتِي عَمَّا انْجَلَّتْ أَوْ تَنْجَلِي  
قَاطِعٌ ظَهْرِي وَمُدُنٌ أَجَلِي  
أَخْتِيهَا فَانْفَقَاتُ لَمْ أَحْضَلِ  
تَحْمَلُ الْأُمُّ أَدَى مَا تَفْتَلِي (١)  
سَقَفَ بَيْتِيَّ جَمِيعًا مِنْ عَالِ  
وَأَثْنِي فِي هَدْمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ  
رَمِيَةَ الْمُصْمَى (٣) بِهِ الْمُسْتَأْصِلِ  
خَصَّنِي الدَّهْرُ بِرُزْءِ مُعْضَلِ  
مَنْ وَرَائِي وَلِظِّي مُسْتَقْبَلِي  
إِنَّمَا يَبْكِي لِيَوْمٍ يَنْجَلِي  
دَرَكِي نَارِي تُكَلُّ الْمُشْكَلِ (٤)  
بَدَلًا مِنْهُ دَمَا مِنْ أَكْحَلِي (٥)  
وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْتاحَ لِي !

(١) قتلى : تربي (٢) كَثَب : قرب (٣) أصماه : قتله في مكانه (٤) المشكل :  
التي لازمها الحزن (٥) الأكل : عرق في الدراع يفصد .

ثم قال بنو تَغْلِبَ بعضهم لبعض : لا تَعَجَلُوا على إخوانكم حتى تُعْذِرُوا (١)  
بَيْنَكُمْ وبينهم ، فَأُطْلِقَ رَهْطٌ من أشرفهم وذوى أسنانهم حتى أتوا مُرَّةَ بن  
ذُهْلَ ، فَعَظَّمُوا ما بينهم وبينه وقالوا : اخْتَرْنَا مَنَّا خِصَالًا : إما أن تَدْفَعَ إلينا  
جَسَاسَ فَنَفِّتَهُ بِصَاحِبِنَا ؛ فلم يَظْلِمْ من قتل قَاتِلَهُ ، وإما أن تَدْفَعَ إلينا هَمَامًا ، وإما  
أن تُقِيمَدَنَا من نَفْسِكَ .

فسكت وقد حضرته وجوهُ بنى بكر بن وائل ، فقالوا : تكلم غيرَ مَحْذُولٍ ،  
فقال : أما جَسَاسٌ ففلامٌ حَدِيثُ السنِّ ركب رأسه ، فهرب حين خاف ، فلا عِلْمَ  
لى به ؛ وأما هَمَامٌ فأبو عَشْرَةَ ، وأخو عَشْرَةَ ، ولو دَفَعْتَهُ إليكم لصيِّحٌ (٢) بنوه فى  
وجهى ، وقالوا : دَفَعْتَ أبانا لِلْقَتْلِ بِجَرِيرَةِ غَيْرِهِ ؟ وأما أنا فلا أُنَعِّجُ الموت ، وهل  
تَزِيدُ الخليل على أن يَجُولَ جَوْلَةً فأكون أولَ قَتِيلٍ .

ولكن هل لكم فى غير ذلك ؟ هؤلاء بَنِيَّ ، فدُونَكُمْ أحَدَهُم فاقْتُلُوهُ به ،  
وإن شئتم فلكم ألف ناقة تضمونها لكم بكر بن وائل ، فغضبوا وقالوا : إنا لم نَأْتِكَ  
لِنُرْزِلَ (٣) لنا بنيك ، ولا لتسومنا اللين ؛ ففترقوا ووقعت الحرب .

(١) تعذروا : أى تعاملوا على ألا يكون بينكم وبينهم ما يوجب الاعتذار (٢) صيِّح : صاح .

(٣) لترذل لنا بنيك : أى تعطينا رذال بنيك .



١٤٩ - الهجرس بن كليب يثأر لآبيه \*

ولدت جميلة زوج كليب غلاماً فسمته الهجرس ، ورباه خاله جساس ، فكان لا يعرف أباً غيره ، وزوجه ابنته . فوقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلامٌ ؛ فقال له البكري : ما أنت مُنْتَهٍ حَتَّى نُلْحِقَكَ بِأبيك ! فأمسك عنه ودخل على أمه كئيباً ، فسألته عما به ، فأخبرها الخبر .

فلما أوى إلى فراشه ، ونام إلى جنب امرأته وضع أنفه بين ثديها ، فنفسَ تَنْفَسَةً تَنْفَطُ<sup>(١)</sup> ما بين ثديها من حرارتها ، فقامت الجارية فزعاً ، قد أقلتها رعدةً حتى دخلت على أبيها ، فقصت عليه قصة الهجرس ، فقال جساس : نائرٌ ورب الكعبة !

وبات جساس على مثل الرضف<sup>(٢)</sup> حتى أصبح ، فأرسل إلى الهجرس فأتاه فقال له : إنما أنت ولدي ومنى بالمكان الذي قد علمت ، وقد زوجتُك ابنتي ، وأنت معي ، وقد كانت الحربُ في أيبك زماناً طويلاً حتى كدنا نتناوى ، وقد اصطلحنا وتماجزنا ، وقد رأيتُ أن تدخلَ فيما دخل الناس فيه من الصلح ، وأن تنطلق حتى نأخذَ عليك مثل ما أخذَ علينا وعلى قومنا .

فقال الهجرس : أنا فاعل ؛ ولكن مثلي لا يأتي قومه إلا بلامته وفرسه ، فعمله جساس على فرسه وأعطاه لأمته<sup>(٣)</sup> ودرزماً ، فخرجا حتى أتيا جماعةً من

\* الأغاني ٥١ - ٦١

(١) تنفط : قرح

(٢) الرضف : الحجارة التي حيت بالشمس أو النار يسخن بها اللب ،

(٣) اللأمة : السلاح .

واحدتها رضفة

قومهما . فقصّ عليهم جسّاس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ،  
ثم قال : وهذا الفتى ابن أختي قد جاء ليدخلَ فيما دخلتم فيه وبعقد ما عقدتم . فلما  
قرّبوا<sup>(١)</sup> الدمّ ، وقاموا إلى العقْد أخذ الهجرسُ بوسَط رُمحِه ، ثم قال : وفرّسى  
وأذُنِيه ، ورمحي ونصليّه ، وسيفي وغريّه<sup>(٢)</sup> ، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو  
ينظر إليه ، ثم طعن جسّاساً فقتله ، وولّح بقومه ، فكان آخر قتيل في  
بكر بن وائل .

(١) كان من عادة العرب أن يحضروا في جفنة طيباً أو دماً أو رماداً فيدخلوا فيه أيديهم عند  
التحالف ليم عقدهم باشتراكهم في شيء واحد . (٢) غر السيف : حده ، وكذلك غراره .

١٥٠ - قرّبا مَرِبَطِ النمامة منى \*

لما قَتَلَ جَسَّاسُ البكرى كَلِيبًا التَغَلَبِيَّ ، وهاجَت الحرب بين بكر وتغلب  
ابنِ وائل - وهى حَرْبُ البسوس - اعْتزَلهما الحارث بن عُبَّاد <sup>(١)</sup> وقال : هذا أمر  
لا ناقة لى فيه ولا جمل ؛ فقال سعد بن مالك معرّضاً به :

يَأْبُوسَ للحربِ التى وَضَعْتَ <sup>(٢)</sup> أَرَاهَطَ فاستراحوا  
والحربُ لا يَبْقَى لِحَا حَمِيهَا <sup>(٣)</sup> التَّخْيِيلُ والمِرَاحُ  
إِلا الفتى الصَّبَّارِ فى النَّجَدَاتِ والفرسُ الوَقَاحُ <sup>(٤)</sup>  
بِئْسَ الخِلاَفُ بَعَدَنَا أَوْلَادُ يَشْكُرُ وَاللَّقَاحُ <sup>(٥)</sup>  
مَنْ صَدَّ عَن نيرانِها فَأَنَا ابنُ قَيْسٍ لا بَرَّاحُ <sup>(٦)</sup>  
الموتُ غايَتنا فلا قَصْرٌ <sup>(٧)</sup> ولا عَنهُ جِجَاحُ <sup>(٨)</sup>  
وَكأنما وِرْدُ المنيَّةِ عَنبَدنا مالا وِراحُ

\* الأمثال : ١ - ٣٤١ العقد : ٣ - ٣٤٨ ، خزانة الأدب : ١ - ٤٢٣ ، الكامل لابن

الأنيز : ١ - ٣٢٣

(١) الحارث بن عباد : من بكر ، حكيم جاهلي ، كان شجاعاً من السادات ، شاعراً ، وانتهت  
إليه لامرة بنى ضبيعة وهو شاب مات نحو سنة ٥٠٠ ق . هـ . (٢) وضعت : حطت وأسقطت ،  
وأراهط : جمع أراهط الذى هو جمع رهط ، والرهط : عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة (٣) جامها :  
مثيرها وموقدها ، والتخييل : التكبر من الجيلاء ، والمراح : النشاط والبطر ، أى أن الحرب  
تكلف خدة البطر النشيط ، وهو تعريض بالحارث (٤) الصبار : مبالغة صابر ، والنجدة :  
الشدّة ، والوقاح : الفرس الذى حافره صلب شديد (٥) أى إذا ذهبنا وبقيت يشكر وحنيفة  
فبئس الخلائف هم منا ، لا يحمون حريماً ، ولا يأبون ضيماً ، وكانت بنوحنيفة تلعب : اللقاح لأنهم  
لم يدينوا الملك ، وهو يذم الحين لعودهما عن بكر في حروبهم (٦) لا براح : لا يرب .  
(٧) القصر : الحبس (٨) الجراح : الهروب .

ولكن الحارث لم يحفل بذلك ، وتنجى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه ، ولم يزل مُعْتَزلاً ، حتى إذا كان في آخر وقائعهم خرج ابنُ أخيه بُجَيْرٌ (١) بن عمرو ابن عباد في إثر إبلٍ له نَدَّتْ يَطْلُبُهَا ، فعرض له مُهْلَهْلٌ في جماعة يطلبون غِرَّةَ بكر بن وائل . فقال لمهلهل امرؤ القيس بنُ أبان - وكان من أشرف بني تغلب ، وكان على مُقَدِّمَتِهِمْ زماناً طويلاً : لا تفعل ؛ فوالله لئن قتلتَه لِيَقْتُلَنَّ به منكم كَبْشٌ لا يُسألُ عن خاله : من هو ! وإياك أن تحقرِ البغى ؛ فإن عاقبتَه وخيمة ، وقد اعترنا عمُّه وأبوه وأهلُ بيته وقومه . فأبى مهلهل إلا قتلَه ، فطعنه بالرمح فقتله وقال : « بُوَيْشِيعِ نَعْلُ كَلِيبِ (٢) » .

فبلغ فعلُ مهلهل عمَّ بُجَيْرٍ - وكان من أحلم أهل زمانه ، وأشدَّهم بأساً - فقال الحارث : نعم القتييل قتييل أصْلَحَ بين ابني وائل ! فقيل له : إنما قتله بِشِيعِ نَعْلِ كَلِيبِ ، فلم يقبل ذلك ، وأرسل إلى مهلهل : إن كنت قتلت بجيراً بكليب ، وانقطعت الحربُ بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسى بذلك . فأرسل إليه مهلهل : إنما قتلتَه بِشِيعِ نَعْلِ كَلِيبِ ! فغضب الحارث ، ودعا بفرسه - وكانت تسمى النعامة - فجزَّ ناصيتها . وهَلَبَ (٣) ذَنبَهَا ، وقال :

قَرَّبَا مِرْبَطَ (٤) النعامة منى لِقِحت (٥) حربُ وائل عن حِيَالِ

(١) قيل هو ابن الحارث (٢) يقال : أبأت فلاناً بفلان فبأه به : إذا قتلتَه به ، ولا يكاد يستعمل هذا إلا والثاني كفه له ، والشسم : السير الذي يدخل بين الإصبعين (٣) هلب الذنب : تنف شعره ، ويقولون : إن الحارث هو أول من فعل ذلك (٤) المربط : ما ربطت به الدابة ، والنعامة : اسم فرس كانت للحارث بن عباد (٥) لقيحت : حملت ، وعن بمعنى بعد ، والحِيَالِ : أن يضرب الفحل الناقة فلا تحمل ، وهذا مثل ضربه ، وإنما يعظم أمر الحرب لما تولد عنها من الأمور التي لم تكن تحتسب ، والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون .

لا بجيرٍ أغنى قتيلاً ولا رهطٌ كليبٍ تزأجروا عن ضلال  
لم أكن من جُناتها علم اللّهُ وإني بجرّها اليومَ صالِي  
قرباً مِرْبَطِ النعماءة مَنِي إِنَّ قَتَلَ الْغُلامِ بِالشَّعْ غَالِي

ثم ارتحل الحارث مع قومه حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل ، وعليهم يومئذ الحارث بن همام بن مرّة ، فقال الحارث بن عباد له : إن القوم مستقلون قومك ، وذلك زادهم جراءة عليكم ، فقاتلهم بالنساء ، قال له الحارث بن همام : وكيف قتال النساء ! قال : قلد كل امرأة إداوة من ماء ؛ وأعطها هراوة ؛ واجعل جمعهن من ورائكم ؛ فإن ذلك يزيدكم اجتهاداً ؛ وعلموا أنفسكم بعلامات يعرفنها ؛ فإذا مرت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته ، فسقته من الماء ونعشته ، وإذا سرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته ، وأتت عليه .

فأطاعوه ، وحلقت بنو بكر يومئذ رهوسها استيسالاً للوت ، وجعلوا ذلك علامةً بينهم وبين نساءهم ، واقتتل الفرسان قتالاً شديداً ، وانهمزت بنو تغلب ، وحلقت بالظعن بقية يومها ولياتها ، وأتبعهم سرعان<sup>(١)</sup> بكر بن وائل ، وتخلف الحارث بن عباد ، فقال لسعد بن مالك : أتراني ممن وُضعت<sup>(٢)</sup> ؟ قال : لا ، ولكن لا نجباً لعطرٍ بعد عروس<sup>(٣)</sup> .

ثم إن الحارث بن عباد أسر مهلهلاً ، وهو لا يعرفه ، فقال له : دُلّني على

(١) سرعان الناس : أوائلهم المستبقون إلى الأمر (٢) يشير إلى قوله :

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهاط فاستراحوا

(٣) يريد : إن لم تنصر قومك الآن ، فلن تدخر نصرك ؟

المهلل ؛ قال : ولي دمي ؟ قال : ولك دمك ؛ قال : ولي ذمتك وذمة أهلك ؟ قال :  
نعم ذلك لك . قال : فأنا مهلل . قال : دلني على كفة لبجير ، قال : لا أعلمه إلا  
امراً القيس بن أبان ، هناك علمه ؛ فجز ناصيته ، وقصد قصداً امرىء القيس فشد  
عليه فقتله ، وقال الحارث في ذلك :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَعْرِفْ عَدِيًّا إِذْ أَمَكَنْتُنِي الْيَدَانِ  
طُلٌّ<sup>(١)</sup> مِنْ طُلٍّ فِي الْحُرُوبِ وَلَمْ أَوْ تَرُّ بِجُبَيْرًا أَبَاتَهُ<sup>(٢)</sup> ابْنَ أَبَانَ  
فَارِسٌ يُضْرَبُ الْكُتَيْبَةَ بِالسِّيَةِ فِ تَسْمُو أَمَامَهُ الْعَيْنَانَ

(١) طل دمه : ذهب مدراً . (٢) أباء القليل بالقتيل : قتله به .

١٥١ — ضَيْعَنِي صَغِيرًا، وَحَمَلَنِي دَمَهُ كَبِيرًا\*

كان حُجْرٌ فِي بَنِي أَسَدٍ ، وَكَانَتْ لَهُ عَلَيْهِمْ إِتَاوَةٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ مُوقَّتَةً ، فَغَبِرَ (١)  
ذَلِكَ دَهْرًا ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ جَابِيَهُ الَّذِي كَانَ يُجَبِّهِمْ ، فَمَنَعُوهُ ذَلِكَ — وَحُجْرٌ  
يَوْمئِذٍ بِتِهَامَةَ — وَضَرَبُوا رَسْلَهُ ، وَضَرَبُوا جُوهَ (٢) ضَرَجًا شَدِيدًا قَبِيحًا .

فَبَلَغَ ذَلِكَ حُجْرًا فَسَارَ إِلَيْهِمْ بِمَجْدٍ مِنْ رِبِيعَةَ وَقَيْسَ وَكِنَانَةَ ، فَأَتَاهُمْ وَأَخَذَ  
مَتَرَاتِهِمْ ، فَجَعَلَ يَقْتُلُهُمْ (٣) بِالْعَصَا ، وَأَبَاحَ الْأَمْوَالَ ، وَصَيَّرَهُمْ إِلَى تِهَامَةَ ، وَأَلَى  
بِاللَّهِ الْآلِيسَا كَنُومِهِ فِي بَلَدٍ أَبَدًا ، وَحَبَسَ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودِ الْأَسَدِيِّ ، وَكَانَ  
سَيِّدًا وَعَبِيدَ بْنَ الْأَبْرَصِ الشَّاعِرَ ، فَسَارَتْ بَنُو أَسَدٍ ثَلَاثًا .

ثم إن عبيد بن الأبرص قام فقال : أيها الملك ؛ اسمع مقالتي :

يَا عَيْنُ فَا بِنِكِي مَا بَنِي      أَسَدٍ فَهَمُّ أَهْلِ النَّدَامَةِ  
أَهْلَ التِّيَابِ الْحَمْرِ وَالذِّ      عَمَّ الْمُؤَبَّلِ (٤) وَالْمُدَامَةِ  
وَذَوَى الْجِيَادِ الْجُرُودِ وَالْأُ      أَسْلِ الْمُتَقَّةِ الْمُقَامَةِ  
حَالًا (٥) أَيُّدِ اللَّعْنِ حِلًّا      إِنْ فِيمَا قَلَّتْ آمَةٌ (٦)  
فِي كُلِّ وَادٍ بَيْنَ يَدَيْهِ      رَبِّ فَالْقُصُورِ إِلَى الْبِيَامَةِ  
تَطْرِبُ عَانٍ أَوْ صِيَا      حُ مَحْرَقٍ أَوْ صَوْتُ هَامَةِ

\* الأغانى : ٩ - ٨٧

(١) غبر : لبث وبقى (٢) ضربه : أدماه (٣) سموا لذلك عبيد العصا (٤) المؤبل  
المفتنى (٥) حلا : أى تحلل من يمينك (٦) الآمة : العيب .

وممنهم جداً فقد حلوا على وجل تهمته  
برمت بنو أسد كما برمت ببيضتها الحمامة  
جلبت لها غودين من نسيم وآخر من ثمامة<sup>(١)</sup>  
إما تركت تركت عفا وأوقلت فلا ملامة  
أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامة  
ذلوا لسوطك مثل ما ذل الأشيقر<sup>(٢)</sup> ذوالخزامه

فرق لهم حُجْرٌ حين سمع قوله ؛ فبعث في أثرهم فأقبلوا ، حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم<sup>(٣)</sup> فقال لبني أسد : من الملك الأصهب ، الغلاب غير المغلب ، في الإبل كأنها الرزب<sup>(٤)</sup> ، لا يعلق رأسه الصخب ! هذا دمه ينثعب<sup>(٥)</sup> ، وهذا غداً أول من يسلب .

قالوا : من هو ؟ قال : لولا أن تجيش نفس جاشية ، لأخبرتكم أنه حُجْرٌ ضاحية .

فركبوا كل صعب وذلول ، فساأشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حُجْرٍ فجمعوا على قبته ، وهزموا أصحابه وأسروه فحبسوه ، وتشاور القوم في قتله ؛ فقال لهم كاهن من كهنهم بعد أن حبسوه ليروا رأيهم فيه : أي قوم ! لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم .

فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله ؛ فلما رأى ذلك علباء بن الحارث

(١) النسيم : شجر جبلي تتخذ منه القسي ، والثمامة : نبت بالبادية (٢) الأشيقر : تصغير الأشقر : الأحمر من الدواب ، والخزامة : حلقة من شعر تجعل في وترة أظف البعير يشد بها الزمام (٣) هو عوف بن ربيعة (٤) الرزب : الفطيم من بقر الوحش (٥) ينثعب : يجري .



الكاهليّ خشي أن يتوّأكلوا في قتله ، فدعا غلاماً من بني كاهل - وكان ابن أخته <sup>(١)</sup> - فقال : يا بنيّ ؛ أعتدك خير فتناً بأبيك ، وتنال شرف الدهر ، وإن قومك لن يقتلوك !

فلم يزل بالغلام حتى حرّبه <sup>(٢)</sup> ، ودفع إليه حديدة قد شحّدها ، وقال : ادخلْ عليه مع قومك ، ثم اطعمه في مَقْتله .

فعمد الغلامُ إلى الحديدة فخبأها ، ثم دخل على حُجْر في قَبْته التي حُسِ فيها . فلما رأى الغلام غَفْلَةً وثب عليه فقتله ، فوثب القوم على الغلام فقالت بنو كاهل : نأرنا وفي أيدينا !

فقال الغلام : إنما نأرتُ بأبي ، فخلّوا عنه .

وأقبل كاهنهم المزدَجِر فقال : أي قوم ! قتلتموه ا مُلْك شهر ، ودلّ دهر ، أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبدا .

ولما طعن الغلام حُجراً ولم يجهز عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له : انطلق إلى ابني نافع - وكان أكبر ولده - فإن بكى وجزع فإلهُ عنه ، واستقرهم واحداً واحداً ، حتى تأتي امرأ القيس <sup>(٣)</sup> - وكان أصغرهم - فأئيمهم لم يجزع ، فادفع إليه سلاحي وخيلى وقُدُورى ووصيتي ، وبين في وصيته من قتله ، وكيف كان خبره .

فانطلق الرجلُ بوصيته إلى نافع ابنه ، فأخذ التراب فوضعه على رأسه ، ثم

---

(١) كان حجر قد قتل أبا زوج أخت علباء ، وقيل بل كان حجر قتل أبا علباء نفسه .  
(٢) حربه : حرشه (٣) أشهر شعراء العرب ، وكان أبوه ملك أسد وخطان ، وقال الشعر وهو غلام ، وجعل يشب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب ، ومات سنة ٨٠ ق . ه .

استقرأهم واحداً واحداً ، فكلمهم فعل ذلك ، حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشربُ الخمرَ ويلاعبه بالتزدد ؛ فقال له : قُتِلَ حُجْرٌ ؛ فلم يلتفتْ إلى قوله ، وأمسك نديمه . فقال له امرؤ القيس : اضربْ فاضرب ، حتى إذا فرغ قال : ما كنتُ لأُفسد عليك دَسْتِكَ .

ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله ، فأخبره ، فقال : الخمرُ على النساء حرام ، حتى أقتلَ من بنى أسدٍ مائةً وأجزَ (١) نواصي مائة .

وكان امرؤ القيس قد طرده أبوه حُجْرَ ، وآلى ألا يقيمَ معه أنفةً من قوله الشعْرَ - وكانت الملوك تأنف من ذلك - فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاطٌ من شدَّاذ (٢) العرب ، من طيئٍ وكلبٍ وبكر بن وائل ؛ فإذا صادفَ غديراً أو روضةً أو موضعَ صَيْدٍ أقام فذبح لمن معه في كلِّ يوم ، وخرج إلى الصيد فتصيد فأكل وأكلوا معه ، وشرب الخمر وسقاهم وغنَّته قِيَانُهُ .

ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل عنه إلى غيره . فأتاه خبرُ أبيه ومقتله وهو بدمون من أرض اليمن ، فقال :

تطاول الليلُ على دَمُونٍ دَمُونُ إِنَا مَعَشَرُ يَمَانُونِ

\* وَإِنَّا لِأَهْلِنَا مُحِبُونَ \*

ثم قال : ضيغني صغيراً ، وحملي دمه كبيراً . لا صححو اليوم ، ولا سُكْرَ غداً ، اليوم خمر ، وغداً (٣) أمر . ثم قال :

خليلي لا في اليوم مَصْحَى لشاربٍ ولا في غدٍ إذ ذاك ما كان يُشربُ

(٢) شدَّاذ العرب : الذين لم يكونوا في حيه

(١) يريد حتى أقتل منهم مائة وأسر مائة

(٣) ذهب مثلا .

ثم شرب سبباً ، فلما صحا آلى ألا يأكل لحماً ، ولا يشرب خمرأ ، ولا  
يدهن بدهن ، ولا يصيب امرأة حتى يدرك بثأره ؛ فلما جنه الليل رأى  
برقاً ، فقال :

أرقت لبرقٍ بليلاً أهلاً      بضى سنأه بأعلى الجبيل  
أناى حديث فكذبته      بأمر تززع<sup>(١)</sup> منه القليل  
بقتل بنى أسد ربهم      ألا كل شىء سواه جلل<sup>(٢)</sup>  
فأين ربيعة عن ربها      وأين تميم وأين الخول<sup>(٣)</sup>  
ألا يحضرون لدى بابي      كما يحضرون إذا ما أكل

وارتحل امرؤ القيس حتى نزل بكرةً وتغلب ، فسألهم النصر ، وبعث العيون  
على بنى أسد ، فلما كان الليل قال لهم عليباة : يامعشر بنى أسد ، تعلمون والله أن  
عيون امرئ القيس قد أتتكم ، ورجعت إليه بخبركم ، فازحلوا بليل ولا تعلموا  
بنى كنانة . ففعلوا .

وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب ، حتى انتهى إلى بنى كنانة ، وهو  
يحسبهم بنى أسد ، فوضع السلاح فيهم ، وقال : يالثرات الملك ! يالثرات الهمام !  
فخرجت إليه عجوز من بنى كنانة فقالت : أبيت اللعن ! لسنا لك بثأر ، نحن من  
كنانة ، فدونك ثأرك فاطلبهم ، فإن القوم ساروا بالأمس .  
فتبع بنى أسد ، فقاتوه ليلتهم تلك ، فقال :

(١) أصله : تززع : (٢) جمل : هين (٣) الخول : جمع خولى : وهو الراعى الحسن  
القيام على المال

أَلَا يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ      هُمْ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا  
وَقَامَ جَدُّهُمْ بَيْنَ أَبِيهِمْ      وَبِالْأَشْقَيْنِ (١) مَا كَانَ الْعِقَابُ  
وَأَفْلَتَهِنَّ عِلْبَاءَ جَرِيضًا (٢)      وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفِيرُ الْوِطَابِ (٣)

وأدرکهم ظهراً ، وقد نقطعت خيله ، وقطع أعناقهم العطش ، وبنو أسد جامون (٤) على الماء ، فهد إليهم فقاتلهم ، حتى كثرت الجرحى والقلى فيهم ، وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو أسد .

فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم ، وقالوا له : قد أصبت نارك . قال : والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً . قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشنوم ، وكرهوا قتالهم ، وانصرفوا عنه ، فمضى هارباً لوجهه حتى لحق بجمير .

فاسعأجر من قبائل العرب رجالا ، فسار بهم إلى بني أسد ، ومرة بتبالة (٥) ، وبها صنم للعرب تُعظَّمه ، فاستقسم (٦) عنده بقداحه ، وهي ثلاثة : الأمر ، والناهي والمترئص . فأجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخرج الناهي ، فجمعها فكسرها وضرب بها وجه الصنم ، وقال : لو أبوك قتل ما عقتني ، ثم خرج فظفر بيني أسد .

وألح المنذر (٧) في طلب امرئ القيس ، ووجه الجيوش في طلبه من إياد

(١) الجد : الحظ ، والأشقين : جمع أشقي ، ويقصد بهم بني كنانة (٢) أي بعد جهد ومشقة والضمير في «أفلهن» و«أدركنه» للخيل التي كروا بها عليهم (٣) صفر الوطاب ، أي لو أدر كوه قتلوه وساقوا إليه فصرفت وطابه من اللبن (٤) أي مجتمعون مستريحون (٥) موضع بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة (٦) الاستقسام : طلب معرفة ما قسم للمرء مما لم يقسم (٧) كانت في نفس المنذر موجدة على آل امرئ القيس ؛ لأن الحارث جد امرئ القيس زاحم المناذرة ملوك الحيرة عند كسرى في النباية عنه على ملك الحيرة ، وقت أن شجر الخلاف بين المناذرة وكسرى قباذ .

وبهزاء وتنوخ ، وأمدّه أنوشروان بجيشٍ من الأساورة فسرحهم في طلبه ، فلم يكن لامرئ القيس بهم طاقةٌ ، وتفرقت حمير ومن كان معه عنه ، فنجا في عصابة من بني آكل المرار ، ونزل ببعض رؤساء القبائل يستجيرُ بهم ، وصار يتحول عنهم إلى غيرهم ، حتى نزل برجل من بني فزارة ، يقال له : عمرو بن جابر ابن مازن ، فطلب منه الجوار ، حتى يرى ذات عيبه (١) .

فقال له الفزاريّ : يا ابن حُجر ، إني أراك في خللٍ من قومك ، وأنا أنفس (٢) بمثلك من أهل الشرف ، وقد كدت بالأمس تؤكل في دار طيبي ، وأهل البادية أهل وبر ، لا أهل حصون تمنعهم ، وبينك وبين أهل اليمن ذؤبان من قيس ، أفلا أدلك على بلد ا لقد جئت قيصر ، وجئت النعمان ؛ فلم أر لضيفٍ نازل ولا لِحْتَدٍ (٣) مثله ولا مثل صاحبه .

قال : من هو وأين منزله ؟ قال : السموءل بتيماء ، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات عيبك ، وهو في حصن حصين وحسب كبير .

فقال له امرؤ القيس : وكيف لي به ؟ قال : أوصلك إلى من يوصلك إليه .

فصحبته إلى رجلٍ من بني فزارة يقال له : الربيع بن ضبع الفزاريّ ، ممن يأتي السموءل فيحمله ويمطيه .

فلما صار إليه قال له الفزاريّ : إن السموءل يُعجبه الشعر ، فتعال نفاشد له أشعاراً ؛ فقال امرؤ القيس : قل حتى أقول . فقال الربيع :

(١) أي ينظر في أمره ، ويصلح من شأنه (٢) أنفس بك : أضن بك (٣) طالب عطاء .

قل للنبيّة أيمى حين نلتقى      بفناء بيتك في الحضيض المزلق<sup>(١)</sup>  
ولقد أتيتُ بنى المصاضِ مفاخرأ      وإلى السموءل زُرته بالأبلى<sup>(٢)</sup>  
فأتيتُ أفضلَ مَنْ تحمل حاجةً      إن جتته في غارمٍ أو مرهق  
عرفتُ له الأرقامُ كلّ فضيلة      وحوى المكارم سابقاً لم يُسبق  
فقال امرؤ القيس :

طرقتكَ هندٌ بعد طول تجنّب      وهنأ ولم تكُ قبل ذلك تطرُق<sup>(٣)</sup>  
ثم مضى القومُ حتى قدموا على السموءل ، فأنشده الشعر ، وعرف لهم حقهم ،  
ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغسانی ليوصله  
إلى قيصر .

ومضى حتى انتهى إلى قيصر ، فقبّله وأكرمه ، وكانت له عنده منزلة .  
ثم إن قيصر ضمّ إليه جيشاً كثيفاً ، فيه جماعةٌ من أبناء الملوك ، فلما فصل<sup>(٤)</sup>  
قال لقيصر قومٌ من أصحابه : إن العرب قومٌ غدر ، ولا تأمنُ أن يظفروا بما يريد ،  
ثم يغزوك بمن بعثت معه .

فبعث إليه حينئذ بحمّلةٍ وشيٍّ مسمومةٍ منسوجةٍ بالذهب ، وقال له : إني  
أرسلتُ إليك بحمّلتى التى كنت ألبسها تكريماً لك ؛ فإذا وصلت إليك فآلبسها  
باليمن والبركة ، واكتب إلى مخبرك من منزلٍ منزل .

فلما وصلت إليه لبسها ، واشتدّ سروره بها ؛ فأسرع فيه السّمّ وشقط جلده  
فقال :

(١) المزلق : الموضع الذى لا تثبت عليه قدم  
(٢) الأبلى : حصن السموءل  
(٣) بقول  
صاحب الأغاني : أظن أن هذه القصيدة منجولة .  
(٤) فصل : رحل .

لقد طمَحَ الطَّمَاحُ من بَعْدِ أرضِهِ      لِيُلبَسَنِي مِمَّا يلبَسُ أبُو سَامَا  
فلو أَنهَا نفسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً      ولكنهَا نفسٌ تَسَاقُطُ أَنفُسَا

فلما صار إلى بلدةٍ من بلاد الروم تدعى أنقرة احتضرت بها فقال :

رب جفنة مُشعِنِجِرَةٍ (١)      وطعنةٍ مُسحَنِفِرَةٍ (٢)

تبقى غداً بأنقرة \* \*

ورأى قَبْرَ امرأةٍ من أبناء الملوك ماتت هناك ، فدُفِنَتْ في سفح جبلٍ يقال له :  
عَسِيب ، فسأل عنها ، فأخبرَ بقصتها ، فقال :

أجارتنا إنَّ الزَّارَ قَرِيبُ      وإني مقيمٌ ما أقام عَسِيبُ  
أجارتنا إنا غريبان ها هنا      وكلُّ غريبٍ للغريب نَسِيبُ

ثم مات فدُفن هناك .

(٢) مسحنفرة : متسعة .

(١) الشعنجرية من الجفان : التي يفيض ودكها

١٥٢ — ما كان لولا غيرة الليل يغلب \*

ورد شأس بن زهير من عند النعمان بن المنذر ، وقد حباه أفضل الحبوّة :  
مِسْكَاً وَكُسّاً وَقُطْفًا <sup>(١)</sup> وَطَنَافِسَ ؛ فَأَنَاحَ نَاقَتَهُ فِي يَوْمِ شَمَالٍ <sup>(٢)</sup> وَقُرّاً <sup>(٣)</sup> عَلَى  
رَذْهَةٍ <sup>(٤)</sup> فِي جَبَلِ رِيَاحِ بِنِ الْأَسْكَ الْغَنَوِيِّ ، وَلَيْسَ عَلَى الرَذْهَةِ غَيْرُ بَيْتِهِ بِالْجَبَلِ ،  
فَأَلْقَى ثِيَابَهُ بِغَنَائِهِ ، ثُمَّ قَعَدَ يَهْرِيقُ <sup>(٥)</sup> عَلَيْهِ الْمَاءَ ، وَامْرَأَةٌ رِيَاحٌ قَرِيبَةٌ مِنْهُ ، وَإِذَا هُوَ  
مِثْلُ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، فَقَالَ رِيَاحٌ لَامْرَأَتِهِ : أُعْطِيْنِي قَوْسِي ، فَدَتَّ إِلَيْهِ قَوْسَهُ  
وَسَهْمًا ، وَانْتَزَعَتِ الْمَرْأَةُ نَصْلَهُ لِثَلَا يَقْتُلَهُ ، فَأَهْوَى عَجْلَانًا إِلَيْهِ ، وَوَضَعَ السَّهْمَ فِي  
مُسْتَدَقِّ الصَّلْبِ ، بَيْنَ فِقَارَتَيْنِ <sup>(٦)</sup> فَفَصَلَمَهُمَا ، وَخَرَّ سَاقِطًا ، وَحَفَرَ لَهُ حَفْرًا ، فَهَدَمَهُ  
عَلَيْهِ ، وَنَحَرَ جَمْلَهُ وَأَكَلَهُ ، وَأَدْخَلَ مَتَاعَهُ فِي بَيْتِهِ .

وَقُدِّدَ شَاسٌ ، وَقُصَّ أَثَرُهُ وَنُشِدَ؛ وَرَكِبُوا إِلَى الْمَلِكِ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ :  
حَبَوْتُهُ وَسَرَّحْتُهُ . فَقَالُوا : وَمَا مَتَمَّتَ <sup>(٧)</sup> بِهِ ؟ قَالَ : مَسَكْتُ وَنُطُوعَ وَقُطْفٍ ،  
فَأَقْبَلُوا يَقْصُونَ أَثَرَهُ ، فَلَمْ تَتَّضِحْ لَهُمْ سَبِيلُهُ ، فَكُنُوتُوا كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، حَتَّى  
انْقَطَعَ ذِكْرُهُ .

\* الْأَغَانِي : ٨ - ١٠ ، ابْنُ الْأَثِيرِ : ١ - ٣٣٧ ، مَهَذِبُ الْأَغَانِي : ٢ - ٨

(١) القُطْفَةُ : دَنَارٌ مَخْمَلٌ ، جَمْعُهُ قُطْفٌ ( يَضْمَتَيْنِ ) (٢) الشَّمَالُ : الرِّيحُ الَّتِي تَهْبُ بَيْنَ مَطْلَعِ  
الشَّمْسِ وَبِنَاتِ نَفْسِ ، وَيَكُونُ اسْمًا وَصِفَةً (٣) القُرُ : البُرْدُ (٤) الرَذْهَةُ : النَّقْرَةُ يَجْتَمِعُ  
فِيهَا مَاءُ السَّمَاءِ (٥) دَرَأَقُ الْمَاءِ : أَرَاقُهُ (٦) الفِقْرَةُ وَالْفِقَارَةُ : مَا اتَّخَذَ مِنْ عِظَامِ الصَّلْبِ  
(٧) مَتَعَ الرَّجُلُ : جَادَ .



قال الراوى : ثم إن الناس أصابتهم جائحةٌ وجُوعٌ ، فنحر زهير<sup>(١)</sup> بن جذيمة - أبو شأس - ناقته ، فأعطى امرأةً من شحمها وسنامها ، وقال : اشترى لى الهدب والطيب ، فخرجت بذلك الشحم والسنام تبيعه حتى دفعت إلى امرأة رباح ، فقالت : إن معى شحماً أبيعهُ فى الهدب والطيب ، فاشترت المرأة منها ، ثم أتت المرأة زهيراً بذلك ، فعرف الهدب ، وذهب إلى غنى ، فقالوا : نعم ، قتله رباح بن الأسك ونحن برآء منه ، وقد لحق بخاله من بنى الطَّمَّاح .

ولما تبين زهير أن رباحاً ثأره قال يرئى شاساً :

بماء غنىٍ آخِرَ الليلِ يُسَلِّبُ	بكيتُ لشأسٍ حين خُبِرْتُ أنه
وما كان لولا غيرةُ الليلِ يُغَلِّبُ	لقد كان مأتاه الرِّدَاةَ <sup>(٢)</sup> لِحْتِفِهِ
كذلك لعمري الحينُ <sup>(٣)</sup> للمرءِ يُجَلِّبُ	قتيل غنىٍ ليس شكلٌ كَشَكْلِهِ
وحقٌ لشأسٍ عَبرةٌ حين تسكُبُ	سأبكي عليه إن بكيت بعبرةٍ
على مثل ضوءِ البدرِ أو هو أعجبُ	وحزنٌ عليه ما حيتُ وعوالةٌ
وكان لدى الهيجاءِ <sup>(٤)</sup> يُخشى ويرهبُ	إذا سيمَ ضيماً كان للضمِّ مُنْكَرِاً
أجاب لما يدعُو له حين يكرَبُ	وإن صوتَ الداعى إلى الخيرِ مرةً
فقلبي عليه لو بدا القلبُ مُنْهَبُ	ففرَّج عنه ثم كان ولياً

ثم انصرف إلى قومه من بنى عَبَسَ ، فكان لا يقدر على غنوىٍ إلا قتله .

(١) هو زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى ، أمير عبس ، وأحد سادات العرب للمدودين فى الجاهلية ، قتله خالد بن جعفر العامرى نحو سنة ٥٠ ق . هـ (٢) الرداة : الصخرة (٣) الحين : الهلاك (٤) الهيجاء : الحرب .

وتجهز بنو عبس لغزو غنى قبل أن يطلبوا قوداً أو ديةً، وتولى رياستهم الحصينُ  
ابن زهير، أخو شأس، والحصينُ بن أسيد بن جذيمة، ابن أخي زهير، فقيل ذلك  
لغنى، فقالت لرياح: انجُ لعلنا نصلح على شيء أو نرضيهم بديةٍ وفداء.

فخرج رياحٌ رديقاً<sup>(١)</sup> لرجل من بني كلاب، فبينما هما سائران إذاهما بالقوم  
أدنى ظلام<sup>(٢)</sup>، وقد كانا يظنان أنهما خالفاً وجهة القوم، قال صاحب رياح:  
أذهب فإني آتي القوم أشاغلمهم عنك، وأحدثهم حتى تُعجزهم، ثم أنا ماضٍ إن  
تركوني. فأنحدر رياح عن عجز الجل فأخذ أذراجه، وعدا إثر الراحة حتى أتى  
ضفةً، فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب، فوَلَج فيه، ثم أخذ نعليه، فجعل إحداها  
على سرته، والأخرى على صفته<sup>(٣)</sup>، ثم شدَّ عليهما العمامة، ومضى صاحبه حتى  
لحق القوم، فسألوه، فحدثهم، وقال: هذه غنىٌ كاملة، وقد دنوتُ منهم،  
فصدقوه واخلوا سِرِّبه<sup>(٤)</sup>.

فلما ولي رأوا مرَّكب الرجل خلفه، فقالوا: من هذا الذي كان خَلْفك؟ قال:  
لا مكذوبة! ذلك رياح في الأول من السمرات، فقال الحَصِينان لمن معهما: قِفُوا  
علينا حتى نعلمَ علمه، فقد أمكننا الله من نارنا ولم يريدا أن يشركهما فيه أحد،  
فضيا ووقف القوم عنهما، فلما رآهما رياح رمى الأول منهما فبترَ صلته، وطعنه الآخر  
قبل أن يرميه، وأراد السرة فأصاب الرَبْلَةَ<sup>(٥)</sup>، ومَرَّ الفرس يهوى به، فاستدبره  
رياح بسهم رشق به صلبه فانفقر منحني الأوصال، وندَّت فرسهما فلحقنا بالقوم،  
وانطلق رياح حتى ورد رَدْهه، عليها بيت أثمار بن بغيض، وفيه امرأة، ولها ابنان

(١) الرديف: الذى تحمله خلفك على ظهر الدابة (٢) أدنى ظلام: أدنى شيء (٣) الصفن: وعاء الحصى (٤) خلوا سربه: أى طريقه (٥) الربلة: أصل الفخذ.

قريبان منها ، وجعل لها راتع في الجبل ، وقد مات ريباح عطشاً ، فلما رأته يستدمني<sup>(١)</sup>  
طمعت فيه ، ورجت أن يأتيها ابنها ، فقالت له : استأمير ، فقال لها : دعيني  
- وَيَمَكِّ - أشرب ! فأبت ، فأخذ حديدة فجذم بها رواهشها<sup>(٢)</sup> ، وعب في  
الماء حتى نهل ، ثم قال فيها وفي الحصينتين :

قالت لي استأمير لتكنفني<sup>(٣)</sup> حيناً ويعملوا قولها قولي  
ولأنت أجرأ من أسامة أو مني غداة وقفت للخيل  
إذ الحصين لدى الحصين كما عدل الرجازة<sup>(٤)</sup> جانب الميل

(١) استدمني الرجل : طأطأ رأسه يقطر منه الدم (٢) جذم : قطع . الرواهش : عروق ظاهر الكف (٣) كنفه : أحاط به وآواه (٤) الرجازة : شيء يكون مع المرأة في هودجها فإذا مال أحد الجانبين وضعت في الناحية الأخرى ليعتدل .

١٥٣ — لَأَقْتَلَنَّهُ وَلَوْ كَانَ فِي حِجْرِ النِّعْمَانِ \*

لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب زهير بن جذيمة العبسي ضاقت به الأرض ،  
وعلم أن غطفان غير تاركيه ؛ فخرج حتى أتى النعمان فاستجار به فأجاره ، ومعه  
أخوه عتبة بن جعفر .

ونهمض قيس بن زهير فتهدياً لمحاربة بني عامر ، وهجم الشتاء ؛ فقال الحارث  
ابن ظالم : يا قيس ؛ أتم أعلم وحربكم ، وأنا راحلٌ إلى خالد حتى أقتله ، قال قيس :  
قد أجاره النعمان ، قال الحارث : لَأَقْتَلَنَّهُ وَلَوْ كَانَ فِي حِجْرِه !  
وكان النعمان قد ضرب على خالد وأخيه قبةً ، وأمرهما بحضور طعامه  
ومدأمه (١) .

فأقبل الحارث ومعه تابع له من بني محارب فأتى باب النعمان ، فاستأذن فأذن له  
النعمان وفرح به . فدخل الحارث ، وكان من أحسن الناس وجهاً وحديثاً ، وأعلم  
الناس بأيام العرب ؛ فأقبل النعمان عليه بوجهه يحدُّه ، وبين أيديهم تمرٌ يأكلونه .  
فلما رأى خالد إقبال النعمان على الحارث غاظه ذلك ، فقال : يا أبا ليلى ؛ ألا  
تشكرني ؟ قال : علام ؟ قال : قتلت زهيراً فصيرت بعده سيِّدَ غطفان — وفي يد  
الحارث تمرات ؛ فاضطربت يده ، وجعل يُرعد ويقول : أنت قتلتني !! والتمر يسقط  
من يده .

\* الأمثال : ٢ - ٢٣٤ ، عيون الأخبار : ١ - ١٨٣

(١) المدام : الحمر .

ونظر النعمان إلى مابه من الزمّع<sup>(١)</sup> ، فنخس خالدًا بعصاه ، وقال : هذا يقتلك !  
 فقال : آيت اللعن ! فوالله لو كنت نائمًا ما أيقظني ! وافترق القوم ، وبقي الحارثُ  
 عند النعمان ، وأشرح<sup>(٢)</sup> خالدٌ قُبته عليه وعلى أخيه ونأما .

وانصرف الحارثُ إلى رَحله ، فلما هدأتِ العيون خرج بسيفه حتى أتى قبة  
 خالد فهتكَ شرجها<sup>(٣)</sup> بسيفه ، فدخل فرأى خالدًا نائمًا وأخوه إلى جنبه ، فأيقظ  
 خالدًا فاستوى قائمًا ، فقال له الحارثُ : يا خالد ؛ أظننتَ أن دم زهير كان سائغًا  
 لك ! وعلاه بسيفه حتى قتله . وانتبه عتبة ، فقال له الحارثُ : لئن نبتت<sup>(٤)</sup>  
 لألحقنك به !

وانصرف الحارثُ ، وركب فرسه ومضى على وجهه ، وخرج عتبةُ صارخًا حتى  
 أتى باب النعمان ، فنادى : ياسوء جواراه ا فأجيب : لاروع عليك ! فقال : دخل  
 الحارثُ على خالد فقتله ، وأخفر<sup>(٥)</sup> الملك .

فوجه النعمانُ فوارسَ في طلبه فلحقوه سحرًا ، فمطف<sup>(٦)</sup> عليهم ، فقتل جماعةً  
 منهم وكثروا عليه ، فجعل لا يقصد لجماعة إلا فرقها ، ولا لفارس إلا قتله .  
 فارتدع القوم عنه ، وانصرفوا إلى النعمان .

فقال عمرو بن الإطنابة :

عَلَّلَانِي وَعَلَّلَا صَاحِبِيَا      وَاسْقِيَانِي مِنَ الْمُرُوقِ رِيَا  
 إِنَّ فِينَا الْقِيَانَ يَمْرُفْنَ بِالضَّرِّ      بَ لِفَتِيَانِنَا وَعَيْشًا رَضِيَا  
 يَنْهَاهِينَ فِي النِّعْمِ وَيَضُرُّ      نَ خِلَالَ الْقُرُونِ مِسْكَاذَ كِيَا

(١) الزمّع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان (٢) أشرح الحيمة : أدخل بعض عراها في بعض بين  
 أعراجها (٣) الشرج : عرا الحيمة (٤) نبتس : أقل الكلام (٥) أخفر الملك : قض  
 عهده وغدره . (٦) عطف : مال .

أبلغًا الحارثَ بنَ ظالمِ الرُّءِ (١) ديدَ والناذرَ الذُّورَ عَلَيَّا :  
إنما تَقْتُلُ النَّيِّمَ ولا تَقُ تِلْ يَقْظانَ ذا سِلاحٍ كَمِيًّا (٢)  
وكان عمرو قد آلى (٣) ألا يدعوَه رجلٌ بليلى إلا أجابه ، ولا يسأله عن اسمه .  
فأتاه الحارثُ ليلا فهتف به ، فخرج إليه ، فقال : ما تريد ؟ قال : أَعِنِّي على إبلِ  
ابنى فلان ، وهى منك غيرُ بعيد ، فأبها غنيمه بارده !

فدعا عمرو بفرسه ، وأراد أن يركب حاسراً ، فقال له : البسْ عليك سلاحك ،  
فأبى لا آمن امتناعَ القوم ، فاستلأم (٤) وخرج معه ، حتى إذا برزاً قال له الحارثُ :  
أنا أبو ليلي فخذُ حذرَكَ يا عمرو ، فقال له : امْنُنْ علىَّ . فجزَّ ناصبته ، وقال :

عَلَّانِي بِلَدِّي قَيْمَتِيًّا قَبْلَ أَنْ تَبْكِيَ الْعَيْونُ عَلَيَّا  
قَبْلَ أَنْ تَذْكَرَ الْعَوادِلُ أُنِي كَفْتُ قَدِمًا لِأَمْرِهِنَّ عَصِيًّا  
مَا أَبالِي إِذَا اصْطَبَحْتُ ثَلَاثًا أُرْشِيدًا دَعَوَتْنِي أُمُّ غَوِبًا  
غَيْرَ أَلَا أُسِرَّ لَهِ إِثْمًا فِي حَيَاتِي وَلا أُخونَ صَفِيًّا  
بَلَفَتْنِي مَقالَةَ المَرءِ عَمْرُو بَلَفَتْنِي وَكانَ ذاكَ بَدِيًّا  
فَجَرَجنا لِمَوْعِدِ فَالتَقِينا فوجَدناه ذا سِلاحٍ كَمِيًّا  
غَيْرَ ما نَأْمُ بِرُوعِ بِاللَّيْلِ مُعَدًّا بِكَفِّهِ مَشْرِفِيًّا  
فَجَرَجنا بِالْمَنِّ مِنَّا عَلِيهِ بَعْدَ ما كانَ مِنْهُ مِنَّا بَدِيًّا

(١) الرعيد : الجبان (٢) الكمي : الشجاع (٣) آلى : حاف (٤) استلأم : لبس  
اللامه : الدرع .

١٥٤ — وفاء وغدر \*

سار المنذر بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة في معدٍ كلها حتى نزل بعينِ أباغ، وأرسل إلى الحارث<sup>(١)</sup> بن أبي شمر ملك العرب بالشام، وقال له: إما أن تُعطيني الفديةَ فأصرفَ عنك بجنودى، وإما أن تأذنَ بحرب.

فأرسل إليه الحارث: أنظرنا ننظر في أمرنا. وجمع عساكره، وسار نحو المنذر، وأرسل إليه يقول له: إنا شيخان فلا تهلك جنودى وجنودك، ولكن يخرج ولدٌ من ولدى ورجل من ولدك فمن قتلَ خرجَ عوضه آخرٌ، وإذا فنيَ أولادنا خرجتُ أنا إليك، فمن قتلَ صاحبه ذهب بالملك، فتعاهدا على ذلك.

فعمد المنذر إلى رجل من شجعان أصحابه، فأمره أن يخرج فيقف بين الصفيين، ويظهر أنه ابن المنذر، فلما خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كرب، فلما رآه رجع إلى أبيه، وقال: إن هذا ليس بابن المنذر، إنما هو عبده أو بعضُ شجعان أصحابه، فقال: يا بني، أجزعت من الموت! ما كان الشيخ ليفدر<sup>(٢)</sup>! فعاد إليه وقتله فقتله الفارس، وألقى رأسه بين يدى المنذر وعاد.

\* الكامل لابن الأثير: ١ - ٣٢٦

(١) في كتاب الأعلام للزركلى أن الحارث لقب عام للملك الفسائين، كقيصر عند الروم، وكسرى عند الفرس؛ وهو أشهر ملوك غسان ذكراً، وكان جواداً كثير الهبات دام ملكه نحو ٣٠ عاماً، ومات نحو سنة ٤٠ ق. هـ (٢) يفدر: يتقض المهد.

فأمر الحارث ابناً له آخر بقتاله والطلبِ بثأر أخيه ، فخرج إليه ، فلما وافقه<sup>(١)</sup> رجع إلى أبيه ؛ وقال : يا أبت ؛ هذا والله عبدُ المنذر ، فقال : يا بني ؛ ما كان الشيخ ليفدِر ! فعاد إليه ، فشدّ عليه فقتله .

فلما رأى ذلك شمر بن عمر ، وكانت أمه غسانية وهو مع المنذر ، قال : أيُّها الملك ؛ إن العَدْرَ ليس من شيمِ الملوك ولا الكرام ، وقد غدرتَ بابن عمك دفعتين ، فغضبَ المنذر ، وأمر بإخراجه ، فلحق بمسك الحارث فأخبره ، فقال له : سلّ حاجتك ، فقال له : حلّتك وخلّتك .

فلما كان الغد عي الحارث أصحابه وحرّضهم ، وكانوا في أربعين ألفاً واصطفوا للقتال ، فافتتلوا قتالاً شديداً ؛ فقتلَ المنذر وهزمت جيوشه ، فأمر الحارث بابنيه القتيلين فحُملا على بعير بمنزلة العذلين ، وجعلَ المنذر فوقهما فردا ، وقال : « يالعلّوة<sup>(٢)</sup> دُونَ العِدْلَيْنِ ! » وسار إلى الحيرة فأمنه<sup>(٣)</sup> وأحرقها ، ودفن ابنيه بها ، وفي ذلك يقول الشاعر :

كم تركنا بالعين عَيْنُ أَباغٍ      من ملوك وسوقِ أكَفاء  
أمطرهم سحاب الموت تَتْرَى      إن في الموت راحةَ الأشقياء  
ليس من مات فاستراح بِمَيْتِ      إمّا الميتُ ميّتُ الأحياء

(١) الموافقة : أن تقف معه ويقف معك في حرب أو خصومة (٢) العلّوة : ما يحمل على البعير وغيره ، وهو ما وضع بين العدلين (٣) أمنه : أباحها لمن شاء .



١٥٥ — يثأر لأبيه وجدّه \*

كان من حديث قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ <sup>(١)</sup> أن جدّه عديّ بن عمرو قتل رجل من بني عمرو بن عامر يقال له : مالك ، وقتل أباه الخطيم بن عدي رجل من عبد قيس ممن يسكن هَجْر ، وكان قيس يوم قُتِلَ أبوه صبيّاً صغيراً ، وقتل الخطيم قبل أن يثأرَ بأبيه عديّ ، فخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأرِ أبيه وجدّه فيهلك .

فعمدّت إلى كومة من تراب عند باب الدار ، فوضعت عليها أحجاراً وجعلت تقول لقيس : هذا قبرُ أبيك وجدّك ، فكان قيس لا يشكّ في ذلك .

ونشأ أيداً <sup>(٢)</sup> شديد الساعدين ؛ فنازع يوماً قتي من فتيان بني ظفر ؛ فقال له ذلك الفتى : والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل أبيك وجدّك لكان خيراً لك من أن تُخرّجها على ؛ فقال : ومن قاتل أبي وجدّي ؟ قال : سل أمك تخبرك .

فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض ، وذبابه <sup>(٣)</sup> بين ثديه ؛ وقال لأمه : أخبريني من قتل أبي وجدى ؟ قالت : ماتا كما يموت الناس ، وهذان قبراهما بالفناء . فقال : والله لتُخبريني من قتلها ، أو لأتحامنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ! فقالت : أما جدّك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له : مالك ، وأما أبوك فقتله رجل من عبد قيس ممن يسكن هَجْر .

\* الأغاني : ٣ - ٣

(١) قيس بن الخطيم : شاعر الأوس ، وأحد صناديدها في الجاهلية ، أدرك الإسلام وتربّث في قبوله ، ثم قتل قبل أن يدخل فيه نحو سنة ٢ ق . هـ (٢) أيدا : شديدا قويا (٣) ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به .

قال : والله لا أنتهي حتى أقتلَ قاتلَ أبي وجدّي ؛ فقالت : يا بني ؛ إن مالكَ قاتلَ جدِّك من قوم خِدَاشِ بنِ زُهَير ، ولأبيك عند خِدَاشِ نعمةٌ هو لها شاكر ، فأنه فاستشِرهُ في أمرِكَ واستعِنهُ يُعينكَ .

فخرج قيسٌ من ساعته حتى أتى ناضِحَه <sup>(١)</sup> وهو يسقي نخله ، فضربَ الجرير <sup>(٢)</sup> بالسيف فقطعه ، فسقطت الدلو في البئر ، وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غرارتين <sup>(٣)</sup> من تمر ، وقال : من يكفيني أمرَ هذه العجوز ؟ يعني أمه - فإن متَّ أنفقَ عليها من هذا الحائط <sup>(٤)</sup> حتى تموتَ ثم هو له ، وإن عشتُ فمألي عائِد إلى وله منه ماشاء أن يأكل من ثمره ؟ فقال رجلٌ من قومه : أنا له ، فأعطاه الحائط .

ثم خرج يسأل عن خِدَاشِ بنِ زُهَير حتى دُلَّ عليه بمرِّ الظَّهران <sup>(٥)</sup> ، فسار إلى خبائه فلم يجده ، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافُه ، ثم نادى امرأةَ خِدَاشِ : هل من طعام ؟ فأطعمتْ إليه ، فأعجبها جماله ، وكانت من أحسن الناس وجهاً ؛ فقالت : والله ما عندنا من نزلٍ <sup>(٦)</sup> نرضاه لك إلا تمرأ ؛ فقال : لا أبالي ، فأخرجني ما عندك ؛ فأرسلتْ إليه ، بقُبَاعٍ <sup>(٧)</sup> فيه تمر ، فأخذ منه تمرَةً فأكل شِقَّها وردَّ شِقَّها الباقي في القُبَاعِ ، ثم أمرَ بالقُبَاعِ فأدخل على امرأةِ خِدَاشِ بنِ زُهَير ، ثم ذهب لبعض حاجاته .

ورجع خِدَاشِ فأخبرته امرأته خبرَ قيسٍ ، فقال : هذا رجلٌ متحرِّمٌ <sup>(٨)</sup>

---

(١) الناضح : البعير يستقي عليه الماء (٢) الجرير : الجبل (٣) الفرارة : الكيس .  
(٤) الحائط : البستان (٥) الظهران : واد قرب مكة عند قرية يقال لها : « مر » تضاف إليه فيقال مر الظهران (٦) النزول : ما يهيا للضيف من قري (٧) القُبَاع : الكيال الضخم  
(٨) متحرِّم : له عندنا حرمة وذمة .

وأقبل قيس راجعاً . فلما رأى خِدَاشَ رِجْلَهُ وهو على بعيره قال لامرأته : هذا ضيفك؟ قالت : نعم ؛ قال : كأن قدمه قدم الخَطِيمِ صديقي اليَثْرَبِيِّ ؛ فلما دنا منه قرعَ طُنْبُ (١) البيت بسنانِ رِجْمِهِ ، واستأذن ، فأذن له خِدَاشُ ، فدخل إليه ، فنسبه (٢) فانسب ، وأخبره بالذي جاء له ، وسأله أن يُعِينَهُ ، وأن يَشِيرَ عليه في أمره ، فرحب به خدش ، وذكر نعمة أبيه عنده ، وقال : إن هذا الأمر مازلت أتوقَّعه منذ حين . فأما قاتلُ جدك فهو ابن عمِّ لي وأنا أعينك عليه ، فإذا اجتمعنا في نادينا جلستُ إلى جانبه وتحدَّثتُ معه ، فإذا ضربتُ فخذَه فثبَّ إليه فاقتله .

قال قيس : فأقبلتُ معه نحوه حتى قتتُ على رأسه لئما جالسه خِدَاشُ ، فحين ضرب فخذَه ضربتُ رأسه بسيف يُقال له : ذُو الخِرْصَيْنِ ؛ فنار إلى القوم ليقتلوني ، فحال خدش بينهم وبينى ، وقال : دَعُوهُ فإنه والله ماقتل إلا قاتلَ جدِّه .

ثم دعا خدش بجملٍ من إبله فركبه ، وانطلق مع قيس إلى العَبْدِيِّ الذي قتل أباه ، حتى إذا كانا قريباً من هَجَرَ ، أشار عليه خدش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه ، فإذا دُلَّ عليه قال له : إن لصاً من لصوص قومك عارضني فأخذ مني متاعاً لي . فسألت : من سيِّدُ قومه ؟ فدُلِّتُ عليك ؛ فانطلق حتى تأخذ متاعي منه ، فإن أتبعك وحده فستنال ما تريد منه ، وإن أخرج معك غيره فاضحك ، فإن سألك فمَّ ضحكك ؟ فقل : إن الشريف عندنا لا يصنعُ كما صنعتَ إذا دُعِيَ إلى اللص من قومه ، إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه ، فإذا رآه اللص أعطى كل شيء أخذَه ، هيبَةً له ، فإن أمر أصحابه بالرجوع فذلك خير لك ، وإن أبي إلا أن يمضوا معه فأننتي به ، فإني أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه .

(١) الطنب بضمين وسكون الثاني لفة : الخبل تشد به الحيمة ونحوها ، والجمع أطناب .

(٢) نسبة : طلب إليه أن ينتسب .

ونزل خدّاش تحت ظل شجرة ، وخرج قيس حتى أتى العبدى ، فقال له : ما أمره خدّاش فأحفظه<sup>(١)</sup> ؛ فأمر أصحابه فرجموا ومضى مع قيس ؛ فلما طلع على خدّاش ، قال له : اختر يا قيس ؛ إما أن أُعِينَكَ وإما أن أكَفَيْكَ ، قال : لا أريدُ واحدةً منهما ، واسكن إن قتلتى فلا يُفْلِتَنَّكَ ؛ ثم ثار إليه فطعننه قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر ؛ فمات مكانه .

فلما فرغ منه قال له خدّاش : إنا إن فررنا الآن طلبنا قومهُ ، ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مَقْتَلِهِ ، فإنّ قومهُ لا يظنون أنك قَتَلْتَهُ ، وأمّت قريباً منه ؛ ولكنهم إذا افتقدوه<sup>(٢)</sup> اقتفوا أثره ، فإذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كل وجه ، فإذا يتسوا رجعوا .

قال : فدخلا في داراتٍ من رمالٍ هناك ، وقعد العبدى قومهُ فاقتموا أثره فوجدوه قتيلاً ، فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا ، فكان من أمرهم ما قال خدّاش ، وأقاما مكانهما أياماً ثم خرجا ، حتى أتيا منزلَ خدّاش فقارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع إلى أهله ، ففي ذلك يقول قيس :

تذكّر ليلى حسنّها وصفاءها      وبانت فـانـا إن يستطيع لقاءها  
ومثلك قد أصيبتُ لست بكنته<sup>(٣)</sup>      ولا جارةٍ أفضتُ إلى خبائها  
إذا ما اصطبحتُ أربما خط مِزْرِي<sup>(٤)</sup>      وأتبعْتُ دَلْوِي في السماح رشاءها<sup>(٥)</sup>  
ثارتُ عدياً والخطيم فلم أضِغ      وصيئة أشياخ جعلتُ إزاءها

(١) أحفظه : أغضبه (٢) افتقدوه : طلبوه عند غيبته (٣) الكنته : امرأة الابن أو الأخ (٤) يريد أنه إذا شرب أربما اختال حتى جر ثوبه من الخيلاء (٥) يريد أنه بلغ في السماح منتهاه ، يقال : أتبع الدلو رشاءها ، وأتبع الفرس لجامها ، إذا بذل آخر مجهوده .

١٥٦ — بعد طعن عمر بن الخطاب \*

خرج عمر<sup>(١)</sup> بن الخطاب يوماً يطوف في الشوق ، فلقى أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه — وكان نصرانياً — فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أعدني<sup>(٢)</sup> على المغيرة ابن شعبه ، فإن عليّ خراجاً كثيراً . قال : ولم خراجك ؟ قال : درهمان في كل يوم . قال : ما صناعتك ؛ قال : نجار ، نقاش ، حدّاد ، قال : فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال ، قد بلغني أنك تقول : لو أردت أن أعمل رحاً تطحن بالريح فعلت ، قال : نعم ، قال : فاعمل لي رحاً . قال : لئن سلمت لأعملنّ لك رحاً يتحدث بها من بالشرق والغرب ، ثم انصرف عنه .

فقال عمر : لقد تَوَعَّدَنِي العبد آتفاً ، ثم انصرف عمر إلى منزله ، فلما كان من الغد جاءه كعب الأخبار فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ اعهد ، فإنك ميّت في ثلاثة أيام ، قال : وما يدريك ؟ قال : أجدّه في كتاب الله عز وجل ، التوراة . قال عمر : الله ! إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ! قال : اللهم لا ؛ ولكني أجد صفتك وحليّتك ، وأنه قد فني أجلك — وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً .

فلما كان من الغد جاء كعب ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ذهب يوم ، وبقى يومان ، ثم جاءه من غد ، فقال : ذهب يومان ؛ وبقى يوم وليلة ، وهي لك إلى صبيحتها .

\* تاريخ الطبري : ٥ - ١٢ ، العقد الفريد : ٢ - ٢٥٦

(١) عمر بن الخطاب : ثاني الخلفاء الراشدين ، المصروب بدمه المثل ، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين ، وبويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر ، وقتل سنة ٢٣ هـ (٢) أعداه : أعانه .

فلما كان الصبحُ خرج عمر إلى الصلاة ، وكان يوكل بالصفوف رجالا ، فإذا استوت جاء هو فكبير ، ودخل أبو لؤلؤة في الناس ، في يده خنجر له رأسان ، نصابه<sup>(١)</sup> في وسطه ، فضرب عمر ست ضربات ؛ إحداهن تحت سُرته ، وهي التي قتله .

فلما وجدَ عمر حرَّ السلاح سقط وقال : أفي الناس عبدُ الرحمن بن عوف ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ؛ هو ذا . قال : تقدّم فصلّ بالناس . فصلّى عبد الرحمن ابن عوف ، وعمر طريح ، ثم احتمل ، فأدخل داره .

ولما أحسَّ الناسُ قربَ موته قالوا له : يا أمير المؤمنين ؛ لو استخلفت ! قال : إن تركتكم فقد ترككم من هو خيرٌ مني ، وإن استخلفتُ فقد استخلف عليكم من هو خيرٌ مني ، ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيًّا لاستخلفته ، فإن سألتني ربي ، قلت : سمعتُ نبيك يقول : « إنه أمينُ هذه الأمة » . ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًّا لاستخلفته ، فإن سألتني ربي قلت : سمعتُ نبيك يقول : إن سالمًا يحب الله حبًّا ، لو لم يخف ماعصاه<sup>(٢)</sup> .

قيل له : فلو أنك عهدتَ إلى عبد الله بن عمر ؛ فإنه لذلك أهل ؛ لدينه وفضله وقديم إسلامه ، فقال : بحسب آل الخطاب أن يحاسبَ منهم رجلٌ واحد عن أمة محمد ، ولوددت أني نجوتُ من هذا الأمر كفافًا<sup>(٣)</sup> ، لا لي ولا على .

---

(١) نصاب السكين : ما يقبض عليه (٢) هذه الجملة تدل على تقرير عدم العصيان على كل حال ، وعلى أن اتقاء العصية مع ثبوت الخوف أولى (المعنى ص ٢٠٢ ج ١) (٣) الكفاف : الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة إليه ، وهو نصب على الحال ، وقيل : أراد مكفوفه عن شرها .

ثم راحوا فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ لو عهدت ! فقال : قد كنت أجمعت<sup>(١)</sup> بعد مقاتلي لكم أن أولي رجلاً أمركم أرجو أن يحميكم على الحق - وأشار إلى علي - ثم رأيتُ ألا أتحمّلها حياً وميتاً . فعليكم بهؤلاء الرّهط الذين توفّي رسول الله وهو عنهم راضٍ : سعدُ بن أبي وقاص ، وعبدُ الرحمن بن عوف ، وعليُّ بن أبي طالب ؛ وعثمانُ بن عفان ، والزبيرُ بن العوام ؛ وطلحةُ الخبير .

وقال لعبد الرحمن ادعُ علياً وعثمان والزبير وسعداً وقال : انتظروا أخاكم طلحة ثلاثاً - وكان غائباً - فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم . أنشدك الله يا علي إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحملَ بني هاشم على رقاب الناس ! أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحملَ بني أبي معيط على رقاب الناس ! أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحملَ أقاربك على رقاب الناس ؛ قوموا فتشاوروا ، ثم اقضوا أمركم ، وليُصلَّ بالناس صهيّب .

ثم دعا أبا طلحة الأنصاري ، فقال : قم عليّ باهم فلا تدعُ أحداً يدخلُ إليهم ، وأوصي الخليفة من بعدى بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان : أن يحسنَ إلى مُحسنهم ، وأن يعفوَ عن مسيئهم ، وأوصي الخليفة من بعدى بالعرب ؛ فإنهم مادّةُ الإسلام ؛ أن يأخذ من صدقاتهم حقّها فتوضع في فقرائهم ، وأوصي الخليفة من بعدى بدمّة محمد رسول الله ؛ أن يوفى لهم بمهدم ، اللهم هل بلغت ! تركتُ الخليفة من بعدى على أنقى من الراحة .

يا عبد الله بن عمر ؛ اخرج فانظر من قتلني ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قتلك أبو لؤلؤة غلامُ المغيرة بن شعبة ، قال : الحمد لله الذي لم يجعل مَنيتي بيد رجل

(١) أجمعت : عزمت .

سجدَ لله سجدةً واحدةً ، يا عبد الله بن عمر ؛ اذهب إلى عائشة ، فسلها أن تأذن لي  
أن أُدفن مع رسول الله وأبي بكر ، يا عبد الله بن عمر ؛ إن اختلف القوم فكُنْ مع  
الأكثر ، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة فاتَّبِع الحزب الذى فيه عبد الرحمن ، يا عبد الله ؛  
أئذن للناس .

فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسألون عليه ويقول : أَعَن ملاً (١)  
منكم كان هذا ؟ فيقولون : معاذ الله ! ودخل في الناس كعب ، فلما نظر إليه  
عمر قال :

فأوعدني كعبٌ ثلاثاً أعدّها      ولا شك أن القول ما قال لى كعبُ  
وما بى حذارُ الموت إني لميتُ      ولكن حذارُ الذنب يتبعه الذنبُ  
ثم فاضت روحه ، رحمه الله .

(١) أى مشاورة من أشرفكم وجماعتكم .



١٥٧ — المؤتمرون بعلي ومعاوية وعمرو\*

لما قتل عليُّ أهلَ النَّهْرَوَانِ ، وكان بالكوفة زُهاء ألفين من الخوارج ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب ، وقومٌ ممن استأمنَ<sup>(١)</sup> إلى أبي أيوب الأنصاري ؛ فتجمَّعوا وأمروا عليهم رجلاً من طيِّبٍ ؛ فوجَّه إليهم عليُّ رجلاً وهم بالنَّخِيْلَةِ<sup>(٢)</sup> فدعاهم ورتق بهم فأبوا ، فعاودهم فأبوا ، فاقتتلوا جميعاً .

فخرجت طائفةٌ منهم نحو مكة ؛ فوجَّه معاوية من يقيمُ للناس حجَّهم ؛ فنأوشه هؤلاء الخوارج ؛ فبلغ ذلك معاوية ؛ فوجَّه بسرَّ بن أرطاة أحدَ بني عامر ابن لؤي فتوقَّفوا وتراضوا بعد الحرب بأن يصلِّيَ بالناس رجلٌ من بني شيبه ؛ لثلاثين يوتِ الناسَ الحجُّ .

فلما انقضى نظرت الخوارجُ في أمرها فقالوا : إن علينا ومعاوية قد أفسدا أمرَ هذه الأمة ، فلو قتلناها لعاد الأمرُ إلى حقه .

وقال رجلٌ من أشجع : والله ما عمرو ودونها ؛ وإنه لأصلُ هذا الفساد ! فقال عبد الرحمن بن ملجم . أنا أقتل علياً ! فقالوا : وكيف لك به ؟ قال : أغتاله !

فقال الحجاج بن عبد الله الصريميُّ : وأنا أقتل معاوية ! وقال زاذويه مولى بني العنبرِ : وأنا أقتلُ عمرأ !

\* السعدي : ٢ - ٤٠ ، ابن أبي الحديد : ٢ - ٤٢ ، ٢ - ١٤٤ ، الكامل : ٢ - ١٢٥

رغبة الأمل : ٧ - ١١٨

(١) رفع علي راية الأمان مع أبي أيوب ، فنادى : من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ، ومن انصرف إلى الكوفة أو إلى المدائن فهو آمن (١) النخيلة : موضع قرب الكوفة .

فَاجْعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ قَتْلُهُمْ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَعْمَلُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ .

فَخَرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى نَاحِيَةٍ : فَأَتَى ابْنَ مُلْجَمِ الْكُوفَةَ ، فَأَخْفَى نَفْسَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا قَطَامٌ بِنْتُ عُلْقَمَةَ ؛ وَكَانَتْ تَرَى تَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ <sup>(١)</sup> ؛ فَقَالَتْ لَهُ : لَا أَقْبَعُ مِنْكَ إِلَّا بِصَدَاقٍ أُسْمِيهِ لَكَ وَهُوَ ثَلَاثَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَعَبْدٌ وَأَمَةٌ ، وَأَنْ تَقْتَلَ عَلِيًّا ! فَقَالَ لَهَا : لَكَ مَا سَأَلْتِ ! فَكَيْفَ لِي بِهِ ؟ قَالَتْ : تَرَوْمُ ذَلِكَ غَيْسَلَةٌ ؛ فَإِنْ سَلِمْتَ أَرَحْتَ النَّاسَ مِنْ شَرِّ وَأَقْتَمَعَ مَعَ أَهْلِكَ ، وَإِنْ أُصِيبَتْ صِرْتَ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمٌ لَا يَزُولُ ! فَأَنْعَمَ <sup>(٢)</sup> لَهَا ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا وَهُوَ يَقُولُ :

وَلَمْ أَرَ مَهْرًا سَاقَهُ ذُو سَمَاحَةٍ كَمَهْرٍ قَطَامٍ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ  
ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدٌ وَقَيْنَةٌ وَضَرْبٌ عَلَى بَالْحَسَامِ الْمَصْمَمِ <sup>(٣)</sup>  
فَلَا مَهْرٌ أَغْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَلَا وَلَا فَتْكَ إِلَّا دُونَ فَتْكِ ابْنِ مُلْجَمٍ

ثُمَّ أَقَامَ ابْنَ مُلْجَمٍ ؛ فَلَامَتَهُ امْرَأَتُهُ ، وَقَالَتْ : أَلَا تَمْضِي لِمَا قَصَدْتَ ! لِشَدِّ مَا أَحْبَبْتَ أَهْلَكَ ! قَالَ : إِنِّي قَدْ وَعَدْتُ صَاحِبِيَّ وَقَتًّا بَعِينًا .

ثُمَّ وَاطَأَ رَجُلًا مِنْ أَشْجَعٍ يُقَالُ لَهُ شَيْبِ بْنِ بَحِيرَةَ عَلَى ذَلِكَ .

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَرَجَ ابْنُ مُلْجَمٍ وَشَيْبِ الْأَشْجَعِيَّ فَاعْتَوَرَا <sup>(٤)</sup> الْبَابَ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَغْلَسًا <sup>(٥)</sup> وَيُوقَفُ

(١) كَانَ عَلَى قَتْلِ أَبَاهَا وَأَخَاهَا يَوْمَ التَّهْرَوَانِ ، وَكَانَتْ أَجَلَ أَهْلِ زَمَانِهَا (٢) أَنْعَمَ لَهَا : قَالَ لَهَا : نَعَمْ (٣) الْمَصْمَمُ مِنَ السُّيُوفِ : الَّذِي يَمُرُّ فِي الْعِظَامِ (٤) اعْتَوَرُوا الشَّيْءَ : تَدَاوَلُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ (٥) التَّغْلِيسُ : السَّرْبُ بِفِلْسٍ ، وَالْفِلْسُ : ظِلْمَةٌ آخِرَ اللَّيْلِ .

الناس للصلاة ؛ فخرج كما كان يفعل ، فضربه شبيب فأخطأه ، وأصاب سيفه  
الباب ، وضربه ابن ملجَم على صلعتِه وهو يقول : لله الحكم لالك يا علي .  
فقال علي : قُرْتُ (١) ورب الكعبة ! شأنكم بالرجل !

وحمل ابن ملجَم على الناس بسيفه ، فأفرجوا له ، وتلقاه المعيرةُ بن نوفل بن  
الحارث بن عبد المطلب بقطيفة، فرمى بها عليه ، واحتمله فضرب به الأرض - وكان  
المعيرة أيداً (٢) - فقع على صدره .

وأما شبيب فانتزع السيفَ منه رجل من حَضْرَمَوْت ، وصرعه ، وقعد على  
صدره ؛ وكثر الناس ، فجعلوا يصيحون : عليكم صاحب السيف ؛ فخاف الحضرمي  
أن يُكَبِّوا عليه ، ولا يسمعوا عذره ؛ فرمى بالسيف ، وانسلَّ شبيب بين الناس .  
فدخلَ علي على علي رضي الله عنه ، فأوصر فيه فاختلف الناس في جوابه ، فقال  
علي : إن أعش فالأمرُ إليَّ ، وإن أصب فالأمر لكم ، فإن آثرتم أن تقتصوا  
فضربةً بضربة ، وأن تمفوا أقرب للتقوى .

وأقام علي يومين ؛ فسمع ابن ملجَم الرنة من الدار ، فقال له من حضره : أي  
عدو الله ، إنه لا بأس على أمير المؤمنين ، فقال : أما والله لقد اشتريتُ سيفي بألف  
درهم ، وما زلت أعرضه فما يعيبه أحدٌ إلا أصلحتُ ذلك العيب ، ولقد سقيتهُ  
السَّمَّ حتى لفظه ، ولقد ضربتهُ ضربتهُ لو قُسمتُ على من بالشرق  
لأنت عليهم .

ومابَ علي رضي الله عنه ، في اليوم الثالث .

(١) قار الشئ : قطعه من وسطه خرقا مستديراً (٢) الأيد : القوى .

فدعا به الحسنُ رضى الله عنه فقال ابن مُلجم : إن لى عندك سرًّا ! فقال الحسن : أتدرون ما يريد منى ؟ يريد أن يقرب من وجهى فيعض أذنى فيقطعها ! فقال : أما والله لو أمكنتنى منها لا قتلعتُها من أصلها ! فقال الحسن : كلا والله لأضربنك ضربة تؤدى بك إلى النار ! فقال : لو عملتُ أن هذا فى يدىك ما اتخذت إلهاً غيرك ! فقال عبد الله بن جعفر : يا أبا محمد ؛ ادفعه إلىَّ أشفِ نفسى منه ؛ فأحمى له ميلين وكحلّه بهما فجعل يقول : إنك يا بن أخى لتكحلُّ عمك بمأولين<sup>(١)</sup> مضاضين<sup>(٢)</sup> . ثم قتله .

وأما الحجاجُ بن عبد الله الصَّريمى فإنه ضرب معاوية مُصَلِّياً ، فأصاب ما كَمَتَهُ<sup>(٣)</sup> ، وكان معاوية عظيم الأوزاك قطع منه عرقاً ، فجاء الطبيب إليه فنظر إلى الضربة ، فقال : إن السيف مسموم ، فاخترُ إما أن أحمى لك حديدة فأجعلها فى الضربة ، وإما أن أسقيك دواء فتبرأ وينقطع نسلك ! فقال : أما النار فلا أطيقها ، وأما النسل فى يزيدي وعبد الله ما تقرُّ به عينى ، وحسبى بهما . فسقاه الدواء ، فعوفى وعالج جرحه حتى التأم ، فلم يُولد لمعاوية بعد ذلك ولد .

فلما أخذَ قال : الأمان والبشارة ؛ قُتِلَ علىَّ فى هذه الصبيحة ، فاستؤننى<sup>(٤)</sup> به حتى جاء الخبر ، فقطع معاوية يده ورجله ؛ فأقام بالبصرة ؛ فبلغ زياداً أنه قد ولد له ، فقال : أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله .

وأما زاذويه فإنه أرصدَ لعمرو ، واشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة وخرج خارجة<sup>(٥)</sup> ، فضربه زاذويه فقتله .

(١) اللؤلؤ : اللكحال . (٢) مض الكحل العين : ألها . (٣) المأكحة : لحة على رأس الورك . (٤) استؤننى : تأنى وتثبت . (٥) هو خارجة بن حذافة أحد بنى عامر ابن لؤى .

فلمادُخِلَ به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالإمرة ، قال : أو ما قتلتُ عمراً !  
قيل : لا ؛ إنما قتلت خارجة . قال : أردتُ عمراً . وأراد الله خارجة !  
وأوقفَ الرجل بين يدي عمرو فسأله عن خبره ، فقصّ عليه القصة ، وأخبره أن  
عليّاً ومعاوية قُتِلَا في هذه الليلة ، فقال : لا بد من قتلِك ؛ فبكى ، فقيل له : أجزعاً  
من الموت مع هذا الإقدام ! فقال : لا والله ؛ ولكن غمّاً أن يفوزَ صاحبيّ بقتل علي  
ومعاوية ، ولا أفوز أنا بقتل عمرو ! ف ضرب عنقه وصُلب .

١٥٨ — بين عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد\*

لما أراد عبُّ الملك بن مروان الخروجَ إلى العراق لقتال مُصعب<sup>(١)</sup> بن الزبير ،  
وأخذ في جهّازه أقبلت عاتكة ابنة يزيد بن معاوية ، امرأته ، في جواربها ، وقد  
تزينت بالحلي ، فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ لو قعدت في ظلال مُلكك ، ووجهت  
إليه كلباً من كلابك لكفأك أمره ، فقال : هيهات ! أما سمعت قول الأول :

قومٌ إذا ما غزَوْا شَدُّوا مآزِرَهم دونَ النساءِ ولو بآتٍ بأطهارِ  
فلما أبى عليها وعزم ، بكت وبكى معها جواربها ، فقال عبد الملك : قاتل الله  
ابن أبي ربيعة ؛ كأنه ينظر إلينا حيث يقول :

إذا ما أراد الفِرْو لم يثنِ همّةُ حَصانٌ عليها نَظْمُ دُرِّ بَزينِها  
نَهتَهُ فلما لم ترَ التَّهَي عاقَهُ بكتُ فيكِي مما دهاها قَطينِها<sup>(٢)</sup>

ثم خرج يُريد مُصعب ، فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق  
عمرو بن سعيد دمشق ، وخالف عليه ، فقيل له : ما تصنع ؟ أتريدُ العراق وتدعُ  
دمشق ؟ أهلُ الشام أشدُّ عليك من أهل العراق . فرجع مكانه ، وحاصر أهل  
دمشق حتى صالح عمرو بن سعيد على أنه الخليفة بعده ، وأن له مع كل عامل عاملاً  
ففتح له دمشق ، وكان بيت المال بيد عمرو بن سعيد ، فأرسل إليه عبد الملك :

\* العقد الفريد : ٣ - ١٥٣ ، الأملال : ١ - ١٤

(١) انظر صفحة ١٦٨  
(٢) الجهاز - بالفتح والكسر - للمسافر : ما يحتاج إليه  
(٣) القطين : الحدم .

أن أخرج للحرس أرزاقهم . فقال : إذا كان لك حرس فإن لنا حرساً أيضاً ، فقال عبد الملك : أخرج للحرس أرزاقهم .

فلما كان يوم من الأيام أرسل عبد الملك إلى عمرو بن سعيد نصف النهار . أن اتنى أبا أمية حتى أدبر معك أموراً ، فقالت امرأته : يا أبا أمية ؛ لا تذهب إليه ، فإني أتخوفُ عليك منه ، فقال : والله لو كنتُ نائمًا ما أيقظني ! قالت : والله ما آمنه عليك ، وإني لأجدُ ريحَ دمٍ مسفوح ؛ فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشحجها .

فخرج وخرج معه أربعة آلاف من أبطال أهل الشام الذين لا يُقدر على مثلهم ، مسلحين ، فأحدقوا بمخضراء دمشق ، وفيها عبدُ الملك ، فقالوا : يا أبا أمية ؛ إن رابك ريبٌ فاسمعنا صوتك ، ثم دخل ، فجعلوا يصيحون : يا أبا أمية ؛ اسمعنا صوتك - وكان معه غلام أسحم<sup>(١)</sup> شجاع - فقال له : اذهب إلى الناس فقل لهم : ليس عليه بأس ؛ فقال له عبد الملك : أمكراً عند الموت أبا أمية ! خذوه ، فأخذوه ثم قال له عبد الملك : إني أقسمتُ إن أمكنتني منك يد أن أجمل في عنقك جامعة<sup>(٢)</sup> ، وهذه جامعة من فضة ، أريدُ أن أبرَّ بها قسماً ، وطرح رقبتَه في الجامعة ، ثم نثره<sup>(٣)</sup> إلى الأرض بيده ، فانكسرت نديته<sup>(٤)</sup> ، فجعل عبد الملك ينظر إليه ، فقال عمرو : ولا عليك يا أمير المؤمنين ، عظم انكسر .

وجاء المؤذنون فقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين - لصلاة الظهر - فقال لعبد العزيز ابن مروان : اقتله حتى أرجع إليك من الصلاة ، فلما أراد عبد العزيز أن يضرب

(١) الأسحم : الأسود (٢) الجامعة : الغل (٣) النثر : الجذب بجفاء (٤) الندية من الأربيع التي في مقدم الفم ، تنتان من فوق ، وثنتان من أسفل .

عنفه ، قال له عمرو : نَشَدْتِكَ <sup>(١)</sup> الرَّحِمِ يا عبد العزيز ألا تقتلني من بينهم ، فجاء عبد الملك ، فرآه جالساً . فقال : مالك لم تقتله ؟ لعنك الله ، ولعن أمّاً ولدتك ! ثم قال : قدّموه إليّ ، فأخذ الحربة بيده فقتل : فعلتها يا بنَ الزرقاء ، فقال له عبد الملك : إني لو علمت أنك تبقى ويصلحُ لي ملكي لقتلتك بدم الناظر ، ولكن قلما اجتمع فخلان في ذؤود <sup>(٢)</sup> إلا عدداً أحدهما على الآخر ، ثم رفع إليه الحربة فقتله وقعدَ يَرَعَدُ ، ثم أمر به فأدرج في بساط وأدخل تحت السرير .

وأرسل إليه قبيصة <sup>(٣)</sup> بن ذؤيب الخزاعيّ فدخل عليه ، فقال : كيف رأيتك في عمرو بن سعيد الأشدق ، فقال - وقد أبصر قبيصة رجلاً عمرو تحت السرير : اضرب عنقه يا أمير المؤمنين ، واطرح رأسه ، وانثر على الناس الدنانير يتشاغلون بها ، ففعل ، وافترق الناس .

(١) نَشَدْتِكَ : سألتك (٢) الذؤود من الإبل : ما بين الثلاث إلى العشر (٣) صحابي من الفقهاء الوجوه ، كان على خاتم عبد الملك بن مروان بالشام ، وتوفي بدمشق سنة ٥٨٦ هـ .



١٥٩ — الأخطل يفرق من الجحاف \*

كان الجحافُ بن حكيم السلمي<sup>(١)</sup> من فُتاك العرب ، وكان من خبر ابن عمه  
عمير بن الحباب السلمي أنه نهض في الفِتنَة التي كانت بالشام بين قيس وكتب  
بسبب الزبيرية والروائية ، فلقى في بعض تلك المُعَاوَرَاتِ<sup>(٢)</sup> خيلاً لبني نَعْلَب ؛  
فقتلوه ؛ فلما اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان ، ووضعت تلك الحرب أوزارها  
دخل الجحاف على عبد الملك والأخطل عنده ، فالتفت إليه الأخطل فقال :

ألا سائل الجحاف هل هو نائرٌ لِقَتَلَى أُصِيبَتْ من سَلِيمٍ وعامرٍ !  
فقال الجحاف مجيباً له :

بلى ، سوف أبكيهم بكلّ مُهَيِّدٍ وأبكي عميراً بالرّمّاح الخواطرِ<sup>(٣)</sup> .  
ثم قال : يا بن النصرانية ؛ ما ظننتك تجترى على بمثل هذا ولو كنتُ  
مأسوراً ! فحم الأخطل فرقا<sup>(٤)</sup> من الجحاف ، فقال عبد الملك : لا ترع ، فإني جارك  
منه . فقال الأخطل : يا أمير المؤمنين ؛ هَبِك تُجِيرُنِي منه في اليقظة ، فكيف تجيرني  
في النوم !

ثم نهض الجحاف من عند عبد الملك يسحب كِسَاءَهُ ، فقال عبد الملك : إن  
في فقاء لغدرة ، ومرّ الجحاف لطيته<sup>(٥)</sup> ، وجمع قومه وأتى الرصافة ، ثم سار إلى بني

\* بجم الأمثال : ٢ - ٢٤ ، معجم البلدان : ٢ - ١٨٦

(١) فانك ، نائر ، شاعر كان معاصراً لعبد الملك بن مروان ، توفي نحو سنة ٩٠ هـ (٢) غاورم :  
أغار عليهم وأغاروا عليه ، والمغاورة مفاعلة (٣) الهندي : السيف . خطر الرمح : اهتر .  
(٤) فرقا : خوفاً (٥) يقال : مضى لطيته ، أي لوجهه الذي يريده ، ولبيته التي اتواها .  
(٢٦ - قصص - ثالث )

تَلَبَّ فِصَادِفٍ فِي طَرِيقِهِ أَرْبَعَاثَةَ مِنْهُمْ قَتَلْتَهُمْ ، وَمَضَى إِلَى الْبِشْرِ <sup>(١)</sup> فِصَادِفٍ عَلَيْهِ جَمْعًا مِنْ تَلَبَّ ، قَتَلَ مِنْهُمْ خَمْسَاثَةَ رَجُلٍ ، وَتَعَدَّى الرِّجَالَ إِلَى قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ <sup>(٢)</sup> ، فَنَادَتْهُ عَجُوزٌ مِنْهُمْ ، وَقَالَتْ : يَا جِحَّافُ ؛ أَتَقْتُلُ النِّسَاءَ ! فَأَمْخَذَلُ وَرَجَعُ .

فَبَلَغَ الْخَبِيرُ الْأَخْطَلُ ، فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَالَ :  
لَقَدْ أَوْقَعَ الْجِحَّافُ بِالْبِشْرِ وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُسْتَكِي وَالْمَعُولُ  
فَأَهْدَرُ <sup>(٣)</sup> عَبْدَ الْمَلِكِ دَمَ الْجِحَّافِ . فَهَرَبَ إِلَى الرُّومِ ، فَكَانَ بِهَا سَبْعَ سِنِينَ ،  
وَمَاتَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَقَامَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاسْتَوْجَمَ لِلْجِحَّافِ ، فَأَمَّنَهُ ،  
فَرَجَعُ .

---

(١) البِشْرُ . ماءٌ لَبِنِي تَلَبَّ . (٢) الْوَلِيدُ . الْمَوْلُودُ ، وَالصَّبِيُّ وَالْمَبْدُ ؛ جَمْعُهُ الْوَالِدَانُ وَالْوَلْدَانُ  
(٣) أَهْدَرَ دَمَهُ : أَبْطَلَهُ ؛ أَيْ أَبَاحَ قَتْلَهُ .

١٦٠ — قد أخرجتُ الإذن عليه لتقتلوه فلم تفعلوا \*

قال عبِيد الله بن قيس الرقيّات<sup>(١)</sup>: خرجتُ مع مُصعب بن الزبير حين بلغه شخصُ عبدِ الملك بن مروان إليه . فلما نزل مُصعب بمسكن<sup>(٢)</sup> ، ورأى معالمَ القَدْرِ ممن معه ، دعاني ودعا بمالٍ ومَنَاطِقَ<sup>(٣)</sup> ، فلأُ المناطقَ من ذلك المالِ وألبسني منها ، وقال لي : انطلق حيث شئتُ فأني مقتول ؛ فقلت له : والله لا أُريِم<sup>(٤)</sup> حتى أرى سبيلاك ، فأقتُ معه حتى قُتل .

ثم مضيتُ إلى الكوفة ، فأول بيت صرتُ إليه دخلته ، فإذا فيه امرأةٌ لها ظَبَيَّتان ، فرقيتُ في درجةٍ لها إلى مشربة<sup>(٥)</sup> ، فقعدتُ فيها ، فأمرتُ لي المرأةُ بما أحتاجُ إليه من الطعام والشراب والقرشِ والماء للوضوء ، فأقتُ كذلك عندها أكثرَ من حَوْلٍ ، تُقيمُ لي ما يصلحني ، وتدعو عليّ في كل صباح فتسألني بالصباح والحاجة<sup>(٦)</sup> ، ولا تسألني من أنا ، ولا أسألها من هي ! وأنا في ذلك أسمعُ الصباح فيّ والجمل .

فلما طال بي المقام ، وقعدتُ الصَّيَّاحَ فيّ ، وغرِضتُ<sup>(٧)</sup> بمكاني غَدَتَ عليّ

\* الأغاني : ٥ - ٧٦

(١) عبِيد الله بن قيس الرقيّات : شاعر قريش في الإسلام ، ولقب الرقيّات لأنه شبيب بثلاث نسوة سمين جميعاً رقية . (٢) مسكن : موضع على نهر دجيل ( شعب من دجلة ) بالكوفة ، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ، ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢ هـ وبه قتل مصعب . (٣) المنطقة : ما يشد على الوسط (٤) لا أبرح (٥) المشربة : الغرفة والعلية . (٦) أي تقول : كيف أصبحت ؟ (٧) غرِضتُ : ملكت .

تسألني بالصباح والحاجة ، فعرّفتها أني قد غرّضتُ وأحببتُ الشخوص إلى أهلي ؛  
فقلت لي : تأتيك بما تحتاجُ إليه إن شاء الله تعالى .

فلما أمسيتُ ، وضرب الليل برواقه رَقِيتُ إلى وقالتُ : إذا شئتُ ، فنزلتُ  
وقد أعددتُ راكبتين عليهما ما أحتاجُ إليه ، ومعهما عبد ، وأعطتُ العبد نفقة الطريق ،  
وقالت : العبدُ والراكبتان لك .

فركبتُ وركب العبد معي حتى طرقتُ أهل مكة ، فدقتُ منزلي ؛ فقالوا لي :  
من هذا ؟ فقلت : عبيد الله بن قيس الرقيّات ، فولّوْا وبكّوْا ، وقالوا : ما فارقتنا  
طلبك إلا في هذا الوقت ؛ فأمت عندم حتى أسحرتُ (١) .

ثم نهضتُ ومعى العبد حتى قدّمتُ المدينة ، فجنّتُ عبد الله بن جعفر بن  
أبي طالب عند المساء ، وهو يُعشى أصحابه ، فجلستُ معهم ، وجعلتُ أتعاجم وأقول :  
ياريار (٢) ابن طيّار (٣) ! فلما خرج أصحابه كشفتُ له عن وجهي ، فقال :  
ابن قيس ؟ فقلت : ابن قيس ، جئتُك عائداً بك ؛ قال : ويحك ! ما أجدّم في  
طلبك ! وأحرّصهم على الظفر بك ! ولكني سأكتبُ إلى أم البنين بنتِ  
عبد العزيز بن مروان فهي زوجةُ الوليد بن عبد الملك ، وعبد الملك أرقُّ شيء  
عليها . فكتبُ إليها يسألها أن تشفعَ له إلى عمها ، وكتبَ إلى أبيها يسأله أن يكتبَ  
إليها كتاباً يسألها الشفاعة .

فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعلُ وسألها : هل من حاجة ؟ فقلت : نعم

---

(١) أسحر : دخل في وقت السحر (٢) ريار : كلمة فارسية ، ومعناها : الصاحب والشفيق  
والعين (٣) الطيار : لقب جعفر بن أبي طالب ، والد عبد الله هذا :

لى حاجة ؛ فقال : قد قضيتُ كلَّ حاجة لك إلا ابن قيس الرقيات ؛ فقالت :  
لا تَسْتَنْ عَلَى شَيْئًا ! فَفَنَحَ (١) بيده ، فأصاب خدَّها ، فوضعتُ يدها على خدَّها ؛  
فقال لها : يَا بَنَّتِي ؛ ارفعى يدك ، قد قضيتُ كلَّ حاجة لك ، وإن كانت ابن قيس  
الرقيات ؛ فقالت : إن حاجتي ابن قيس الرقيات تؤمنه ، فقد كتب إلى أبي يسألني  
أن أسألك ذلك ؛ قال : فهو آمن فمرَّ به يحضر مجلسي العشية .

فحضر ابن قيس وحضر الناسُ حين بلّغهم مجلسُ عبد الملك ، فأخَّرَ الإِذْنَ ،  
ثم أذن للناس ، وأخَّرَ إِذْنَ ابن قيس الرقيات حتى أخذوا مجالسهم ، ثم أذن له ؛  
فلما دخل عليه قال عبد الملك : يَا أَهْلَ الشَّامِ ؛ أتعرفون هذا ؟ قالوا : لا ؛ فقال :  
هذا عبيد الله بن قيس الرقيات الذي يقول :

كيف نومي على الفراش ولما      تشمل الشام غارة شعواء  
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عن بنيه وتُبْذِي      عن خدام العقيلة العذراء (٢)

فقالوا : يَا أمير المؤمنين ، اسقنا دمَ هذا المنافق ! قال : الآن وقد أمّنته وصار  
في منزلي وعلى بساطي ! قد أخرتُ الإِذْنَ له لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستأذنه ابن قيس  
أن ينشده مديحه فأذن له ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

عادَ له من كثيرة (٣) الطَّربِ (٤)      فعينه بالدموع تنسكبُ  
كوفيَّةٌ نازحٌ محمَّتهاً      لا أم (٥) دارها ولا صقَبُ (٦)

(١) نَحَّحَ بيده : ضرب بها ضربة خفيفة (٢) الخدام : جمع خدمة ( بالتحريك ) وهي  
الخلخال : قال في اللسان : أراد وتبدي عن خدام العقيلة ، وخدام هنا في نية عن خدامها ، وعدى  
تبدي بمن لأن فيه معنى تكشف (٣) كثيرة هي التي نزل بدارها عبد الله بن قيس فأوته  
وأصبح بعد ذلك يذكرها كثيراً في شعره (٤) الطرب هنا : الحزن (٥) لا أم دارها :  
ليست قريبة (٦) الصقَب : الملاصقة .

والله ما إن صَبَّتْ إِلَى وَلَا يُعْرِفُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَبَبٌ  
إِلَّا الَّذِي أَوْرَثَتْ كَثِيرَةً فِي الْقَلْبِ ، وَلِلْحَبِّ سَوْرَةٌ (١) عَجَبٌ  
حَتَّى قَالَ فِيهَا :

إِن الْأَعْرَى الَّذِي أَبُوهُ أَبُو الْعَاصِي عَلَيْهِ الْوَقَارُ وَالْحُجُبُ  
يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ (٢)

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا بَنُ قَيْسٍ ؛ تَمْدَحُنِي بِالتَّاجِ كَأَنِّي مِنَ الْعَجَمِ ، وَتَقُولُ  
فِي مُصْعَبِ :

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ  
مُلْكُهُ مُلْكُ غَزَاةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبْرُوتٌ مِنْهُ وَلَا كِبْرِيَاءُ

أَمَّا الْأَمَانُ فَقَدْ سَبَقَ لَكَ ؛ وَلَكِنْ لَا تَأْخُذْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَطَاءً أَبَدًا .

فَذَهَبَ ابْنُ قَيْسٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَقَالَ لَهُ : مَا نَفَعَنِي أَمَانِي ، تَرَكْتُ  
حَيًّا كَمَيْتٍ ، لَا آخُذُ مَعَ النَّاسِ عَطَاءً أَبَدًا !

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : كَمْ بَلَغْتَ مِنَ السَّنِ ؟ قَالَ : سِتِينَ سَنَةً . قَالَ : فَعَمَّرَ (٣)  
نَفْسَكَ ، قَالَ : عَشْرِينَ سَنَةً مِنْ ذِي قَبَلٍ (٤) ، فَذَلِكَ ثَمَانُونَ سَنَةً ، قَالَ : كَمْ عَطَاؤُكَ ؟  
قَالَ : أَلْفَا دَرَاهِمَ ، فَأَمْرٌ لَهُ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دَرَاهِمَ ، وَقَالَ : ذَلِكَ لَكَ عَلَىَّ إِلَى أَنْ تَمُوتَ  
عَلَى تَعْمِيرِكَ نَفْسَكَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ  
ابْنَ جَعْفَرٍ :

(١) السورة : شدة الأمر (٢) وفي هذه القصيدة :

ما تقموا من بني أمية إلا أنهم يحمون إن غضبوا  
وأنهم سادة الملوك فما تصلح إلا عليهم العرب

(٣) عمر نفسه : قدر لها قدرًا محدوداً (٤) يقال : أفعل ذلك من ذى قبل : أى أفعله في

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر<sup>(١)</sup> سواء عليها ليلاً ونهارها  
تزور امرأً قد يعلم الله أنه تجود له كف قليل غرارها<sup>(٢)</sup>  
أبتناك نئني بالذي أنت أهله عليك كما يُبني على الرّوض جارها  
فو الله لولا أن تزور ابن جعفر لكان قليلاً في دمشق قرارها  
إذا مت لم يوصل صديق ولم تقم طريق من المعروف أنت منارها  
ذكرتك إن فاض القرات بأرضنا وفاض بأعلى الرقتين<sup>(٣)</sup> بحارها

---

(١) تقدت : أى سارت سيراً ليس بعجل ولا مبطىء ، ولزمت سنن الطريق (٢) قليل غرارها : أى أن منعها المعروف قليل ، وأصل الفرار أن تمنع الناقة درتها ، ثم يستعار في كل ما أشبه ذلك ، أو الفرار : المثال (٣) الرقتان : يراد بهما الرقة والرائقة ، وهما مدينتان ، والثنية من باب التعليل .

## ١٦١ - آبي الضيم\*

قال المفضل الضبي:

كان إبراهيم بن عبد الله بن الحسن<sup>(١)</sup> متوارياً عندي بالبصرة ، وكنت  
أخرج وأتركه ، فقال لي : إذا خرجت ضاق صدري ، فأخرج إلى شيتنا من  
كتبك أتفرّجُ به ، فأخرجتُ له كتباً من الشعر ، فاختار منها القصائد التي صدرتُ  
بها كتاب المفضليات ، ثم أتمتُ عليها باقي الكتاب .

فلما خرج خرجتُ معه ، فلما صار بالمرّيد ، مرّ به سليمان بن عليّ ، وقف  
عليهم ، واستسقى ماء ، فأتى به ، فشرّب ، فأخرج إليه صبيان من صبيانهم ،  
فضمّمهم إليه ، وقال : هؤلاء والله منا ونحن منهم لحنا ودمنا ، ولكن آباءهم انتزوا<sup>(٢)</sup>  
على أمرنا ، وابتزوا حقوقنا ، وسفكوا دماءنا ، ثم تمثّل :

مهلاً بني عمنا ظلامتنا إن بنا سورة<sup>(٣)</sup> من الغلق<sup>(٤)</sup>  
لمثلكم<sup>(٥)</sup> نحمل السيوف ولا نغمز أحسابنا من الرقق<sup>(٦)</sup>  
إني لأُتَمِّي<sup>(٧)</sup> إذا اتّمتتُ إلى عزيّ عزيزٍ ومعشر صدق  
بيض سباط<sup>(٨)</sup> كأنّ أعينهم تكحل يوم الهياج بالعلق<sup>(٩)</sup>

\* ابن أبي الحديد : ١ - ٣٢٤ ، الأغاني : ١٠ - ٥

(١) أحد الأشراف الشجعان ، خرج بالبصرة على المنصور العباسي ، وكانت بينه وبين جيوش  
المنصور وقائع هائلة إلى أن قتل سنة ١٤٥ هـ (٢) انتزى إلى الشعر : توثب (٣) السورة :  
الوثوب (٤) الغلق : الضجر (٥) المراد : أننا نحمل لكم السيوف ، لأنكم أكفأؤنا  
(٦) الرقق : الضعف (٧) أنسب (٨) السباط : جمع سبط ، وهو حسن القد والاستواء  
(٩) العلق : الدم ، يريد أن عيونهم حمر لشدة الغيظ والغضب ، فكأنها كحلت بالدم .



قلت له : ما أجود هذه الأبيات وأفحلها ! فلنْ هي ؟ فقال : هذه يقولها  
ضِرار بن الخطّاب الفهرى يوم عَبَرَ الخندق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ،  
وتمثّل بها علي بن أبي طالب يوم صفين ، والحسين يوم الطّفّ (١) ، وزيد بن علي  
يوم السَّبَخَة (٢) ، ويحيى بن زيد يوم الجوزجان (٣) ، فتطّيرتْ له مِنْ تمثله بأبيات  
لم يتمثّل بها أحدٌ إلا قُتل .

ثم سرنا إلى باخرا (٤) ، فلما قرب منها أتاه نعى أخيه محمد ، فتغيّر لونه ،  
وجرّض (٥) بريقه ، ثم أجش باكياً ، وقال : اللهم إن كنت تعلم أن محمداً خرج  
بطلب مرضاتك ، ويؤثر أن تكون كلمتك العليا ، وأمرُك المتبع المطاع ، فاغفر له ،  
وارحمه وارض عنه ، واجعل ما نقلته إليه من الآخرة خيراً مما نقلته عنه من الدنيا ،  
ثم انفجر باكياً ، ثم تمثّل :

أنا المُنَازِلُ يا خَيْرَ الفوارسِ مَنْ      يُفَجِّعُ بِمِثْلِكَ فِي الدنْيا فُجْعاً  
اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ خَشِيتَهُمْ      أَوْ آنَسَ القَلْبُ مِنْ خَوْفِهِمْ فَرَعاً  
لَمْ يَقْبَلُوكَ وَلَمْ أُسَلِّمْ أَخِي لَمْ      حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعاً أَوْ نَمُوتَ مَعاً  
قال المفضل : فجعلت أعزّيه وأعاتبه على ما ظهر من جزعه ، فقال : إني والله  
في هذا كما قال دُرَيْدُ بن الصَّمّة :

تقول : الإِ تَبْكِي أَخَاكَ وَقَدْ أَرَى      مَكَانَ البُكَاءِ ، لَكِنْ بُنِيتَ (٦) عَلَى الصَّبْرِ  
لِمَقْتَلِ عِبْدِ اللهِ وَالْهَالِكِ الَّذِي      عَلَى الشَّرْفِ الأَعْلَى قَتِيلِ (٧) أَبِي بَكْرٍ

(١) الطّفّ : ضاحية الكوفة ، وبها قتل الحسن (٢) السبخة : موضع بالبصرة (٣) جوزجان :  
كورة واسعة من كور بلخ بخراسان ، وبها قتل يحيى بن زيد (٤) باخرا : موضع بين الكوفة  
وواسط (٥) جرّض بريقه : ابتلعه بالجهد على مضض (٦) بنيت : خلقت (٧) قتيل أبي بكر  
هو أخوه قيس ، قتله بنو أبي بكر بن كلاب يرأسهم عمرو بن سفيان الكلّابي .

وعبدِ يَفُوثَ <sup>(١)</sup> أو خَلِيلِي خَالِدٍ <sup>(٢)</sup> وَجَلَّ مَصَابَا حَتُّوْ قَبْرِ عَلِي قَبْرِ ا  
فَأَمَّا تَرِيْفًا لَا تَزَالُ دَمَاؤُنَا لَدَى وَاتِرٍ يَشْقَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ  
فَأِنَّا لِلْحَمِّ السِّيفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ <sup>(٣)</sup> وَنُلْجِمُهُ <sup>(٤)</sup> طَوْرًا وَوَلَيْسَ بِنَدَى نَكْرِ  
يُفَارُ عَلَيْنَا وَاتْرِينَ فَيْشْتَفِي بِنَا إِنْ أُصِيفْنَا ، أَوْ تُعِيرُ عَلِي وَتُرِ  
بِذَلِكَ قَسَمْنَا الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ قِسْمَةً فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلِي شَطْرَ

قال المفضل : ثم ظهرت لنا جيوش أبي جعفر مثل الجراد ، فتمثل إبراهيم :

إِنْ يَقْتُلُونِي <sup>(٥)</sup> لَا تُصِبْ أَرْمَاحُهُمْ ثَارِي وَيَسْعَى الْقَوْمُ سَعْيًا جَاهِدًا  
نَبَّئْتُ أَنْ بَنِي جَدِيْمَةَ أَجْمَعْتُ أَمْرًا تُدْبِرُهُ لَتَقْتُلَنَّ خَالِدًا  
أَرْمِي <sup>(٦)</sup> الطَّرِيقَ وَإِنْ رُصِدَتْ بِضَيْقِهِ وَأَنْزَلُ الْبَطْلَ الْكَمِيَّ الْحَارِدَا <sup>(٧)</sup>

قلت له : من يقول هذا الشعر يا بن رسول الله ؟ فقال : يقوله خالد بن جعفر

ابن كلاب يوم شِمْبِ جَبَلَةَ .

ثم أقبلت عساكر أبي جعفر المنصور ، فطعن رجالاً وطعنه آخر ، فقلت له :

أَتَبَاشِرُ الْقِتَالَ بِنَفْسِكَ ! وَإِنَّمَا الْمَسْكَرُ مَنْوُطٌ بِكَ ، قَال : إِلَيْكَ يَا أَخَا بَنِي ضَبَّةَ ،

فَأِنِّي لَكَمَا قَالَ عَوْيِفُ الْقَوَاقِي :

أَلَمْتُ سَعَادَ ، وَإِلْمَامُهَا أَحَادِيثُ نَفْسٍ وَأَحْلَامُهَا

مَحْجَبَةٌ مِنْ بَنِي مَالِكٍ تَطَّالَوْا فِي الْمَجْدِ أَعْلَامُهَا

(١) أخوه أيضاً قتله بنو مرة (٢) خالد أخوه أيضاً قتله بنو الحارث بن كعب (٣) التنكر :  
التغير عن حال تنسك إلى حال تكرمها ، والاسم النكيرة (٤) ألجمته سني : قتلته ، وأصل ألجم :  
أطعمه اللحم (٥) المعنى : أنهم إن قتلوني ، ثم حاولوا أن يصيبوا رجلاً آخر مثلي يصلح أن يكون  
لي نظيراً وسعوا في ذلك سعياً جاهداً ، فإنهم لن يجدوا (٦) يقول : أسلك الطريق الضيق ،  
ولو جعل لي فيه الرصد لقتل (٧) الحارث : انفرد في شجاعته ، الذي لا مثل له .

وإن لنا أصلَ جرثومةٍ تردّ الحوادثَ أيامها  
تردّ الكتيبةَ مقلولةً بها أفتها وبها ذامها<sup>(١)</sup>

والتحمت الحرب واشتدت ، فقال يا مفضل : احكبي بشيء ، فذكرت أبياتا  
لعويف القوافي لما كان ذاكره هو من شعره فأشدته :

ألا أيها الناهي فزارة بعدما أجدت لسير ، إثم أنت ظالم  
أبي كل حر أن يبيت بوثره وتمنع منه النوم إذ أنت نائم  
أقول لفتيان كرام تروحووا على الجرد في أفواههن الشكائم :  
قفوا وقفه ، من يحى لا يحز بعدها ومن يخترم لا تتبعه اللوائم  
وهل أنت إن باعدت نفسك عنهم لتسلم فيما بعد ذلك ، سالم !

فقال : أعد وتبينت من وجهه أنه يستقتل ، فاتميت وقلت : أو غير ذلك !  
فقال : لا ، بل أعد الأبيات ، فأعدتها ، فتمطى في ركائبه فقطعها ، وحمل فغاب  
عني ، وأتاه سهمٌ عائر<sup>(٢)</sup> فقتله ، وكان آخر عهدي به .

(٢) العائر من السهام : مالا يعرف رايه .

(١) الأنف : النقص ، والذام : العيب

١٦٢ - مصرع الوليد بن طريف \*

كان الوليدُ بن طريف الشيباني<sup>(١)</sup> رأسَ الخوارج وأشدّهم بأساً ووصولةً ، واشتدَّت شوكتُه ، وطالت أيامُه ، فوجّه إليه الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني<sup>(٢)</sup> ، فجعل يخاصمه ويمسكه - وكانت البرامكة منحرفةً عن يزيد - فأغروا به أمير المؤمنين ، وقالوا : إنما يتجافى عنه للرحم ، وإلا فسوكة الوليد بسيرة .

فوجه إليه الرشيد كتاباً مُغضب يقول فيه : ولو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ، ولكنك مُداهن مُتعضب ؛ وأمير المؤمنين يُقسم بالله لئن أخرجت مناجزة الوليد ليوجهن من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين ..

فلقى الوليد عشية خميس في شهر رمضان ، وقال لأصحابه : فداكم أبي وأمى ! إنما هي الخوارج ولهم حلة ، فاحملوا فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا ، فكان كما قال : حملوا حلة وثبت يزيد ومن معه من عشرته وأصحابه ؛ ثم حمل عليهم فأنكسفوا واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافة وألقاه يقول :

أنا الوليدُ بن طريف الشاري<sup>(٣)</sup> قسورة<sup>(٤)</sup> لا يصطلي بناري

\* جوركم أخرجني من داري \*

\* الأغانى ١١ - ٩ ، معاهد التنصيص : ٥١ : ٢ .  
(١) ناسخ من الأبطال ، خرج في خلافة الرشيد ، فأرسل إليه الرشيد جيشاً قائده يزيد بن يزيد الشيباني فقتله بعد - ، شديدة - ١٧٩ هـ . (٢) أمير من القادة الشجعان ، توفى سنة ١٨٥ هـ .  
(٣) الشارء ، : الحارجي ، وهم الشراة (٤) القسورة : الغريز يقنسر غيره ، أى يقهره .

فأخذ يزيد رأسه . ولما سمعت بهذا أخته ليلي بنت طريف صبتهم مستعدة عليها الدرع والجوشن<sup>(١)</sup> ، فجعلت تحمل على الناس فعرفت ، فقال يزيد : دعوها ، ثم خرج إليها فضرب بالرمح قطة<sup>(٢)</sup> فرسها ، ثم قال : اغربي<sup>(٣)</sup> أغرب الله عينيك ، فقد فضحت العشرة ، فاستحييت وانصرفت وهي تقول :

بتلّ نبأني <sup>(٤)</sup> رسمُ قبرٍ كأنه	على علمٍ فوق الجبال مُنيفٍ
تضمن جوداً حاتماً ونائلاً	وسورةٍ مقدامٍ وقلبٍ حنيفٍ
فإن يك أرداه يزيدُ بنُ مزيدٍ	فياربَّ خيلٍ فضها وصُوفٍ !
ألا يا تقوى للتوائب والردى	ودهرٍ مُلحٍ بالكرام عنيفٍ ا
وللبدر من بين الكواكب إذ هوى	وللشمس همت بعده بكسوفٍ
ولليث كلّ الليث إذ يمولونه	إلى حفرةٍ ملحودةٍ وسقيفٍ <sup>(٥)</sup>
أيا شجرَ الخابور <sup>(٦)</sup> مالكَ مورقاً	كأنك لم تجزعْ على ابنِ طريفٍ !
فتى لا يحبُّ الزادَ إلا من التقي	ولا المالَ إلا من قنأ وسيوفٍ
فلا تجزعا يا بني طريفٍ فإنتي	أرى الموت نزالاً بكلِّ شريفٍ
قدناك فقدان الربيع ولئتنا	قديناك من دهائنا بألوفٍ

\*\*\*

ولما انصرف يزيد بالظفر حُجِبَ برأى البرامكة ، وأظهر الرشيد السخطَ عليه ؛ فقال : وحقَّ أمير المؤمنين لأصيفن وأشتون على فرسى أو أدخل .

(١) الجوشن : الحديد الذي يلبس من السلاح ، وقيل : زرد يلبسه الصدر (٢) القطة : العجز (٣) يقال : اغرب عنى أى تباعد ، ويقال غربت العين إذا ورم ماؤها (٤) نبأني كسكاري : موضع بالبصرة (٥) السقيف : السقف (٦) نبت ، ونهر ، وواد .

فارتفع الخبر بذلك إلى الرشيد ، فأذن له ، فدخل ؛ فلما رآه أمير المؤمنين  
ضحك وسُرَّ ، وأخذ يصيح : مَرْحَبًا بِالْأَعْرَابِي حَتَّى دَخَلَ وَأَجْلَسَهُ وَأَكْرَمَهُ ،  
وَعَرَفَ بِلَاءَهُ وَنَقَاءَ صَدْرِهِ <sup>(١)</sup> .

(١) ولما عفا عنه الرشيد مدحه الشعراء ، فكان ممن مدحه مسلم بن الوليد ، ومن أحسن  
ما ورد في شعره قوله :

يقتد عند افتتار الحرب مبتسما	إذا تغير وجه الفارس البطل
موف على مهج ، في يوم ذي رهج	كأنه أجل يسعى إلى أمل
ينال بالرفق ما يعيا الرجال به	كالموت مستجلا يأتي على مهل
يقرى المنية أرواح العداة كما	يقرى الضيوف شخوم الكوم والبزل
يكسو السيوف رءوس الناكثين به	ويجعل الهام تيجان القنا الذيل
إذا اتضى سيفه كانت مسالكة	مسالك الموت في الأبدان والقتل

## البَابُ الْخَامِسُ

في القصص التي تحكى ما كان للجند من أحداث  
وأحاديث ، في الغارات والغزوات والفتوح ، مصورة  
نفسياتهم وأحوالهم ، واصفة تطواتهم العقلية والخلقية  
بنشأة الدولة العربية وانفساح رُقعتها ، مفصلة عُددهم  
وآلاتهم وأسلحتهم في حياتهم الجديدة .

١٦٣ - كِلَابُ بنِ أُمَيَّةَ وَأَبَوَاهُ \*

حَدَّثَ عُرْوَةُ بنُ الزبير قال : هاجر كلابُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ الأسكر إلى المدينة في خلافةِ عمر بن الخطاب ، فأقام بها مدة ، ثم لَقِيَ ذات يوم طلحةَ بن عبد الله والزيبر بن العوام ، فسألها : أمتي الأعمال أفضلُ في الإسلام ؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمر فأغزاه في جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، وخرج معه أخ له آخر ؛ فانبعثت أُمَيَّة يقول :

يَا أُمَّ هَيْمٍ ؛ مَاذَا قَلتِ أِهْلَانِي	رَبِيبُ الْمَنُونِ وَهَذَا نِ الْجَدِيدَانِ (١)
إِنَّمَا تَرَى حَجْرِي قَد رَكَ (٢) جَانِبُهُ	قَد بَسْرُكِ صُلْبًا غَيْرَ كَذَّانِ (٣)
إِنَّمَا تَرِينِي لَا أَمْضِي إِلَى سَفَرِي	إِلَّا مَعِي وَاحِدٌ مِنْكُمْ أَوْ اثْنَانِ
يَابْنِي أُمَيَّةَ ، إِنِّي عِنَّمَا غَانِي	وَمَا الْعِنَى غَيْرَ أَنِّي مُرْعَشٌ فَانِي
يَابْنِي أُمَيَّةَ ، إِلَّا تَشْهَدَا كِبْرِي	فَإِنَّ نَائِكُمَا وَالثَّكُلَ مِثْلَانِ
إِذ يَحْمِلُ الْفَرَسُ الْأَحْوَى (٤) ثَلَاثَتَنَا	وَإِذ فَرَاقُكُمَا وَالْمَوْتُ سَيَانِ
أَصْبَحْتُ هُرْزًا لِرَاعِي الضَّانِ أُعْجِبُهُ	مَاذَا يَرِيْبِكُ مِنِّي رَاعِي الضَّانِ !
انْفَعُ بِضَانِكَ فِي نَجْمٍ (٥) تُحْفَرُهُ	مِنِ الْأَبْطَاحِ وَاحْسِبْهَا بِحُمْدَانِ (٦)
إِنْ تَرَعَ ضَانًا فَإِنِّي قَدْ رَغَيْتُهُمْ	بِيضِ الْوُجُوهِ بَنِي عَمِي وَإِخْوَانِي

\* المحاسن والساوى : ٥٨٨ ، ( طبع ليزج ) ، ذيل الأمالى : ١٠٨  
(١) الجديدان : الليل والنهار (٢) رك : ضعف (٣) الكذبان : الرخو  
(٤) الأحوى : الأسود (٥) النجم : ما نجم من النبات على غير ساق (٦) جمدان : جبل  
بطريق مكة ، وواد .



فلما طالت غيبةُ كلابٍ عنه قال :

لَمَنْ شَيْخَانٍ قَدْ نَشَدَا كِلَابَا (١)  
نُفِضُ مَهْدَهُ شَفَقًا عَلَيْهِ  
إِذَا هَتَفَتْ حَمَامَةٌ بَطْنِ وَادٍ  
تَرَكْتَ أَبَاكَ مُرْعَشَةً يَدَاهُ  
أُنَادِيهِ وَوَلَّانِي قَفَّاهُ  
فَإِنَّ مُهَاجِرِينَ تَكَنَّفَاهُ  
وَإِنَّ أَبَاكَ حِينَ تَرَكْتَ شَيْخُ  
إِذَا بَلَغَ الرَّسِيمَ (٤) فَكَانَ شَدَا (٥)

كِتَابَ اللَّهِ إِنْ رَقَبَ الْكِتَابَا  
وَتَجَنَّبُهُ أَبَاعِرْنَا (٢) الصَّمَا بَا  
عَلَى بَيْضَاتِهَا دَعَا كِلَابَا  
وَأَمَّا مَا تُسْمِعُ لَهَا شَرَابَا  
فَلَا وَأَبِي كِلَابُ مَا أَصَابَا  
لِيَتْرَكَ شَيْخَهُ ؛ خَطِيئًا وَخَابَا  
يُطَارِدُ أَيْنِقًا شُسْبَا (٣) طِرَابَا  
يَخْرُ ؛ فَخَالِطِ الذَّقْنُ الثَّرَابَا

فبلغت أبحاثه عمر ، ولم يرُدَّ كِلَابَا ، فاهتز أُمية واختلط (٦) جزعاً عليه ، ونفقت  
الرُّكبانُ بشعر أُمية فبلغه ، فأنشأ يقول :

لِعَمْرِكَ مَا تَرَكْتُ أَبَا كِلَابٍ  
وَأَمَّا لَا يَزَالُ لَهَا حَنِينٌ  
كَبِيرَ السِّنِّ مُكْتَتِبًا مُصَابَا  
تَنَادَى بَعْدَ رَقْدِهَا كِلَابَا  
لِيَكْسِبَ الْمَالَ أَوْ طَلِبَ الْمَعَالِي  
وَلَكِنِّي رَجَوْتُ بِهِ التَّوَابَا

ثم أتاه يوماً وهو في مسجد الرسول ، وحوله المهاجرون والأنصار ، فوقف  
عليه ثم أنشأ يقول :

أَعَاذَلُ قَدْ عَاذَلْتِ بَعِيرِ عِلْمٍ  
وَلَا تَدْرِينَ عَاذِلُ مَا أَلَاقِي

(١) نشدا : طلبا (٢) الأباعر : جمع بعير  
اليابس . (٣) الشسب : جمع شاسب وهو التحيف  
(٤) الرسيم : سير للابل . (٥) الشد هنا : العدو .  
(٦) اختلط : فسد عقله .

فإمّا كنتِ عاذلتى فردى كلاباً إذ توجّه للعراقِ  
ولم أفض اللبانة من كلابٍ غداة غدٍ وأذت بالفراقِ  
فتى الفتیان فى عُسْرٍ ويسرٍ شديد الركن فى يوم التسلاقِ  
فلا والله ما باليت وجدى ولا شفى عليك ولا اشتياقِ  
سأستعدي على الفاروق ربّاً له حجّ الححيح على اتساقِ  
وأدعو الله مجتهداً عليه ببطن الأخشبين<sup>(١)</sup> إلى دُفاق<sup>(٢)</sup>

فلما أنشدها عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبى وقاص : أن رحل  
كلاباً ، فرحله .

فلما قدم دخل إليه فقال : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنتُ أبرّه  
وأكفيه أمره ، وكنت أعتد - إذا أردت أن أحلب لبناً - أغزر ناقة فى إبله  
وأسمنها فأسقيه لبنها .

فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه . فادخله يتهدى ، وقد ضعف بصره  
وانحنى . فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما ترانى يا أمير المؤمنين ؛ قال :  
فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، أشتهى أن أرى كلاباً ، فأشمه شمةً ، وأضمه ضمةً  
قبل أن أموت . فبكى عمر ثم قال : ستبلغ من هذا ما تحبُّ إن شاء الله تعالى .

ثم أسر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبعث إليه بلبنها . ففعل ،  
فناوله عمر وقال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلما أخذه وأدناه إلى نفسه ، قال :  
نعم والله يا أمير المؤمنين ، إنى لأشم رائحة كلاب من هذا الإناء . فبكى عمر وقال :  
هذا كلابٌ عندك حاضراً قد جئتُك به . فوثب إلى ابنه وضمّه إليه وقبّله .

(١) الأخشبان : جبلا مكة : أبوقيس والأحر ، وجبلا منى (٢) دفاق : موضع أوواد .

وجعل عمر يبكي ومن حضره ، وقال لـ كلاب : الزم أبويك نجاهد فيهما  
ما بقيا ، ثم شأنك بنفسك بعدها ؛ وأمر له بمطائه وصرفه مع أبيه .  
ثم قُتل كلاب مع علي بن أبي طالب بصفين ، وعاش أبوه أمية دهرأ طويلا ،  
حتى خرف ، فرآ به غلام له كان يرعى غنمه ، وأمية جالس يحمو على رأسه التراب ؛  
فوقف ينظر إليه ، فلما أفاق بصر بالغلام ، فقال :

أصبحتُ لهواً لراعي الضأنِ أُعجبهُ      ماذا يريـك مني راعي الضأنِ !  
انفق بضائك إني قد قدستهم      بيض الوجوه بني عمي وإخواني

## ١٦٤ — في يوم اليرموك\*

شهد اليرموك ألف رجل من أصحاب رسول الله فيهم نحو مائة من أهل بدر، وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس<sup>(١)</sup> فيقول: اللهُ اللهُ؛ إنكم ذادة<sup>(٢)</sup> العرب وأنصار الإسلام، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك؛ اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك.

وأمر خالد عكرمة<sup>(٣)</sup> والققعاع<sup>(٤)</sup>، فأنشبا القتال، وارتجز الققعاعُ وقال:  
يا ليتني ألقاك في الطراد قبل اعترام<sup>(٥)</sup> الجحفل الورد  
\* وأنت في حلتيتك الورد<sup>(٦)</sup> \*

وقال عكرمة:

قد علمت بهكنة<sup>(٧)</sup> الجوارى أئى على مكرمة أحامى  
فنشب القتال، وألحم الناس، ونطارذ الفرسان؛ فإنهم على ذلك إذ قدم  
البريد من المدينة فأخذته الخيول، وسألوه الخبر، فلم يخبرهم إلا بسلامة، وأخبرهم  
عن إمداد؛ وإنما جاء بموت أبي بكر رحمه الله، وتأمير أبي عبيدة.

\* الطبرى: ٤ - ٣٤

(١) الكردوسة: القطعة العظيمة من الخيل  
(٢) ذادة: جمع ذائد، وهو المدافع  
(٣) من صناديد قريش في الإسلام، كان هو وأبوه من أشد الناس على النبي، وأسلم في يوم  
الفتح فشهد الوقائع، وولى الأعمال لأبي بكر واستشهد سنة ١٥ هـ (٤) أحد فرسان العرب  
وأبطالهم شهد اليرموك، وكان شاعراً فجل مات نحو ٤٠ هـ (٥) الاعترام: الاشتداد وفي  
حديث على «على حين فترة من الرسل واعترام من الفتن» (٦) الحلبة: جماعة الخيل،  
والورد جمع ورد، وهو الفرس بين السكيت والأشقر (٧) البهكنة: الفتاة الغضة.

فأبلغوه خالداً فأخبره خبر أبي بكر أسره إليه ، وأخبره بالذي أخبر به الجند ؛ فقال : أحسنت فقِفْ ؛ وأخذ الكتاب ، وجعله في كِنَانَتِهِ ؛ وخاف إنْ هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند ؛ فوقف تَحْمِيَةً بن زُنَيْمٍ - وهو الرسول - مع خالد وخرج جَرَجَةَ<sup>(١)</sup> حتى كان بين الصفيين ، ونادى : لِيُخْرَجْ إِلَى خَالِدِ .

فخرج إليه خالد ، وأقام أبا عبيدة مكانه ، فواقفه بين الصفيين حتى اختلف أعناق دابتيهما ، وقد آمن أحدهما صاحبه ؛ فقال جَرَجَةَ : يا خالد ؛ اصدقني ولا تكذبنني فإن الحُرَّ لا يكذبُ ، ولا تُخَادِعُنِي فإن الكريم لا يُخَادِعُ ، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكمه فلا تسلمه على قوم إلا هزمتهم ؟ قال : لا ! قال : فيم سُمِّيَت سيفَ الله ؟ قال : إن الله عزَّ وجلَّ بعث فينا نبيّه ، فدعانا فنفرنا عنه ؛ ونأينا جميعاً ؛ ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذّبه ، فكنتُ فيمن كذّبه وباعده وقتله ؛ ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه ، فقال : أنت سيفٌ من سيوف الله سلّه الله على المشركين ، ودعالي بالنصر ، فسُمِّيَت سيفَ الله بذلك ؛ فأنا من أشدّ المسلمين على المشركين ، قال : صدقتني ! ثم أعاد عليه جَرَجَةَ : يا خالد ؛ أخبرني إلامَ تدعوني ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء من عند الله ؛ قال : فمن لم يجيبكم ؟ قال : فالجزيةُ ونمعه ! قال : فإن لم يُعْطِها ؛ قال : نُؤذنه بحرب ثم نقاتله ! قال : فما منزلةُ من يدخل فيكم ويحيبكم إلى هذا الأمر اليوم ؟ قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا .

ثم أعاد عليه جَرَجَةَ : هل لمن دَخَلَ فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من

(١) جرجة : مقدم عسكر الروم يوم اليرموك .

الأجر والدَّخْر؟ قال : نعم ، وأفضل ، قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه !  
قال : إنا دخلنا في هذا الأمر ، وبادعنا نبينا وهو حيّ بين أظهرنا تأتيه أخبارُ  
السماء ، ويخبزنا بالسكتب ، ويرينا الآيات ، وحقّ لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا  
أن يُسَلِّمَ ويُبَاطِعَ ، وإنكم أتمّ لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب  
والحجج ، فن دخل في هذا الأمر بحقيقة ونية كان أفضل منا .

قال جرجة : بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألّفني . قال : بالله لقد  
صدقتك وما جى إليك ولا إلى أحدٍ منكم وخشة ، وإن الله لولى ما سألت عنه .  
فقال : صدقتني ، وقلّب التُّرْسَ ومال مع خالد ، وقال : علّنى الإسلام ؛ فقال به  
خالدٌ إلى فسطاطه<sup>(١)</sup> فشنّ عليه قربةً من ماء وصلى ركعتين !

---

(١) الفسطاط : الحيمة .

١٦٥ — في يوم القادسية \*

كان أبو محجن الثقفي<sup>(١)</sup> من المعاقرين للخمر ، المحدودين في شربها ، أقام عليه عمر بن الخطاب الحدَّ سراراً ، وهو لا يتهى ؛ فنفاه إلى جزيرة في البحر ، وبعث معه حرسياً<sup>(٢)</sup> ، فهرب منه ولحق بسعد بن أبي وقاص ، وهو في حربته مع الفرس وكانت حرب القادسية .

ولما بلغ ذلك عمر كتب إلى سعد بمحبسه ، فحبسه في القصر ، وتطلع أبو محجن إلى الحرب ، فرآها مشتعلةً ، فذهب إلى سلمي بنت أبي حفص - زوج سعد ، فقال لها : هل لك في خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تُخلِّين عني وتُعيرينني البلقاء<sup>(٣)</sup> ؛ فَلَهِ عَلَى إِنْ سَأَمَنِي اللَّهُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ حَتَّى تَضَعِي رِجْلِي فِي قَيْدِي ؛ فقالت : وما أنا وذاك ؟ فرجع يرسُفُ في قيوده ، ويقول :

كفى حزنًا أن تردى الخيلُ بالقتلِ      وأترك مشدوداً على وثاقيا  
إذا قتُ عُنَانِي الحديدُ وغُلِّقَتْ      مصاريعُ مِن دُونِي تُصمُّ المُنَاديا  
وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ      فقد تركوني واحداً لا أخالياً

\* مهذب الأغاني : ٢ - ٤٨ ، الخزانة : ٣ - ٥٥٣ ، الأغاني : ٢٠ - ١٣٨ ، الكامل لابن الأثير : ٢ - ٢٣٢ ، المسعودي : ١ - ٤٢٣  
(١) أبو محجن اسمه وكنيته على المشهور ، أسلم سنة ٩ هـ ، وسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ، وكان جواداً كريماً من الفرسان المشهورين في الجاهلية والإسلام مات سنة ٣٠ هـ  
(٢) الحرسى : واحد حرس السلطان (٣) البلقاء : فرس سعد بن أبي وقاص .

وقد شفّ جسمي أني كل شارقي<sup>(١)</sup> أعالج كنبلاً<sup>(٢)</sup> مُصمّماً قد برّانياً  
فله دري يوم أترك موقفاً وتذهل عنى أسرتي ورجاليا!  
حيساً عن الحرب العوان وقد بدت وإعمال غيري يوم ذاك العواليأ  
ولله عهد لا أخيس<sup>(٣)</sup> بعده ائن فرجت ألا أزور الحوانيا<sup>(٤)</sup>  
فقال له سلمى : إني استخرت الله ورضيتُ بهدك ، وأطلقته .

فاتقاد أبو محجنّ الفرس ، وأخرجها ثم ركبها ، ودبّ عليها ، وفي ذلك اليوم  
أظهر من شجاعته عجباً . ولما تحاجز أهلُ العسكرين أقبل أبو محجنّ حتى دخل  
القصر ، ووضع نفسه عن الدابة ، وأعاد رجله في القيد وقال :

لقد علمتُ ثميف غير فخرٍ بأننا نحنُ أكرمهمُ سيوفاً  
وأكثرهمُ دروعاً سابغات وأصبرهمُ إذا كرهوا الوقوفا  
فإن أحبس فقد عرفوا بلائي وإن أطلق أجرتهم حُتوفا

فقال له سلمى : يا أبا محجنّ ؛ في أيّ شيء حبسك هذا الرجل ؟ فقال :  
أما والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ، ولكني كنتُ صاحبَ شراب في  
الجاهليّة ؛ وأنا امرؤ شاعر ، يدبّ الشعر على لساني ، فينفثه أحياناً ، فحبسني  
لأنّي قلت :

إذا مت فادفني إلى أصلِ كرمي تروى عظامي بعد موتي عروقها  
ولا تدفني بالفلاة<sup>(٥)</sup> فإني أخافُ إذا ماتتُ ألا أدوقها

فذهبت إلى سعد وأخبرته خبر أبي محجنّ ، فدعا به وأطلقه ، وقال : اذهب  
فما أنا مؤاخذك بشيء . تقوله حتى تفعله ؛ فقال : والله لا أجيّت لساني إلى قبيح أبداً .

(١) أصل الشارق : اليوم الذي فيه الشمس ، والمراد كل يوم (٢) الكبيل : القيد  
(٣) خاس بالهد : غدر ونكث (٤) الحانية : الدكان ، وهو يريد أمكنة بيع الخمر  
(٥) الفلاة : الأرض المهلكة .



١٦٦ - في فتح نهاوند \*

بعث عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه السائب بن الأقرع مولى ثقيف ، وكان رجلاً كاتباً حاسباً ، فقال : الحق بهذا الجيش - جيش المسلمين بنهاوند - فكن فيهم ، فإن فتح الله عليهم فاقسم على المسلمين فيهم ، وخذ خمسَ الله وخمس رسوله ، وإن هذا الجيشُ أُصيب فاذهب في سوادِ الأرض فبطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها .

قال السائب : فلما فتح الله على المسلمين نهاوند أصابوا غنائمَ عظماً ، فوالله إنى لأقسِم بين الناس إذ جاءنى عِلجٌ من أهلها ، فقال : أتؤمننى على نفسى وأهلى وأهل بيتى على أن أدلك على كَنوز آل كسرى تكون لك ولصاحبك ولا يَشْرَكَك فيها أحد ؟ قلت : نعم ! قال : فابعث معى من أدله عليها ، فبعثت معه ، فأتى بسمطينِ عظيمين ليس فيهما إلا اللؤلؤ والزَّبْرُجْدُ والياقوت ،

فلما فرغت من قسمنى بين الناس احتملتها معى ، ثم قدمتُ على عمر بن الخطاب فقال : ما وراءك ياسائب ؟ قلت : خيراً يا أمير المؤمنين ؛ فتح الله عليك بأعظم الفتح ، واستشهد النعمان<sup>(١)</sup> بن مقرن رحمة الله ، فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ثم بكى فنشج<sup>(٢)</sup> .

\* الطبرى : ٤ - ٢٣٢

(١) صحابى فآخ من الأمراء القادة الشجعان ، فتح القادسية ، وولاه عمر لأمرة الجيش ففزا أصهبان ففتحها ، وهاجم نهاوند فاستشهد فيها سنة ٢١ هـ (٢) نشج الباكي : غص بالباء في حلقه من غير انتخاب .

فلما رأيت ذلك قلت : والله يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده من رجل  
يُعرَف وجهه !

ثم قام ليدخل ، فقلت : إن معي مالاً عظيماً قد جئتُ به ، ثم أخبرته خبر  
السفطين ، فقال : أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما ، والحق بجنحك ،  
فأدخلتهما بيت المال ، وخرجت سريعاً إلى الكوفة .

وبات تلك الليلة التي خرجتُ فيها ، فلما أصبح بعثَ في أثرى رسولا ،  
فوالله ما أدركني حتى دخلتُ الكوفة ، فأنحْتُ بعيري وأناخ بعيره على عُرْقوبتي  
بعيري ، فقال : الحق بأمر المؤمنين ؛ فقد بعثني في طلبك ، فلم أقدر عليك إلا الآن!  
قلت : ويلك ! ماذا ؟ ولماذا ؟ قال : لا أدري والله .

فركبتُ معه حتى قدمتُ عليه ؛ فلما رأني قال : مالي ولا بن أم السائب ؟  
بل ما لابن أم السائب ومالي ؟ قلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ويحك !  
والله ما هو إلا نمتُ في الليلة التي خرجتَ فيها فباتت ملائكة ربي تسحبني إلى  
ذینك السفطين يشتعلان ناراً ، يقولون : لنكويَنَّك بهما ، فأقول : إني سأقسمهما  
بين المسلمين ، فخذها عنى لا أبالك ، والحق بهما فبعهما في أعطيات المسلمين وأرزاقهم !

فخرجتُ بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة ، فابتاعهما مني عمرو بن  
حريث الخزومي بألني درهم ، ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة  
آلاف ألف .

١٦٧ — عمرو بن العاص وأحد كفار المعجم\*

لما فتح عمرو بن العاص قيسارية<sup>(١)</sup> سار حتى نزل غزة؛ فبعث إليه عليها<sup>(٢)</sup> :  
أن ابعث إلي رجلاً من أصحابك أكلمه؛ ففكر عمرو وقال : ما لهذا  
أحد غيري .

فخرج حتى دخل على العليج فكلمه؛ فسمع كلاماً لم يسمع قط مثله ، فقال  
العليج : حدثني ؛ هل في أصحابك أحدٌ مثلك ؟ قال : لا تسأل عن هذا ! إني  
هين عليهم ؛ إذ بعثوا بي إليك ، وعرضوني لما عرضوني له ، ولا يدرون  
ما تصنعُ بي .

فأمر له بجائزة وكسوة ، وبعث إلى البواب : إذا مرَّ بك فاضرب عنقه ،  
وخذ ما معه .

فخرج من عنده ؛ فمر برجل من نصارى غستان ، فعرفه ، فقال : يا عمرو :  
قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج ! ففطن عمرو لما أرادته ، فرجع فقال له الملك :  
ما ردك إلينا ؟ قال : نظرتُ فيما أعطيتني ، فلم أجد ذلك يسعُ بني عمي ، فأردت  
أن آتيك بعشرة منهم ، تعطيم هذه العطية ، فيكون معروفك عند عشرة خيراً

\* العقد الفريد : ١ - ١٤٦

(١) بلدة بفلسطين .

(٢) العليج : الرجل من كفار المعجم .

من أن يكونَ عند واحد! فقال: صدقتَ، اعجلُ بهم! وبعثَ إلى البواب:  
أنْ خلَّ سبيله!

فخرج عمرو وهو يلتفتُ، حتى إذا أمِنَ، قال: لاعدتُ إلى  
مثلها أبداً!

فلما صالحهُ عمرو ودخل عليه العليُّ، قال له: أنت هو؟ قال: نعم، علي  
ما كان من غدرك!

١٦٨ — عمر بن الخطاب وغنائم المسلمين\*

بعث عمرُ سلمة بن قيس الأشجعيّ إلى طائفةٍ من الأكراد كانوا على الشرك؛ فخرج إليهم في جيش أرسله معه من المدينة .

فلما انتهى إليهم دعاهم إلى الإسلام أو إلى أداء الجزية ، فأبوا ، فقاتلهم فنصره الله عليهم ؛ فقتل المقاتلة ؛ وسبى الذرية ، ووجد حليةً وفصوصاً وجواهر ، فقال لأصحابه : أنطيب أنفسكم أن نبعث بهذا إلى أمير المؤمنين ؛ فإنه غير صالح لكم ، وإن على أمير المؤمنين لمثونةً وأثقالا ، قالوا : نعم ، قد طابت أنفسنا .

فجعل الجواهر في سَفَط<sup>(١)</sup> ، وبعث به مع واحد من أصحابه ، وقال له : سِرْ فإذا أتيت البصرةَ فاشترِ راحلتين فأوقرهما<sup>(٢)</sup> زاداً لك ولغلامك ، وسِرْ إلى أمير المؤمنين .

قال : ففعلت فأتيتُ عمر وهو يُدبِّي الناس قائماً متكئاً على عصا كما يصنع الراعي ، وهو يدور على القصاع ؛ فيقول : يا يِرْ فَا<sup>(٣)</sup> ، زد هؤلاء لهما ، زد هؤلاء خُبْزاً ، زد هؤلاء مَرَقَةً .

فجلستُ في أدنى الناس . فإذا طعامٌ فيه خُسُونة ، طعمى الذي معي أطيبُ منه . فلما فرغ أدبَرَ فاتبعتهُ ، فدخل داراً فاستأذنت ، ولم أعلم حاجبه من أنا ، فأذن لي ، فوجدته في صُمَّة<sup>(٤)</sup> جالساً على مِسْح<sup>(٥)</sup> متكئاً على وسادتين من

\* ابن أبي الحديد : ٣ : ١٥٧

(١) السَفَط : كالجواني أو كالتفة ، حمه أسفاط (٢) أوقر الدابة : حلها (٣) يرفأ : مولى عمر بن الخطاب (٤) الصفة من البنيان : شبه البهو الواسع (٥) المسح : توب من الشعر غليظ .

أَدَمَ <sup>(١)</sup> مَحْشَوْتَيْنِ لَيْقَمًا ، وَعَلَيْهِ سِتْرٌ مِنْ صُوفٍ ، فَنَبَذَ إِلَى إِحْدَى الْوَسَادَتَيْنِ ، فَجَلَسَتْ عَلَيْهِمَا .

فَقَالَ : يَا أُمَّ كَلْثُومَ ، أَلَا تُعْذُبُونَنَا ؟ فَأَخْرَجَتْ إِلَيْهِ خُبْزَةً <sup>(٢)</sup> بَزِيَّتٍ فِي عَرَضِهَا مِلْحٌ لَمْ يَدُقْ ، فَقَالَ : يَا أُمَّ كَلْثُومَ ، أَلَا تُخْرِجِينَ إِلَيْنَا تَأْكِلِينَ مَعَنَا ؟ فَقَالَتْ : إِنِّي أَسْمَعُ عِنْدَكَ حِسْنَ <sup>(٣)</sup> رَجُلٍ ، قَالَ : نَعَمْ ، وَلَا أَرَاهُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ . فَقَالَتْ : لَوْ أَرَدْتَ أَنْ أَخْرَجَ إِلَى الرَّجَالِ لَكَسَوْتَنِي كَمَا كَسَا الزَّبِيرُ امْرَأَتَهُ ، وَكَمَا كَسَا طَلْحَةَ امْرَأَتَهُ !

قَالَ : أَوْ مَا يَكْفِيكَ أَنْكِ أُمَّ كَلْثُومَ ابْنَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَزَوْجَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ؟ قَالَتْ : إِنْ ذَاكَ عِنْدِي لَقَلِيلُ الْغَنَاءِ ! ثُمَّ قَالَ : كُلِّي ، فَلَوْ كَانَتْ رَاضِيَةً لِأَطْعَمَتِكَ أَطْيَبَ مِنْ هَذَا . فَأَكَلَتْ قَلِيلًا ، وَطَعَامِي الَّذِي مَعِيَ أَطْيَبُ مِنْهُ . وَأَأْكَلُ ، فَمَا رَأَيْتِ أَحَدًا أَحْسَنَ أَكْلًا مِنْهُ ، مَا يَتَلَبَّثُ <sup>(٤)</sup> طَعَامُهُ بِيَدِهِ وَلَا فِيهِ .

ثُمَّ قَالَ : اسْقُونَا ؛ فَجَاءُوا بِمُسِّ <sup>(٥)</sup> مِنْ سُلْتٍ <sup>(٦)</sup> ، فَقَالَ : اشْرَبِي ، فَشَرِبْتُ قَلِيلًا ، وَإِنَّ سَوِيْقِي الَّذِي مَعِيَ لِأَطْيَبُ مِنْهُ ، ثُمَّ أَخَذَهُ فَشَرِبَهُ حَتَّى قَرَعَ الْقَدْحُ جِبْهَتَهُ .

ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا فَأَشْبَعَنَا ، وَسَقَانَا فَأَرْوَانَا ؛ إِنَّكَ يَا هَذَا الضَّعِيفَ الْأَكْلَ ضَعِيفُ الشَّرْبِ .

(١) الأدم : جمع للأديم : وهو الجلد  
(٢) الخبزة : عجين يوضع في الملة حتى ينضج ، والملة : الرماد والتراب الذي أوقد فيه النار  
(٣) الحس : الصوت الحنفى (٤) لا يتوقف  
(٥) العس : القدح العظيم  
(٦) السلت : الشعير .

فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن لي حاجة ، قال : ما حاجتك ! قلت : أنا رسول سلمة ابن قيس قال : مرحباً بسلمة ورسوله ، فكأنما خرجت من صلبه - حدّثني عن المهاجرين كيف هم ؟ قلت : كما تحبُّ - يا أمير المؤمنين - من السلامة والظفر والنصر على عدوم . قال : كيف أسعارهم ؟ قلت : أرخص أسعار ؛ قال : كيف اللحم فيهم فإنه شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا على شجرتها ؟ قلت : البقرة فيهم بكذا ، والشاة فيهم بكذا . ثم قلت : سرّنا يا أمير المؤمنين حتى لقينا عدونا من المشركين ، فدعوناهم إلى الذي أمرت به من الإسلام فأبوا ، فدعوناهم إلى الخراج فأبوا ؛ فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم ، فقتلنا المقاتلة ، وسبينا الذرية ، وجمعنا الثروة ، فرأى سلمة في الأموال حليّة ، فقال للناس : أنطيب أنفسكم أن أبعث بها إلى أمير المؤمنين ؟ قالوا : نعم ! ثم استخرجت سقّطى ففتحته .

فلما نظر إلى تلك الفصوص من بين أحمر وأخضر وأصفر ، وثب وجعل يده في خاصرته يصيح صياحاً عالياً ويقول : لا أشبع الله إذن بطن عمر -  
يكرّرها !

فظنّ النساء أني جئت لأغتاله ، فجنن إلى الستر فكشفنه ، فسمعنه يقول : لفّ ما جئت به ، يا يرقاً ، جأ عنقه <sup>(١)</sup> ! فأنا أصلح سقّطى ، ويرفأ بجا عنق !

ثم قال : النجاء النجاء اقلت : يا أمير المؤمنين فأحلى ! فقال : يا يرقاً ، أعطه راحتين من إبل الصدقة ، فإذا لقيت أحداً أفقر إليهما منك فادفعهما إليه .

(١) وجأت عنقه : ضربته .

وقال : أظنك سَتَبَطِيْ ، أما والله لئن تفرَّق المسلمون في مشائهم قبل أن  
يُقَسِّمَ هذا فيهم لأفعلنَّ بك وبصاحبك الفاقرة (١) !

قال : فارتحلتُ حتى أتيتُ إلى سلمة بن قيس ، فقلت : لا بارك الله فيما  
اختصصتني به ! اقسِم هذا في الناس قبل أن تصيبني وإياك فاقرة ، فقسمه فيهم ،  
فكان الفصُّ يُباعُ بخمسة دراهم وستة وهو خير من عشرين ألفا

---

(١) الفاقرة : الدامية .



١٦٩ — قد كاد أميركم يهلك \*

لما تكامل للمسلمين فتوح الشام ؛ وأقاموا على دمشق شهراً ؛ جمع قائدهم - أبو عبيدة - أمراء المسلمين واستشارهم في المسير إلى قيسارية<sup>(١)</sup> أو إلى بيت المقدس ، فقال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : أيها الأمير ؛ اكتب إلى أمير المؤمنين عمر ؛ فحيثُ أَمَرَكَ فامتنِلهُ . فقال له : أصبَّتَ الرَّأْيَ يا معاذ !

ثم كتب إلى أمير المؤمنين عمر يعلمه بذلك ، وأرسل الكتاب مع عرفة بن ابن ناصح النخعي<sup>(٢)</sup> ، فسار حتى وصل إلى المدينة ؛ فسلم الكتاب إلى عمر .

فقرأه على المسلمين واستشارهم ، فقال علي بن أبي طالب : يا أمير المؤمنين ، مُرْ صاحبك ينزل يميوش المسلمين إلى بيت المقدس ، فإذا فتح الله بيت المقدس صرف وجهه إلى قيسارية فإنها تفتح بعدها إن شاء الله .

فدعا عمر بدواة وكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . من عمر إلى عامله بالشام أبي عبيدة .

« أما بعد ، فإني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلى على نبيه . وقد وصل إلى كتابك تستشيرني إلى أي ناحية تتوجّه ؟ وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير إلى بيت المقدس ، فإن الله يفتحها على يديك ، والسلام . »

\* المستطرف : ٢ - ١٥

(١) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام ، تعد من أعمال فلسطين (٢) النخعي : نسبة إلى نخع ، وهي قبيلة باليمن .

فلما وصل الكتابُ إلى أبي عبيدة قرأه على المسلمين ؛ ففرحوا بالمسير إلى بيت المقدس وتقدّمه الجيشُ إليها ، وأقام المسلمون في القتال عشرة أيام ، وأهلُ بيت المقدس يُظهرون الفرحَ وعدمَ الخوف .

فلما كان اليوم الحادى عشر أشرفت عليهم رايةُ أبي عبيدة ، وخالدٌ عن يمينه وعبدُ الرحمن بن أبي بكر عن يساره ؛ فضجَّ الناس بالتهليل والتكبير ، ووقع الرُّعبُ في أهل بيت المقدس فاجتمعوا بقمامة ، وهي البيعةُ <sup>(١)</sup> المعظمة عندهم .

فلما وقفوا بين يدي البطرِك <sup>(٢)</sup> قال لهم : ماهذه الضجة التي أسمعُ ؟ قالوا : قد قدّمَ أميرُ المؤمنين ببيعةَ المسلمين .

فلما سمع ذلك تربّد <sup>(٣)</sup> وجهه ، وقال : إننا وجدنا في علمنا الذي ورثناه : أن الذي يفتح الأرضَ هو الرجل الأحمر ، صاحبُ نبيهم محمد ؛ فإن كان قدّم عليكم فلا سبيلَ إلى قتاله ، ولا بدَّ أن أُشرفَ عليه ، وأنظرَ إلى صفته ؛ فإن كان هو أجبتهُ إلى ما يريد ، وإن كان غيره فلا بأس عليكم .

ثم وثبَ قائماً والتبس والرهبان من حوله ، وقد رفعوا الصليبان على رأسه ؛ فصعدوا إلى السور إلى أن ورد أبو عبيدة ، فناداهم رجل من الروم : يامعاشر المسلمين ؛ كفوا عن القتال حتى نسألكم ا

فأمسك المسلمون عنهم فناداهم بلسانٍ عربى : اعلموا أن الرجل الذى يفتحُ

---

(١) البيعة : متعبد النصارى ، وجمعها بيع ، وقامة : كانت كنيسة للنصارى بدمشق ، ولهم فيها مقبرة يسمونها القيامة ، ويروون أن المسيح قامت قيامته فيها (٢) البطرِك : مقدم النصارى .  
(٣) تربّد . تغير .

بلدتنا هذه صِفْتُهُ عندنا ؛ فإن كانت في أميركم لم تقاتلكم ؛ بل نسلم إليكم  
وإن لم تكن هذه صفته فلا نسلم إليكم أبداً .

فأعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك ؛ فخرج أبو عبيدة إليهم إلى أن حاذَاهم ، فنظر  
إليه البَطْرُكُ مَلِيًّا ، ثم قال : ليس هو الرجل ؛ فأبشروا وقاتلوا عن دينكم  
وحرِّيمكم .

وكان نزولُ المسلمين على بيت المقدس في فصل الشتاء والبردِ ، فأقاموا أربعة  
أشهر في أشدِّ قتال .

فلما نظر أهلُ بيتِ المقدسِ إلى شدَّةِ الحصار ، ورأوا ما حلَّ بهم من المسلمين ،  
وقفوا بين يدي البَطْرُكِ ، وقالوا : قد عَظُمَ الأمر ، ونريدُ منك أن تشرفَ على القوم  
وتسألَ : ما الذي يريدون ؟ فإن كان أسراً صَعَبًا فتحنا الأبوابَ ، وخرجنا إليهم ،  
فإما أن نُقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا .

فأجابهم البَطْرُكُ إلى ذلك ، وصعد في السور ، واجتمع القسيسون والرهبانُ حوله  
ونادى رجل : يا معشر الفُرسان ، عُمدة دين النصرانية قد أفبل يخاطبكم ، فليدُنْ  
منا أميرُكم .

فقام أبو عبيدة يمشى ، ومعه جماعة من أصحاب رسول الله ، فلما وقف بإزائهم  
قال : ما الذي تريدون ؟ قال البَطْرُكُ : إنكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا  
إلى فتح بلدتنا ، وإنما يفتحها رجلٌ ليس معكم !

قال أبو عبيدة : وما صفةٌ من يفتحُ بلدكم ؟ قالوا : لا نخبركم بصفته ! ولكن

قرأنا أن هذا البلد يفتحه صاحبٌ لمحمد يعرف بالفاروق <sup>(١)</sup> لاتأخذه في الله لومة لائم،  
ولسنا نرى صفته فيكم .

فلما سمع أبو عبيدة كلام البَطْرِك تبسم وقال : فتحنا البلد وربّ النكعبة ائتم  
أقبل على البَطْرِك وقال : إن رأيتَ الرجلَ تعرفه ؟ قال : نعم ! وكيف  
لا أعرفه .

قال أبو عبيدة : هو والله خليفتنا وصاحبُ نبينا . قال : فإذا كان الأمرُ على  
ما ذكرت فاحقنِ الدماء ، وابعثْ إلى صاحبك ، فإذا رأيناه وتبيننا نعمته ، فتحنا له  
البلد ، وأعطيناه الجزية .

فانصرف أبو عبيدة وأمر الناس بالكفّ عن القتال ، وكتب إلى عمر يعلمه  
بالخبر .

فلما وصل إليه الكتاب قرأه على المسلمين ، وقال : ما ترون - رحمكم الله -  
فيما كتب إلينا أمينُ <sup>(٢)</sup> الأمة ؟ فكان أولَ من تكلم عثمانُ بن عفّان ، فقال :  
يأأمير المؤمنين ، إن الله قد أذلّ الروم ، فإن أنتَ أقمتَ ولم تسيرِ إليهم علموا أنك بأمرهم  
مُسْتَخِفّ ، فلا يثبتون إلا يسيراً .

فلما سمع عمرُ ذلك من عثمان جراه خيراً ، وقال : هل عند أحدٍ منكم رأيٌ  
غيرُ هذا ؟ فقال علي بن أبي طالب : نعم ، عندي غيرُ هذا الرأي ، وأنا أبديهِ إليك .  
فقال له عمر : وما هو يا أبا الحسن ؟ قال : إن القوم قد سألوك ، وفي سؤالهم ذلّ ،  
وهو على المسلمين فتنح ، وقد أصابهم جهْدٌ <sup>(٣)</sup> عظيم ، من البرد والقتال ، وطول المقام

(١) لقب عمر بن الخطاب (٢) هو أبو عبيدة (٣) الجهد : المشقة .

وإن سرت إليهم فتح الله على يديك هذه المدينة ، وكان لك في مسيرك الأجر العظيم ،  
ولست آمن منهم أنهم إذا يئسوا منك أن يأتيهم المدد من طاغيتهم ؛ فيحصل  
للمسلمين بذلك الضرر . فالرأى أن تسير إليهم .

فقال عمر : لقد أحسن عثمانُ النظرَ في المَكِيدَةِ للعدو ، وأحسن عليُّ النظرَ  
للمسلمين ؛ جزاها الله خيراً ، ولست آخذُ إلا بمشورةِ عليٍّ ؛ فاعرفناه إلا محمودَ  
المشورة ، مَيْمُونِ الطَّلعة .

ثم إن عمر أمرَ الناسَ أن يأخذوا الأُهبةَ للمسير معه ، واستخلف على المدينة  
عليّ بنَ أبي طالب ، وخرج عليٌّ بعيرله أحمر ، عليه غِرَارَتَانِ <sup>(١)</sup> ؛ في إحداها  
سَوِيْق ، وفي الأخرى تَمْر ، وبين يديه قَرَبَةٌ ، وخلفه جَفَنَةٌ لِلزَّاد .

وسار إلى أن أقبل على بيت المقدس ، فتلقاه أبو عبيدة ؛ فلما رآه أناخَ قَلوصه <sup>(٢)</sup> ،  
وأناخ عمر بعيره ، وترجلاً ، ومدَّ أبو عبيدة يده ، وصافح عمر ، وأقبل المسلمون يسلمون  
على عمر ، ثم ركبوا جميعاً إلى أن نزلوا ، فصلى عمر بالمسلمين صلاةَ الفجر ، ثم خطبهم ،  
فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدُّهُ بما آتَى من الروم إلى أن حضرت  
صلاة الظهر ، فأذن بلال في ذلك اليوم ، فلما قال : الله أكبر ! خشعت جوارحهم ،  
واقشعرت أبدانهم ، وحينما قال : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً  
رسول الله » بكى الناس بكاءً شديداً عند ذكر الله وذكرِ رسوله ، فلما فرغ من  
الأذان صلى عمر ، وجلس ، ثم أمرهم بالركوب .

وركب هو - وكانت عليه مِرْقَعَةٌ الصوف - فقال المسلمون : يا أمير المؤمنين ،

(٢) القلوص من الإبل : الشابة .

(١) الغرارة : الجوارق

لوركبتَ غيرَ بعيرك هذا جواداً ، ولبست ثياباً لكانَ أعظمَ لهيبَتِكَ في قلوبِ أعدائِكَ ! وأقبلوا يسألونه ويتلففونَ <sup>(١)</sup> إلى أن أجابهم إلى ذلك ، ونزع مرقعته ، ولبس ثياباً بيضا ، وطرح على كتفيه منديلًا من السكتان دفعه إليه أبو عبيدة ، وقدم له برذوناً <sup>(٢)</sup> أشهب من براذين الروم .

فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يُهملج <sup>(٣)</sup> به ؛ فلما نظر عمر إلى ذلك نزل مسرعاً ، وقال : أَيْلُونِي ؛ أقال اللهُ عَثْرَاتِكُمْ يومَ القيامة ! لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكِبَر !

ثم إنه نزع ثيابه وعاد إلى لبس مرقعته ، وركوب بعيره ، فَعَلَّتْ ضَجَّةُ الْمَسْلَمِينَ ، فقال البَطْرُكُ لقومه : انظروا : ما شأن العرب .

فأشرف رجلٌ منهم ، فقال : يا معشر العرب ، ما شأنكم ؟ قالو : إن عمر بن الخطاب قد قدم إلينا . فرجع هذا وأعلم البَطْرُكُ ، فأطرق ولم يتكلم .  
فلما كان الغد صلى عمرُ بالمسلمين ، ثم قال لأبي عبيدة : تقدّم وأعلمهم أني قد أتيت .

فخرج أبو عبيدة وصاح بهم : إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى ، فما تصنعون ؟ قال البَطْرُكُ : قل له يدنو منا ، فإننا نعرفه بصفاته ونعمته ؛ وأفردوه من بينكم حتى نراه .

فرجع أبو عبيدة إلى عمر ، فأخبره بما قال ، فهَمَّ عمر بالقيام فقال له بعضُ أصحابه : يُخَشَى عليك من الانفراد بلا عُدَّة .

(١) تلففوا وتلاطفوا : رفقوا (٢) البرذون : الدابة . والبراذين من الخيل : ما كان من غير نجاج العرب (٣) الهملجة : حسن سير الدابة في سرعة .

فقال عمر : لن يصيبنا إلا ما كتبَ اللهُ لنا ، هوَ مَوْلانا وعلى اللهُ فليَتَوَكَّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ . ثم لبس مُرَقَّتَهُ وركب بعيره ، وأبو عبيدة سائرٌ بين يديه إلى أن أتى  
بإزاء البَطْرَكِ قريبا من الحصن .

فقال أبو عبيدة : هذا أمير المؤمنين ! فدَّ البطرك عنقه ونظر إليه فزَعَقَ (١) ،  
وقال : هذا والله الذي صفته في كتبنا !

ثم قال : يَا هَلْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، انزلوا إليه ، وخذوا منه الأمان والذِّمَّةَ ، فهذا  
والله صاحبُ محمد .

فنزّلوا مسرعين ، وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدَّةِ الحصار ، وفتحوا الباب ،  
وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد .

فلما رآهم عمر على تلك الحالة خَرَّ لَهِجاً ساجداً على قَتَبِ (٢) بعيره ، ثم أقبل عليهم  
وقال : ارجعوا إلى بلدكم ولكم العهد .

فرجع القوم إلى البلد ولم يُغلقوا الأبواب ، ورجع عمر .  
فلما كان الغد دخل عمر إليها ، وخطبَ بها محراباً (٣) وأقرَّ أهلها على عهدهم ،  
وأداء الجزية (٤) .

(١) زعق : صاح (٢) القتب : البرذعة على قدر سنام البعير (٣) المحراب : مقام الإمام  
من المسجد ، والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس (٤) الجزية : خراج الأرض ، وما يؤخذ  
من الذمي .

١٧٠ — عند ملك الصين \*

أَوْغَلَ قُتَيْبَةَ<sup>(١)</sup> بن مسلم حتى قرَّب من الصين . فكتب إليه ملكُ الصين .  
أن ابعث إلينا رجلا من أشرف من معكم يخبرنا عنكم ونسأله عن دينكم .  
فانتخب قُتَيْبَةَ من عسكره اثني عشر رجلا ، لهم جمال وأجسام وألسُن وشعور  
وبأس ، فكلمهم قُتَيْبَةَ وفأظنهم<sup>(٢)</sup> ، فرأى عقولا وجمالا ؛ فأمر لهم بعدة حسنة من  
السلح والمناج الجيد من الوشَى والرقيق والنعال والطر ، وحملهم على خيول مُطَهَّمة  
تقَاد معهم ودوابَّ يركبونها .

وكان هُبَيْرَةُ<sup>(٣)</sup> بن المُشْمَرَج الكلابي مفوَّها ، فقال له : يا هُبَيْرَةُ ؛ ماذا أنت  
صانع ؟ قال : أصلح الله الأمير ! قل ما شئت أقله وأخذ به ؛ قال : سيروا على  
بركة الله وبالله التوفيق ، لا تضعوا العائم عنكم حتى تقدموا البلاد ، فإذا دخلتم عليه  
فأعلموه أني قد خلفت ألا أنصرف حتى أظأ بلادهم وأجبي خراجهم .

فساروا وعليهم هبيرة بن المُشْمَرَج ، فلما قدموا أرسل إليهم ملك الصين يدعوهم ،  
فدخلوا الحمام ثم خرجوا فلبسوا ثيابا بيضا تحتها القلائل ، ثم مسوا الغالية<sup>(٤)</sup> ،  
ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه ، وعنده عطاء أهل مملكته ، فجلسوا ، فلم  
يكلمهم هو ولا أحد من جلسائه ، فنهضوا .

\* تاريخ الطبري : ٨ - ١٠٠

(١) أمير فاتح من رجال العرب ، اتصل بالوليد بن عبد الملك فولاه خراسان ، وغزا أطراف  
الصين وضرب عليها الجزية ، واستمرت ولايته ١٣ سنة وقتل سنة ٥٩٦ هـ (٢) فاطنه في الكلام :  
راجعه (٣) كان مع قُتَيْبَةَ حين غزا الصين وتوفى بفارس سنة ٥٩٦ هـ (٤) الغالية : الطيب .



فقال الملك لمن حضره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوما ما هم إلا نساء ،  
ما بقي منا أحدٌ حين رآهم إلا وجد رأتهم .

فلما كان الغد أرسل إليهم ، فلبسوا الوشئَ وعمائم الخزِّ والمطَّارف<sup>(١)</sup> ، وغدَّوا  
عليه ، فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجعوا فقال لأصحابه : كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا :  
هذه الهيئة أشبهُ بهيئة الرجال .

فلما كان اليومُ الثالثُ أرسل إليهم فشدَّوا دينهم سلاحهم ، ولبسوا البيضَ  
والمغافر<sup>(٢)</sup> ، وتقلدوا السيوف ، وأخذوا الرماح ، وتكَبَّروا<sup>(٣)</sup> القسى ، وركبوا  
خيولهم وغدَّوا ! فنظر إليهم صاحبُ الصين ، فرأى أمثال الجبال مقبلةً ، فلما دنوا  
ركَّزوا رماحهم ، ثم أقبلوا مشمرين ، فقيل لهم قيل أن يدخلوا : ارجعوا ، لما دخل  
قلوبهم من خوفهم .

فانصرفوا فركبوا خيولهم وحملوا رماحهم ، ثم دفعوا خيرهم كأنهم يتطاردون بها ،  
فقال الملك لأصحابه : كيف ترونها ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء قط !

فلما أرسل إليهم الملك أن ابعثوا إلى زعيمكم وأفضلكم ، بعثوا إليه هبيرة ،  
فقال له حين دخل عليه : قد رأيتم عظيمَ ملكي ، وأنه ليس أحدٌ يمكنكم مني  
وأتم في بلادى ، وإنما أتم بمنزلة البيضة في كفي ، وأنا سائلك عن أمر فإن لم  
تصدقني قتلتك . قال : سل ، قال : لم صنعتم ما صنعتم من الزمى في اليوم الأول  
والثاني والثالث ؟ قال : أما زينا الأول فلبأسنا في أهالينا وريحنا عندهم ، وأما يومنا  
الثاني فإذا أتينا أمراءنا ، وأما اليوم الثالث فزينا لعدونا ، فإذا هاجنا هيج

(١) المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام ، وجمعه مطارف . (٢) البيضة : الحوزة ،  
وجمعه بيض ، والمغافر : جمع مغفر : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة ، أو حلق يتقنع بها للسلح  
(٣) تكب قوسه : ألقاه على منكبه .

وفزع كنا هكذا . قال : ما أحسن ما دبّرتم دهركم ! فانصرفوا إلى صاحبكم ،  
فقولوا له ينصرف ؛ فإني قد عرفت حِرْصَه وَقِلَّةَ أصحابه ، وإلا بعثت عليكم من  
يهلككم ويهلكه .

قال له : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في  
منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاًك ؟  
وأماً تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا  
نكرهه ولا نخافه .

قال : فما الذي يرضى صاحبك ؟ قال : إنه قد حلف ألا ينصرف حتى يطاء  
أرضكم ويُعطى الجزية . قال : فإننا نخرجه من يمينه ونبعث إليه بتراب من تراب  
أرضنا فيطوئه ، ونبعث إليه بجزية يرضاها ؛ ثم دعا بصِحف من ذهب فيها تراب ،  
وبعث بحرير وذهب ، ثم جزاهم فأحسن جوائزهم ؛ فساروا فقدموا بما بعث به فقبل  
قُتَيْبَةَ الجزية ووطئ التراب .

١٧١ — إنك ابني \*

قال رجل من أهل الكوفة : كنا مع مسّلة<sup>(١)</sup> بن عبد الملك ببلاد الروم ، فسبى سبباً كثيراً ، وأقام يبعث المنازل ، فعرض السّبي على السيف ، فقتل خالقاً كثيراً ، حتى عرض عليه شيخٌ ضعيف ، فأمر بقتله .

فقال : ما حاجتك إلى قتل شيخٍ مثلي ؛ إن تركتني جئتك بأسيرين من المسلمين شابين . فقال : ومن لي بذلك ؟ قال : إني إذا وعدتُ أوفيتُ . قال : لستُ أثق بك . قال : فدعني أطوفُ في عسكري ، لعل أعرّفُ من يكفاني إلى أن أمضي وأجيبُ بالأسيرين . فوكل به من طاف معه في عسكريه ، والاحتفاظ به .

فما زال الشيخ يطوف ويتصفحُ الوجوه ، حتى مرَّ بفتى من بني كلاب قائماً يحسنُ فرسه ، فقال : يا فتى ، اضمني من الأمير ؛ وقصّ عليه قصته . قال : أفعل . وجاء الفتى معه إلى مسّلة فضمنه ، فأطلقه مسّلة . فلما مضى قال : أتعرفه ؟ قال : لا والله . قال : ولم ضمته ؟ قال : رأيتُه يتصفحُ الوجوه ، فاختراني من بينهم ، وكرهت أن أخلفَ ظنه .

فلما كان من الغد عاد الشيخُ ، ومعه أسيران من المسلمين شابان ، دفعهما إلى

\* الفرج بعد الشدة : ١ - ٨٢

(١) أمير قائد من أبطال عصره ، ولاء أخوه يزيد إمرة العراقين ، ثم أرمينية ، ومات بالشام

مسلمة وقال : يا ذن الأمير في هذا الفتى أن يصيرَ معي إلى حصني لأكافئه على فعله معي . قال مسلمة : إن شئت فأمض معه .

فاما مضى وصار معه إلى حصنه ، قال له : تعلم والله يا فتى أنك ابني ؟ قال : وكيف أكونُ ابنك ، وأنا رجل من العرب مسلم ، وأنت من الروم نصراني ؟ قال : أخبرني عن أمك من هي ؟ قال : رومية . قال : فإني أصفها لك ، فبالله إن صدقتُ إلا صدقتني . قال : أفعل .

فأقبل الرومي يصفُ أمه ما خرم من صفتها شيئاً . فقال : هي كذلك فكيف عرفت أني ابنها ؟ قال : بالشبه وتعارُف الأرواح وصدق الفراسة . ثم أخرج إليه امرأة ، فلما رآها الفتى لم يشك في أنها أمه لشدة شبهها بها ، وخرجت معها عجوز كأنها هي ، فأقبلن يقبلن رأس الفتى ، فقال له الشيخ : هذه جدتك ، وهذه خالتك .

ثم خرج من حصنه ، فدعا بشباب في الصحراء ، فأقبلوا فكلمهم بالرومية ، فجمعوا يقبلون رأس الفتى ويديه ورجليه ، فقال : هؤلاء أخوالك وبنو خالتك ، وبنو عم والدتك ؛ ثم أخرج إليه جلباً<sup>(١)</sup> كثيراً وثياباً فاخرة ؛ فقال : هذا لوالدتك عندنا منذ سببت ، فخذه معك ، فادفعه إليها ، فإنها ستعرفه ، ثم أعطاه لنفسه مالاَ كثيراً ، وثياباً جليلة ، وحمله على عدة دواب وبغال وألحقه بسكر مسلمة وانصرف .

فأقبل الفتى قافلاً حتى دخل منزله ، فأقبل يخرج الشيء بعد الشيء مما عرفه الشيخ أنه لأمه ، فتراه فتبكي ، فيقول لها : قد وهبته لك !

(١) الجلب : كل ما جلب من خيل أو غيرها .

فلما أكثر هذا عليها ، قالت : يا بنى ! أسألك بالله ؛ من أى بلد صارت إليك  
هذه الثياب ؟ وهل قتلتم أحداً من أهل هذا الحصن الذى كان هذا فيه ؟ فقال لها  
الفتى : صفة الحصن كذا وكذا ، وصفة البلد كذا وكذا ، ورأيت فيه قوماً من  
حالم كذا وكذا ، ووصف لها أمها وأختها وأولادها وهى تبكى ، فقال لها :  
ما يبكيك ؟ فقالت : الشيخ والله أبى ، والعجوز أمى ، وتلك أختى ! فقص عليها  
الخبير ، وأخرج بقية ما كان معه مما أنفذه أبوها إليه ، فدفعه لها .

١٧٢ — خدعة\*

لما ذهب الرشيد لغزو الروم أخذ يفتحُ المدن والحصون ويخربها ، حتى أُنَاحَ على هِرَقْلَةَ<sup>(١)</sup> ، وهي أوثقُ حصن وأعزُّه جانباً ، وأمنعه رُكْنَا ، فنحصن أهلها - وكان بابها يُطلُّ على وادٍ ، ولها خندق يُطيفُ بها - ولما ألحَّ عليهم بالمجانيق والسهام والعرادات<sup>(٢)</sup> فُتِـحَ الباب ، وإذا برجل من أهلها كأكل الرجال ، قد خرج في أكمل السَّلاح فنَادى : قد طالت مَوَاقِعَتكم إِيَّانا ، فليُرز إلى منكم رجلان . ثم لم يزل يَزِيدُ حتى بلغ عشرين رجلاً ، فلم يجبه أحدٌ ؛ فدخل وأغلق باب الحصن .

وكان الرشيدُ نائمًا فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه ؛ فغضب ولام خَدَمَهُ وغلمانَه على تَرَكَهم إنباهه<sup>(٣)</sup> ، وتأسف لقوته . فقيل له : إن امتناع الناس منه سيقويه ويطغيه ، وأحربه أن يخرج في غد ، فيطلب مثل ما طلب ؛ فطالت على الرشيد ليلته ، وأصبح كالمنتظر له ، ثم إذا هو بالباب قد فُتِحَ ، وخرج طالباً للمبارزة ، وذلك في يوم شديد الحر ، وجعل يدعو بأنه يثبت لعشرين منهم .

فقال الرشيد : مَنْ له ؟ فابتدره جملةُ القواد كهرثمة ، ويزيد بن مزيد ، وعبد الله بن مالك وغيرهم ؛ فعزم على إخراج بعضهم ؛ فضجَّت المطوَّعة<sup>(٤)</sup> حتى

\* الأغانى : ١٧ - ٤٦

(١) مدينة ببلاد الروم (٢) اللنجنيق والمرادة : آلتان من آلات الحروب ترمى بها الحجارة

(٣) أنبهه : أيقظه من النوم (٤) المطوَّعة : الذين يتطوعون بالجهاد .

سَمِعَ ضَجِيجَهُمْ ، فَأَذِنَ لِعَشْرِينَ مِنْهُمْ ، فَاسْتَأْذَنُوا فِي الْمَشُورَةِ ، فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَوَادِكُ مَشْهُورُونَ بِالْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ وَعِلْوِ الصِّيتِ وَمُدَارَسَةِ الْحُرُوبِ ، وَمَتَى خَرَجَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فَقَتَلَ هَذَا الْعَلِيجَ <sup>(١)</sup> لَمْ يَكْبِرْ ذَلِكَ . وَإِنْ قَتَلَهُ الْعَلِيجُ كَانَتْ وَضِيعَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ عَجِيبَةٌ ، وَثَمَّةٌ لَا تَسُدُّ . فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَحْتَلِينَا نَحْتَارُ رَجُلًا فَنَخْرِجُهُ إِلَيْهِ إِنْ كَانَ ظَفِرٌ عَلَى أَهْلِ الْحِصْنِ أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ ظَفِرَ بِأَعْرَاسِهِمْ عَلَى يَدِ رَجُلٍ مِنَ الْعَامَّةِ وَمِنْ أَفْنَاءِ <sup>(٢)</sup> النَّاسِ ، لَيْسَ مِنْهُمْ يُوْهِنُ قَتْلَهُ وَلَا يُؤَثِّرُ ، وَإِنْ قَتَلَ الرَّجُلُ فَإِنَّمَا اسْتَشْهَدَ رَجُلٌ ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ ذَهَابُهُ فِي الْعَسْكَرِ ، وَلَمْ يَثْلُمِهِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ بَعْدَهُ مِثْلَهُ حَتَّى يَمِضَى إِلَيْهِ مَا شَاءَ .

قال الرشيد : لقد استصوبت رأيكم هذا ؛ فاختراروا رجلا منهم يعرف بابن الجزري ، وكان معروفاً في الثغرِ بالبأس والنَّجْدَةِ ، فقال الرشيد : أنخرج ؟ قال : نعم ! وأستعينُ الله . فقال : أعطوه فرساً ورُحْماً وِسيفاً وترُساً . فقال : يا أمير المؤمنين : أنا بفرسي أوثقُ ، ورمحي بيدي أشدُّ ؛ ولكنني قد قبلتُ السيفَ والترسَ .

فليسَ سلاحه ، واستدناهُ الرشيدُ فودَّعَهُ واستتَبَّعَهُ الدِّعَاءَ ، وَخَرَجَ مَعَهُ عَشْرُونَ رَجُلًا مِنَ الْمَطَوِّعَةِ : فَلَمَّا انْقَضَى فِي الْوَادِي ، قَالَ لَهُمُ الْعَلِيجُ وَهُوَ يَمْدُهُمْ : إِنَّمَا كَانَ الشَّرْطُ عَشْرِينَ وَقَدْ زِدْتُمْ رَجُلًا . وَلَكِنْ لَا بَأْسَ ، فَنَادَوْهُ : لَيْسَ يَخْرُجُ إِلَيْكَ مِنْهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ . فَلَمَّا فَصَلَ مِنْهُمْ ابْنُ الْجَزْرِيِّ تَأَمَّلَهُ الرَّومِيُّ ، وَقَدْ أَشْرَفَ أَكْثَرُ الرُّومِ مِنَ الْحِصْنِ ، يَتَأَمَّلُونَ صَاحِبَهُمْ وَالْقِرْنَ ، حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي الْحِصْنِ أَحَدٌ إِلَّا أَشْرَفَ . ثُمَّ أَخَذَا فِي شَأْنِهِمَا فَاطَّعَنَّا <sup>(٣)</sup> حَتَّى طَالَ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا ، وَلَيْسَ يَخْدِشُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ .

(١) العليج : الرجل من كفار العجم (٢) لا يعلم من هو (٣) تطاعنا .

ثم تحاجزا بشيء فزج كل منهما برُمحِه ، وأصلت<sup>(١)</sup> سيفه ، فتجالدوا  
مَلِيًّا ، واشتد الحرُّ عليهما وتبلد<sup>(٢)</sup> الفَرَسَان ، وجعل ابن الجزرى يضرب الروى  
الضربة التى يرى أنه قد بلغ فيها فيتقيها الروى ، وكان ترسُه حديدًا ، فيسمع  
لذلك صوت، مُنكر .

فلما ينس كلُّ واحد منهما من الوصول إلى صاحبه انهزم ابنُ الجزرى فدخلت  
المسلمين كآبةٌ لم يكتبوا مثلها قط ، وعَطَمَ الروم<sup>(٣)</sup> اختيالا وتطاولا ، وإنما كانت  
هزيمته حيلةً منه . فاتَّبَعَه العِجَج وتمكَّن منه ابنُ الجزرى فرماه بوهق<sup>(٤)</sup> ، فوقع  
فى عنقه وما أخطاه ، ورَكَضَ فألقاه عن فرسه ، ثم عطف عليه ، فلما وصل إلى  
الأرض حيًّا حتى فارقه رأسه . فكَبَّرَ المسلمون أعلى تكبير ، وانخذه الروم ،  
وبادروا الباب يُفلقونه ، واتَّصل الخبيرُ بالرشيد فصاح بالقواد : اجعلوا النار فى  
المجانيق ، وارموا فليس عند القوم دَفْع . ففعلوا وجعلوا الكتان والنَّفَط على  
الحجارة وأضرموا فيها النار ، ورموا بها السور فكانت النار تلتصق به ، وتأخذ  
الحجارة وقد تصدعت قهافتت . فلما أحاطت بها النيران فتحو الباب الباب  
مستامين ومستقبلين .

---

(١) أصلت السيف : جرده من غمده (٢) التبلد : ضد التجلد (٣) العطة : تتابع  
الأصوات واختلاطها فى الحرب وغيرها (٤) الوهق يفتح الماء وإسكانها: الجبل يرى أنشوطه،  
فتؤخذ به الدابة .



١٧٣ — وامعتصماه \* ١

وقف رجلٌ على المعتصم<sup>(١)</sup> فقال : يا أمير المؤمنين ؛ كنت بعُمورية<sup>(٢)</sup> وجاريةً  
من أحسنِ النساءِ سيرةً ، قد لطمها عِلَجٌ<sup>(٣)</sup> في وجهها ، فنادت : وَاْمَعْتِصَاهُ ! فقال  
العِلَجُ : وما يقدرُ عليه المعتصمُ ! يحيى على أبلقٍ وينصرك ! وزاد ضربها .  
فقال المعتصمُ : وفي أي جهة عمورية ؟ فقال له الرجل - وأشار إلى جهتها :  
ها هي ذى ؛ فردّ المعتصم وجهه إليها ، وقال : كَبَيْكِ أيتها الجارية ، كَبَيْكِ ؛ هذا  
المعتصم بالله أجابك ، ثم تجهّز إليها في اثني عشر ألف فرس أبلق ، وحاصرها .  
ولما طال مقامه عليها جمع النجّمين فقالوا له : إنا نرى أنك ما تفتحها إلا في  
زمان نُضِج العنب والتين ، فشقّ عليه ذلك واغتمّ ، وخرج ليلةً مع بَعْضِ حَسَمِهِ  
متجسّساً في العسكر يسمع ما يقول الناس ، فرّ بِنَجِيمَةٍ حدّادٍ يضرب نعال الخيل ،  
وبين يديه غلام أقرعٌ قبيحُ الصورة ، وهو يضرب على السندان ويقول : في رأس  
المعتصم ! فقال له معامه : اترُكنا من هذا ، مالك والمعتصم ! فقال : ما عنده  
تدبير ، له كذا وكذا يوماً على هذه المدينة مع قوّته ولا يفتحها ! لو أعطاني الأمر  
مابات غداً إلا فيها .

فتمعجب المعتصمُ مما سمع ، وترك بعضَ رجاله موكلاً به ، وانصرف إلى خبائه ،  
فلما أصبح جاءوا به ، فقال : ما حملك يا هذا على ما بلغتني عنك ؟ فقال الرجل .

\* محاضرات الأبرار : ٢ - ٦٣

(١) خليفة من أعظم خلفاء الدولة العباسية وهو فاتح عمورية توفى سنة ٢٢٧ هـ (٢) عمورية :  
بلدة من بلاد الروم . (٣) العِلَج : الواحد من كفار العجم

الذى بلغك حقّ ، ولو وليّتني الحرب فإنّي أرجو أن يفتح الله عليك . فقال : قد وليّتك ، وخلع عليه وقدمه على الحرب ، ففتح الله عليه ، ودخل المعتصم المدينة ، ولم يثبت قول المنجمين .

ثم دعا بالرجل الذى بلغه حديث الجارية ، فقال له : سرّني إلى الموضع الذى رأيتها فيه ، فسار به ، وأخرجها من موضعها ، وقال لها : يا جارية ، هل أجابك المعتصم ؟ ثم ملكها العليّج الذى لطمها ، والسيد الذى كان يملكها وجميع ماله<sup>(١)</sup> .

(١) وفي هذه يقول أبو تمام قصيدته :

السيف أصدق أنباء من الكتب  
بيض الصفائح لا سود الصفائف في  
والعلم في شهب الأرماع لامة  
وخوفوا الناس من دهيا داهية  
تخرصاً وأحاديثاً ملفقة

عرض بتاريخ المنجمين في التين والعنب فقال :

تسمون ألفاً كآساد الشرى نضجت  
جلودهم قبل نضج التين والعنب

## فهرس القصص

### الباب الأول

فى القصص التى تعرب عما يقع بين العامة والملوك ، والقواد والرؤساء والقضاة ومن إليهم ، من كل ذى صلة بالحكم والحكام ، مما يتناول حيلهم فى المنازعات والخصومات ، ويوضح طرائقهم فى رفع الظلمات ورجع الحقوق وما يجرى هذا المجرى :

المنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
متى تعبدتم الناس ؟	٨	١
أحب الولاية إلى عمر بن الخطاب	٩	٢
عمر يتفقد رعيته	١١	٣
عمر بن الخطاب يحاسب نفسه	١٣	٤
جنتك من عند أزهذ الناس	١٤	٥
تأديب عمر بن الخطاب لعماله	١٦	٦
أخطأت فى ثلاث	١٨	٧
تنصرت الأشراف من عار لطفة	١٩	٨
بصيرة العباس	٢٥	٩
أثر المعروف	٢٧	١٠
فى البيعة ليزيد بن معاوية	٢٩	١١

العنوان	رقم القمبة	رقم الصفحة
ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً	١٢	٣٣
الحجاج وأهل العراق	١٣	٣٤
نصيحة	١٤	٣٩
من حيل الحجاج	١٥	٤١
لا أحد إلا الله	١٦	٤٣
لا أسألكم عليه أجراً	١٧	٤٥
خليفة بين يدي قاض	١٨	٤٧
العهد لعمر بن عبد العزيز	١٩	٤٩
عمر بن عبدالعزيز يحمل الناس على الحق	٢٠	٥٢
لا تلوموا إلا أنفسكم	٢١	٥٤
ذكرتني الطعن وكنت ناسياً	٢٢	٥٥
الولد سر أبيه	٢٣	٥٧
أوارث أنت بنى أمية	٢٤	٥٩
حذر عيسى بن موسى	٢٥	٦١
يقظة المنصور	٢٦	٦٣
المنصور في ساحة القضاء	٢٧	٦٥
نبنى كما كانت أو ائلفنا تبنى	٢٨	٦٧
هذهاني بين يدي المنصور	٢٩	٦٩
أمير في مجلس القضاء	٣٠	٧١
قاض يطلب الإقالة من القضاء	٣١	٧٤
أبو دلامة وابن أبي ليلى القاضى	٣٢	٧٥

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
صاحب شرطة المهدي مع الهادي	٧٦	٣٣
لا أفلح قاض لا يقيم الحق	٧٨	٣٤
الغادر مخذول	٨٠	٣٥
رجل يقاضى المأمون	٨١	٣٦
لا يخلو أحدٌ من شجن	٨٣	٣٧
كيف يعتذر إنسان من كلام تكلم به!	٨٥	٣٧
غرس يدي وإلف أدبي	٨٨	٣٩
غسان بن عباد وعلى بن عيسى	٩٠	٤٠
فطنة	٩٢	٤١
لا تتبع الهوى	٩٣	٤٢
هشام بن عبدالرحمن الداخل وأحد صنائعه	٩٤	٤٣
قاضٍ لا يقبل شهادة خليفة	٩٦	٤٤

### الباب الثاني

في القصص التي تصوّر احتفاظهم بأنسابهم واعتزازهم بقبائلهم ، وتمجيدهم للأسلاف ، وتمديدهم مآثر كوا من مآثر ، وما أدّى إليه ذلك من مفاخرات ومنافرات:

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
خاطرت على حسبي وحسبك	١٠٠	٤٥
لا تجمعان هوازنا كذحج	١٠٣	٤٦
يتنازعان الزعامة	١٠٥	٤٧

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
أنت له	١١١	٤٨
أنت اليوم ذو جدّين	١١٦	٤٩
إن البلاد موكل بالمنطق	١١٨	٥٠
معاقرّة	١٢٠	٥١
قد كان يسوءنى أن تكون أميراً	١٢٢	٥٢
لترجمن بأكثر مما آب به معدّي	١٢٤	٥٣
ما تكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل	١٢٧	٥٤
لولا ما جعل الله لنا في يدك ما أتيناك	١٣٤	٥٥
ذهبت قريش بالمكانم والملا	١٣٧	٥٦
لو ترك القطا لنا ما	١٤٠	٥٧
مفاخرة ربيعة	١٤٥	٥٨
أراك عالماً بقومك	١٤٨	٥٩
لقد خفت أن تفخر علىّ	١٥٠	٦٠
بين عبد الله بن جعفر والحجاج	١٥١	٦١
إنها قريش يقارع بعضها بعضاً	١٥٣	٦٢
تستجير بقبر أبيه !	١٥٤	٦٣
الفرزدق والأنصار	١٥٥	٦٤
الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك	١٥٨	٦٥
الباهلى	١٥٩	٦٦
كلثوم العتابى	١٦١	٦٧

الباب الثالث

في القصص التي تنقل ما كانوا يتفكِّهون به من أسمار ومطايبات ، ومناقذات وأفاكيه ، مما نال به المحدثون والندماء سنيَّ الجوائز والخِلمع من الخلقاء والوزراء ، وما ارتفعت به فكاتهم عند السادة والوجوه في المجتمعات والمنتديات :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
يبيع اسمه	١٦٦	٦٨
أنا كنت أولى بهذا الشعر من أيك	١٦٧	٦٩
عبد الرحمن بن الحكم يترضى زياداً	١٦٩	٧٠
أنا كم غريب الدار مظلوم	١٧١	٧١
أرى فيك موضعاً للصنيعة	١٧٢	٧٢
الرُّقية	١٧٣	٧٣
ظرف عباد الحجاز	١٧٥	٧٤
جرير وجارية الحجاج	١٧٦	٧٥
أرادت عرّارا بالهوان	١٧٨	٧٦
قد نجوت	١٧٩	٧٧
ما أنا بيارح أو يرضى أمير المؤمنين	١٨٢	٧٨
آكل !	١٨٦	٧٩
نزل أم حبيب	١٨٧	٨٠
امرأة تحاور كثيراً	١٨٨	٨١
إفحام	١٩٠	٨٢

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
بين كثير وعزة	١٩١	٨٣
حوار بين شعراء	١٩٣	٨٤
احتال حتى أقرأها رسالته	١٩٧	٨٥
من لى بمثلك يُعْتَبِنِي إذا استعنتبه	٢٠٠	٨٦
ها قرا السماء وأنت نجم	٢٠٣	٨٧
نفي الأحوص	٢٠٥	٨٨
شهادة	٢٠٨	٨٩
ففض الطرف إنك من مُبِير	٢١٠	٩٠
لا أهجو شاعراً هذا شعره	٢١٣	٩١
جارية	٢١٥	٩٢
فضحت شيخاً من قريش وعذبتني!	٢١٦	٩٣
في دار هشام بن عبد الملك	٢١٨	٩٤
هروب الكميث	٢٢١	٩٥
وشاية	٢٢٦	٩٦
أشعب يبلغ رسالة	٢٣٠	٩٧
رُعتني راعك الله	٢٣٢	٩٨
كادت تموت فرحاً	٢٣٣	٩٩
هلم إليّ أ كافتك	٢٣٤	١٠٠
بوزع	٢٣٧	١٠١
المنصور يطلب من يسليه بالشعر	٢٣٩	١٠٢
صبر إلى متى شئت	٢٤١	١٠٣
أتذكر إذ لحافك جلد شاة!	٢٤٣	١٠٤



العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
لقد كان ذلك الرجل شؤماً	٢٤٥	١٠٥
حُبِست مع الدجاج	٢٤٧	١٠٦
مأزره لو أن ذنوب العالمين على ظهري	٢٤٩	١٠٧
لو أن لي مهجة أخرى لجدتُ بها	٢٥٢	١٠٨
يهجو نفسه	٢٥٥	١٠٩
كل امرئ يا كل زاده	٢٥٧	١١٠
حماد والمفضل	٢٥٨	١١١
في خِباء الأعرابي	٢٦٠	١١٢
دعا بفراق من تهوى أبان	٢٦١	١١٣
راوية أبي نواس والعتابي	٢٦٢	١١٤
ألا موت يُباع!	٢٦٤	١١٥
قد وجدناك ممتعاً	٢٦٥	١١٦
تعوّدتُ حسن الصبر حتى ألقته	٢٧٠	١١٧
ملّ كُتّابي إحصاء ما يهبُّ	٢٧٢	١١٨
اسمى مشتق من اسمك	٢٧٧	١١٩
بديهة قَيِّنة	٢٧٨	١٢٠
لا أذوق المدام إلا شمياً	٢٧٩	١٢١
إن بعد العسر يسراً	٢٨١	١٢٢
راوية مسلم بن الوليد	٢٨٣	١٢٣
لباقة	٢٨٥	١٢٤
لولا حقه وحق صاحبه لمت جوعاً	٢٨٩	١٢٥

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ	٢٩٠	١٢٦
نصيب ولا حظّ تمنى زوالها		
خلق دِعْبِل	٢٩٢	١٢٧
ديك دِعْبِل	٢٩٧	١٢٨
بين البادية والخصر	٢٩٨	١٢٩
الجاحظ في مرضه	٢٩٩	١٣٠
ظبي مذبوح ، ورجل جريح ، وفتاة ميتة	٣٠١	١٣١
جوائز الصلاة	٣٠٣	١٣٢
مامعى إلا قفاى !	٣٠٤	١٣٣
قد شفى منه صدورنا !	٣٠٨	١٣٤
نقد شعر امرئ القيس	٣٢٤	١٣٥
لا وصل إلا أن يشاء ابن معمر	٣٢٦	١٣٦
الشعر بضاعة تجدى	٣٢٧	١٣٧
حديث جويرية	٣٣٠	١٣٨
أحلف وأنا في هذه السن !	٣٣٢	١٣٩
ضرتان	٣٣٤	١٤٠
من كذب الأعراب	٣٣٥	١٤١
قسّم فأحسن القسمة	٣٣٦	١٤٢
زهد وأدب	٣٣٨	١٤٣
تشابه خاطرين	٣٤٤	١٤٤
إنما توجد في قعر البحار الفصوص	٣٤٦	١٤٥

## الباب الرابع

في القصص التي تؤرّخ مذكور أيامهم ، وتفصّل مشهور وقائمهم ، ومقتل  
كبرائهم ، وتصف الحروب والمنازعات التي كانت تدور بين قبائلهم ، أخذاً بالنار ،  
أو سحابة للذمار :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا	٣٤٨	١٤٦
أنيس ولم يسمر بمسكة سامر		
ألا من يشتري سَهراً بنوم	٣٥٢	١٤٧
غثك خير من سمين غيرك	٣٥٤	١٤٨
مقتل كليب	٣٥٦	١٤٩
المجرس بن كليب يثار لأبيه	٣٦١	١٥٠
قربا مربوط النعامه منى	٣٦٣	١٥١
ضيّعني صغيراً ، وحملني دمه كبيراً	٣٦٧	١٥٢
ما كان لولا غرة الليل يغلب	٣٧٦	١٥٣
لأقتلنه ولو كان في حجر النعمان	٣٨٠	١٥٤
وفاء وغدر	٣٨٣	١٥٥
يثار لأبيه وجده	٣٨٥	١٥٦
بعد طعن عمر بن الخطاب	٣٨٩	١٥٧
المؤتمرون بعلى ومعاوية وعمرو	٣٩٣	١٥٨
بين عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد	٣٩٨	١٥٩
الأخطل يفرق من الجحاف	٤٠١	١٥٠

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
قد أخرجت الإذن عليه لتقتلوه	٤٠٣	١٦١
آبى الضميم	٤٠٨	١٦٢
مصرع الوليد بن طريف	٤١٢	١٦٣

### الباب الخامس

فى القصص التى تحكى ما كان للجند من أحداث وأحاديث فى الغارات والغزوات والفتوح ، مصورة نفسياتهم وأحوالهم ، واصفة تطوراتهم العقلية والخلقية بنشأة الدولة العربية وانفاس رقعتها ، مفصلة عددهم وآلاتهم وأسلحتهم فى حياتهم الجديدة :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
كلاب بن أمية وأبواه	٤١٦	١٦٤
فى يوم اليرموك	٤٢٠	١٦٥
فى يوم القادسية	٤٢٣	١٦٦
فى فتح نهاوند	٤٢٥	١٦٧
عمرو بن العاص وأحد كفار الأعاجم	٤٢٧	١٦٨
عمر بن الخطاب وغنائم المسلمين	٤٢٩	١٦٩
قد كاد أميركم يهلك	٤٣٣	١٧٠
عند ملك الصين	٤٤٠	١٧١
إنك ابنى .	٤٤٣	١٧٢
خدعة	٤٤٦	١٧٣
وامتعصماه !	٤٤٩	١٧٤

## فهرس الأعلام

أبو أيوب الأنصارى : ٣٩٣  
أبو بكر الصديق ١١٨ ، ٤٢٠  
أبو تمام : ٤٥٠  
أبو جزء بن عمرو بن سعيد : ١٥٩  
أبو جهل بن هشام : ١٠٧  
أبو دلامة : ٢٥٢ ، ٢٥٠ ، ٢٤٨ ، ٧٥  
٢٥٨ ، ٢٥٥  
أبو ذؤيب الهذلى : ٢٣٩  
أبو السائب الخزومى : ٢١٦  
أبو سفيان بن حرب : ١٠٧ ، ٢٥ ،  
٤٢٠  
أبو طلحة الأنصارى : ٣٩١  
أبو الطيب المتنبي : ٣٠٨  
أبو عبيدة عامر بن الجراح : ٤٢٠ ،  
٤٣٤  
أبو العتاهية : ٢٧٠  
أبو العلاء صاعد : ٣٤٦

(١)

أبان بن عبد الحميد : ٢٦١  
أبان بن عثمان : ٢٦٤  
أبان بن الوليد البجلي : ٢٢٢  
إبراهيم السويقي : ٣٢٧  
إبراهيم بن عبد الله بن الحسين : ٦٤  
إبراهيم بن عثمان : ٧٩  
إبراهيم بن محمد بن سعد : ١٥٥  
إبراهيم بن محمد بن طلحة : ٤٧ ، ٣٩  
ابن أبي ليلى : ٧٥  
ابن بشير القاضى : ٩٦  
ابن الجزرى : ٤٤٧  
ابن زبنج : ٢٣٤  
ابن ظافر : ٣٤٤  
ابن المدبر : ٣٠٣  
ابن معمر : ٣٢٦  
ابن المغازلى : ٣٠٤

أمية بن الأسكر الكفاني : ١٠٣  
إياد ( قبيلة ) : ٣٧٢  
إياس بن قبيصة : ١٠١  
أيوب بن سليمان بن عبد الملك : ٤٩  
أيوب المورياني : ٢٤٩  
( ب )  
بجير بن عمرو : ٢٦٤  
بديح ( مولى عبد الله بن جعفر ) : ٢٧٣  
بسر بن أرطاة : ٣٩٣  
البسوس : ٣٥٦  
بشار بن برد : ٣٦١  
بكر بن وائل : ١٨٠ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣  
بنو آكل المرار : ٣٧٣  
بنو أسد : ٣٦٧  
بنو أمية : ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٢٧٨  
بنو تميم : ١٢٠  
بنو حرام : ٢١٣  
بنو حية : ١٠١  
بنو الديان : ١٠٣  
بنو عامر : ٣٨٠

أبو علي الخاتمي : ٣٠٨  
أبولؤلؤة المجوسي : ٣٨٩  
أبو محجن الثقفي : ٤٢٣  
أبو موسى الأشعري : ١٠  
أبو نواس : ٢٧٩ ، ٢٦٢  
أحمد بن أبي خالد : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩  
الأحنف بن قيس : ١٣ ، ٣١  
الأحوص : ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٣  
الأخطل : ١٣٨ ، ٤٠١  
أزهر السمان : ٢٤١  
إسحاق بن الصباح : ٧٢  
إسماعيل بن إسحاق القاضي : ٩٣  
إسماعيل بن جعفر بن محمد : ٣٣٢  
أشعب بن جبير : ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،  
٢٣٤ ، ٢٣٣  
الأصمعي : ٢٦٥  
الأعشى : ١٠٩  
امرؤ القيس بن أبان : ٣٦٤  
امرؤ القيس بن حجر الكندي : ٢٦٩  
أم عمرو ابنة منظور : ١٤٠  
أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب :  
٤٣٠ ، ١١

جفنة (قبيلة) : ١٩  
جليلة بنت مرة : ٣٥٨ ، ٣٦١  
جندل بن عبيد بن الحصين : ٢١٠

(ح)

حاتم بن عبد الله الطائي : ٩٩  
جاجب بن زرارة : ١١٦ ، ١٥٨  
الحارث بن أبي شمر : ٣٧٣  
الحارث بن ظالم : ٣٨٠  
الحارث بن عباد : ٣٦٣  
حبي بنت نكيف : ٢٢٢  
حبيب بن بديل : ٢٢٢  
الحجاج بن عبد الله الصريمي :  
٣٩٣  
الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٤ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٧٥ ،  
١٧٨ ، ١٨١  
حجر الكندي : ٣٦٧  
حرملة بن الأشعر المري : ١٠٧  
حربش بن عبد الله السعدي : ١٥٨  
حسان بن ثابت : ٢٣ ، ١٥٥

بنو عبس : ٣٨٧  
بنو لام : ١٠٠  
بنو هاشم : ٢٣٩  
بهاء : ٣٧٣

(ت)

تأبط شراً : ١٦٦  
تغلب (قبيلة) : ٣٥٦ ، ٣٦٣ ، ٤٠١  
تميم بن زيد القبيني : ١٥٤  
تنوخ (قبيلة) : ٣٧٣

(ج)

الجاحظ : ٢٩٩  
الجارود بن بشر بن الملاء : ١٤٦  
جبلة بن الأيهم : ١٩  
الجحاف بن حكيم السلي : ٤٠١  
جرهم (قبيلة) : ٣٤٨  
جير بن عطية الخطفي : ١٧٦ ، ١٨٢ ،  
٢١١  
جساس بن مرة : ٣٥٦ ، ٣٦١  
جعفر بن أبي جعفر المنصور : ٢٣٧ ،  
٢٣٩

الخطيم بن عدى : ٣٨٥

(د)

داود بن يزيد بن هاشم : ٢٨٣

دريد بن الصمة : ٤٠٩

دعبل بن علي الخزاعي : ٢٩٢ ،

٢٩٧

دغفل بن حنظلة : ١١٨

ذكين الراجز : ٢٠٨

(ذ)

ذورعين : ٣٥٢

(ر)

الراعي : ٢١٠

الربيع بن زياد الحارثي : ٩

الربيع بن زياد العبسي : ١١١

الربيع بن يونس : ٦٨ ، ٦٥ ، ٥٩

ربيعة (قبيلة) : ٣٦٧

رجاء بن حيوة : ٤٩

رملة بيت الزبير : ١٣٧ ، ١٥٣

روح بن حاتم : ٢٥٢

روق بن عطية المذحجي : ٣٥٤

حسان بن جبلة : ١٠٠

الحسن بن علي : ٣٩٦

حسين بن عبد السلام المصري : ٣٠٣

الحسين بن علي : ٣١

الحصين بن أسيد : ٣٧٨

الحصين بن زهير : ٣٧٨

الحكم بن أبي العاص : ١٠٠

حكيم بن جبلة : ١٤٥

حكيم بن عباس السكابي : ٢٢١

حماد الراوية : ٢١٨ ، ٢٣٧

حمزة بن بيض : ٢٠٠

حمير : ٣٥٢

(خ)

خالد بن جعفر بن كلاب : ٣٨٠ ، ٤١٠

خالد بن الوليد : ٤٢٠ ، ٤٣٤

خالد بن يزيد : ١٥١

خداش بن زهير : ٣٨٦

خزاعة (قبيلة) : ٣٥٠

خزيمة بن خازم : ٨٠

خزيمة بن عمرو : ١٠٧



سلمة بن قيس : ٤٢٩

سليمان بن عبد الملك : ٤٩ ، ٥٥ ،

١٨٦ ، ١٥٨

السموئل : ٣٧٣

سيف الدولة بن حمدان : ٣٢٤

(ش)

شاس بن زهير : ٣٧٦

شبيب الأشجعي : ٣٩٤

شريك بن عبد الله : ٧١

شمر بن عمر : ٣٨٤

(ص)

صالح بن علي : ٢٩٧

صمصعة بن صوحان : ١٢٢ ، ١٤٦ ،

(ض)

الضحاك بن قيس : ٢٩

ضرار بن الخطاب : ٤٠٩

(ط)

طارق بن ديسق : ١٢٠

طاهر بن الحسين : ٨٣

(٣٠ - قصص - ٣)

رياح بن الأسك : ٣٧٤

ريطة بنت أبي العباس : ٢٥١

(ز)

زاذية : ٣٩٣

الزبير بن بكار : ٣٠١

الزبير بن العوام : ٣٩١ ، ٤١٦ ،

زهير بن جذيمة : ٣٧٦ ، ٣٨٠ ،

زياد بن أبيه : ١٢٧ ، ١٦١ ،

(س)

السائب بن الأقرع : ٤٢٥

السائب (راوية كثير) : ١٩٢

سحيم بن وثيل الرياحي : ١٢٠

سعد بن أبي وقاص : ٣٩١ ، ٤٢٣ ،

سعد بن مالك : ٣٦٣

سعدة (زوج الوليد بن يزيد) : ٢٢٩

سعيد بن خالد : ٥٠

سعيد بن عبد الرحمن الداخل : ٩٦

سعيد بن العاص : ١٢٧

سعية بن غريص : ١٦٧

سلمى بنت أبي حفص : ٤٢٣

عبد الله بن طاهر : ٨٦

عبد الله بن عباس : ١٥ ، ١٢٧

١٤٠

عبد الله بن علي : ٦١

عبد الله بن عمر بن الخطاب : ٣٩١

عبد الله بن عمر العمري : ١٧٥

عبد الله بن عمرو بن عثمان : ٢٠٣

عبد الله بن مالك : ٧٦ ، ٤٤٦

عبد الله بن وهب : ٣٩٣

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز :

٥٧

عبد الملك بن مروان : ٣٤ ، ٣٩ ،

١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٧٣ ،

١٧٨ ، ١٨٢ ، ٣٦٨ ، ٤٠١ ،

٤٠٣

عبيد بن الأبرص : ٣٦٧

عبيد بن طبيان : ٧٨

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : ٣٠٢

عبيد الله بن قيس الرقيّات : ٤٠٣

عتاب بن ورقاء الرياحي : ١٥٨

طريح بن إسماعيل الثقفي : ٤٢٦

طلحة بن عبد الله : ٤١٦

(ع)

عاتكة بنت يزيد بن معاوية :

٣٩٨

عاقبة بن يزيد : ٧٤

عامر بن جوين : ١٠٢

عامر بن الطفيل : ١٠٣ ، ١٠٥

عباس بن عبد المطلب : ٣٥

عبد الرحمن بن أبي بكر : ٢٦

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

١٣٧

عبد الرحمن بن الحكم : ١٢٧ ،

١٦٩

عبد الرحمن بن عوف : ٣٩٠ ، ٣٩٣

عبد العزيز بن مروان : ٣٩٩

عبد الله بن جعفر : ١٤٥ ، ١٧٣ ،

٤٠٤

عبد الله بن الحسن : ٦٣

عبد الله بن الحصين : ١٤٠

عبد الله بن الزبير : ٣١ ، ١٤٠

عبد الله بن سوار : ١٤٦

عمر بن حفص : ٦٣  
عمر بن الخطاب : ١٣ ، ١١ ، ٩ ، ٨ ،  
٤١٦ ، ٣٨٩ ، ١٨ ، ١٦ ، ١٤  
٤٢٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢٣  
عمر بن عبد العزيز : ٤١ ، ٤٩ ، ٥٢ ،  
٢٠٥ ، ٢٠٣ ، ١٨٦ ، ٥٥ ، ٥٢  
٢٠٨  
عمر بن الإطناية : ٣٨٠  
عمر بن جابر : ٣٧٣  
عمر بن حريث : ٤٢٦  
عمر بن سعيد : ٢٩  
عمر بن سعيد الأشدق : ٣٩٨  
عمر بن العاص : ٨ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ،  
٤٢٧ ، ١٨٦  
عمر بن عتبة : ١٥٢  
عمر بن مسعود : ٣٦٧  
عمير بن حباب السلمى : ٤٠١  
عمير بن سعد : ١٤  
عمير بن ضابي الجرهمي : ٩  
عنيسة بن سعيد بن العاص : ٥٥ ،  
٢٢٤ ، ١٧٦

عتبة بن أبي سفيان : ١٢٥ ، ١٦٩  
عتبة بن جعفر : ٣٧٨  
عثمان بن عفان : ٢٤ ، ٣٨٩  
عديل بن الفرج : ١٧٩  
عدى بن زيد : ٢١٩  
عدى بن عمرو : ٣٨٥  
عرار بن عمرو بن شاس الأسدي :  
١٧٨  
عزة (صاحبة كثيرة) : ١٩٠ ، ١٩١  
عطاء بن أبي رباح : ٤٥  
غفير بن ذى يزن : ١٢٦  
عك (قبيلة) : ١٩  
عكرمة بن أبي جهل : ٤٢٠  
علقمة بن علاثة : ١٠٥  
على بن أبي طالب : ٢٥ ، ١٢٠ ،  
٣٩٣ ، ٣٩١  
على بن الجهم : ٢٩٨  
على بن سليمان : ٢٥٧ ، ٢٥٥  
على بن عيسى : ٨٨  
عمر بن أبي ربيعة : ١٩٣ ، ١٩٧ ،  
٢٠٥

قطام بنت علقمة : ٣٩٤

القعقاع بن عمر : ٤٢٠

قيس بن الخطيم : ٣٨٥

قيس بن زهير : ٣٨٠

قيس بن عاصم : ١٥٨

قيس عيلان ( قبيلة ) : ٣٦٧ ، ٢٦١

٤٠١

قيس بن مسعود : ١١٦

قيصر : ٣٧٤

( ك )

كثير بن عبد الرحمن : ١٨٨ ، ١٥٥

١٩٣ ، ١٩١ ، ١٩٠

كعب الأحبار : ٣٨٩

كعب بن جعيل : ١٣٧

كلاب بن أمية بن الأسكر : ٤١٦

كلب ( قبيلة ) : ٤٠١

كلم بنت سعد الخزومية : ١٩٧

كلثوم بن عمرو العتابي : ٢٦٢ ، ١٦١

كليب بن ربيعة : ٣٥٦

الكमित : ٢٢٢ ، ٢٢١

عويف التوافي : ٤١٠

عيسى بن جعفر : ٧٨

عيسى بن موسى : ٦١

عيننة بن حصن : ١٠٧

( غ )

غاضرة ( أم ولد لبشر بن مروان ) :

١٨٩

غالب بن صعصعة . ١٢٠

غسان بن عباد : ٩٠

غنى ( قبيلة ) : ٣٧٧

غيلان بن سلمة الثقفي : ١٠٧

( ف )

الفرزدق : ١٥٨ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٢٠

٢١٣ ، ٢١٠ ، ٢٠٣

الفضل بن الربيع : ٢٧٩

الفضل بن يحيى : ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧

( ق )

القاسم بن إبراهيم بن طباطبا : ٨٨

قبيصة بن ذؤيب الخزاعي : ٤٠٠

قتيبة بن مسلم : ٤٣ ، ٤٤٠

مخلد بن يزيد بن المهلب : ٢٠٠  
مدحج ( قبيلة ) : ٢٥٤  
مرة بن ذهل : ٢٥٦  
سروان بن الحكم : ١٦٩  
مزاحم ( مولى عمر بن عبد العزيز ) :  
٥٧ ، ٥٢  
مزيد المديني : ٣٣٢  
مسلم بن الوليد : ٢٨٣ ، ٢٨١  
مسلمة بن هشام : ٢٢٤  
مصعب بن الزبير : ٤٠٣ ، ٣٩٨ ، ١٧٢  
مصقلة بن رقية العبدي : ١٤٥  
مطيع بن إياس : ٢٣٧  
مضايف بن عمرو بن الحارث : ٣٤٩  
معاوية بن أبي سفيان : ٣١ ، ٢٨  
١٣٢ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ،  
١٦٧ ، ١٦٩ ، ٣٩٣  
معاوية بن هشام : ٢٢٤  
معبد بن خالد : ١٤٨  
المتصم : ٤٤٩  
المتضد ( الخليفة العباسي ) : ٩٢ ،  
٣٠٤

كنانة ( قبيلة ) : ٣٦٧  
( ل )  
ليل بنت طريف : ٤٠٣  
( م )  
المأمون ( الخليفة العباسي ) : ٨١ ،  
٨٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٢٨٩ ،  
٢٩٤ ، ٢٩٠  
متم العبدي : ٣٣٠  
المثوكل ( الخليفة العباسي ) : ٢٩٨  
محمد بن جعفر : ٦٧  
محمد بن الحجاج : ١٨٢  
محمد بن عبد الله بن الحسن : ٦٥ ،  
٤٠٩  
محمد بن عبد الله عليه السلام : ١١٨  
محمد بن عمران الطلحي : ٦٥  
محمد المهلب : ٢٦٤  
محمد بن موسى الضبي : ٢٩٢  
محمد بن هارون الرشيد الأمين  
( الخليفة العباسي ) : ٢٧٩ ، ٨٠ ،  
٤٣١ : محمية بن زعيم

( - )

المهادى ( الخليفة العباسى ) : ٧٦  
هارون الرشيد ( الخليفة العباسى ) :

٧٨ ، ١٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٨ ،

٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٤٠٣ ، ٤٤٦ ،

هائى بن عروة المرادى : ٢٧

هبيبة بن المشرج : ٤٤٠

الهجرس بن كليب : ٣٦١

هرثمة : ٤٤٦

هرقل : ١٦

هرم بن قطبة : ١٠٧

هشام بن عبد الرحمن الداخل : ٩٤

هشام بن عبد الملك : ٤٥ ، ٤٧ ،

٢١٨

هشام بن مرة : ٣٥٨

( و )

الوليد بن جابر : ١٢٤

الوليد بن طريف : ٤٠٣

الوليد بن عبد الملك : ٤١

الوليد بن يزيد : ٢٢٦

وهم بن عمرو : ١٠١

معد ( قبيلة ) : ٣٨٣

معن بن زائدة : ٢٤٣ ، ٢٤٥

معن بن عطية المذحجي : ٣٥٤

المغيرة بن شعبة : ١٢٧

المغيرة بن نوفل : ٣٩٥

المفضل الضبي : ٢٥٨ ، ٤٠٨

ملاعب الأسنه : ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١١١

المنذر بن ماء السماء : ٣٨٣

المنصور ( الخليفة العباسى ) : ٥٩ ، ٦١ ،

٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٢٤١ ،

٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ،

المهدى ( الخليفة العباسى ) : ٧٤ ، ٧٦

٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ،

مهلهل بن ربيعة : ٣٦٤ ، ٣٦٦

موسى بن عيسى : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣

( ن )

نصيب بن رباح : ١٨٧ ، ١٩٣

النعمان بن بشير : ١٣٨

النعمان بن مقرن : ٤٢٥

النعمان بن المنذر : ١١١ ، ١١٦ ،

٣٧٦ ، ٣٨٠

نمير المدنى : ٦٥

يزيد بن مزيد الشيباني : ٢٨١ ،

٤٤٦ ، ٤٠٣

يزيد بن معاوية : ٢٧ ، ٢٨ ،

١٣٧ ، ٢٩

يزيد بن المقنن : ٣٠

يزيد بن المهلب : ١٧٩

يوسف بن عمر : ٢١٨

(٥)

يحيى بن أكرم : ٨١

يحيى بن سعيد : ١٦٢

يرفأ (مولى عمر بن الخطاب) : ٩ ،

٤٢٩

يزيد بن عبد المدان : ١٠٣

يزيد بن عبد الملك : ٥٦ ، ٥٠ ،

٢١٨ ، ٢١٥

## فهرس الأماكن

(ق)	(ر)	(ا)
قديد : ١٩٣	الرقفة : ٢٨١ ، ٨٧	أناية العرج : ٣٠١
القسطنطينية : ٢٠	الروحاء : ١٩٣	الأحص : ٣٥٧
قيسارية : ٤٣٣ ، ٤٢٧	(س)	أشبونة : ٣٣٨
(م)	السفد : ٢٦٦	أنقرة : ٢٧٥
المدينة : ١٥٥	السند : ٢٩٩	(ب)
مصر : ٨	سلاهوس : ٢٨٦	البحرين : ٩
مكة : ٣٤٨	(ش)	البشر : ٤٠٢
مسكن : ٤٠٣	شبيب : ٣٥٧	بطان الجريب : ٣٥٧
(ن)	(ط)	(ت)
النحيلة : ٣٩٣	الطائف : ١٧١	تبالة : ٣٧٢
نهاوند : ٤٢٥	(ع)	تهامة : ٣٦٧
النهروان : ٣٩٣	العراق : ٣٩٨ ، ٣٤	تجاء : ١٦٧ ، ٣٧٣
(هـ)	العرج : ١٩٣	(ح)
هرقلة : ٤٤٦	عسيب : ٣٧٤	حصص : ١٤
(و)	عبي باذ : ٢٥٨	(د)
واسط : ١٧٦	عمورية : ٤٤٩	دمون : ٣٧٠
ودان : ١٩٣	عين اباغ : ٤٨٣	دهلك : ٢٠٥
(ي)	(غ)	(ذ)
اليرموك : ٤٢٠	غزة : ٤٢٧	الذئاب : ٣٥٧



## مراجع هذا الجزء

الأغاني	: لأبي الفرج الأصفهاني
الأمالي	: للقبالي
الأمالي	: للمرتضى
بدائع البدائنه	: لعلي بن خاقر الأزدي
بلوغ الأرب	: للألوسي
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبري
تزيين الأسواق	: لداود الأنطاكي
ثمرات الأوراق	: للحموي
الحيوان	: للجاحظ
خزانة الأدب	: للبغدادي
ذيل الأمالي	: لأبي علي القبالي
ذيل زهر الآداب	: للحصري
رغبة الآمل	: للدرصني
زهر الآداب	: للحصري
سيرة عمر بن عبد العزيز	: لابن عبد الحكم
شرح سهج البلاغة	: لابن أبي الحديد
صبح الأعشى	: للقلقشندي

عصر المأمون	: للدكتور فريد رفاعي
المقد الفريد	: لابن عبد ربه
المقد الفريد	: للملك السعيد
عيون الأخبار	: لابن قتيبة
غرر الخصائص الواضحة	: لأبي إسحاق الوطواط
الفرج بعد الشدة	: للتنوخي
الكامل في الأدب	: للمبرد
الكامل في التاريخ	: لابن الأثير
مجمع الأمثال	: للميداني
الحاسن والأضداد	: للجاحظ
الحاسن والمساوي	: للبيهقي
محاضرات الأبرار	: لابن عربي
المختار من نوادر الأخبار (مخطوط)	: لمحمد بن أحمد الأنباري
مروج الذهب	: للمسعودي
المستطرف في كل فن مستظرف	: للأبشيحي
معاهد التنصيص	: لبدر الدين العباسي
معجم الأدباء	: لياقوت الحموي
معجم البلدان	: لياقوت الحموي
مذهب الأفغاني	: للشيخ محمد الخفصرى
نفع الطيب	: للمقرئ
نهاية الأرب	: للنويري

## مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

للزحخشرى :	أساس البلاغة
للزركلى :	الأعلام
لجورجى زبدان :	تارىخ آداب اللغة العربية
للشيوخ محمد الخضرى :	تارىخ الأمم الإسلامية
للأبى هلال المسكرى :	جمهرة أشبال العرب
للمرصفى :	رغبة الأمل
للتبريزى :	شرح ديوان الحماسة
للبسكرى :	شرح الأمالى
لابن سلام :	طبقات الشعراء
لابن قتيبة :	الشعر والشعراء
للضبى :	الفاخر فى الأمثال
للأمير واصف :	فهرس خريطة الممالىك الإسلامية
للفيروز أبادى :	القاموس المحيط
لابن منظور :	لسان العرب
لابن قتيبة :	المعارف
لابن هشام :	مففى اللبيب
لابن خلكان :	وفيات الأعيان